يوسف رشاد

اليهودُ المُتَخَفّونَ

عَبْرَ التاريخِ

وآثَرهم في المسيحيةِ والإسلامِ

قديمًا وحديثًا

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

اليهود المتخفون عبر التاريخ

مُؤَلَّف يفضح ويكشف خبايا ومكنون وأحقاد ومكائد يهود وأياديهم الخفية التي عبثت بالديانة المسيحية، فخربت عقيدتهم وحرّفت ديانتهم التي جاء بها عيسى ابن مريم - عليهما السلام - بيضاء نقية، فسوّدتها أيادي يهود النجسة.. وحاولت ذلك مع الدين الإسلامي وأرادوا تخريب عقيدته كما فعلوا مع الديانة المسيحية ولكنهم خابوا وخسروا وباءوا بفشل ذريع وحفظ الله - عز وجل - الدين الإسلامي الذي تكفّل بحفظ كتابه الكريم فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر-٩، ولكنهم نجحوا في إثارة الفتن وإشعال نار الحروب بين المسلمين ولا سيما إبان الخلافة الراشدة وتحديداً بدءاً من فتنة مقتل الخليفة الشهيد المظلوم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ومرورًا بدور اليهود المتمثل في اليهودي المتخفي عبد الله بن سبأ وزمرته الضالة وانتهاءً بفتنة يهود الدونمة التي أرادوا من خلالها إسقاط الخلافة العثمانية ومن ثمَّ السيطرة على مقدرات الأمور داخل المجتمع التركي - وسوف تجد هذا مفصلاً بين دفتي هذا الكتاب الذي كشف عوار وخبايا هؤلاء اليهود الذين تخفوا في زي ديانات أخرى لهدمها من داخلهاوقد عبّر رئيس دولة العدو الإسرائيلي السابق: (إسحاق بن زفي) عن هؤلاء اليهود الذين اندسوا وسط ديانات أخرى وهم يحتفظون بدينهم اليهودي فقال: (إن يهودًا كثيرين جدًا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين: إحداهما ظاهرة وهي إعتناق دين الشعب الذي يعيشون بينه جماعيًا وظاهريًا. والثانية: باطنة وهي إخلاص عميق لليهودية..)

فيا تُرَى ما هو دور هؤلاء اليهود الذين اعتنقوا ديانات الشعوب الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم؟.

هذا ما ستجده مفصلاً بين ثنايا هذا الكتاب.. لذلك حريً بك أن تقتنيه وتقرأه أيضا.

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 978-977-376-564-8
9 789773 765644
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

---------- اليهود المُتَخَفّون وأثرهم في المسيحية والإسلام قديمًا وحديثًا

اسم الكتاب: اليهود المُتخفّون وآثرهم فى المسيحية والإسلام قديماً وحديثاً
إعداد: يوسف رشاد
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٣٤ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى: 8 - 564 - 376 -977 - 978
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٧٠
دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النورى - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثانى - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

حقوق الطبع محفوظة

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربى للنشر وغير مسموح بإعادة نشر او إنتاج الكتاب أو أى جزء منه او تخخزينه على أجهزة استرجاع او استرداد إلكترونية او نقله باية وسيلة اخرى أو تصويره أو تسجيله على أى نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الطبعة الأولى
٢٠١٠

سوريا- دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢/٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب ٣٠٤٣ الشويفات
darelkitab@ - com - darkitab - nassif@hotmail - com
عنوان الموقع: www-darketab-com - عنوان البريد الألكترونى التابع للموقع: info@darketab-com

اليهود المتخفون
وأثرهم في المسيحية والإسلام قديمًا وحديثًا

◆

يوسُف رشاد

◆

الناشر
دار الكتاب العربى

الإهداء

إلى إخواني في فلسطين المحتلة مع دعواتي لكم بالثبات والنصر والتمكين.

إن شاء الله تعالى

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾

[الإسراء: ٥١]

أخوكم/ يوسف رشاد

قال الله عز وجل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾»

﴿البقرة/١١٣﴾

وتقول بروتوكولات صهيون:

«علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية ومادية..»

ويقول الإنجيل:

«لا تظنوا أني أشكوكم إلى الرب، يوجد الذى يشكوكم، وهو موسى عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني، لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامي»

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- أرسله الله- عز وجل- إلى جميع الثقلين الجن والإنس بشيرا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ الرسالة أتم التبليغ، وأدى الأمانة حق الأداء وجاهد في سبيل الله حق الجهاد، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.. أما بعد

إن الكلام عن اليهود لن ينتهي حتى تنتهي تلك الدولة اللقيطة التي اغتصبت الأرض وشردت أهلها بدعم من قوى الاستكبار العالمية وعلى رأس تلك القوى الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول النصرانية الأوروبية وعلى رأس تلك الدول إنجلترا وفرنسا.. فاليهود استطاعوا أن يعلنوا سيطرتهم على تلك الدول من خلال اللوبيات اليهودية التي تتحكم في مقاليد وأمور تلك البلاد وذلك بعد أن خربوا ديانة تلك الدول وهي المسيحية التي أفرغوها تمامًا من مضامينها وعقائدها ووضعوا مكانها ما يسمى بالفلسفة- التي هي من أعمال اليهود- كما ستقرأ عزيزي القارئ ذلك بين ثنايا هذا الكتاب.

وسوف نبين في الباب الأول كيف استطاع اليهود من خلال اتباع خطوات

الشيطان (لأنهم جنده وحزبه) ومن خلال العمل الدءوب والصبر والمثابرة والتخطيط المحكم وحبك المؤامرات والدسائس استطاع اليهود أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من علوٍّ وسيطرة وهيمنة وتحكم وهدم الديانة النصرانية على رءوس أتباعها في الغرب خاصة، فمنذ القرن الأول للمسيحية وهم يحاولون وأد تلك الديانة التوحيدية التي جاء بها عيسى ابن مريم- عليه السلام- بيضاء نقية من قِبَل رب العالمين الذي لا يقبل البتة أن يكون له شريك في الملك ولا ولد، فدخل اليهودي (شاؤول) والذي يسمى عند النصارى (بولس) فحرَّف الديانة النصرانية وادعى ظلمًا وزورًا أن عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله هو الله- تعالى الملك الحق المبين- عن قول هذا الأفاك اللعين.

ومنذ ذلك الحين والديانة النصرانية أخذت في الانحدار حتى أعلنوا في الغرب عن نهاية هذه الديانة وإحلال النظم والنظريات والآراء الفلسفية محلها، وقد كان لفلاسفة اليهود اليد الطولى في زرع ونشر تلك الفلسفات الإلحادية والكفرية وقد اعترف أحد الكُتّاب الفرنسيين ويدعى (لوك فيري) الذي يعدّه البعض من فلاسفة فرنسا المعاصرين حيث كان يشغل منصب وزير التربية والتعليم في عهد الرئيس الفرنسي السابق (جاك شيراك).

يقول هذا الفيلسوف الفرنسي: «إن الفلسفة حلّت محل الدين في الغرب في الآونة الأخيرة، فلم يعد الناس، أو قل أغلبيتهم يبحثون عن الطمأنينة وتهدئة مخاوفهم وقلقهم في جهة المسيحية وإنما في جهة الفلسفة القديمة والحديثة.. وهذا تطور مذهل لم يحصل في أي منطقة أخرى من مناطق العالم حتى الآن، فالفلسفة العلمانية هي التي تسيطر على الغرب حاليًا وليس الدين المسيحي»(١).

وسوف ترى عزيزي القارئ بين ثنايا هذا الكتاب كيف استطاع فلاسفة اليهود استغلال تلك النظريات والآراء الفاسدة لإحلالها محل الديانة المسيحية.. فكم هي أيادي اليهود الخفية التي استطاعت أن تُحرّك أفكار وعقائد الديانة المسيحية.. تقول البروتوكولات:

---

(١) عن كتاب: الانتصار على الخوف تأليف لوك فيري [الناشر: أوديل جاكوب – باريس/ ٢٠٠٦م] عرض وتحليل جريدة البيان الأماراتية الصادرة في يوم ٢٠ أغسطس من عام / ٢٠٠٩م الموافق/ ٢٨ شعبان/ ١٤٣٠هـ العدد/ ١٠٦٥٤.

«وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحد أبدًا على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة.. وقد نشرنا في كل الدول الكبري ذوات الزعامة أدبًا مريضًا قذرًا يغثي النفوس، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب، كي يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التي سنصدرها من موقفنا المحمود، وسيقوم علماؤنا الذين رُبوا لغرض قيادة الأمميين (من غير اليهود) بإلقاء خطب ورسم خطط، وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الأفكار التي تلائمنا(1). وقد تم لهم ما أرادوا ونشروا تلك الأفكار المنحرفة واستطاعت أيادي اليهود الخفية من خلال هؤلاء العملاء والخونة الذين تسربلوا بسربال الديانات الأخرى أن ينفذوا إلى داخلها، فكم من اليهود الذين تنصروا حتى وصلوا إلى رأس الكنيسة نفسها فأفسدوها من داخلها، وكم من اليهود تفلسفوا حتى يضعوا نظريات وأفكارا تخالف كل الأعراف والتقاليد والأخلاق والأديان وهكذا حاول بعضهم الدخول في الإسلام لوأده من الداخل كما فعلوا بالمسيحية ولكن محاولاتهم باءت بالفشل لأن الله- عز وجل- حافظ هذا الدين بقرآنه الذي تكفَّل وتعهَّد سبحانه وتعالي بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجْر/9] ولقد تصدى علماء المسلمين العدول لمثل تلك المحاولات اليهودية ففضحوا مخططاتهم وبينوا فساد كل من سوَّلت له نفسه ليخرج عن منهج الإسلام الأصيل والمتمثل في المصدرين الأساسيين وهما: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة.. فكم هي أيادي اليهود الخفية التي اندست بين صفوف الديانات الأخري فبذرت في صفوفها بذور الشقاق والخلاف، ولكن الله- عز وجل- قيض دائما من يفضح هؤلاء الذين اندسوا بين أتباع الإسلام بالذات فـ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة/64]، فاليهود أمة قد غضب الله عليها وهي أمة ملعونة ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة/78] وهم أهل كذب، وبهت، وغدر، ومكر، وحيل، وقد حذرنا منهم

(1) بروتوكولات صهيون، البروتوكول الرابع عشر صـ153 [الناشر: دار الكتاب العربي - الطبعة الخامسة/ 1980، ترجمة الأستاذ/ عباس محمود العقاد].

النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- ومن السير على خطاهم فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»[1] فالحذر ثم الحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه... لذلك فقد أخذت العهد على نفسي كي أكون سيفاً مُسلطاً بقلمي لفضح مخططات ومؤامرات هؤلاء القوم الذين يعيثون في أرضنا في فلسطين الحبيبة الفساد فيقتلون الأطفال والنساء والشيوخ ويهدمون البيوت على رءوس ساكنيها ويهلكون الحرث والنسل ويجرِّفون أشجار الزيتون، ولا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة، وكل ذلك على مرأى ومسمع من المسلمين الذين استغل اليهود انتشار مرض الضعف والتشرذم والفُرقة والتمزق فيهم، مع ما وجدوه من دعم وعون من قوى الاستكبار العالمية ومن يدورون في فلكهم من أبناء جلدتنا، وأهلنا في فلسطين يُذبَحُون بدم بارد ولا مُجير لهم ولا نصير ولا معين لهم إلا الله عز وجل.. فيا أيها المسلمون:

أتُستبى المسلمات بكل ثغر	●●●	وعيش المسلمون إذاً يطيب
أما والله والإسلام حق	●●●	يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا	●●●	أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

فمشاركة مني لإخواني في فلسطين أُهدي لهم هذا الكتاب ولا أطمع إلا في دعوة صالحة من جميع إخواننا في وطننا العربي والإسلامي الحبيب - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يوسف رشاد

(١) أخرجه ابن بطة في: الإبانة الكبرى، وراجع إرواء الغليل للشيخ الألباني (٥/ ٣٧٥).

الباب الأول

اليهود المتخفون وأثرهم في تحريف المسيحية

الفصل الأول: دور بولس أو شاؤول في تحريف المسيحية

الفصل الثاني: اليهود المتخفون يعتلون كرسي البابوبية وأثرهم في تحريف المذهب الكاثوليكي

الفصل الثالث: اليهود المتخفون في الأندلس (المارانوس)

الفصل الرابع: اليهود المتخفون ودورهم في تحريف الكنيسة البروتستانتية

ما المقصود باليهود المتخفين؟

إن مقصودنا باليهود المتخفين في الديانات الأخرى أو عبر التاريخ هم أولئك الذين لبسوا مسوح الأديان والعقائد السماوية الأخرى كالنصرانية والإسلام والتي لا يدينون لتلك الديانات إلا بكل حقد وبُغض وكراهية وذلك لغرض زعزعة وخلخلة أفكار ومعتقدات تلك الأديان من الداخل فمن اليهود من تنصَّر وأظهر نصرانيته وأخفى يهوديته تقيَّة ونفاقًا وذلك لهدم وتحريف الديانة النصرانية وتخريب عقائد تلك الديانة من داخلها كما فعل بولس أو شاؤول- حسب ما سنذكره في الفصل القادم- وكما فعل خلفه من اليهود الذين تنصَّروا عبر التاريخ وأثر هؤلاء في تحريف الديانة المسيحية.

كذلك نقصد باليهود المتخفين الذين أسلموا نفاقًا وتقيَّة وأظهروا إسلامهم مع حفاظهم على يهوديتهم ومن أوائل هؤلاء اليهودي اليمني عبدالله بن سبأ وجماعته الذين استطاعوا أن يشقوا صفوف المسلمين ويبثوا روح الفُرقة والخلاف بينهم وقد نجحوا بدرجات متفاوتة في ذلك إلا أنهم لم يستطيعوا تحريف القرآن الكريم لأن الله- عز وجل- قد تكفل بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩] ولكنهم استطاعوا بث الشّقاق والخلاف بين المسلمين، كذلك نقصد بهؤلاء اليهود الذين أخفوا يهوديتهم وأعلنوا أو أظهروا الولاء والانتماء لأديان أخرى كيهود:

- المارانو، أو المارانوس وهم اليهود الذين تنصَّروا في بلاد إسبانيا والبرتغال إبان القرن الخامس عشر الميلادي وهم ما كان يُطلق عليهم بالمسيحيين الجُدد أو (الكونفرسوس) أي: (الذين اهتدوا إلى دين جديد) و(كريستاوس نوفوس) أو (المسيحيون الجدد)، وكذلك اليهود المتخفون في تركيا وهم الذين يعرفون باسم (يهود الدونمة).

هذا هو المقصود لمعنى (اليهود المتخفين) أي: هم اليهود الذين يتظاهرون باعتناق دين آخر غير الدين اليهودي تقيَّة أو نفاقا مع تمسكهم وارتباطهم الشديد بدينهم الأصلي، وإتماما للفائدة ألحقنا بالبحث دور اليهود الخفي أو بمعنى آخر اليهود المتخفون الذين كان لهم أكبر الأثر في إشعال وإيقاد نار الثورات والفتن والحروب في العصور الحديثة وخاصة دورهم البارز في الحربين العالمية الأولى والثانية من خلال منظماتهم السرية والخفية التي أنشئت لهذا الغرض.

ولنبدأ بعون الله- تعالى- بـ(أثر اليهود المتخفين في الديانة النصرانية).

1

الفصل الأول

دور بولس أو شاؤول في تحريف الديانة النصرانية

وفيه:

- مدخل إلى الفصل الأول

- المبحث الأول: التعريف ببولس أو شاؤول

- المبحث الثاني: الأدلة على تحريف بولس اليهودي الدين المسيحي

- المبحث الثالث: آراء وأقوال رجال اللاهوت والفكر المسيحي في بولس

- المبحث الرابع: بولس.. في الروايات الإسلامية

مدخل إلى الفصل الأول

لا شك أن اليهود المتخفين كان لهم الدور الأكبر والأساسي في تحريف الديانة النصرانية منذ نشأتها وحتى العصر الحديث عندما أعلن مجمع الفاتيكان الذي انعقد عام ١٩٦٣م من القرن الماضي تبرئة اليهود من دم المسيح- عليه السلام- والذي قال عنها الكاردينال الألماني (بيّا) الذي قدّم تلك الوثيقة إلى بابا الفاتيكان (ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة، إنها خلاصة دراسة) وقد وقّع على تلك الوثيقة البابا يوحنا الثالث والعشرون وبذلك أُسدلت الستار عن آخر محاولة لليهود المعاصرين ونجاحهم في جعل النصارى يتنازلون عن إحدى أهم عقائدهم بل وخالفوا بذلك نصوص إنجيلهم الذي يشهد بدور اليهود الرئيسي في صلب المسيح- حسب اعتقادهم- ففي سفر أعمال الرسل يقول بطرس لثلاثة آلاف من اليهود: «يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم» (أعمال/٣٦)، وفي إنجيل متى الذي استشهد به أحد القساوسة وهو إبراهيم سعيد- رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين- بنصوص الإنجيل التي تقرر أن اليهود طلبوا صلبه، ورفضوا إطلاق سراح المسيح بقول الإنجيل على لسان اليهود: «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧/٢٥).

ويقول مؤرخ اليهود يوسيفوس (٣٧- ٩٧م): «وفي ذلك الوقت كان هناك رجل حكيم يُدعى يسوع اشتهر بحسن السلوك والتقوى.. إلى أن قال.. هو المسيح الذي اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا (أي: من اليهود) وسلّمه بيلاطس البيزنطي للصلب»[١].

وهذا المؤرخ اليهودي الذي عاش في أوائل القرن الميلادي لم يتبع الديانة النصرانية بل عاش ومات على يهوديته، يقول عنه اليهودي المصري

(١) تاريخ اليهود ليوسيفوس صـ ١٠٤

شاهين مكاريوس: «إنه لم يتبع دين عيسى وأن أباه كان في أعلى درجات الكهنوت وأنه تربي على مذهب الفريسيين وأن النصارى كانوا بمثابة أعداء وحُسّاد له»[1]. ويُعتبر يوسيفوس فلاويوس من أبرز المؤرخين حيث يدعّمون ويؤكدون ويستدلون بهذا النص على صلب السيد المسيح، ولكن هذا الكلام وهذا التأكيد قد عارضه كثير من النصارى حيث يقول (بول.ل.ماير: أستاذ التاريخ القديم على كرسي راسل سيبرت، بجامعة ميشيغان الغربية) بعد أن ساق كلام يوسيفوس الذي حرّفه النصارى: «ومع أن هذا النص مذكور حرفيًا في مخطوطات يوسيفوس التي تعود إلى زمن مبكر في القرن الثالث، فإن المؤرخ الكنسي (يوسابيوس) بالإضافة إلى علماء آخرين شككوا في صحة الإقحامات المسيحية على النص لأن يوسيفوس لم يكن يؤمن بأن يسوع هو المسيح أو أنه قام من الموت وإلا لما كان بقى يهوديًا وغير مسيحي[2] وباستدلالنا بتلك النصوص من أفواه وأقلام النصارى أنفسهم نثبت صحة تحريفاتهم ولكننا كمسلمين نؤمن بقول الله- تعالى- عن المسيح- عليه السلام واليهود: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء/ ١٥٥: ١٥٨).

وبدايات تحريف الدين المسيحي كان على يد رجل من اليهود المتشددين الذي أعلن نصرانيته مع أنه كان من أشد اليهود اضطهادًا للمسيحيين إنه: بولس اليهودي أو شاؤول الذي قال عنه النصارى أنفسهم: «كان شاؤول من مدينة طرسوس، وكان أبوه من اليهود المحافظين على التقاليد والعادات اليهودية، وكان والده ذا شخصية ممتازة، أتى بأعمال باهرة، فكافأته الدولة الرومانية بالرعوية

(١) تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس صـ١٥٧، والفريسيون طائفة يهودية كانت تدعو إلى التمسك بتعاليم التوراة والتقاليد الحرفية المتناقلة عن سلفهم.

(٢) يوسيفوس- الأعمال الأساسية بول. ل. ماير (منشورات كريجل ١٩٩٤م).

الرومانية، فصارت له هو وأهل بيته امتيازات المواطن الروماني، هذا وكان شاؤل يعتز بأنه عبراني، كما أتقن اليونانية لغة وفلسفة، وكان لم يكن ممكنا لشاؤل أن يجد راحة ما دام يوجد مسيحي مستريح، وإذا علم أن المسيحيين في دمشق في سلام انطلق كالوحش المفترس، يبث سمومه لعله يقتل تلاميذ السيد المسيح، فكان ينفث تهديده، ويطلب مزيدًا من سفك الدماء الذي لم يشبع قلبه قط، حاسبًا ذلك عملاً مقدسًا لحساب خدمة الله، إذ ظن أن اسم يسوع يمثل كارثة على الديانة اليهودية، فانقض على الكنيسة في أورشليم يعيث قتلاً وتهديدًا، مستندًا على رسائل رئيس الكهنة (اليهود).. فلم يكن رئيس الكهنة محتاجاً إلى من يثيره لاضطهاد أتباع يسوع، لكنه وجد في هذا الشاب الثائر (شاؤل) تحت دافع الغيرة على مجد الله وشعبه والناموس والهيكل وتقليدات الآباء ما يُليهيه بالأكثر، فأعطى هذا الشاب رسائل يسأل المجامع والمجتمعات وكل يهودي في دمشق لمقاومة كل من يؤمن بيسوع المسيح.[(١)].

هذا كلام النصارى أنفسهم عن بولس اليهودي أو شاؤل الذي تنصر بعد ذلك فحرّف وبدّل دين المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام- فمن هو هذا البولس أو هذا الشاؤل؟

---

(١) تفسير العهد الجديد، الإصحاح التاسع: اهتداء شاؤل.

المبحث الأول: التعريف ببولس أوشاؤل اليهودي

يعتبر بولس أوشاؤل مؤسس الديانة المسيحية المُحَرَّفة والتي تقول بألوهية عيسى ابن مريم الذي جاء بها توحيدية خالصة من عند رب العالمين.. فمن هو هذا البولس؟ يقول عن نفسه:

«أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن رُبيت في هذه المدينة مؤدبًا عند رَجْلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي، مقيدًا ومُسلِّمًا إلى السجون رجالا ونساء، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين أخذت أيضًا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا، فحدث لي وأنا ذاهب ومُتقرِّب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض وسمعت صوتًا قائلاً لي: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟

فأجبت: من أنت ياسيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني، فقلت: ماذا أفعل يارب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل»[1].

هذا النص الطويل اقتبسته من الإنجيل من سِفر أعمال الرسل لأدلل على الآتي:

١- أن بولس ومعناه: الصغير، أو شاؤل اليهودي ومعناه: طالب، وُلد في مدينة طرسوس من أعمال آسيا الوسطى (تركيا القديمة) وتقريباً في العام الرابع للميلاد.

---

(١) أعمال الرسل: الإصحاح الثاني والعشرون من ٣:١١

٢- تربى وتعلم على يد حاخام يهودي اسمه غمالائيل.

٣- لم يلتق قط هذا البولس بالسيد المسيح - عليه السلام -، ولم يكن من تلاميذه.

٤- كان يفعل مثلما يفعل اليهود في أورشليم (القدس) من اضطهاد وقتل المسيحيين، بل وأسرهم وتسليمهم للرومان لإبادتهم.

٥- في طريقه لتسليم النصارى الأسرى (المفترض أنهم أكثر منه إيمانًا لأنهم آمنوا بالمسيح - عليه السلام - فصدقوه ونصروه وهو كان يضطهدهم ويعذبهم حسب اعترافة وقوله بأنه ظهر له يسوع الناصري في الطريق، ولم يظهر لهم ليواسيهم ويشد من أزرهم).

٦- عندما نظر إلى النور الذي ظهر من يسوع الناصري أعماه لفترة، ولم يعمهم مع أنهم شاهدوا النور نفسه حسب روايته الكاذبة والمُلفّقة.

٧- سمع صوتًا لم يسمعه من معه، مع أنهم رأوا النور وشاهدوه -حسب اعترافه - ولكنه لكذبه الواضح والجلي وقع في التناقض ففي أعمال الرسل الإصحاح التاسع يقول: «وأما الرجال المسافرون معي فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا»(١).

ففي الرواية الأولى: لم يسمعوا، وشاهدوا النور، وفي الرواية الثانية: سمعوا، ولكن لم يروا شيئًا.. فانتبه إلى هذا الكذب والتلفيق.

٨- من خلال الرواية التي ساقها بولس يعترف ويُقرّ بعقيدة لم يأت بها المسيح- عليه السلام - وهي قوله بإن الرب الذي هو يسوع الناصري- حسب قوله الباطل- ويدعي بأن المسيح دعاه لاعتناق المسيحية والدعوة لها(٢).. وسوف نشرح ذلك تباعًا ومما سبق يتضح أن بولس كان «قبل

---

(١) أعمال الرسل الإصحاح التاسع/ ٨، وراجع أيضاً أعمال الرسل الإصحاح السادس والعشرين من ١٢ : ١٨ وستجد اختلافاً أيضاً في كلام هذا الكذاب الأشر المدعو بولس..

(٢) أعمال الرسل الإصحاح الثاني والعشرون، وراجع روبت كيل تسلر في كتابه (الخديعة الكبرى) - كما سيأتي).

اعتناقه المسيحية شديد التحرش بأتباع عيسى، وكان يفعل ذلك عن إيمان إرضاءً لله (عز وجل) -حسب قوله- وبالطبع كان يؤمن كيهودي صالح أن الحقيقة التامة هي التي يتبعها هو وأقرانه اليهود[1]، أما أتباع عيسى عنده فكانوا من المجدفين الكفار، إلا أنه بعد اعتناقه المسيحية قد آمن بالنقيض تمامًا أي: أن الحق المطلق أصبح ما يتبعه المسيحيون، وأن الكذب والدناءة المتناهية هي ما يتبعه اليهود والوثنيون الذين لم يتقبلوا إيمانه.. ولم ينقص بولس إلا قوة جيش دنيوي ليتمكن من اليهود والوثنيين ويتتبعهم بل ويعذبهم ويمارس القتل الجماعي فيهم، كما كانت ثائرته أيضًا ضد المنشقين الخارجين عن إنجيله..

لذلك بقي كما هو -شاؤل- قويا إلى أقصى درجة، واثقا من نفسه، طموحا، وثابا إلى أهدافه، لا تقف في طريقه أي عاقبة.. ذلك الإنسان الذي انفرد ضمن مؤلفي رسائل العهد الجديد بالهيبة، فقد كان يتمتع بشخصية مثيرة وجذابة، كما كان على درجة كبيرة من الذكاء، وكان يتمتع بطاقة عظيمة وقوة إرادة، ولديه حماس عارم لا يشعر أحد بصداه..

يقول د. روبرت كيلر: «أما ما يفسد سعادتنا به هو أنه لم يعترف بهذه الصفات بأسلوب كان شائعًا جدًا في المسيحية، بل قلل من شأنها نظريًا.. وأما ما يبعدنا عن بولس، بل ويجعلنا نصطدم به، الأمر الذي لاحظه بالفعل خصومه المعاصرون له -كما يفهم ذلك من الحوارات الساخنة في رسائله إلى أهل كورنثوس- فهو:

ادعاؤه العصمة، وتفاخره بنفسه، وعدم صبره، وميله إلى الانتقام، وحبه للتحرش بمخالفيه، وعشقه للسيطرة وهو لم يكن من النوع الذي يضع الأفكار الدينية لخدمة هذه الصفات، بل غالبًا ما كان الأمر يناقض ذلك.

وعلى أية حال فإن هذا التشابك يمثل القاعدة التي تقول إن بولس اعتبر

(١) راجع أعمال الرسل الإصحاح السادس والعشرون ١٦: ١٨

(٢) أعمال الرسل الإصحاح الثاني والعشرون، وراجع روبرت كيل تسلر في كتابه (الخديعة الكبرى) - كما سيأتي-

التعاليم المسيحية هي التعاليم الوحيدة الحقيقية وأن التعاليم المسيحية هي تعاليم بولس فقط دون اختلاف فهي قد أوحيت إليه (غلاطية ١/١١ :١٢)[(١)]، ولذلك فإن أمر بولس هو أمر الله (وهو تطابق مازال حيا لليوم)، حتى ولو بشر ملاك بإنجيل آخر فهو ملعون. (غلاطية ١/٩، ١٠)[(٢)]، وبالتالي فإن الخلاص الأبدي للجماعة يعتمد على قبولهم تعاليم بولس حرفيًا»[(٣)].

أما ول ديورانت، فيقول عن بولس:

«وأكبر الظن أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاؤل.. ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية[(٤)] انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس.. وهذه الأديان الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان...

وقد بلغ من علمه أن اليهود الذين يُجلّون العلماء أعظم الإجلال، أطلقوا عليه اسم (جمال الناموس) ولقبوه بما لم يلقب به الأستة رجال من بعده وهو (الربان) أي: سيدنا، واتخذ بولس منه (أستاذه الذي تعلم منه وهو غمالائيل) وعن غيره الطريقة الحصيفة، والجدلية السوفسطائية في تفسير الكتاب المقدس، وقد بقي بولس إلى آخر أيامه يهوديًا في عقله وخُلُقه... أما عقله فكان من طراز شائع كثيرًا بين اليهود، وكان يعتقد أنه مُلهم، مُوحى إليه، قادرًا على فعل المعجزات، وكان إلى هذا ذا طبيعة عملية، قادرًا على الجد والتنظيم، صبورًا إلى أقصى حد في تأسيس العشيرة المسيحية والمحافظة عليها، وكانت عيوبه وفضائله شديدة الصلة بعضها ببعض لا غنى لكلتاهما عن الأخرى، فقد كان شجاعًا مندفعًا

(١) يقول الإصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية (بولس رسول لا من الناس، ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والأب الذي أقامه من الأموت) الإصحاح الأول.

(٢) يقول الإصحاح الأول أيضًا: (ولكن إن بشّرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشّرناكم فليكن أناثيما، أي: ملعونًا) [١/ ٩].

(٣) كتاب الخديعة الكبرى للدكتور: روبت كيل تسلر (ملحق الكتاب).

(٤) الرواقية: مدرسة فلسفية تأسست حوالي عام ٣٠٠ ق. م أي: بعد أرسطو، وهذه المدرسة تعتبر مذهب من مذاهب الفلسفة القائم على آراء في المنطق وما وراء الطبيعة (أي: الإلهيات) ولكن الأخلاق هي الهدف الأسمى لهذا المذهب، وهو قريب من التصوف والرهبنة التي اخترعها بولس في المسيحية.

متعسفًا حاسمًا في أحكامه، متعصبًا مبتدعًا، عنيفًا في غضبه قادرًا على أن يستشعر أرق الحب والرحمة، يشير على أتباعه أن يباركوا من يضطهدونهم، ولكنه يتمنى لأعدائه الذين يختتون أن[1] (يقطعوا أيضًا).. ولقد كانت جرأة منه أن يحاول التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية.. ثم أعلن بولس أن الناس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى، بل بإيمانهم القوي الفعال بالمسيح المنقذ ابن الله (تعالى الله عما يقول النصارى علوًا كبيرًا).. لقد أنشأ بولس لاهوتًا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شرًا وخبثًا، ولعله تذكَّر السُّنَّة اليهودية والوثنية، سُنَّة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس.. وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبي المؤسسي بعض آراء صوفية غامضة.. من ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله)، و(ابن الله الأول).. وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة المسيح الواقعة وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة، واستطاع بذلك أن يقف على قدم المساواة مع الرسل الأولين الذين لم يكونوا يجارونه في آرائه الميتافيزيقية... ومع هذا كله بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس يهوديًا في قوة خُلُقه وصرامة مبادئه»[2].

هذه هي خلاصة التعريف ببولس مؤسس الديانة النصرانية الجديدة من خلال تعريفه بنفسه من خلال إنجيله المسمى بأعمال الرسل ومن خلال كتابات بعض المفكرين الغربيين يتبين لنا تمامًا ما فعله بولس بالديانة المسيحية التي أبدلها بديانة جديدة عبارة عن خليط من العقائد الفلسفية المتأثرة بأفكار فلاسفة الإغريق واليونان أمثال أفلاطون وغيره من الفلاسفة الذين تأثروا بما يسمى باللاهوتية الفلسفية فكانت لهذه العقائد والفلسفات أكبر الأثر على بولس في حياته المستقبلية كما شهد بذلك هو على نفسه وكما ذكر ذلك علماء ورجال

---

(١) مع أنه كان مختتنًا ليهوديته، لأن شريعة اليهود تقول بالختان ولكن بولس هو الذي شرع تحريم الختان في الديانة المسيحية والتي اخترعها وسوف نُفصِّل ذلك تباعًا.

(٢) بتصرف من قصة الحضارة، لول ديورانت (١١/ ٢٤٩: ٢٧٠).

الدين المسيحي كما سنقرأ ذلك في الفقرة القادمة فكانت المسيحية على عهد بولس نصف يونانية كما قال ول ديورانت.

«وكانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية، ثم أصبحت في تعاليم بولس نصف يونانية، وأضحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانية، ثم عاد إليها العنصر اليهودي والقوة اليهودية حين دخلها المذهب البروتستانتي[1]».

ويقول الدكتور: روبرت كيل تسلر:[2]

«من البديهي أن من يدعي أنه من أتباع مؤسس ديانة ما أو من حوارييه فلابد له أن ينهج نهج معلمه، وأن يتبنى تعاليمه وكلماته دائمًا ولهذا فمن غير المجدي أن نبحث في رسائل بولس- التي أصبحت بجد القاعدة الأولى لبناء ما يطلق عليه الدين المسيحي- عن كلمات وتعاليم يسوع التي يمكن أن ترتبط بتعاليم بولس التي تمخضها خياله الخاص.. إلا أن بولس قد قام بالنقيض تمامًا، فقد نادى بتعاليم إنجيل يختلف عن إنجيل عيسى اختلافاً جذرياً، فهناك جزء كبير مما كتبه بولس يناقض فكر عيسى أو رسالته أو تعاليمه بصورة لا يمكن أن نجد معها مخرجًا، وهي تتعلق غالباً بمبادئ العقيدة[1]».

وأنا أقول إن بولس ناقض فكر نبي الله عيسى - عليه السلام - في الشريعة أيضًا ومع أن أساس وقواعد أي دين يكون في عقيدته فإن بولس اليهودي استطاع النفاذ إلى صلب عقيدة الأنبياء جميعاً -عليهم السلام- استطاع هذا البولس اليهودي أن ينقض عقيدة التوحيد والألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته إلى عقيدة وثنية اقتبسها من ديانات وضعية وأرضية، ومع ذلك لم يكفه هدم الدين المسيحي من خلال اعتقاده فقط، ولكنه خالف وناقض شريعة

---

(١) المصدر السابق (٢٤٨/١١) والمذهب البروتستانتي أُنشئ على يد مارتن لوثر في ألمانيا الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي كما سنفصل ذلك تباعاً.

(٢) هو: روبرت كيل تسلر، ولد عام ١٩١٤م بألمانيا، وعمل كموظف بوزارة العدل بألمانيا ثم قاضياً، ثم مدرساً بجامعة زيورخ للقانون المدني، ثم عمل محامياً وباحثًا في الدين والأخلاق والجنسية، وقد لاقى الكتاب إعجاب وثناء العديد من المثقفين والمهتمين بعلوم اللاهوت المسيحي في أوربا.

عيسى - عليه السلام - التي هي في الأصل الشريعة الموسوية كما قال لهم عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران/٥٠] أي: مصدقاً لما بين يدي من شريعة موسى - عليه السلام - وسوف نثبت في الفقرة القادمة الأدلة على نقض بولس اليهودي للدين المسيحي.

المبحث الثاني: الأدلة على تحريف بولس اليهودي للدين المسيحي

أولاً: في الاعتقاد:

قبل الخوض في نقض بولس اليهودي للاعتقاد الذي جاء به عيسى - عليه السلام - النبي المرسل من رب العالمين، أراد بولس أن يُضفي على نفسه هالة من القدسية ويدعي زورًا وكذبًا وبهتاناً أن ما يقوله وما يمليه على أتباعه هو من عندالله، وما هو من عندالله -تعالى- فيقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من الأموات.. إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يُزعجوكم ويريدون أن يُحوّلوا إنجيل عيسى، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما (أي: معلوناً) (رسالة بولس إلى أهل غلاطية الأصحاح ١، ٦، ٨).

وقبل أن نخوض في تحليل النص نقول إن بولس يعتبر من أهم كُتَّاب الإنجيل حيث تبلغ عدد الرسائل التي يحتويها الإنجيل بين دفتيه أربع عشرة رسالة لذلك يعتبر بولس أشهر كَتَبَةِ الإنجيل على الإطلاق، فمن بين السبعة وعشرين سفرًا من كتاب العهد الجديد كتب بولس وحده أربعة عشر سفرًا أو رسالة.

وعودة مرة أخرى إلى كلام بولس عن نفسه لأهل غلاطية الذي يقول لهم: «وأُعرِّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بَشَّرت به إنه ليس بحسب الإنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح، فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت اضطهدت كنيسة الله بإفراط وأُتلفها وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غَيْرة في تقليدات آبائي.. (رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح ١١:١٥) فهذه هي البدايات أو التمهيدات التي أراد شاؤل اليهودي أن يضعها أمام أتباع المسيح عيسى - عليه السلام - ليصدقوه فاعتبر أن الكلام أو الرسائل التي يرسلها إلى أتباع المسيح - عليه السلام - ليست من كلامه وإنما هي وحي من عند الله تعالى

- حسب كذبه وزعمه - وذلك ليوحي إلى أتباع المسيحية ويعدهم نفسيًا ومعنويًا لتقبل تعاليمه التي تخالف تماماً تعاليم المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام- كما سنرى.

فهذه البداية من بولس أو شاؤل اليهودي هي بمثابة تهيئة الأجواء لتقبل ما سيمليه من أوامر وتعاليم يدعي كذبًا وزورًا أنها من عند الله - عز وجل - وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول فيه وفي أمثاله ممن يفترون على الله الكذب: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾. [البقرة ٧٩] ويقول عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧٨] وهذه الآية تنطبق تمام الانطباق على هذا البولس الذي كتب رسائله وإنجيله وادعى أنها من عند الله -عز وجل- وما هي من عند الله إن يقول إلا الكذب، ولكن إن دلت رسائل وتعاليم بولس على أتباع المسيح فإنما تدل على صفات هذا الرجل الماكر التي كان يتحلى بها ومنها- قدرته الفائقة على التلفيق والكذب، وبراعته في التأثير على البسطاء من الناس وقدرته الفائقة على قلب الحقائق وتغيير وتلبيس الحق بالباطل، وكذلك سرعة حركته وانتقاله بين البلدان لنشر تعاليمه الفاسدة وأكاذيبه على الله - عز وجل - وعلى نبي الله عيسى - عليه السلام -، وأخيرًا براعته وذكائه المُفرط في إقناع بعض أتابع وتلاميذ نبي الله عيسى- عليه السلام - بفكرته وعقائده الباطلة التي نفثها في روع الأتباع الذين لم يكن لهم علم راسخ بتعاليم نبي الله - عليه السلام - ولم يكن بعد الإيمان قد تغلغل في نفوسهم لذا كان تأثير هذا البولس عليهم شديدًا.

أما عن تلاميذ السيد المسيح عيسى - عليه السلام - الذين تتلمذوا على يديه والذين وصفهم القرآن الكريم بالحواريين بل وأثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف/ ١٤] فمن المؤكد واليقيني أن بولس لم

يقابل أحدًا من هؤلاء الذين وصفهم الله -عز وجل- بأنهم أنصاره ومن المحال أن يكون من أنصار الله من يصفه بصفات غير صفات الجلال والكمال ومن المحال أن يوافق أحد من أنصار الله - تعالى - على ما ابتدعه بولس واخترعه في الديانة المسيحية بألوهية المسيح أو بأنه ابن الله - تعالى - الله عن ذلك علوّا كبيرًا، وأغلب الظن أو بمعنى أدق أن الراجح أن بولس قد أزاح عن طريقه هؤلاء الرجال، أنصار الله وسلّط عليهم أتباعه من اليهود لقتلهم أو نفيهم من البلاد أو سجنهم، المهم أن بولس استطاع بكل حيلة ودهاء ومكر أن يتخلص من هؤلاء الحواريين ليخلو ويصفو له الجو لنشر تلك العقائد الهدّامة والفاسدة وسط أناس من الذين أعلنوا ولاءهم للمسيح ولكن لم يكن الإيمان بعد قد تغلغل في نفوسهم ولم تكن بعد تعاليم عيسى - عليه السلام -، قد انتشرت بينهم لأن بولس سرعان ما غيّر وبدّل تلك العقائد والشرائع بغيرها التي اقتبسها تارة من اليونانية الوثنية أو من الفلاسفات والهرطقات الأخرى التي كانت سائدة في معظم أوروبا في حينها، ولذلك نجد بولس في رسالته إلى أهل غلاطية يتهم من يعارضه في أقواله وتعاليمه التي تخالف أقوال وتعاليم السيد المسيح بأنهم كذبة وأنهم قد أندسوا ودخلوا خفية إلى النصرانية ليتجسسوا- هكذا دون استحياء فنجده يقول:

«وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أُكرِّز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا لكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حُريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل، وأما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه الإنسان، فإن هؤلاء المعتبرين لم يُشيروا عليّ بشيء، بل بالعكس إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغُرْلة كما بطرس على إنجيل الختان. (رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح الثاني/ ٢:٧).

وسوف نثبت أن بولس قد غيّر وبدّل عقائد وشرائع عيسى - عليه السلام - لذلك فهو يصف الحواريين بالإخوة الكذبة لأنهم يعلم تمامًا أنهم سيعارضونه في

أقواله وتعاليمه، بل إنه وصفهم بالجاسوسية لأنهم دخلوا إلى النصرانية خفية، وصدق فيه القول: (رمتني بدائها وانسلّت) فهو الذي دخل إلى النصرانية خفية، ولكنه أراد هدم عقيدة وشريعة عيسى - عليه السلام - وحوارييه، فما كان منه إلا أنه اتهم غيره بما فيه وأطلق عليه كرازته (أي: دعوته) لقب: إنجيل الغُرلة (أي: غير المختتنين) وسوف نثبت أن إنجيل عيسى - عليه السلام - جاء بغير ذلك الذي دعا إليه بولس الذي أزاح من طريقه هؤلاء الحواريين وأكد في أكثر رسائله على أن تعاليمه هي الأساس وأن ما يقوله غيره من تعاليم وأقوال فهي غير صحيحة كما في رسالته الأولى إلى تيموثاوس مؤكدًا فيها على أنه صاحب التعاليم الصحيحة للمسيح فقال: «إن كان أحد يعلم تعليمًا آخر (أي: غير تعاليمه)، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذي هو حسب التقوى فقد تَصلّف، وهو لا يفهم شيئًا، بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الرديّة، ومنازعات أناس فاسدي الذهن وعادى الحق يظنون أن التقوى تجارة تجنب مثل هؤلاء. [رسالته الأولى إلى تيموتاوس. الإصحاح السادس. ٣:٥] وهكذا أراد بولس من خلال رسائله أن يؤكد على هذا المعنى وهو أن رسائله وتعاليمه هي الحق وما عداها باطل وزور لأجل ذلك تجرأ بولس وادعى أن تعاليمه وكلامه هي الأساس في الديانة المسيحية، بل تعالى على تعاليم المسيح عيسى - عليه السلام - واحتقرها في بعض مواضع من رسائله واعتبرها تعاليم ضعيفة وعتيقة بالية بل ادعى بعدم نفعها فيقول في رسائله إلى العبرانيين.

«لذلك نحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال...»

[العبرانيين الإصحاح السادس-١] ويقول في نفس الرسالة:

«فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئًا، ولكن يصير إدخال رجاءٍ أفضل [العبرانيين الإصحاح السابع ١٨، ١٩] فهذه النصوص واضحة المعاني والمعالم ولا تحتاج إلى عناء شرح في إبطال تعاليم (الوصية السابقة) والتي لم تكن إلا تعاليم السيد المسيح عيسى - عليه السلام -.

هذا إلى جانب التناقضات العديدة التي وقع فيها بولس نفسه في كثير من مواضع رسائله، وقد سبق وأشرنا إلى تناقضه عندما ادعى أنه رأي نورًا أفقده، ومن معه البصر وادعى أن هذا النور هو عيسى - عليه السلام -، وهكذا في كثير من مواقفه وكلامه حتي في عدم تأدبه مع الله عز وجل وهي عادة اليهود نجده مثلاً يقول عن الله عز وجل، في رسائله إلى أهل رومية: «ولكن إن كان إثمنا يُبيِّن برَّ الله فماذا نقول؟ ألعل الله الذي يجلب الغضب ظالم: أتكلم بحسب الإنسان فكيف يدين الله العالم إذ ذاك فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ. [رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الثالث/٥:٧] وهكذا يصف بولس الله عز وجل بصفات لا تليق بجلاله سبحانه وتعالى كما أنه يبيح لنفسه الكذب الذي جاء عيسى - عليه السلام -، بتحريمه ويقول في رسالة أخرى: «لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس، [رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، الإصحاح الأول /٢٥] فهل يوصف الله -عز وجل- بالجهل والضعف- تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرًا، هذا عن صفات وسمات شخصية هذا البولس أما عن تعاليمه في تحريف عقائد وشرائع المسيحية فحدّث ولا حرج ولنبدأ بالاعتقاد.

من المعلوم أن المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - لم يأت باعتقاد يخالف اعتقاد إخوانه من الأنبياء - عليهم السلام - الذين سبقوه وأنه - عليه السلام - لم يدع لنفسه الإلوهية أو البنوة وسيكون يوم الدينونة يوم العرض على الله عز وجل هذا الحوار الذي قصه الله عز وجل علينا في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٦، ١١٧] فهذه هي العقيدة التوحيدية الحقة التي جاء بها عيسى - عليه السلام - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ومع ذلك فالذي يطالع رسائل بولس عن كثب يجد اختلاقه لعقائد مُغايرة تمامًا

لعقائد وأفكار السيد المسيح - عليه السلام - لذلك حاول جاهدًا أن يظهر نفسه من المتعصبين ضد مخالفيه ليصدقه أتباع المسيح من الحواريين الذين تلقوا تعاليم عيسى - عليه السلام - شفاهة منه فأراد بولس أن يُضفي على تعاليم المسيح آراء وأفكارا عقائدية مخالفة تمامًا لما تعلمه أتباع المسيح منه، كذلك نري أن ما كتبه في اعتقاد صحة إيمانه، يقول الدكتور تسلر: «حيث قام (أي: بولس) بإلغاء الكثير من العقائد الصحيحة والتي التزم بها عيسى من قبله[1]» وسوف نرى في الفقرة القادمة كيف خالف بولس اعتقاد السيد المسيح - عليه السلام - في كثير من الاعتقاد، حيث إنه أدعي ألوهية عيسى - عليه السلام -، وانه ابن الله تعالى الله عما يقول الكافرون علوّا كبيرًا.

إن القارئ لكل رسائل بولس مقارنة بباقي الأناجيل الأخرى يجد مثلاً أن إنجيل (متى) بدأ بميلاد المسيح - عليه السلام -، ثم سرد سلالته، وإنجيل (لوقا) ورسالته التي كتبها إلى ثاوفيلس بدأه بحكاية نبي الله زكريا - عليه السلام -، وأما إنجيل (يوحنا) فبدأ بقوله: في البدء عند الله كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان[2] (الإصحاح الأول، ١/١).

أما إنجيل (مرقس) فبدأ بعبارة هي من واضعي الإنجيل أو ممن كتبوه، حيث بدأ الإنجيل بعبارة (بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله وواضح أن هذه العبارة وضعت كعنوان جانبي ممن كتبوا هذا الإنجيل من المتأخرين إذ لا يستسيغ ولا يعقل أن يقول عيسى عن نفسه ذلك وتعالى الله عز وجل عن الشريك والند والولد، هذا عن أناجيل: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، أما عن بولس فسنجد أننا أمام إصرار وتصميم وعناد على ترسيخ مفهوم واعتقاد لدى المتلقين عنه بألوهية المسيح وأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا، ففي كل رسائله بلا استثناء نجد أنه دائمًا يبدأ بتلك العبارة: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» كما سنلاحظ عند سرد تلك العبارات من رسائله بالترتيب حتى نؤكد على أن هذا البولس أو شاؤل اليهودي أراد من خلال بث تلك الرسائل على نشر

(١) الخديعة الكبري للدكتور روبرت تسلر، الفصل الأول: تناقضات لا يمكن تجاهلها.

(٢) والمسيحية لا تفرق بين الله -عز وجل- وكلمته الذي هو المسيح عيسى - عليه السلام - وهذا من باب الضلال في الاعتقاد.

عقيدة مغايرة ومخالفة تمامًا لعقيدة المسيح عيسى - عليه السلام -، وكذلك حوارييه وتلامذته، ولك عزيزي القارئ أن تتخيل أن رسائل بولس تمثل أكثر من نصف إنجيل النصارى، لذا فلا عجب ولا استغراب إذا قيل إن بولس هو مؤسس الديانة المسيحية وواضع أسسها واعتقادها التي تخالف تمام المخالفة أسس وتعاليم واعتقاد عيسى ابن مريم - عليه السلام -، ولنبدأ بسرد أقوال بولس من رسائله:

بعد أن سرد بولس في أعمال الرسل قصة تحوله من اليهودية إلى النصرانية والمتناقضة في كثير من المواضع التي ذكرنا بعضها يبدأ رسائله إلى أهل رومية فيستهلها بقوله:

«بولس عبدُ ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله الذي سبق فوعد به أنبياءه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا.. إلى أن يقول: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.. (رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح الأول /١: ٧) فهذه أول رسائله حسب ترتيب الإنجيل الذي بين أيدينا ثم في رسالته إلى أهل كورنثوس يقول: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع» (كورنثوس» الإصحاح الأول/ ٣) ثم يكرر نفس العبارة في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (الإصحاح الأول/ ٢) هذا إلى جانب تأكيده الدائم بين ثنايا رسائله على تأكيد هذا المعني بعبارات أكثر وضوحًا ففي رسالته إلى أهل غلاطية يقول:

«بولس رسول لا من الناس ولا بالإنسان بل بيسوع المسيح والله الأب ومن ربنا يسوع المسيح (الإصحاح الأول ١/ ٤).

ثم يقول في افتتاحية رسالته إلى أهل أفسس:

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح، مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (الإصحاح الأول/ ١: ٣).

---

(١) الخديعة الكبرى للدكتور روبرت تسلر، الفصل الأول: تناقضات لا يمكن تجاهلها.

وهذا تأكيد وتدعيم لترسيخ نظريته في اعتقاد ألوهية عيسى وبنوته إلى الله عز وجل وتعالى الله علوًّا كبيرًا عما يقوله هذا الكذاب والمفتري على الله الكذب.

وفي رسالته إلى أهل فيلبي يؤكد على هذا المعني الذي أراد أن يرسخه في أذهان من يراسلهم: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (الإصحاح الأول/٢).

كذلك يقول في رسالته إلى أهل كولوسي: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح، نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح» (الإصحاح الأول/ ٢:٣) وبنفس العبارة يفتتح رسائله إلى أهل تسالونيكي الأولى والثانية، وإلى تيمو ثاوس الأولى والثانية، وكذلك في رسالته إلى تيطس، وكذلك إلى أهل فليمون ففي كل تلك الرسائل يبدأ بعبارة:

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع » مع تغير طفيف في العبارات أما في رسالته إلى بني جلدته من العبرانيين فلم يبدأ رسالته بتلك الجملة المعهودة ولكن بدأها بتغيير الصيغة حيث أضفى الأسلوب الفلسفي عليها فقال:

«الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام والأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائرًا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم. (العبرانيين، الإصحاح الأول /١:٤) ففي هذه الرسالة نلاحظ أنه لم يتطرق إلى إلوهية عيسى - عليه السلام - لأنه يعلم أن اليهود من العبرانيين يرفضون ذلك لأنهم لا يؤمنون بعيسى كنبي، ولكن في رسالته أكد على معنى البنوة وجاء بلفظ صريح وواضح وهو قوله: «في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء» وذلك لعلمه أن العبرانيين سيرفضون هذا المفهوم وهذا المعنى، ولذلك غيَّر بولس أسلوب عبارته التي كان يبدأ بها رسالاته إلى البلاد والمدن والتي أشرنا إليها أنفًا، ويضاف إلى ذلك تعليقاته أو تصريحاته المزرية التي كان يرسلها إلى بعض الحواريين أو ممن تتلمذوا على المسيح عيسى - عليه السلام -، ففي رسالته الأولى إلى بطرس يقول: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (الإصحاح الأول /٣).

وفي رسالته الثانية لبطرس يقول: «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيمانا ثمينًا مساويًا لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله يسوع ربنا» (الرسالة الثانية لبطرس/ الإصحاح الأول /١:٢).

وفي رسالته الأولى إلى يوحنا يقول:

«وأما شركتنا نحن فهي مع الأب ومع ابنه يسوع المسيح». (الإصحاح الأول/ ٣)

ويقول في نفس الرسالة: «أيها الأولاد لا يضلكم أحد، ممن يفعل البر فهو بار، كما أن ذاك بار، من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ، لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس، كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (سورة الإخلاص/ ١:٤) فهذا الاعتقاد الخاطئ والمخالف لاعتقاد عيسى ابن مريم -عليه السلام - أراد أن يرسخه بولس في أذهان وكيان أتباع المسيحية وقد كان له ما أراد فأسأل الله ٠ عز وجل- أن يشفي غليلنا منه يوم القيامة على تبديله وتحريفه لديانه سماوية توحيدية جاء بها عيسى - عليه السلام - نقية ناصعة من عندالله -عز وجل- فغيَّرها وبدلها هذا البولس -عليه من الله ما يستحق- يقول د. كيلر: «ما يثير العجب العجاب هو كيفية ثبات رجال اللاهوت على هذا الدين رغم وجود الهوة السحيقة بين تعاليم عيسى وبولس، وهذا أمر مؤكد منذ بزوغ فجر المسيحية الأولى، الأمر الذي يعرفه جيدًا كل رجل دين إلا أنه يخفى عن شعب الكنيسة وطوائفها، على الرغم من إدراك معظم قراء الكتاب المقدس (الإنجيل) لوجود تناقضات به، ومع ذلك يفضلون اضطرابات الفكر وتصدعاته عن الاعتراف بتناقض واحد. لذلك كان لزامًا علينا أن نشير بكل وضوح إلى التناقض الحاد بين أفكار عيسى وتعاليمه وبين مثيلتها عند بولس، الأمر الذي أقرّه أكبر المفكرين وأبرزوه جيداً».

هذا عن تأصيل وترسيخ عقيدة ألوهية عيسى، وعقيدة البنوة التي اخترعها

بولس وأكد عليها مرارًا وتكرارًا، أما عن عقيدة الفداء التي اخترعها بولس أيضًا فيقول في رسالته إلى أهل رومية:

«بل من أجلنا نحن أيضًا الذي سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا».

(الإصحاح الرابع من رسالته إلى أهل رومية /٢٤:٢٥).

يقول الكاتب يوحنا ليمان في كتيب (المسيحية ليست دينًا جديدًا).

«إن تعاليم بولس عن الفداء بل وديانته نفسها ليست إلا نسخة متطابقة من الأديان الوثنية التي سبقت المسيحية، وتمثل تعاليمه هذه قلب رسالته».

ويقول رجل الدين الكاثوليكي السابق والباحث الديني: ألفريد لوازي: في رسالتين(١) بيَّن فيهما التناقض الصارخ بين رسالة عيسى وتعاليم الفداء التي اخترعها بولس، وقد صرح لوازي في أعماله أن عيسى لم يكن لديه أدنى فكرة عن مثل هذا الدين الوثني الغامض، الذي أبدله بولس برسالته، وعيسى منها بريء فقد جعل بولس عيسى في صورة المخلص الفادي التي تعرفها الأديان الأخرى الوثنية، وفيما بعد سيطرت أسطورة الفداء هذه على إنجيل عيسى الذي لم يعتنقه العالم القديم، واعتنق بدلاً منه خرافة أخرى لا علاقة لعيسى بها.

وكذلك يُرجع بروفسور اللاهوت الشهير ليوناردرجاس ارتداد الكنيسة عن إنجيل عيسى الحقيقي إلى ديانة بولس فنراه يذكر:

(البولسية) مقابل المسيحية الحقة، كما لاحظ من بين أشياء أخرى، أن واقع تاريخ المسيحية يثبت أن بولس كان يحتل دائمًا المقدمة بينما تراجع المسيح عيسى عنه، وأن رجال الدين المعتدلين لا يفهمون بولس من الإنجيل، بل العكس هو الصحيح».

(١) الرسالة الأولى إصدار باريس عام ١٩٢٠م: Le Sacrifice Essoi historique sur
والرسالة الثانية «باريس عام ١٩٣٠» Les mystères Paiene et le mystere chretien
وراجع كتاب الخديعة الكبرى للدكتور روبرت كيلر تسلر، الفصل الثاني:
(التناقض بين عيسى وبولس لدى قادة الفكر وكبار رجال اللاهوت).

ويقول القس ليونارد رجاس في كتاب آخر: «إن الانحراف الكبير الذي أودى إلى نهاية المسيحية ليرجع أساساً إلى بولس»(١).

إن بولس يعتبر المؤسس الأول لمفهوم الفداء فإنه يقول في رسالته إلى أهل رومية: «احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦:١١) وعلماء اللاهوت النصراني يفسرون ذلك بأن الإنسان يرى أن خطيئته قد دفع ثمنها وأن السيد المسيح اشتراه بدمه وذلك لكي ينال الغفران -حسب زعمهم واعتقادهم- هذه هي عقيدة الفداء والخلاص التي ابتدعها بولس، يقول بروفسور اللاهوت بوليشر: «إن الشعب البسيط لا يفهم تخريفات بولس في التحايل والسفسطة، ولا المتاهات التي تدخلنا في أفكاره، فلم يعتبر عيسى نفسه مطلقًا أحد صور العبيد، ولم يتكلم البتة عن قوة تأثير موته (أي: موته فداءً) ولم يشغله غير فكرة وجود أرواح طاهرة قبل موته»(٢).

هذه هي عقيدة الفداء التي ابتدعها بولس في الديانة المسيحية ورد بعض علماء اللاهوت المسيحي على تخريفاته وتجديفاته، أما عن تحريفه للشريعة أو الناموس فهذا ما سنتحدث عنه في الفقرة القادمة.

---

(١) عن كتاب: هل هذا إصلاح أم تقهقر ليونارد رجاس صـ١٨-١٩ وتاريخ الكنيسة صـ١٢٢.

(٢) بولس وعيسى ليوليشر صـ٥٢ إصدار عام ١٩٠٧م وراجع الخديعة الكبرى للدكتور تسلر، الفصل الثاني.

ثانيا تحريف بولس لشريعة عيسى - عليه السلام -

والشريعة: معناها: الناموس بالآرامية والتي يقول عنها المسيح عيسى - عليه السلام -: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات» (متى، الإصحاح الخامس/ ١٧:٢٠).

فالشريعة التي كان عليها نبي الله عيسى - عليه السلام - هي نفسها شريعة موسى - عليه السلام - مع ما جاء به من تحليل بعض الأشياء التي حرمها الله -عز وجل- على بني إسرائيل لتعنتهم وصلفهم فقال الله -عز وجل- على لسان عيسى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران/ ٤٩:٥١).

وكانت من شريعة موسى - عليه السلام - التي ورثها عن الأنبياء -عليهم السلام من قبل- شريعة الختان، وقد ورثها أنبياء بني إسرائيل فاختتن داود وسليمان وزكريا ويحيي - عليهم السلام - وطبقوا هذا الشريعة الإبراهمية على عيسى في طفولته واختتن وهو صغير والإنجيل الذي هو العهد الجديد يعترف ويُقرُّ بذلك ففي إنجيل لوقا الذي بين أيدينا يقول:

«ولما تمت ثمانية أيام ليختتوا الصبي سُمِّي يسوعَ كما تَسمَّى من الملاك قبل أن حبل به البطنُ». (لوقا الإصحاح الثاني /٢١). إذن اختتن عيسى - عليه السلام -، وهذه هي شريعته وناموسه الذي أتمه ولم ينقضه، ولكن بولس أوشاؤل كان له رأى آخر عن هذه الشعيرة فبدَّل وحرَّف وابتدع واختلق شريعة جديدة ومن عجب أن النصارى قد تركوا تعاليم وناموس عيسى -عليه السلام- واتبعوا ناموس وتعاليم

بولس فماذا قال بولس عن الختان؟ يقول: «فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس، ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرله، إذًا إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختانًا وتكون الغُرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس، لأن اليهودي في الخفاء هو اليهودي. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. (رومية الإصحاح الثاني/ ٢٥:٢٩).

وهكذا نسخ بولس شريعة الختان التي جاء بها نبي الله عيسى -عليه السلام- وادعى أن الختان هو ختان الروح لا ختان الجسد، ويقول أحد المسيحيين: «كان الختان له أهمية كبيرة، فهو كان يميز أولاد إبراهيم (عليه السلام) أصحاب العهد من الأمم، وكان قاصرًا على الذكور لأن ختان الرجل صحي»[١] ومع هذا الاعتراف الصارخ منهم بشعيرة وشريعة وعادة وسنة الختان إلا أن بولس الذي كان متأثرًا بيهوديته إلى حد بعيد قلبًا وقالبًا بدَّل هذه الشريعة مع أنه كان يهوديًا متعصبًا، واليهود يعتبرون الختان رمزًا من رموز شريعتهم، وبولس نفسه كان مختتنًا حسب عادات وشرائع اليهود إلا أنه عندما أعلن نصرانيته -زورًا وكذبًا وبهتانًا- أبدل هذه الشريعة بشريعة الرومان الوثنيين الذين لا يختتنون وغيّر الديانة المسيحية وحرّفها وأبعدها عن الشريعة التوراتية.. يقول القس إبراهيم أيضًا: «وكان موضوع الختان يشغل ذهن اليهود بصورة قوية، حتى إنهم يدعون (أهل الختان) وعندما قبلوا الإيمان بالسيد المسيح رأى بعضهم ضرورة اختتان الأمم قبل دخلوها في العضوية المسيحية الأمر الذي لأجله أفرد الرسول بولس الكثير من الإصحاحات في رسائله مؤكدًا أنه في المسيح يسوع لا حاجة لختان الجسد، بل ختان الروح، وأن الختان يتحقق من خلال المعمودية بخلع الإنسان القديم والتمتع بالإنسان الجديد الذي على صورة خالقه».[٢]

وهكذا أبدل بولس شريعة الختان بشريعة الرومان الوثنية، وأقر ذلك مجمع نيقية بموافقة أغلبية الأساقفة ورجال الدين المسيحي ممالأة ومداهنة

---

(١) الأعياد السيدية للقس إبراهيم إبراهيم، (عيد الختان المجيد).

(٢) المصدر السابق.

لقسطنطين وخوفًا من تبديل شريعة وعادات وطقوس قومه من الرومانيين الوثنيين.

(وبدأت الكنيسة ورجالها في اضطهاد كل من يخالف هذه الشريعة، وأصبح عدم الختان هو شريعة النصاري المعمول بها إلى الآن فتركوا شريعة نبيهم عيسى -عليه السلام- واتبعوا شريعة بولس الذي حرَّف الديانة النصرانية، واختتم موضوع الختان بهذه التعاليم التي ساقاها بولس لأهل غلاطية عن الختان «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط، لأن الذي يختتنون هم لا يحفظون الناموس، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم، وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم، لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. (غلاطية الإصحاح السادس /١٢:١٦) ومع أنه كان مختتنًا إلا أن تجديفه وتحريفه كان متعمدًا وهو نسخ ناموس عيسى - عليه السلام- بناموس وشريعة أخرى ومع الأسف فإن النصارى تركوا شريعة وناموس عيسى - عليه السلام- واتبعوا شريعة وناموس هذا المجدِّف شاؤل ولم تقتصر تحريفات بولس في شريعة عيسى -عليه السلام- على الختان فقط، ولكنه ابتدع واخترع آراء وأفكارا عن الجسد والجنس والزواج والمرأة لم يعرفها أو يقلها عيسى - عليه السلام- البتة ومع الأسف فكل هذه التعاليم والآراء التي اخترعها بولس أصبحت من أساسيات وتعاليم الديانة المسيحية، هو الذي ابتدع الرهبانية والعزوف عن الزواج فيقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس: «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة.. ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر، لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا.. ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا». (كورنثوس الإصحاح السابع) أي: أن الزواج عنده شر لا بد منه يقول الدكتور روبرت كيلر: «كذلك فإن حق الزوجية يعتمد في المسيحية أساسًا على قول بولس في (كورنثوس الأولى، الإصحاح السابع) ويقابله قانون الكنيسة الكاثوليكية بصورة أساسية، فقد مرت أوقات كانت تجبر فيها

المرأة بسبب حكمة بولس هذه أن تسلم نفسها لزوجها حتى لو كان يعاني من الطاعون، ويجب على كل إنسان أن يفهم أنه لو حكم عيسى في هذه القضية لاختلف حكمه تمامًا، ولذلك نلاحظ أن تأثر كثير من المسيحيين بأفكار بولس حيث لم يهتموا بحياتهم الدنيا، وكان ينبغي لهم أن يصبحوا نُسّاكا ويزهدوا حياتهم ويحيوا بين السحاب مغنين أغاني المزامير(١) وهكذا أبدل بولس شرائع عيس وناموسه بشرائعه التي اخترعها وناموسه الذي أصبح هو ناموس جميع النصارى قاطبة، تمامًا كما أبدل وحرّف عقائد عيسى عليه السلام.

وإتمامًا للفائدة سنعرض في الفقرة القادمة أقوال علماء اللاهوت المسيحي ورجال الفكر النصراني في هذا البولس أو شاؤل.

(١) الخديعة الكبرى. الفصل الأول.

المبحث الثالث: آراء وأقول رجال اللاهوت والفكر المسيحي في بولس

مع أن بولس قد أحتل مكانة سامقة في الدين المسيحي ونجح نجاحًا باهرًا في فرض تعاليمه وأقواله التي أصبحت تفوق تعاليم وأقوال السيد المسيح ورسول رب العالمين إلى بني إسرائيل عيسى ابن مريم - عليه السلام -إلا أن كثيرًا من رجال اللاهوت والفكر المسيحي عندما أعملوا عقولهم في نصوص وتعاليم ورسائل بولس وجدوها تختلف اختلافًا بيِّنًا عن تعاليم وأقوال عيسى - عليه السلام-بل وجدوا تغايرًا وتناقضًا تامًا ، وديانة أخرى غير الديانة التي جاء بها المسيح - عليه السلام-فهبوا وكتبوا وفنَّدوا أخطاء وتعاليم بولس ، ولكن مثلهم كمثل قول الشاعر بشارين برد :

لقد أسمعت لو نادت حيًّا .·. ولكن لا حياة لمن تنادي

وسوف نثبت أقوال وآراء هؤلاء الرجال الذين هبوا لنجدة المسيحية ولكن أصواتهم وكتاباتهم ذهبت أدراج الرياح ، فمن هؤلاء :

- رجل الدين والفلسفة المسيحي : باول هيبرلين الذي قال « إن تعاليم بولس الشريرة المارقة عن المسيحية لتزداد سوءًا بربطها موت عيسى فداءً برحمة الله التي اقتضت فعل ذلك مع البشرية الخاطئة ، فكم يعرف الإنجيل نفسه عن ذلك!! فهو ينادي برحمة الله وبرِّه الإجباري الأمر الذي لا يمتد بصلة إلى مقومات البر ، ولا إلى الرحمة نفسها ، حيث لاتجتمع الرحمة والبر الإجباري ، كما نرى أن إدخال الشيطان في العلاقة بين الله والإنسان مكانة خاصة في تعاليم بولس بشأن الخلاص ، فنجدها ترتبط عنده بآدم ، ومرة أخرى بواقع الشريعة اليهودية ، إن أفكار بولس عن الفداء لتصفع بشارة الإنجيل على وجهها ، فمسيح الإنجيل هو الفادي، ولكن ليس له علاقة بذلك الفداء الذي يفهمه بولس والذي أصبح مفهومًا بسبب خصائصه المطلقة ، أما من يعتنقها فيكون بذلك قد ابتعد عن رسالة المسيح عيسى»(١).

---

(١) الإنجيل واللاهوت صـ٧٥ للقس باول هيبرلين.

ويقول رجل اللاهوت : أدولف هارنك

« إن الديانة البولسية لا تتطابق مع الإنجيل الأساسي ».[1]

– ويقول البروفسور اللاهوتي: هاوسرات:

« لو كان بولس قد بشَّر فعلاً بتعاليم المسيح، لكان وضع أيضًا ملكوت الله في مركز بشارته ، فهو يبدأ ديانته التي اخترعها بمفهوم كبش الفداء، فهو يرى أن الله قد أنزل شريعته لتزداد البشرية إثمًا على آثامها فما تُقدِّره حق تقديره عند عيسى لا تراه يمثل شيئًا عند بولس ، الذي تهبط الأخلاق عنده تحت مستوى الشريعة ، بدلاً من أن يكملها ، كما أراد عيسى ،لأن بولس كان يكره في الحقيقة كل جهد ذاتي ، والأسوأ من ذلك أن تعاليم بولس قد صدَّقها الناس في الوقت الذي فعل فيه المسيح عيسى كل شيء من أجلنا»[2].

– أما رجل الدين: يواخيم كال فيقول :

« إن كل ما يُسيء للمسيحية فترجع أصوله إلى بولس ».

– ويقول يوحنا ليمان:

« إن بولس قد قلب تعاليم عيسى رأسا على عقب».[3]

– وقال القس البروتستانتي كورث مارتي :

« إن بولس قد غيّر رسالة عيسى تمامًا»[4]

– وقال البروفسور اللاهوتي : فرانتس فون أوفربيك:

«إن كل الجوانب الحسنة في المسيحية ترجع إلى عيسى، أما كل الجوانب السيئة فهي من عند بولس ».[5]

– ويقول البروفيسور روبرت كيل تسلر :

« منذ ٢٠٠٠ سنة يؤمن المسيحيون أن دينهم هذا هو دين عيسى، وفي

(١) تاريخ العقائد صـ٩٣.

(٢) بولس الحواري صـ٥١

(٣) Jesus Roppr‌t صـ٥١

(٤) Exlibris Heft، إصدار ديسمبر سنـ١٩٧٣م صـ٥.

(٥) هل هذا إصلاح أم تقهقر؟

الحقيقة فهو دين آخر تمامًا ، دين بولس الذي لم يتخل أبدًا عن عدوانه لعيسى، وهذا ما يُقرّ به أيضًا العديد من رجال علماء اللاهوت المسيحي ذات الصيت الذائع».

- وتقول السيدة فيراج هاينريش من فيينا:

« وعلى أكثر الاحتمالات ، فإن موضوع بولس هذا سوف يدفعنا لإعلان الحقيقة المأساوية، وهي أن المسيحية التي قامت كل هذه القرون وبقيت حتى يومنا هذا قد فشلت في كل المجالات »[١].

- ويقول الكاتب مايكل هارت :

« فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح - عليه السلام-وبولس ، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان، فالمسيح- عليه السلام -قد أرسى المبادئ الأخلاقية المسيحية، وأما مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس، فالمسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح».[٢]

لذا فقد جعل المسيح -عيسى- عليه السلام- في كتابه (الخالدون مائة) في المرتبة الثالثة ووضع بولس في المرتبة السادسة.

- وتقول السيدة راجنهليد الألمانية:

«إنه ليحزنني أن يتأكد لي دائمًا أن ديننا اليوم به الكثير من اللوثات السفسطائية (من وضع بولس)، ويبدو أنه لابد أن يبلغ الإنسان ٤٥ عامًا حتى يؤكد له أحد رجال الدين بشكل واقعي تمامًا ما كنا نفكر فيه لأعوام من نقد يوجه للكنيسة واللاهوت المعاصر».

- ويقول البروفسور اللاهوتي ليونارد رجاس:

«إن رجال الدين المعتدلين لا يفهمون بولس من الإنجيل، بل العكس هو

(١) الخديعة الكبرى لروبرت كيل تسلر: شهادت غربية

(٢) الخالدون مائة لمايكل هارت

الصحيح «وهو يُرجع ارتداد الكنيسة عن إنجيل عيسى الحقيقي إلى ديانة بولس فنراه يقول عن موعظة الجبل التي تمثل قلب رسالة عيسى إنها ليست لها أية أهمية عند بولس، بل إنه قد نقضها تماماً في رسالته إلى أهل رومية».(١)

- أما الكاتب الكاثوليكي ألفونس روزنبرج فقد تناول موضوع بولس وأفرد له فصلاً بعنوان: (من يقدف بولس إلى خارج الكتاب المقدس).

قال فيه: «وهكذا أصبحت مسيحية بولس أساس عقيدة الكنيسة، وبهذا أصبح من المستحيل تخيل صورة عيسى بمفرده داخل الفكر الكنسي إلا عن طريق هذا الوسيط، وهذا لا يُثبت فقط مقدار الحجم الكبير لهذا الحواري(٢) «بولس» بل وخطورته أيضاً، فإن كان بولس قد نشر تعاليمه فقط دون تعاليم عيسى، فإلى أين كانت إذن وجهتنا، فربما لا نكون مسيحيين بالمرة بل بولسيين!! كما يشهد بأهمية بولس الذي أصبح دون قصد مؤسس العقيدة المسيحية وذلك من خلال خطابات الإرشاد التي أرسلها إلى الطوائف المختلفة التي أسسها هو نفسه، ومما لا شك فيه أن بولس كان لديه نبوغ ديني، والحقيقة أن بولس ظاهرة ليست لها مثيل، فعن طريقه انتشرت تعاليمه انتشار النار في الهشيم، كما استطاع تكوين مفهوم عن المسيح مخالفٍ لما جاء به المسيح نفسه، وبذلك كون بولس ديانته التي جاءت خليطاً من عناصر غير متجانسة -وهي بداية المسيحية- كأحد صور الخرافات والأساطير القديمة، وعن طريقه تم أولاً تفسير أقوال المسيح عيسى، وبذلك كان هو أيضاً أول من دمَّرها ويضيف روزنرج قائلاً: إن هذا التحوُّل الكبير- الذي يعد بمثابة تغريب وتشويه لبشارة عيسى السلسة، وقد غير بولس بمفهوم الفداء العقيدة التي جاء بها عيسى بيضاء نقية، وبذلك تحول اهتمام بولس من حياة عيسى المثالية، تلك الحياة جالبة الخير، إلى الخلاص عن طريق موته، وبهذا تحول عيسى عند بولس إلى: (الإنسان الإلهي)، معلم وصديق البشرية، والمعبود الثاني المقدس، إن الديانة المسيحية التي نشرها بولس بخياله الشعري الجريء لتربط إنسانية عيسى ابن مريم -عليه السلام- الإلهي بأساطير

(١) هل هذا إصلاح أم تقهقر ليونارد رجاس صـ ١٨-١٩.

(٢) لم يثبت قط أن بولس كان من حواريٍ عيسى - عليه السلام - أو من أتباعه.

وعقائد الشرق الأدنى عميقة الغور التي تتعلق بالمخلِّص الفادي الذي مات ثم قام منشورًا، لذلك جاءت خرافة بولس لا تهتم بحياة عيسى بنفس القدر الذي تهتم فيها بموته، وبذلك توصل بولس إلى فهم خاطئ لموت عيسى وهو أنه مات تضحية لأجل الجميع، ثم يستطرد روزنبرج قائلاً:

«ولا يمكن أن نفهم أن بولس لم يلاحظ في حماسه هذا أنه يرد الناس بذلك إلى نفس أجواء المعبد (بيت العلم) اليهودي، والذي بسبب تعاليمه المادية والبحتة اضطر عيسى إلى الخروج إلى العراء لبث تعاليمه التي أراد أن تصل إلى القلوب، وهكذا تمكن بولس من وضع السموم لديانة عيسى- التي سميت فيما فبعد باسم المسيحية- عن طريق استخدامه الممتاز لنفس الوسائل التي كانت تستعمل من قِبَل في العصر العتيق للديانة اليهودية المريرة».(١)

فهذا اعتراف خطير وصريح من كاتب مسيحي كاثوليكي عن بولس اليهودي المتخفي الذي قال عنه ول ديورانت: وقد بقي بولس إلى آخر أيامه يهودياً في عقله وخُلُقه».(٢)

أما اليهودي يواكيم برنز فيقول عن بولس:

«ويبدأ العصر المسيحي الجديد ببولس.. فلم يكن من قبيل المصادفة أن بولس كان يتكلم العبرية واليونانية والسريانية قد فهم فكرة المسيحية الجديدة واستوعبها وهي التي سوف تزف عالم الطائفة اليهودية التي تزعمه المسيح إلى العالم الوثني في الإمبراطورية الرومانية، فقد أصبح أول مبشر ينقل المسيحية ويخرجها من نطاق فلسطين، إذ كادت أورشليم تزوي وتذبل بعد المصادمات العنيفة بين اليهود والجيش الروماني المحتل، وهذا ما أدى إلى تدمير المدينة نهائيًا عام ٧٠م وهكذا أصبح من الصعب الاحتفاظ بالكنيسة الأصلية للمسيح!!

وفي الوقت الذي بدأ فيه بولس مهمته كان هنالك كثير من اليهود يعيشون حوالي البحر المتوسط، وكانوا منتشرين في كل مدينة وبلدة، ولقد انحصر تبشير

(١) تجربة المسيحية لألفونس روزنبرج، فصل: من يقذف بولس إلى خارج الكتاب المقدس عن كتاب الخديعة الكبري لروبرت كيلر.

(٢) قصة الحضارة لول ديورانت ١١/ ٢٦٩.

بولس بين هؤلاء الناس ذوي اللغات المتعددة، والخواص، والعناصر المتباينة، وبقي واعظًا في نفس الوقت الذي بدأ به رحلاته في أرجاء الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف وفي طريقه إلى إسبانيا التي كانت فيها جماعة قديمة من اليهود، توقف بولس في روما، حيث كان هنالك مستعمرة من اليهود وفي روما نفسها التقى بأحد الحواريين الاثنى عشر، وهو بطرس، وكان بطرس يدعى شمعون وهو اسم يهودي قديم، لكن تحوله ومنصبه الجديد استدعى تسميته باسم جديد، ويعتبر بطرس أول بابا يهودي، ولذلك فإن السبب الرئيسي الذي جعل كنيسة روما (أي: الكاثوليكية) هي الكنيسة الموثوق والمعتمد عليها يرسو في حقيقة أن مؤسسي هذه الكنيسة هما بطرس وبولس، وبصورة خاصة بطرس الذي وصل إلى روما قبل بولس(١).

فهذا الاعتراف الصارخ من يهودي بأن كنيسة روما أُسست على يدي هذين اليهوديين (بطرس وبولس) لحري أن يعرف القارئ مدى تغلغل اليهود الذين تحولوا من اليهودية إلى المسيحية مع احتفاظهم بيهوديتهم قلبًا وقالبًا ومدى تأثيرهم البالغ في العقائد والأفكار المسيحية، وخاصة بولس.

ويقول جوستاف لوبون:

«إن بولس أسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيًا، ولو قيل للحواريين الاثنى عشر إن الله تجسد في يسوع ما أدركوا هذه الفضيحة ولرفعوا أصواتهم محتجين».(٢)

ويقول شارل جنيبر (رئيس قسم الأديان بجامعة باريس):

«لقد تجاهل بولس فكرة عيسى الناصري ولم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب، فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، رجل سماوي احتفظ الله به إلى جانبه، أمدًا طويلاً حتى نزل إلى الأرض لينشيء فيها حقًا لبشرية جديدة يكون هو دمها، وهذه العقيدة تنتهي إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير إلى ثمرة

(١) بتصرف من كتاب (بابوات من الحي اليهودي) ليواكيم بزنر، ونقله إلى العربية الأستاذ/ خالد أسعد عيسى، وراجعه وقدم له الدكتور/ سهيل زكار صـ ٧٤:٧٩

(٢) حياة الحقائق لجوستاف لوبون صـ ١٨٧

تبعث كثيرًا على الاستغراب هي أن عيسى يصور لنا ابنا لله، ولكن فكرة الله بالنسبة لبولس تدخل ضمن ميراثه من العقيدة اليهودية، فكيف إذن يتأتى تصور أن يكون لله (ابن)[١]» تعالى الله علوّا كبيرًا أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة كما يدعي الأفاكون الكاذبون الكافرون.

ويقول الكاردنال دانيلو:

«إن المسيحيين المخلصين يعتبرون بولس خائنًا، وتصفه وثائق مسيحية بالعدو وتتهمه بالتواطؤ التكتيكي»[٢]

وهكذا نرى بوضوح تام ومن خلال النقولات التي سردناها من رسالات بولس وأقواله وتعاليمه، ومن خلال أقوال رجال وعلماء اللاهوت المسيحي على اختلاف مشاربهم ومللهم سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت أو أرثوذكس، والذي استخلصه وقرره الكاتب الأمريكي ول ديورانت أن بولس (بقي إلى آخر أيامه يهوديًا في عقله وخُلُقه) أي: أنه كان يدين باليهودية اعتقادًا وإيمانًا وأنه تنصَّر لهدم الديانة المسيحية- وكان له ما أراد- فأصبحت ديانة بولس هي المسيطرة والمهيمنة على المسيحية وأن تعاليمه أضحت أكثر تأثيرًا من تعاليم وأقوال نبي المسيحية ورسولها عيسى -عليه السلام- نفسه، بل إن تعاليم بولس نفسها جاءت مخالفة ومناقضة لتعاليم نبي الله عيسى - عليه السلام - وكل الذي سقناه وذكرناه إن دل فإنما يدل على أن شاؤل اليهودي الذي تخفي باسم بولس ودان بالمسيحية إنما كان ذلك عن قصد منه لتدمير الديانة المسيحية من داخلها عن طريق بث بعض التعاليم الاعتقادية التي أصبحت بمثابة صُلب الاعتقاد للديانة المسيحية كألوهية عيسى أو الادعاء بأنه ابن الله -تعالى الله عن تلك التعاليم والاعتقادات علوًا كبيرًا- وأصبح القساوسة على اختلاف مشاربهم يدافعون عن تلك الاعتقادات الباطلة التي أسس مفهومها ورسَّخ دعائمها شاؤل اليهودي المتخفي والمتسربل بالمسيحية، والمسيحية الحقة التي جاء بتعاليمها السيد المسيح -عليه السلام- براء من أقوال وتعاليم واعتقادات شاؤل اليهودي، وبذلك يتضح أن شاؤل كان من أوائل اليهود المتخفين عبر التاريخ والذي أصبح- على حد أقوال كثير من رجال الدين المسيحي هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية!!

---

(١) المسيحية ونشأتها وتطورها لشارل جنيبر صـ١٠٥

(٢) حقيقة التبشير لأحمد عبدالوهاب صـ٥٩

المبحث الرابع

بولس.. في الروايات الإسلامية

يعتبر بولس من أوائل المحرفين للديانة النصرانية وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى هذا التحريف دون التصريح باسمه علانية، وإن كانت السُّنَّة النبوية قد فضحته وذكرت اسمه علانية -كما سيأتي-، ولأن اليهود هم أهل التحريف والتأويل فقد قال الله عز وجل عنهم:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة/١٣].

وفي موضع آخر يقول القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٥٥: ١٥٨].

ومع أن بولس لم يكن حاضرًا إبان رفع المسيح عيسى -عليه السلام- إلا أنه هو الذي اخترع عقيدة الابن في الديانة النصرانية ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة٣٠/ ٣١].

وهكذا اتخذ النصارى بولس الحبر والراهب ربا من دون الله عز وجل[(١)]

(١) لأنه شرع لهم ديانة جديدة وغريبة عن الديانة التوحيدية التي جاء بها نبي الله عيسى -عليه السلام- فصدقه النصارى وساروا على خطاه حتى يومنا هذا.

وادعوا له النبوة ولقبوه ببولس الرسول، وهو رسول الشيطان وتلميذه النجيب، فحق له أن يكون خليله ونزيله في جهنم، بل إن بولس سيكون له سجنٌ في جهنم باسمه، كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، صلوات ربي وسلامه عليه.

فقد

روى الترمذي وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال:

«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذُّلُّ من كل مكان فيُساقون إلى سجن في جهنم يُسمى (بولس) تعلوهم نار الأنيار يُسقون من عُصارة أهل النار طينة الخبال»[(١)].

شرح الحديث:

والمعني أن المتكبرين والذين وصفهم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبْر، قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس».[(٢)] وبطر الحق هو: رفضه وإنكاره، وعدم القبول به ترفعًا وتجبرًا، وغَمْط الناس: احتقارهم والاستهانة بهم، هذا هو معنى التكبر، وهذه هي صفات هؤلاء الناس الذين سيحشرون يقوم القيامة أمثال الذَّرِّ أي: في الصغر والحقارة فكما كانوا يعامِلون الناس في الدنيا سيعامَلون في الآخرة، فكما تدين تدان، وسوف يأتيهم الذل والصغار من كل مكان يوم القيامة، فهؤلاء يساقون إلى سجن في جهنم يحمل اسم (بولس)، ولأن بولس أو شاؤل الذي تنصر لهدم العقيدة المسيحية كان يتصف بصفات المتكبرين وخاصة فيما ادعاه كذبًا وزورًا وبهتانًا على المسيح عيسى - عليه السلام - فيما شرحناه آنفًا - من ادعائه

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق / ٢٤١٦، والإمام أحمد في المسند (١٠/ ١٥٦ حديث رقم/ ٦٦٧٧) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وحسّنة الألباني.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب : تحريم الكبر وبيانه/ ١٣١.

بألوهية عيسى والقول الشنيع بأنه ابن الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٢٩].

ولذلك استحق بولس بأن يكون له سجن باسمه في جهنم لا يدخله إلا من اتصف بصفاته، لأجل ذلك استحق بولس العذاب الشديد يوم القيامة بما اقترفته يداه ونطق به لسانه وتقوله على الله -عز وجل- وافتراؤه على المسيح عيسى -عليه السلام- الذي أرسله الله عز وجل- وبقية الأنبياء عليهم السلام، من قبله بدعوة التوحيد الخالصة كما أخبر الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء/ ٢٥] وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله على وآله وسلم- «أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.»[١]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: يُلقّى عيسى حُجَّته فلقّاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة/١١٦] قال أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فلقاه الله (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) الآية كلها.[٢]

ومع كل هذا الوضوح فيما جاء به نبي الله عيسى ابن مريم - عليه السلام- من إعلان التوحيد الخالص والدعوة إلى وحدانية الله عز وجل وإيمانه الكامل والخالص بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، ويوضح ذلك أيضًا هذا الحديث الذي رُويَ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- إنه قال: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له عيسى: سرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت نفسي[٣] فمن شدّة تعظيم عيسى- عليه السلام- للقسم الذي أقسم عليه الرجل السارق وهي كلمة

(١) متفق عليه (رواه البخاري في تفسير القرآن/ ٤١١٧، ومسلم في كتاب الإيمان/ ١٢٤).

(٢) رواه الترمذي في تفسير القرآن/ ٢٩٨٨.

(٣) متفق عليه (رواه البخاري في أحاديث الأنبياء/ ٣١٨٨، ورواه مسلم في كتاب الفضائل/ ٤٣٦٦).

التوحيد (لا إله إلا هو) قال: (آمنت بالله) وفي رواية البخاري: (وكذبت عيني) فصدَّق عيسى - عليه السلام- من حلف بالله وبوحدانيته وكذب عينيه استعظامًا لله الواحد الأحد..

أما بولس فقد هدم عقائد عيسى -عليه السلام - الصحيحة، وبدل دين النصاري بدين آخر، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله، «أول من أفسد دين النصاري وابتدع مسألة اللاهوت والناسوت: هو بولس الشمشاطي وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبدٌ، ورسولٌ مخلوق، لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال بولس هذا- وهو أول من أفسد دين النصارى وأن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانًا كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مُخلصًا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلّت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي (ابن الله) تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا- وقال (أي: بولس) إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد»[1].

وقال أبو محمد عبدالله الترجمان الميورقي[2]: «وأما لوقا فلم يدرك عيسى عليه السلام، ولا رآه البتّة، وإنما تنصَّر بعد أن رفع عيسى عليه السلام، وكان تنصره على يد باولص (أي: بولس) الإسرائيلي، وباولص لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان من أكبر أعداء النصارى حتى حصل بيده أوامر من ملوك الروم، فإنه حيث ما وجد نصرانيًا يأخذه ويحمله إلى بيت المقدس ويسجنه هنالك، وقد تنصّر على يد (أنانيا) (أي: حنانيا بدمشق)، ولوقا تنصر على يد باولص وأخذ كتاب الإنجيل عنه، وكلاهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط، فهذا هو التخليط، وفيه دليل كذبهم وباطلهم -أبعدهم الله-»[3].

(١) بتصرف من هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري لابن قيم الجوزية صـ٣١٧

(٢) هو: عبد الله بن عبد الله الترجمان، وهو الاسم الذي اختاره بعد أن منّ الله عليه بالإسلام، والدخول في طاعة الرحمن، وذلك في مدينة تونس بعد رحيله إليها، وكان يدعى -رحمه الله قبل إسلامه (انسلم تورميدا) وكان مولده بجزيرة (ميورقة) من بلاد الأندلس بأسبانيا.

(٣) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبي عبد الله الترجمان الميورقي، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق صـ١٠٩.

أما عن استشهاد بعض المتعالمين والجهلة من النصارى بما ذكره بعض علماء أهل الإسلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (يس/١٣-١٤).

فقال الحافظ ابن كثير: «قال ابن جريج، عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي قال: كان اسم الرسولين الأولين: شمعون ويوحنا، واسم الثالث: بولص، والقرية أنطاكية.. وزعم قتادة بن دعامة: أنهم كانوا رسل المسيح - عليه السلام-، إلى أهل أنطاكية»[١].

وقال البغوي في قوله تعالى: (إذ أرسلنا إليهم اثنين) قال وهب اسمهما يوحنا وبولس (فكذبوهما فعززنا) يعني: فقوينا (بثالث) برسول ثالث، وهو: شمعون.. وقال كعب:الرسولان: صادق وصدوق، والثالث: شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى- عليه السلام- إنما بعثهم بأمره تعالى[٢].

وأما ابن جرير الطبري فقال عن هؤلاء المرسلين:

«اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه، قال: كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وشلوم»[٣].

وأما القرطبي فقال: «القرية هي أنطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي، وعن كعب ووهب فأرسل الله ثلاثة رسل وهم: صادق وصدوق وشلوم هو الثالث»[٤].

هذه هي أقوال كبار علماء التفسير في القرية وأسماء الرسل

وقد طار بعض جهلة النصارى والمتعالمين منهم فرحًا بذكر اسم (بولس) بين

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٦٩).
(٢) تفسير البغوي (٧/ ١٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠١).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٦).

ثانيا أقوال علماء الدين الإسلامي، وبادئ ذي بدء وقبل الرد على هؤلاء القوم من النصارى الذين استدلوا بهذه النقولات التي ذكرت اسم (بولس) في كتب التفاسير الإسلامية على باطلهم وادعاء الرسالة لبولس، والرسالة بمعناها التي يقصدونها والتي تعني أن بولس رسول من عند الله تعالى وهذا من أبطل الباطل ومن أفرى الفرى ومن أكذب الأقوال- كما سنبين- ولكن أقوال هؤلاء العلماء إنما جاءت من أقوال أهل كتاب الذين نقلوا عنهم هذه الأسماء وقد استدل هؤلاء العلماء بما رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- :«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾ الآية[(١)] [البقرة/ ١٣٦].

وعن عبدالله بن عمرو أن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: بلغوا عني ولو آية وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[(٢)].

فمن أجل تلك النصوص استشهد بعض علماء الإسلام بأحاديث أهل الكتاب فمنهم من توسع ومنهم من اقتصد ومنهم من تحفظ لحديث عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه -صلى الله عليه وسلم- أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشَبْ وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله وغيَّروا بأيديهم الكتاب فقالوا: (هو من عندالله) (ليشتروا به ثمنا قليلا) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[(٣)].

وهذا الذي قاله حبر الأمة عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- هو ما ندين الله به، فالكلام عن هؤلاء القوم والنقل عنهم لا ينبغي إلا للمتبحر في علم

(١) رواه البخاري في الشهادات/ باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء/ ٣٢٠٢.

(٣) رواه البخاري في الشهادات/ ٢٤٨٨.

مقارنة الأديان أو الحاذق والعالم بأحوال وحيل وأباطيل وألاعيب هؤلاء القوم والخبير بتحريفهم الكلم عن مواضعه، هذا عن نقل أهل الإسلام من العلماء عن أهل الكتاب أما عن تفنيدنا لاستشهاد هؤلاء النصاري بكتابات أهل الإسلام عن المدعو (بولس) فنقول بعون الله وتوفيقه: لقد نقلنا أقوال أهل التفسير في أسماء هؤلاء الرسل واختلافهم فيهم وأن جل هذه الروايات منقولة عن وهب بن منبه وكعب الأحبار، وكلاهما كان من أحبار أهل الكتاب فأسلما وحسن أسلامهما.

«ولكن هؤلاء الرسل الذين ذكرتهم آيات سورة يس لم تذكر أو تحدد الفترة الزمنية التي ظهروا فيها، فقول من قال من أهل التفسير إنهم من الرسل الذين أرسلهم عبدالله ورسوله عيسى عليه السلام، فمعني ذلك أنهم من الحواريين الذين عاصروه وأثنى عليهم الله عز وجل، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف/ ١٤).

وبالطبع بولس الذي يزعم النصارى أنه رسول ليس منهم وباعتراف بولس نفسه وباعتراف علماء النصارى الذين أجمعوا على أن بولس لم يقابل المسيح عيسى- عليه السلام- قط ولم يكن من تلاميذه مطلقًا هذه واحدة..

أما عن فرضيّة صحة الرواية في أن اسم الثالث هو بولس، فهذا لا يمنع مطلقًا أن يكون تشابهًا في الأسماء وخاصة وقد أوضحنا آنفًا أن معنى بولس تعني: الصغير، وأن هذا الاسم كان منتشرًا في الحقبة التي كان يعيش فيها السيد المسيح -عليه السلام- وعلى فرض أن المسيح- عليه السلام -أرسل هؤلاء الرسل فلن يرسل المسيح- عليه السلام -من يهدم ناموسه أو ينقض عقيدته كما فعل بولس الكذاب الذي حرّف الديانة النصرانية وبدّل شرائعها -كما أسلفنا- فحري بنبي الله عيسى - عليه السلام -، أن يرسل الدعاة الذين يؤمنون بدعوته ويعتقدون بديانته.. هذا على اعتبار أن هؤلاء الرسل قد أرسلهم المسيح -عليه السلام.

أما قول من قال بأن هؤلاء الرسل من عند الله -تعالى- أرسلهم لعباده من أهل أنطاكية أو أرسلهم الله - عز وجل - لبلد ما من البلاد فاستحالة أن يكون هذا المدعو بولس رسولا من الله بعد عيسى ابن مريم - عليه السلام - لأن عيسى هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وأنه ليس بينه وبين رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه -نبي ولا رسول ومن أدعى ذلك فهو كاذب، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون(١).

فهذا ما نؤمن به كمسلمين وهذه هي حُجتنا على أهل الكتاب ولعلي أكون قد ألقمت بعض الجهلة الذين تطالوا منهم على الإسلام ورموزه الأحجار التي ستسكتهم إلا أبد الدهر إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم/ ٣٧٦٦ وصححه الألباني.

2

الفصل الثاني

دور اليهود المتخفين في تحريف الكنيسة الكاثوليكية

وفيه:

- مدخل إلى الفصل الثاني

- المبحث الأول: اليهود يعتلون كرسي البابوية في روما

- المبحث الثاني: دور باباوات اليهود المتخفين في إشعال الصليبية

- المبحث الثالث: التسلسل التاريخي لدور اليهود الخفي للسيطرة على الكنيسة الكاثوليكية منذ العصور الوسطى وحتى عصرنا الحاضر

مدخل إلى الفصل الثاني

يقول بطرس براو، وهو أحد رجال الدين اليسوعي الألماني:

«كان اليهود عادة يتحولون (أي: إلى المسيحية) عندما تبرز أمامهم فوائد ووعود مادية، أو عند شعورهم بالتهديد، وليس هنالك أي دليل مقبول على إخلاصهم حتى ولو أحرزوا مناصب إكليروسية[1] رفيعة»[2].

وباستقراء تاريخ اليهود الذين تحولوا من الديانة اليهودية إلى ديانات أخرى ظاهريًا نجد أن غالبية من تحولوا من اليهود لم يحيدوا قيد أنملة عن هذين السببين اللذين ذكرهما هذا القس اليسوعى الألمانى وهما: الحب الشديد للمال، والخوف الشديد على حياتهم والحرص عليها، وصدق قول الله عز وجل فيهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. (البقرة /٩٦).

والمعنى: الحرص على أي حياة حتى ولو كانت حياة وضيعة تعتريها المهانة والذلة، فنعيمهم هم ومن على شاكلتهم من المشركين نعيم الدنيا والتمتع بملذاتها إلى أقصى ما يتمنونه من العيش وإطالة حياتهم حتى تصل إلى ألف سنة فهذا أقصى ما يودُّونه ويتمنونه..

ولذلك فاليهودي على استعداد لفعل أي شيء مقابل المال وكذلك مقابل الحرص على حياته حتى لو أدى ذلك إلى تبديل دينه تقيَّة ونفاقًا، فهذا هو

(١) الإكليروس: كلمة مشتقة من: أكلير، ونوميا ومعناها الميراث أي أن هؤلاء القساوسة والرهبان – حسب المفهوم المسيحي – اختاروا ميراث الملكوت حسب تعبيرهم، والمناصب الإكليروسية الرفيعة المقصود بها المناصب الكهنوتية التي تمنحها الكنيسة.

(٢) باباوات من الحي اليهودي ليواكيم برنز صـ٤٦

اليهودي على مدار التاريخ يرفع راية الذِّلة والصغار والجبن والخور ويكون منكّسَ الرأس حريصًا على حياته يتفنن بجمع المال بكل الوسائل طالما وجدت المطرقة التي تدق رأسه.

واليهود كانوا يتحولون من دياناتهم إلى الديانة المسيحية لأسباب عديدة، أخطرها وأهمها لديهم هو تخريب وتحريف الديانة المسيحية من الداخل وإخراج الديانة المسيحية عن مسارها الصحيح وطريقها المستقيم الذي رسمه لها وحدده السيد المسيح - عليه السلام -، وكذلك أرادوا أن يفعلوا في الدين الإسلامي -كما فعلوا في المسيحية ومن هنا يأتي دور اليهود الذين دخلوا الديانات الأخرى لغرض الخداع والتحريف والتحريض وإشعال الفتن، واليهود يُقرّون ذلك في تلمودهم الذي يقول:

«إذا استطاع يهودي ما خداعهم (أي: خداع الجوييم أو الأغيار، غير اليهود) بادعائه أنه من عُبَّاد النجوم، مسموح له أن يفعل ذلك».

وفي موضع آخر: «إن حياة الغوي (أي: غير اليهودي) وجميع قُواه الجسدية، هي ملك لليهودي».

ويقول أيضًا: «يجوز خداع الغوي».

ويقول أيضًا: «اسم الله لا يُدنَّس عندما يكذب اليهودي على الغويم، كأن يقول له مثلاً: أعطيت شيئًا مًّا لأبيك، لكنه مات، فعليك إعادته لي، ما دام الغوي لا يعرف أن اليهودي كاذب»(١).

هذه بعض تعاليم التلمود التي تدعو اليهودي إلى الخداع والمخاتلة مع غير اليهود، بل ذكر صراحة أنه يجوز لليهودي أن ينضوي تحت أي دين آخر لغرض الخداع وشق الصفوف، تمامًا كما ذكروا ذلك في توراتهم عندما خدع يعقوب أخاه عيسو(٢) وقد استشهدوا بذلك لخداع غير اليهود(٣).

---

(١) بتصرف من فضح التلمود للكاهن الكاثوليكي: بي برانيتس صـ١٣٣.

(٢) راجع سفر التكوين: (الإصحاح/ ٢٧: ١-٢٢) وراجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية [الناشر: دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة].

(٣) جاءت هذه التعالم في كتاب: (الزوهار) وهو كتاب معتمد عند اليهود وهو عبارة عن شرح نصوص من الكتاب المقدس وخصوصًا أسفار موسى عليه السلام الخمسة، راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية للدكتور عبدالوهاب المسيري صـ٢٠٦.

يقول الزوهار الذي ذكرناه آنفا:

«يقول الرابي (جهودا) للرابي (شيزكيا): يجب الثناء على من يقدر تحرير نفسه من عدو إسرائيل، ومن حقه الثناء عليه أكبر فأكثر الذي يتحرر منهم (الغويم) ويقاتل ضدهم، سأل شيزكيا: كيف يجب مقاتلتهم؟ فقال الرابي (جيهودا): بالخطة الحكيمة تستطيع محاربتهم. فسئل: ما نوع الحرب؟ قال: نوعها هي أن على كل ابن رجل مقاتلة أعدائه، بالطريقة التي استخدمها يعقوب ضد إيسو (أي: عيسو) بالخداع والمخاتلة، كلما كان ذلك ممكنا، عليهم الاستمرار في المقاتلة بدون كلل ولا توقف إلى أن يعاد النظام الصحيح، وهكذا، فإنني أقول باقتناع أنه يجب أن نحرر أنفسنا منهم ونسيطر عليهم»[(١)].

وقد اشتهر اليهود على مرّ تاريخهم بصفات ذميمة ذكرتها توراتهم ومن أهمها صفة الخداع والمخاتلة والمراوغة والمكر والدهاء وخياناتهم الدائمة، فتقول التوراة: «شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر، ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق يتكلمون على الباطل، ويتكلمون بالكذب.. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى، أفكارهم أفكار إثم، في طُرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل..»[(٢)].

ويقول عنهم الإنجيل على لسان عيسى - عليه السلام -:

«يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار.. أنتم جيل شرير وفاسق..»[(٣)] وقال عنهم القرآن الكريم:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] وأوصافهم الشريرة كثيرة[(٤)] وبهذه الأساليب والأوصاف الشريرة استطاع اليهود أن ينفذوا إلى كرسى البابوية ويعيشوا فسادًا وتخريبًا في الديانة المسيحية

(١) فضح التلمود صـ١٣٦.

(٢) سفر إشعياء: (الإصحاح/ ٥٩: ١٠٨).

(٣) إنجيل متى (الإصحاح/ ١٢: ٢٤، ٣٨، ٣٩)/ .

(٤) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية (الناشر: دار الكتاب العربي).

وذلك يرجع إلى العداء المتأصل والمتغلغل في نفوس وكيان اليهود من الديانة النصرانية، وقد بادل النصارى عداء اليهود بعداء أشد إبان القرون الوسطى، ولذلك قال الله -عز وجل- عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾. [البقرة/ ١١٣].

يقول ول ديورانت:

«لماذا كان المسيحيون واليهود يمقتون بعضهم بعضًا؟ لا ريب أنه كان هناك سبب يسود بينهم باستمرار، ذلك هو الصراع الحاد بين العقائد الدينية، حيث أن اليهود يشكلون تحديًا ثابتًا معمرًا للمعتقدات المسيحية الأساسية، وأدى العداء الديني إلى فصل عنصري جاء في أول الأمر طوعًا، ثم بات قسرًا فيما بعد، فاليهود كانوا يحتقرون المسيحيين بوصفهم مشركين يؤمنون بالخرافات، وأنهم يتصفون بشيء من بطء الفهم، كما احتقر المسيحيون اليهود على أنهم كفرة غرباء لا يُؤلِفون»(١).

هذه شهادة مؤرخ مسيحي غربي أثرنا أن نستشهد بها في هذا السياق للتدليل على العداء المتأصل بين اليهود والنصارى على مر التايخ ولكن بفضل اليهود المتنصرين الذين تخفوا تحت الزي النصراني وتسربلوا بلباس المسيحية، هؤلاء اليهود المتخفون كان لهم أكبر الأثر فيما نراه ونشاهده الآن من العلاقات الحميمة بين يهود العالم على وجه العموم وإسرائيل على وجه الخصوص مع كثير إن لم يكن كل الدول الغربية المسيحية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية الحامية الأساسية للكيان اليهودي في إسرائيل.. وهذا الأمر لم يطرأ على الساحة بين عشية وضحاها، وإنما كان نتيجة جهد حثيث وصبر ومصابرة بمكر بالغ وخداع دام طويلاً من اليهود حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن في أيامنا النحسات التي نعيشها الآن ونشاهد فيها اليهود وأذنابهم وهم يسيطرون على مقاليد الأمور في العالم. فكيف وصل اليهود إلى هذه النتيجة؟

هذا ما سنعرضه في الفقرة القادمة والتي سنتحدث فيها عن التسلسل التاريخي للخداع اليهودي للنصارى والذي أوصلهم إلى ما هم عليه الآن، ولنبدأ باعتلاء اليهود لكرسي البابوية.

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (٢٦/ ١٤٣).

المبحث الأول

اليهود يعتلون كرسي البابوية في روما

يقول ول ديورانت: «وحدث في عام ١١٣٠م أن انقسمت هيئة الكرادلة شيعتين اختارت إحداهما للكرسي (إنوسنت الثاني) واختارت الثانية (أنكليتس الثاني)، وكان (أنكليتس) ينتمى إلى أسرة (بيرليونى) الشريفة (أي: الغنية)، ولكنه كان له جد يهودي اعتنق الدين المسيحي، وكان معارضوه يسمونه (الجد اليهودي)، وبعث القديس (برنام)، وهو رجل كان في غير هذا الظرف الخاص صديقًا لليهود، برسالة إلى الإمبراطور (لوثير الثاني) يقول فيها: (إن مما يُجلِّل المسيح بالعار أن يجلس رجل من أصل يهودي على كرسي القديس بطرس) ثم علق ديورانت بقوله: «وقد نسى قوله هذا أصل بطرس نفسه»، أي: كونه كان يهوديًا- كما أسلفنا- ثم يستطرد ديورانت: «وأيدت كثرة رجال الدين، وأيد ملوك أوروبا كلهم إلا واحدًا منهم، «إنوسنت الثاني»، وأخذت الجماهير في أوروبا تسلي نفسها بتوجيه المثالب لأنكليتس، واتهامه بأنه كان يضاجع المحرمات عليه وينهب الكنائس المسيحية ليُغنى بأموالها أصدقاءه اليهود، ولكن أهل رومة ظلوا يؤيدونه إلى يوم وفاته (١١٣٨م)»[(١)].

أما عن فكرة وجود بابا يهودي لا تبدو غريبة بالنسبة لأولئك الذين هم على اتصال تام بتطور الكنيسة، أفلم يكن القديس بطرس هو مؤسس البابوية يهوديًا؟ ولا يعنى ذلك أن هذا اللقب كان له تلك الأبهة والعظمة التي اتسمت بها البابوية في المستقبل، عندما تحسَّن وضع البابوية وأصبحت في موقع القوة والعظمة.

وبالفعل بدأ اليهود يتسللون إلى الكنيسة في روما لتقويض سلطاتها سواء عبر رجال الكهنوت اليهود الذين وصلوا إلى أعلى المراتب الكنسية أو عبر أعمالهم كمستشارين ماليين لكثير من البابوات أو عبر قربهم من البلاط البابوى كأطباء أو خزان لمكتبات البابوات، المهم هو قربهم الشديد من الكنيسة ورجالها وذلك لأن

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (١٦/ ٥٩) وسوف نتحدث عن أسرة (بيرليوني) قريبًا..

الكنيسة عبر القرون الوسطى كانت تتحكم في كل شيء، وكانت لها الهيمنة الكاملة والسيادة المطلقة على حياة المسيحيين في أوروبا في جميع المجالات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وبالطبع الدينية والثقافية وكانت الكنيسة تحتكر صكوك الغفران مما جعل لرجال الكنيسة الكلمة العليا على ملوك وأمراء وحكام أوروبا، وبالطبع كان القرب من الكنيسة وفرض سيطرة اليهود عليها أولى من السيطرة على الملوك والأمراء، لأن زمام الأمور كان في تلك الفترة تتحكم فيه الكنيسية ورجال الدين.

وهذا هو أسلوب اليهود عبر التاريخ- بعدما كُتِبَ عليهم الشتات والتفرُّق بين شعوب ودول الأرض، فكان الهدف الأسمى والغاية القصوى التي ينشدونها، ويتطلعون إليها بشغف بالغ هو حرصهم الشديد على التقرب من صانعي القرار في الدول التي يقيمون فيها وكانت رسائلهم دائمًا في الوصول إلى هذه الغاية تتحقق من خلال شيئين مهمين هما: المال والنساء، فإذا استعرضنا تاريخ اليهود بين الأمم التي كانوا يعيشون فيها سنجد ذلك واضحًا جليًا وأن أسلوبهم في الوصول إلى صانعي القرار والتقرب إليهم لن يتغير سواء كان صانعو القرار، بابوات أو ملوكًا وأمراء أو رؤساء دول، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، ولنضرب على ذلك مثال أسرة آل بيرليونى التي تحولت من اليهودية إلى المسيحية وقد كانت أسرة ثرية وغنية تعيش في روما في القرن الحادي عشر الميلادى، فيقول اليهودي يواكيم برنز عن تلك الأسرة:

«لم يحدث أن اشترك اليهود بنشاط ملحوظ في الشؤون الكنسية، كما فعل آل بيرليونى، حيث كانت من الأسر الثرية للغاية ويعترف (ديمتريوس ب- زلما) وهو أستاذ في جامعة فوردهام بنشاط أسرة بيرليوني الحميم، وأن أحد أفراد تلك الأسرة وهو (جون جراتين) كان يتمتع بنفوذ واسع من حيث الثروة والمقدرة على التمويل، وأن هيلد براند كانت له علاقة وثيقة بـ (جون جراتين) وهو سميُّه في منصب البابوية، ومن المعروف أن هيلد براند هذا كان ذا علاقة واسعة مع كثير من البيوتات المالية، وبما أنه كان يشرف على حسابات الخزينة البابوية، وكان الممول لكل من دير القديس بولس، والكوريا (أي: الإدارة الباوية، وتشتمل على

البابا، وكبار أعوانه، بصفتهم السلطة الحاكمة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية). لهذه الأسباب أصبحت علاقاته مع البيوتات المالية أكثر رسوخًا.. وهكذا، وحتى ولو لم يقدم آل بيرليوني إلا ثلاثة بابوات، فإن دورهم كممولين ومستشارين ماليين للكوريا، وكمؤيدين صامدين أوفياء للبابوات المصلحين، يكفيهم لتسجيل أسمائهم على صفحات التاريخ الكنسي، ولا عجب أن تظهر أسماؤهم في عدة وثائق رومانية خلال قرن كامل من التاريخ الروماني في القرون الوسطى.

لقد عاش آل بيرليونى في زمن تأزمت فيه العلاقات بين الكنيسة والدولة، وبدأ الصراع مريرًا بينهما، وإنه من قبيل المصادفات الغريبة أن يكون (أيونيس جراتيا توس بيرليونى) وهو يهودي متجول، هو الذي أدار دفة ذلك النزاع والصراع الحاسم في تاريخ الكنيسة»[1].

وجون جراتين الذي ذكره هذا اليهودي ويدعى: يوحنا جراتيان البيرليوني ولقبه البابوي الكنسي هو: غريغوريس السادس الذي اعتلى الكرسي البابوي عام (١٠١٢)م والذي ذكرته إحدى المواقع الإلكترونية المسيحية ووصفته بالبابا المزيف[2]، وقيل إن سبب وصفه بالبابا المزيف هو أنه اشترى البابوية بألف (أو ألفي) رطل من الذهب[3] هذا عن غريغوريوس أو (جريجوري- باللهجة المصرية) السادس الذي كان يرتبط مع عائلة بيرليوني -اليهودية- برباط الدم، أما جريجوري السابع وهو: هيلدبراند (١٠٧٣- ١٠٨٥م) الذي يوحي بأنه من أصل ألماني كما يقول ول ديورانت: «ولد من أبوين ينتميان إلى أسرة وضيعة في قرية (سوفانو) الواقعة في مستنقعات (تسكانيا)، وتلقى تعليمه في ديرسانت مارى القائم على تل (الأفنتين) في رومة، ثم انضم إلى طائفة الرهبان البندكتيين، ولما

(١) بتصرف من بابوات من الحي اليهودي صـ ٦٤، ٥٦.
(٢) موقع: موسوعة تاريخ أقباط مصر بقلم المسيحي المتعصب عزت أندراوس والموضوع باسم: جدول بأسماء جميع البابوات الكاثوليك عبر التاريخ ومنهم: المزيفون
(٣) راجع باستفاضة: قصة الحضارة لول ديورانت (١٤/ ٣٨٢).

أن خُلع البابا جريوري السادس من منصبه ونُفي إلى ألمانيا في عام ١٠٤٦م صحبه هيلد براند في منفاه ليكون راعيًا خاصًا».

وقد سبق وأشرنا إلى العلاقة الوطيدة التي كانت تربط هيلد براند بكنيسة روما الذي أصبح (جريجورى السابع - بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما-) يقول يواكيم برنز اليهودي: «ويعلم الجميع أن بيوتات (تسكانيا) وبيرليوني (اليهودية) المالية قد قامت بدور فعال في دعم هيلدبراند ماديًا، وجعلته المنظم المالي للكرسي الأسقفي، ولقد أشار (زيما الجزويتي) إلى الروابط المادية التي ربطت (جريجوري) وآل بيرليوني، وقَبِلَ (زيما) الحقيقة التي تقول إن جريجوري السادس كان يرتبط بالدم مع عائلة بيرليونى- كما ذكرنا آنفًا- وأما جريجوري السابع الذي أصبح - هيلدبراند فكان يرتبط بهم (أي: مع عائلة بيرليوني اليهودية) من ناحية الأم، مع أنه يتفق مع (بوول) في الرأي القائل: إن العلاقات بين هيلدبراند وآل بيرليونى كانت وثيقة، إلا أنه ليس من المؤكد أن هذا كان من أصل يهودي رغم سحنته السامية»[٢].

وقد أصدر هذا البابا المدعو (جريجوري السابع) بعض القرارات التي أثارت احتجاج كثير من الأساقفة في البلاد الأوربية منها قرار بتحريم بيع المناصب الكهنوتية، وقرار منع زواج رجال الدين المسيحى من القساوسة والرهبان مما دعا أحد الكرادلة الرومان (هيو) إلى اتهام جريجوري السابع، بابا الفاتيكان «بالفسق، والقسوة والسحر، وبأنه توصل إلى كرسي البابوية بالرشوة والعنف»، وبسبب تلك القرارات التي لم تلق القبول لدى أساقفة ألمانيا مما دعى جريجوري السابع أن يتجرأ على ملك ألمانيا هنري بأن ينفذ قرارات البابا بالقوة فما كان من الملك هنري إلا أن أرسل إلى جريجوري السابع يقوله: «من هنري الملك بأمر الله لا بالاغتصاب إلى هيلد براند الراهب المزيف، لا البابا[٣] ومع هذا الجفاء من الملك لبابا روما إلا أن الأخير انتصر في النهاية لأن العاطفة الدينية آنذاك كانت فوق

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ٣٩٢)

(٢). بابوات من الحي اليهودي صـ ١٧٧.

(٣) قصة الحضارة (١٤/ ٣٩٩).

أي اعتبار آخر ولا ننسى أيضًا الاعتبارات المادية والمالية التي كان يتحكم فيها جريجوري السابع وذلك لأنه -كما ذكرنا آنفا- كان ذا علاقة واسعة مع كثير من البيوتات المالية قبل أن يعتلي كرسي البابوية، لذلك كان نفوذ جريجوي السابع أقوى وأوسع من نفوذ الملك هنري..

وهكذا كان دعم اليهود ومساندتهم المالية الكبرى وراء تسلط وانتشار نفوذ (جريجوري السابع) الواسع والذي ساعده كثيرًا على فرض سيطرته وقراراته على الكنيسة ورجال الدين في جميع أنحاء أوروبا وذلك مما شجع اليهود بعد ذلك لأن يقفوا مواقف داعمة لبابوات روما وخاصة فيما يتعلق بالقرارات التي تصدر من البابوات لصالح اليهود وكانت أهم تلك القرارات وأخطرها على مدار التاريخ هي قرارات الحروب الصليبية التي دعَّمها اليهود وموَّلوها وأوقدوا نارها.

المبحث الثاني:

دور باباوات اليهود المتخفين في إشعال الحروب الصليبية

يعتبر هيلد براند أو جريجوري السابع- الذي ذكرناه آنفًا- هو مؤسس فكرة الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية وإن لم يكن هو المنفذ لها وذلك لأنه استطاع بسط نفوذه وفرض سيطرته على جميع ملوك وأمراء أوروبا -كما أسلفنا- وذلك بعد صراعة المرير ضد الملك هنري الرابع، والذي وصل الأمر بالأخير إلى الإذعان والخضوع للبابا، حيث توجه إليه في مقر إقامته طلبًا للمغفرة والصفح عنه بعد أن ثار عليه شعبه وقواده لأنه تجرأ ووقف في وجه البابا، وإمعانًا في إظهار السيادة والقوة بل والإذلال تركه جريجورى ثلاثة أيام حافيًا عارى الرأس على الجليد حتى ينزل البابا من عليائه ويتعطف عليه ويسامحه ويصفح عنه عما بدر منه وكانت هذه الحادثة بمثابة رسالة أوصلها البابا لملوك وأمراء أوروبا، إذا حاول أحدهم أن يتجرأ ويفعل مثل ما فعله الملك هنري فسيكون له نفس المصير، ومنذ ذاك الوقت اعتُبرت البابوية الكنسية وعلى رأسها بالطبع البابا هي سيدة العالم النصراني، وأصبح البابا هو سيد أوروبا المطلق وصاحب السلطة المطلقة، إذا أمر يُطاع، وإذا تكلم أُسمع، وإذا ضرب أوجع، فدانت بذلك كل أوروبا والعالم المسيحي الغربي لتعاليم وأوامر وطلبات وقوانين البابا، بل أصبح التقرُّب إليه حلما لملوك وأمراء أوروبا، لذلك وضع جريجوري السابع الخطوط العريضة للحملات الصليبية، وقد أشرنا آنفا إلى أن هيلد براند أو جريجورى السابع هذا، صناعة يهودية وأن تلميذه النجيب المدعو أوربان الثاني هو البابا النصراني الذي نفَّذ ما خطَّط له أستاذه البابا اليهودي فمن هو أوربان الثاني هذا؟

البابا أوربان الثاني ودوره في تأجيج نار الحرب الصليبية الأولى:

نحن لسنا بصدد الحديث عن الحملات الصليبية الثمانية التي خاضتها الدول الأوروبية بزعامة البابوات الكاثوليك على الشرق الإسلامي، ولكننا سنتحدث عن دور اليهود في تلك الحملات والذي أغفله كثير من المؤرخين عند حديثهم عن الحملات الصليبية، وقد سبق وأشرنا إلى أن البابا أوربان الثاني الذي يعتبر المحرك والمنفذ الرئيس لأول الحملات الصليبية أنه من نتاج أسرة آل بيرليونى اليهودية الأصل- التي تحدثنا عنها آنفا- وأنه تلميذ نجيب لسلفه البابا جريجورى السابع: هلمند براند الذي تربى بدوره على موائد أصحاب رؤوس الأموال اليهودية، وإذا استعرضنا خطبة البابا أوربان الثاني الفرنسى الأصل والتي ألقاها باللغة الفرنسية على شعبة لتحميسه وإثارته على خوض الحملة الصليبية الأولى على الشرق الإسلامي سنجدها طافحة بكل الحقد والكيد والكراهية والتأليب والتحريض على العالم الإسلامي -كما هو الحال الآن مع بابا الفاتيكان الحالي (بندكت السادس عشر) -كما سنوضح فيما بعد- كما نجد أن خطبة أوربان الثاني لم تخلُ من إرشادات وإيماءات لبعض الاعتقادات اليهودية، فيقول أوربان في خطبته الحماسية:

«ياشعب الفرنجة!! شعب الله المحبوب المختار!.. لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسًا لعينًا أبعد ما يكون عن الله[1]، قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين وخرَّبها بما نشره فيها من أعمال السلب والحرائق، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع التعذيب وهم يهدمون المذابح في الكنائس، بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين..

على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع

(١) يقصد ويشير إلى المسلمين دون أن يسميهم صراحة في إشارة منه إلى الفتوحات الإسلامية التي امتدت على طول الشرق والغرب فكانت تلك الدعوة لوقف الزحف الإسلامي لأوروبا وتدمير الإسلام وأهله.

عليكم أنتم، أنتم يامن حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظمية، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس.. الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسه[1]، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوثت ودُنست.. لا تدعوا شيئًا يقعد بكم من أملاككم أو من شئون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار والجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، ويلتهم بعضكم بعضا[2] وتتحاربون، ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية، ثم أردف هذا البابا المأفون قائلاً: «اتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملوكوها أنتم[3]، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج. إن المدينة العُظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين

(١) هذا هو السبب الثاني الذي يعتبر بمثابة الدافع والحافز لتلك الحملة وما أعقبها من حملات صليبية على الشرق الإسلامي تحت زعم تخليص الأماكن المقدسة -حسب زعم البابوات الكاثوليك- من أيدي المسلمين، وهي دعوة دينية لاستثارة الغيرة في نفوس الغوغاء والدهماء من نصارى الغرب والدعوة إلى الانتقام من المسلمين والقضاء على الإسلام، ولكنهم خابوا وخسروا.

(٢) وهذا هو السبب الثالث الذي ساقه البابا أوربان في تلك الخطبة التي أسهب فيها الدوافع لتلك الحملة وكان منها الدافع الاقتصادي حيث كانت أوربا في ذاك الوقت ترزح تحت نير ظلف العيش وضيق ذات اليد والمجاعات الرهيبة، فيقول المؤرخ الروسى (ميخائيل زابوروف) في كتابه: (الصليبيون في الشرق):

(إن الجفاف الرهيب حرق العشب في المروج وأباد السنابل والخضروات وتسبب بالتالى في جوع فظيع، وانتشر القحط والمرض..) وهذا ما دعا رعاع الجنود من الفلاحين والغوغائيين الأوروبيين إلى القتل الشنيع وسفك الدماء البريئة بل وأكل لحوم الأطفال بعد قتلهم كما ذكر ذلك كثير من المؤرخين الغربيين مما يندى له تاريخ البشرية جمعاء.

(٣) وهذا هو السبب الرابع الذي أوحي به هذا الشيطان الإنسي اللعين إلى أتباعه من البائسين الجائعين الذين لا يجدون المأوى ويعيشون في المستنقعات والحشوش وأعالي الجبال والمناطق النائية، مما أحدث اضطرابًا في البنية الاجتماعية عند الأوربيين بسبب ترك الكثير من الناس أعمالهم لتفشي المجاعات والأمراض، فهذا السبب الاجتماعي هو الذي ركز عليه البابا لتحريض هؤلاء الغوغائيين المتوحشين إلى التطلع لحلم العيش الرغيد الذي ينتظرهم في بلاد الشرق الإسلامي المليئة بالخيرات وخاصة فلسطين بلد القمح والزيتون والأراضي الخصبة، ودعوة البابا إلى تملك الأراضي بأسلوب عنصري استعماري..

تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجدًا لا يفني في ملكوت السموات[١]».

هذه هي الخطبة العرجاء التي ألقاها أوربان الثاني في جموع المسحيين والتي القت آذانا صاغية حيث علت أصواتهم بعد تلك الخطبة قائلين: (تلك إرادة الله) وكان أوربان نفسه يكرر ويردد هذا النداء لإشعال وتأجيج الحماس في نفوس هؤلاء الغوغاء.

وباستقراء تلك الخطبة نجدها قد ساقت الأسباب والمبررات والدوافع التي دعت هذا البابا المأفون إلى الإعلان عن تلك الحملة الهوجاء التي تسمى بالحملة الصليبية الأولى على الشرق الإسلامي والتي تتلخص في الآتي:

(١) الدافع السياسي والمتمثل حسب زعم البابا إلى وقف الزحف الإسلامي على الأراضي الأوروبية.

(٢) الدافع الديني: والمتمثل في الدعوة والتحريض على تخليص الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين من أيدى المسلمين- حسب زعمه.

(٣) الدافع الاقتصادي: والمتمثل في الدعوة إلى الخروج من أرض الفقر والمجاعات والأمراض والنظام الإقطاعي الذي كان سائدًا في أوروبا في تلك الآونة إلى أراضٍ جديدة في الشرق الإسلامي المليئة بالخصوبة والعيش الرغيد.

(٤) الدافع الاجتماعي: والمتمثل في الدعوة إلى الاستيلاء وتملك أراضي بلاد الشرق الإسلامي المليئة بالخيرات والخروج من المجتمعات الأوربية المليئة بالأوبئة والأمراض والمجاعات فكانت الشعوب الأوروبية تتطلع إلى التشبث بأي شيء للخلاص من وضعهم المؤسف والبائس لذلك ألقت كلمات البابا بظلالها على تلك الجموع الجائعة المشردة التي وجدت فيها الخلاص مما هم فيه، فاندفعوا كالهمج الرعاع إلى الخروج للحرب بقوة وبأس شديد.

هذه هي الدوافع والأسباب التي استخلصناها من خطاب هذا البابا المندفع

(١) قصة الحضارة (١٥/ ١٥: ١٦).

المتهور ولا ننسى تلك الإشارات والإيماءات التي ذكرها أيضًا في خطبته والتي توحي بمدى تأثر هذا البابا بسلفه المتهور البابا جريجوري السابع -الذي ذكرناه آنفًا- وذلك بمناداة شعبه في أول الخطبة بالشعب المختار، وهذه الجملة خاصة بعقيدة اليهود الذين يؤمنون - حسب توراتهم وتلمودهم- بأنهم شعب فوق كل شعوب الأرض، كذلك دعوة البابا إلى تملك أورشليم والعودة إليها للاستيطان فيها وهي دعوة يهودية صهيونية.

وقبل أن أترك الحديث عن الحروب الصليبية والانتقال إلى الحديث عن دور اليهود ودعمهم المادى لتلك الحروب أود أن أسجل شهادتين متناقضتين تمامًا وكلتاهما لمؤرخين مسيحيين غربيين إحداهما تتحدث عن جرائم الصليبيين الهمج المتوحشين وما فعلوه بعد دخلوهم الأرض المقدسة في فلسطين من قتل وتدمير وسفك لدماء الأبرياء من المسلمين. وأما الآخر فيشهد بعدالة وشهامة البطل الناصر صلاح الدين الأيوبي مع الأسرى وكبار السن من الصليبيين بعد دخوله الأرض المقدسة وانتصاره الساحق على الفرنجة عُبَّاد الصليب.

أما الشهادة الأولى فيقول عنها جوستاف لوبون:

«ونذكر هنا شهادة المؤرخ الراهب (روبرت) الذي كان من الصليبيين الذين دخلوا بيت المقدس فيقول: كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خُطفت صغارها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربًا إربًا، وكانوا لا يستبقون إنسانًا، وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون على أي شيء يجدونه، فيبقرون البطون ليخرجوا منها قطعًا ذهبية، فياللشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث، فيالتلك الشعوب العُمي المعدَّة للقتل! ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينًا.

ويقول الكاهن (ريموند داجيل) عن مذبحة مسجد عمر التي راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف مسلم: لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك

المذبحة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة[1]، وقد افتخر بعض الصليبيين بما ارتكبوه في المسجد الأقصى من قتل المسلمين ومحاولة إبادتهم من خلال مذابح وحشية رهيبة، حتى إن أحد الصليبيين كان يفتخر بما فعله قومه بالمسمين فقال: «حتى إن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين»[2].

هذه هي أخلاق الغرب وعُبَّاد الصليب إبان الحروب الصليبية التي أشعل نارها وأجج شرارتها اليهود، فهم غالبًا، وراء إشعال الحروب والفتن خاصة في منطقة الشرق الإسلامي قديمًا وحديثًا، ولا يخفى على أريب ومتابع لما يحدث في عصرنا عن دور اليهود الخفي والعلني في غزو القوات الأمريكية لأفغانستان والعراق[3] وما فعلته تلك القوات الغاشمة بأبناء المسلمين من المدنيين من قتل وتشريد دون تفريق بين كهل عجوز أو امرأة أو طفل تمامًا كما فعل الجنود والقوات الصليبية عند دخول بيت المقدس، فقد ذكر أحد الرهبان إبان الحروب الصليبية واسمه (روبرت) وهو شاهد عيان على تلك المذابح الرهيبة كما قال جوستاف لوبون: «وكان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وكان يذبحون الشبان والشيوخ، ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا لا يستبقون إنسانًا، وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة.. وكان قومنا يقضون على كل شيء يجدونه، فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعًا ذهبية»[4] تمامًا كما فعل الجنود الأمريكان والبريطانيين مع المعتقلين في سجون أفغانستان والعراق حتى إن الرئيس الحالي للولايات المتحدة (باراك أوباما) رفض

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ٣٢٥، ٣٢٦ دار إحياء الكتب العربية- الطبعة الثالثة/ ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م القاهرة).

(٢) جهاد المسلمين في الحروب الصليبية صـ١١٥ـ للدكتور فايد حماد عاشور.

(٣) وقد اعترف كثير من الأمريكان بدور اليهود المباشر في إشعال تلك الحروب وممن قال ذلك السيناتور الأمريكي (موران) حيث صرح بقوله: «إن الحرب التي تخيم على العراق هي نسيج أيدي اليهود الأمريكيين وإنه لولا دعم المجموعة اليهودية القوي لهذه الحرب لكنا تصرفنا بشكل مختلف».

(٤) حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ ٣٢٥.

نشر صور التعذيب التي تعرض لها المعتقلون المسلمون في سجون (جوانتنامو) وغيرها من المعتقلات الأمريكية لكي لا تثير مشاعر المسلمين وقد تحدث كثير من هؤلاء المعتقلين بعد خروجهم عن صنوف وألوان التعذيب التي تعرضوا لها داخل تلك المعتقلات حتى إن الجنود الأمريكان كانوا يرسمون الصليب على رأس المعتقلين ناهيك عن انتهاك حرمة المصحف الشريف وحرمة الإنسان الذي خلقه الله عز وجل، في أحسن تقويم.. هذه هي أخلاق عُبَّاد الصليب قديمًا وحديثًا..

أما عن أخلاق وفروسية وشهامة وعدالة أهل الإسلام فيقول المؤرخ والكاتب الأمريكى ول ديورانت عن الناصر صلاح الدين الأيوبي- رحمه الله ورضي عنه- إبان معاركة وصولاته وجولاته مع الصليبيين بقيادة قائدهم ريتشارد قلب الأسد:

«وبعد.. فإن اعتدال صلاح الدين، وصبره، وعدله قد غلبت بهاء ريتشارد، وشجاعته، ومهارته الحربية، كما غلب المسلمون بفضل إخلاص زعمائهم ووحدتهم.

فقد كان صلاح الدين مستمسكًا بدينه إلى أبعد حد، وأجاز لنفسه أن يقسو أشد القسوة على فرسان المعبد[1] ولكنه كان في العادة شفيقًا على الضعفاء، رحيمًا بالمغلوبين، يسمو على أعدائه في وفائه بوعده سموًا جعل المؤرخين المسيحيين يعجبون كيف يخلق الدين الإسلامي (الخاطئ -حسب ظنهم) رجلاً يصل في العظمة إلى هذا الحد، فكان يعامل خدمه أرق معاملة، ويستمع بنفسه إلى مطالب الشعب جميعها، وكانت قيمة المال عنده لا تزيد على قيمة التراب ولم يترك في خزانته الخاصة بعد موته إلا دينارًا واحدًا»[2].

هذه هي أخلاق الفرسان والشجعان من قادة المسلمين، وياليت قادة وزعماء العرب الآن يقرأون ويطالعون شهادة الغرب في قادة وزعماء المسلمين وخاصة سيرة وأخلاق القائد الفذ الناصر صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- الذي كان

(١) هم أشد جنود عُبَّاد الصليب فتكًا بالمسلمين.

(٢) قصة الحضارة لول ديورانت (١٥/ ٤٤، ٤٥).

متمسكًا بدينه وعقيدته -حسب شهادة ول ديورانت- فكان هذا التمسك سببًا رئيسًا في الفتح المبين والانتصار الساحق على جحافل الصليبيين في معركة حطين.. فأينما تكونوا يولى عليكم، والشعوب على دين ملوكهم، وكما قال الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[(١)]..

إذن يمكن القول إن البابوات الأوائل الذين أشعلوا وأوقدوا نار الحروب الصليبية في العصور الوسطى كانوا متأثرين بالتعاليم اليهودية بل كان البعض -كما ذكرنا- نتاج أسرة يهودية خالصة (كآل بيرليونى)، وأن معظم إن لم يكن كل بابوات الكنيسة الكاثوليكية كانوا متعاطفين ومتسامحين مع اليهود حتى إن أحد المؤرخين اليهود قال: «لولا الكنيسة الكاثوليكية لما بقى لليهود وجود في أوروبا بعد العصور الوسطى...» ويقول أيضًا اليهودي يواكيم برنز: «إن فكرة وجود بابا يهودي لا تبدو فكرة غريبة بالنسبة لأولئك الذين هم على اتصال تام بتطور الكنيسة، أفلم يكن القديس بطرس وهو مؤسس البابوية يهوديًا.. وهكذا عندما نذكر أن بطرس كان أول بابا، أو بالحريِّ أول بابا يهودي، فلا يعني ذلك أن هذا اللقب كان له تلك الأبهة والعظمة التي اتسمت بها البابوية في المستقبل، عندما تحسَّن وضع البابوية وأصبحت في موقع القوة والعظمة، إن السبب الرئيسى الذي جعل كنيسة روما هي الكنيسة الموثوقة والمعتمد عليها يرسو في حقيقة ذلك أن مؤسسي هذه الكنيسة هما بطرس وبولس، وبصورة خاصة بطرس الذي وصل إلى روما قبل بولس، وبهذا التعيين أصبح بطرس هو الكنيسة..[(٢)] وهكذا تمت سيطرة اليهود على مقاليد الأمور في كنيسة روما أو الكنيسة الكاثوليكية سواء عن طريق السيطرة المباشرة أو غير المباشرة يقول أيضًا يواكيم برنز: «هذا وقد خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات، ومن خلال تاريخ الكنيسة،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٢) ورواه الخطيب البغدادي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه (تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٤).

(٢) بتصرف من بابوات من الحي اليهودي ليواكيم برنز صـ ٧٨، ٧٩

كان اليهود (أحيانًا متحولين وأحيانًا غير متحولين) هم الأطباء الشخصيون لبعض البابوات، وخازنو مكتباتهم، وعلماء، وكانت الكوريا (أي: الإدارة البابوية، وتشتمل على البابا وكبار أعوانه) يطلبون منهم إسداء النصح، وإبداء الرأي في أمور كثيرة»[1]. وسوف نسرد بشيء من الاختصار غير المخل تاريخ سيطرة اليهود على الكنيسة الكاثوليكية منذ العصور الوسطى وحتى عصرنا الحاضر لتتضح الصورة في ذهن القارئ الكريم وذلك في المبحث القادم.

(١) المصدر السابق صـ٦٣.

المبحث الثالث

التسلسل التاريخي لدور اليهود الخفي للسيطرة على الكنيسة الكاثوليكية منذ العصور الوسطى وحتى عصرنا الحاضر

لقد كان رجال الدين من البابوات في الكنيسة الكاثوليكية أكثر تسامحًا في العالم المسيحي مع اليهود إبان العصور الوسطى، وذلك يرجع إلى تغلغل اليهود داخل البلاط الكنسي في روما، أما عن بقية الشعوب المسيحية الأوروبية فكانت تكنُّ العداء لليهود وذلك لثرائهم الفاحش وتعاملهم الربوي القاسي ومع أن مجلس (لاتران الكنسي الثالث) الصادر عام ١١٧٩م حرَّم الربا وقرر: «أن الذين يجهرون بالربا لا يقبلون في العشاء الرباني، وإذا ماتوا وهم على إثمهم لا يُدفنون دفن المسيحيين، وليس لقسيس أن يقبل صدقاتهم» غير أن البابا جريجوري التاسع الذي كان يتعامل مع اليهود غيَّر هذا القانون وقال بإن الربا هو كل ما يناله الإنسان من كسب نظير قرض، وظل هذا الرأي هو قانون الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) حتى عام ١٩١٧»[١] وهكذا نرى مدى تغلغل وسيطرة اليهود على بابوات الكنيسة الكاثوليكية ومن ذلك:

١- أن جريجوري الأول، نهي عن إرغام اليهود على اعتناق الدين المسيحي رغم تحمسه الشديد لنشر الدين المسيحي، وحافظ على مالهم من حق المواطنة الرومانية في البلاد الخاضعة لحكمه.. وكتب إلى أسقف (نابولي) يقول له: «لا تسمح بأن يُضيَّق على اليهود في أداء صلواتهم، ودع لهم الحرية الكاملة في مراعاة أعيادهم وأيامهم المقدسة والاحتفال بها كما كانوا هم وآباؤهم يفعلون من زمن بعيد.

٢- عندما قدم البابا إنجينوس الثالث إلى باريس عام ١١٢٥م، وسار في موكب حافل إلى الكنيسة الكبرى التي كانت وقتئذ في الحي اليهودي بباريس بعث اليهود إليه بوفد ليُهدي إليه التوراة أو ملف الشريعة، فباركهم وعادوا إلى بيوتهم مغتبطين.

(١) قصة الحضارة لول ديورانت ١٥/ ١٠٦).

٣- كان البابا إسكندر الثالث على وئام مع اليهود، واستخدم واحدًا منهم في إدارة شئونه المالية.

٤- وأعفى جريجوري التاسع (منشئ محكمة التفتيش) اليهود من إجراءاتها أو اختصاصها إلا إذا حاولوا تهديد المسيحيين، أو ارتدوا إلى الدين اليهودي بعد أن تنصروا هذا إلى جانب تحليله للربا، كما أشرنا آنفا.

٥- ونبذ إنوسنت الرابع (١٢٤٧م) القصة القائلة بأن من شعائر اليهود ذبح أطفال المسيحيين وقال:

(لقد ابتدع بعض القساوسة، والأمراء، والنبلاء، وكبار الأشراف أساليب تتنافى مع الدين ضد اليهود خداعًا منهم وتضليلاً، فحرموهم بلا حق من أملاكهم قوة واقتدارًا واستولوا عليها لأنفسهم، واتهموهم زورًا وبهتانًا بأنهم يقتسمون فيما بينهم في يوم عيد الفصح اليهودي، قلب غلام مذبوح.. (والحق أنهم في حقدهم يعزون إلى اليهود كل حادث قتل أيًا كان المكان الذي يقع فيه). وبسبب هذه التهم المختلقة وأمثالها تمتلئ قلوبهم غِلاً على اليهود، فينهبون أموالهم، ويضطهدونهم بتجويعهم وسجنهم، وتعذيبهم، وإيذائهم بغير تلك الوسائل، ويقضون عليهم، أحيانًا بالإعدام، وبذلك أصبحت حال اليهود أسوأ مما كان عليه آباؤهم تحت حكم الفراعنة، وإن كانوا يعيشون الآن تحت حكم أمراء مسيحيين وهم لهذا يضطرون إلى مغادرة البلاد التي عاش فيها آباؤهم من أقدم العهود التي يذكرها الإنسان، وإذ كان يسرنا ألا يلحقهم أذى، فإنا نأمركم أن تعاملوهم معاملة ودية رقيقة، فإذا وصل إلى علمكم نبأ اعتداء ظالم وقع عليهم، فردوا عنهم ما لحقهم من أذى، ولا تسمحوا بأن يصيبهم مثل هذا الظلم في المستقبل».

هذا هو التعاطف البابوي الحميم مع اليهود، مع أن حادثة قتل أطفال الأغيار (أي: غير اليهود) ذكرتها بعض المصادر المسيحية[١].

---

(١) راجع على سبيل المثال: فضح التلمود للأب أبي بي برانايتس، والكنز المرصود في قواعد التلمود لأشل (أو: شارل) لوران، وقد أنكر البعض موضوع القرابين البشرية في الديانة اليهودية، وأثبتها البعض بالوثائق والصور والأدلة الدامغة، راجع على سبيل المثال: (صراخ البري في بوق الحرية والذبائح التلمودية لحبيب فارس، واليهود والقرابين البشرية، والكنز المرصود وغيرها من الكتب التي أثبتت تلك الوقائع.

مع نفي عدد من البابوات لتلك الوقائع ولكن تحذيرات أو دعوات البابوات العالم المسيحي في أوروبا لم تلق آذنا صاغية ومع ذلك:

٦- اضطر البابا: جريجوري العاشر في عام ١٢٧٢م أن يكرر ما قاله سابقه البابا (إنوسنت الرابع) من التنديد بقصة قتل أطفال المسيحيين استجابة لبعض الشعائر الدينية اليهودية، وأراد أن يزيد أقواله قوة وتأثيرًا فقرر ألا تقبل شهادة مسيحي على يهودي إلا إذا عززها بيهودي آخر.

يقول ول ديورانت:

«وإن ما أصدره البابوات (أي: من قوانين لحماية اليهود) بعد هذا العهد (أي: بعد عهد جريجوري العاشر عام ١٢٧٢م) حتى عام ١٧٦٣م من أوامر مماثلة ليشهد بما كانت تمتلئ به قلوب البابوات من شفقة وإنسانية، ومما يدل على أن البابوات كانوا مخلصين في دعوتهم ما كان يستمتع به اليهود في الدويلات البابوية من طمأنينة إذا قيست حالهم بحال بني دينهم في غير هذه الدويلات»[١].

٧- في عام ١٩٦٥م أصدر بابا الفاتيكان (بولس السادس) قرار بتبرئه اليهود من دم المسيح - عليه السلام - ويعتبر هذا الاعتراف أكبر حدث وأهمه في تاريخ العلاقة بين اليهود وبابوات الفاتيكان، فبعد دعوة البابا يوحنا الثالث والعشرين لعقد المجتمع المسكوني الثاني خلال الفترة من ١٩٦٢: ١٩٦٥م تحت عنوان (العلاقات بين الكنيسة وغير النصارى) حيث تمكن أحد الكرادلة الألمان من وضع فصل خاص باليهود على جدول الأعمال يتعلق بالمطالبة بإعفاء اليهود وتبرئتهم من مسئولية صلب المسيح- حسب اعتقاد النصارى.

٨- وفي عام ١٩٦٩م أعلن الكاردينال (لورانس شيهان) رئيس أساقفة بالتيمور في نيويورك وثيقة أقرها الفاتيكان عن العلاقة اليهودية- الكاثوليكية نصَّت على أن الكاثوليك عليهم أن يعترفوا بالمعنى الديني لدولة (إسرائيل)

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (١٤/ ٨٦).

بالنسبة لليهود، وأن يفهموا ويحترموا صلة اليهود بتلك الأرض، مع الدعوة إلى تأسيس علاقات أوثق بين الكاثوليك واليهود، بل ألغى البابا يوحنا الثالث والعشرين من الصلاة الكاثوليكية مقطعًا يتحدث عن (اليهود الملعونين)، وكانت الجماعات اليهودية تريد إعلانًا من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح، فصدرت بالفعل عن المجمع وثيقة بعنوان (نوسترا اتيانى) تعلن أن موت المسيح (لا يمكن أن يعزى عشوائيًا إلى جميع الذين عاشوا في عهده أو إلى يهود اليوم)، كما نصَّت على أن لا ينظر إلى اليهود كمنبوذين من الرب وملعونين، كما لو جاء هذا في الكتاب المقدس.

٩- منذ صدور الوثيقة -سالفة الذكر- التي أقرت بـ (تبرئة اليهود من دم المسيح) وحملات الابتزاز من اليهود للفاتيكان في ازدياد مطالبة بخطوات إضافية -كعادة اليهود- بالضغط على عدوهم أو خصمهم للحصول على مزيد من التنازلات، كما يحدث الآن مع الفلسطينيين في مفاوضاتهم مع الإسرائيليين. وفي السادس من شهر فبراير عام ١٩٨٢م، صافح البابا يوحنا بولس، ولأول مرة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حاخامًا يهوديًا (حاخام كنيس روما)، واعتبرت الأوساط اليهودية والصهيونية هذه المصافحة تاريخية، لكن المطلوب أكثر من ذلك بكثير.

١٠- وفي عام ١٩٨٥م صدرت وثيقة من الفاتيكان تحدثت للمرة الأولى عن إسرائيل مازجة بين اليهود كأتباع ديانة وإسرائيل ككيان معتبرة أن اليهود تميزوا بأمرين:

أ- تمسكهم بعبادة الله (يهوه).

ب- وبحب أرض الأجداد (إسرائيل).

ولكى نُدلّل للقارئ الكريم على أن بابا الفاتيكان التي صدرت في عهده الوثيقة الفضيحة التي أقرت بأن يهود اليوم ليس عليهم ذنب من دم المسيح عيسى -عليه السلام- حسب تعبير إنجيلهم ننقل النص الإنجيلي الذي يثبت عكس ما جاء في تلك الوثيقة :

«وكان الوالي معتادًا في العيد أن يطلق للجمع أسيرًا واحدًا من أراده، حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس مَن تريدون أن أطلق لكم : باراباس أم يسوع الذي يُدعى المسيح ؟ لأنه علم أنهم أسلموه حسدًا، وإذا كان جالسًا على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيرًا في حُلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوح حرَّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم مَنْ مِن الأثنين تريدون أن أطلق لكم؟ فقالوا باراباس، قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليُصلب. فقال الوالي: وأيُّ شَرّ عمل؟ فكانوا يزدادون صُراخًا قائلين: ليُصلب.

فلما رأي بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحرىٌ يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قُدَّام الجمع قائلاً : إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا. فحينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب».[1]

هذا هو النص الإنجيلي الذي يقول على لسان اليهود (دمه علينا وعلى أولادنا) ولكن البابا يوحنا بولس الثاني يصدر وثيقة تخالف ما جاء في الإنجيل ويُبرئ ساحة يهود اليوم من دم المسيح، وهذه الوثيقة التي صدرت في عهد الباب يوحنا بولس الثاني تحفل بجملة من المواقف التي تعكس تغيرًا عميقًا في موقف الكنيسة الكاثوليكية التقليدية إزاء اليهود، وهو ما حفز كثيرين من المسيحيين العرب وغيرهم على وصفها بالوثيقة الأشد خطورة، والأشد مناقضة لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية فمن بنود تلك الوثيقة ما يلي:

- «الدعوة إلى بذل مجهود تربوي يستأصل من نفوس المسيحيين الكاثوليك أي أثر للعنصرية من شأنه تشجيع المعاداة للسامية، والمطلوب بذل مزيد من المجهود التربوي لإرساء الفهم الصحيح للعلاقة الفريدة التي تربط الكنيسة بالعبرانية والعبرية».

(١) إنجيل متى: الإصحاح/ ٢٧، من الفقرة ١٥:٢٦.

- وتنص الوثيقة أيضًا على أن «المسيح كان عبرانيا وسيكون كذلك دائمًا: وتدعو الكاثوليك في العالم ليفهموا تمسك اليهود الديني بأرض أسلافهم».[1]

وقد استوجبت مثل هذه المواقف التي صدرت من الكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا يوحنا بولس الثاني من خلال تلك الوثيقة وما تلتها من وثائق ردودًا كثيرة من أوساط مسيحية متعددة حتى أن بعض تلك الأوساط وصف تلك الوثيقة بأنها (منصوصة بفكر وروح وعاطفة تحرص على مصلحة اليهود أكثر من حرصها على حقيقة الدين المسيحي وكرامة المسيحيين وتاريخهم وتراثهم الروحى»، ووصفها البعض بأنها: (وثيقة باطلة الأسس ومريبة الأهداف).

وفي عهد البابا يوحنا بولس الثاني الذي يعتبر من أكثر باباوات الكنيسة الكاثوليكية اندفاعًا نحو اليهود والتبدل العميق في موقف الفاتيكان من اليهود.

وكان ذلك واضحًا من خلال لقاءاته مع القيادات اليهودية أو زيارته لإسرائيل أو تصريحاته، ففي أحد تصريحاته مع حاخام إسرائيل الأكبر (لاو) قال: «إن العلاقات بين الدين اليهودي والكاثوليكية هي علاقات لم توجد مع أي دين آخر».

(١١) في ١٩٩٤/٦/١٥ تم التوقيع بين إسرائيل والفاتيكان على إقامة علاقات دبلوماسية كاملة وشاملة تتضمن تبادل الممثلين بين الجانبين، وجرى التوقيع على اتفاق واعتراف متبادل بين الكيان الصهيوني والفاتيكان، ولم يتطرق الاتفاق إلى القدس المحتلة وشمل أساسًا قضايا ثنائية بين الطرفين تضمنت:-

- التعاون لمكافحة العداء للسامية والعنصرية والتعصب الدينى.

- تعهد الفاتيكان بالبقاء بمنأى عن جميع النزاعات بين الفلسطينيين والإسرائيليين وخصوصًا على النزاعات في شأن الأراضى والحدود.

وقد اعتبر اليهود هذا الإتفاق نصرًا للشعب اليهودي ، ولدولة إسرائيل فيما رأى الناطق باسم الفاتيكان أنه سيُمكّن الفاتيكان - حسب زعمه -من المساهمة في التأثير لاحقًا على عملية السلام في الشرق الأوسط.

---

(١) انظر مناقشة تلك الوثيقة لدى(أنعام رعد) في: (مناقشة نقدية للوثيقة الفاتيكانية، المسيح وبولس- لا قيصر وهرتزل)، وكذلك لدي (يوسف إلياس ضاهر) في (الرد على الوثائق الفاتيكانية عن لجنة العلاقات اليهودية، بدون تاريخ أو مكان نشر).

(١٢) (وفي ١٦/١٢/١٩٩٤م، قرر الفاتيكان إحياء ذكرى ما تسمى (محرقةاليهود) في حاضرة الفاتيكان، بحضور البابا يوحنا بولس الثاني، وكبير حاخامي روما، ووفد من الناجين من المعسكرات النازية، وردد الباباتصريحات، وكأنه المسؤول المباشر عن مايزعمونه بالمحرقة، وقال البابا في تصريح له:«إن اليهود الذين تشتتوا بين دول العالم الألفي عام، قد قرروا العودة إلى أرض أجدادهم، وهذا حقهم».

ولم تكن تلك التصريحات بمثابة آخر تنازلات هذا البابا لليهودي، ولكن في عهده تم صياغة تعتبر من أضعف الصياغات التي صدرت عن الفاتيكان حيال مدينة القدس إذ تقول تلك الصياغة: «لا يتمتع الفاتيكان بأي صلاحية فيما يتعلق بالسيادة على أراضى القدس، وعلى الصعيد الديني، يريد (أي: الفاتيكان) ضمانات دولية للأماكن المقدسة».

وبالطبع ردت الحكومة الإسرائيلية بأنها تضمن (حرية العبادة).

(١٣) وفي عام ١٩٩٧م قام الفاتيكان بتوقيع اتفاق مع إسرائيل يمنح وضعًا قانونيًا للكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الأراضي المقدسة، ونصَّ الاتفاق على أنه (يسري حيث يُطبق القانون الإسرائيلي ،بمعنى أنه يشمل شرقي القدس).

وقد أسقط هذا الاتفاق برمته كل التحفظات السابقة للفاتيكان ويعتبر البابا يوحنا بولس الثاني أول بابا يزورمعبدًا يهوديًا في روما عام ١٩٨٦م لأول مرة في تاريخ الكتيسة الكاثوليكية، حيث خاطب حاخامات ذلك الكنيس بقوله:(الأحباء الأعزاء والإخوة الكبار) وقال أيضًا: (هذه بداية الطريق لإزالة التحامل «يقصد :التحامل على اليهود».

ومنذ ذلك الحين.. ألقى البابا المولود في بولندا – عدَّة خطب ومحاضرات محددة المعالم حول العلاقات بين المسيحيةواليهودية.

وقبل زيارة البابا لإسرائيل قال المتحدث باسمه: «إن البابا سيذهب إلى إسرائيل كصديق للشعب اليهودي بوصفه بابا الفاتيكان الذي قال مرارًا: إن أي

نوع من معاداة السامية خطيئة، وهو الذي أقام العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل فاتحًا بذلك الكثير من القلوب والإسرائيليون يعلمون ذلك.

وفي أثناء زيارته للقدس(١) زار البابا (ياد فاشيم)، وهو النصب التذكاري لما يُسمى بالهولوكست (أي: المحرقة النازية لليهود) وخطب قائلا: (أتيت إلى «ياد فاشيم» لأُحيي ذكرى ملايين اليهود الذين جردوا من كل شيء، وخصوصًا من كرامتهم الإنسانية وقتلوا خلال المحْرقة.. لا أحد يمكن أن ينسى أو يتجاهل ما حصل، لا يمكنه أن يخفف من حجم ما حصل)(٢).

وكرر البابا كلامًا بالمعنى ذاته، في الورقة التي أودعها في أحد ثقوب حائط المبكى ونقلها الحاخامات اليهود على الفور إلى (ياد فاشيم) باعتبارها وثيقة تاريخية.

واستطردت صحيفة الفاينا نشيال تايمز البريطانية تقول حول زيارة البابا للقدس: «إن المصالحة والتوبة هما أساس الزيارة التي يقوم بها البابا لإسرائيل، غير أن معظم اليهود الإسرائيليين لن يفهموا البُعد التاريخي للزيارة، وفي هذا الصدد يقول الحاخام (روزن): إن البعض يعادون الزيارة وآخرين يجهلون الغرض منها، ويبلغ العداء أشدة في نفوس (الهارديم) (أي: اليهود الأرثوذكس المتطرفين)، ففي الأحياء الأرثوذكسية من القدس وصفته لافتات معلقة على الجدران بأنه (بابا شرير)، ونصحته بالبقاء في بلده.

ويقول يعقوب كاتز- أستاذ التربية في جامعة بار إيلان بالقرب من تل أبيب: مازال الهاريديم يعيشون في زمن العصور الوسطى، فهم يؤمنون بقوة بأن البابا عدو اليهود، إنه آت لتحويلهم عن دينهم.

وهناك يهود متدينون يتشككون من الزيارة لأسباب مغايرة، ويقول كاتز: إن ضحايا الهولوكوست وأقرباءهم ليسوا مستعدين الآن لأن يغفروا للفاتيكان صمته

---

(١) والتي تمت في أوائل شهر مارس عام ٢٠٠٠م.

(٢) صحفية الفاينا نشيال تايمز الصادرة بتاريخ ١٨/ ٣/ ٢٠٠٠م في تقرير كتبته من القدس إبان زيارة الباب يوحنا بولس الثاني لإسرائيل.

تجاه معسكرات الاعتقال، أما اليهود العلمانيون فلا يعرفون شيئًا عن المسيحية. ناهيك عن جهلهم بدينهم، ويقول كاتز: إن وزارة التربية لم تفعل شيئًا لشرح أهمية الزيارة»[١].

ونشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية تقول:

«أُدين ناشط اليمين المتطرف (إيتامار بن جفير) بتهمة تعليق منشورات ضد زيارة الباب للقدس منذ أربع سنوات.

واستطردت الصحيفة تقول:

أدانت محكمة الصلح في القدس في هذا الأسبوع ناشط اليمين المتطرف (إيتامارين جفير) بتهمة تسوية العقارات.. وطبقًا لصحيفة الاتهام التي قدمت في عام ٢٠٠٠م قام بن جفير بتعليق منشورات ضد زيارة البابا للقدس، وجاء في المنشورات أن البابا يعبد الأوثان، وأنه معاد للسامية وكان يُكثر من التصريحات المعادية للسامية».[٢]

وهذا الانفعال من ذاك اليهودي المتطرف وزمرته من عصابات اليهود الذين استولوا واغتصبوا جميع أرض فلسطين، يُوضح تمامًا مدى أثر تعاليم التلمود المتطرفة في عقلية وشخصية اليهود[٣].

(١٤) ويستمر مسلسل الانهيارات والتنازلات التي لا يسبق لها مثيل في موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه اليهود ودولة إسرائيل المحتلة لأرض فلسطين.

ووصل الاختراق اليهودي للفاتكيان إلى مداه حينما أعلن الأخير عن سيل من الوثائق والتصريحات التي تنصح بالاعتذار المشوب بالتذلل والتزلف بل والتباكي على ما يُسمى بالمحرقة النازية وما عاناه اليهود إبان الحقبة النازية حيث أصبحت تلك الحادثة بمثابة عقدة ذنب لدى الشعب الألماني خاصة والشعوب الأوروبية عامة تجاه اليهود ويرجع ذلك إلى الآلة الإعلامية التي يسيطر عليها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيفة معاريف الصادرة في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٤م

(٣) راجع كتابنا: «التوارة العدو اللدود للسامية» الناشر: دار الكتاب العربي.

اليهود وأعوانهم من المتصهينين الذين استطاعوا أن يستغلوا تلك الواقعة لصالح الدولة اليهودية ويبتزوا أموال الحكومات الأوروبية للتعويض عما ارتكبوه في حق اليهود حسب ما رسمته وخططت له المنظمات اليهودية والصهيونية.

وفي شهر أغسطس من عام ٢٠٠٥م أثبت البابا الحالى للفاتيكان بندكت السادس عشر- الألماني الجنسية- أنه يسير على خطى سلفه البابا يوحنا بولس في التقرب والتذلف والتودد لليهود، حيث دخل لأول مرة في تاريخ البابوية معبدًا يهوديًا داخل ألمانيا- معتقل النازية- ولم تكن مصادفة أن ذلك اليوم كان يوم إحياء ذكرى مقتل يهود مدينة (كولونيا) إبان الحكم النازي، وقد أطلق الإعلام الألماني حينئذ على بندكت لقب (البابا الثاني لليهود). كما وصف يوحنا البابا السابق، بأنه بابا اليهود بسبب تعاطفه معهم وكذلك بندكت الذي اعتلى كرسي البابوية بعد سلفه السابق يوحنا بولس وكان تنصيبه في شهر مايو من عام ٢٠٠٥م وكان قبلها يدعى الكاردينال جوزيف راتسنجر أو (راتزنجر) ولقّب نفسه بـ(بندكت السادس عشر)، وبعد أن اعتلى كرسي البابوية أصدر الفاتيكان بيانًا حول قداسة ما يسمى بالجمعة الحزينة في الشعيرة اللاتينية القديمة التي تدعو إلى تحول اليهود (أي: إلى المسيحية) قال البيان: «إن النص لا يهدف بأي حال للإشارة إلى تغيير في احترام الكنيسة الكاثوليكية لليهود». وجاء في البيان الذي أقره بنديكت السادس عشر وصاغ جزءًا منه بحسب ما أكدته مصادر بالفاتيكان «إن علاقات الكنيسة مع اليهود لا تزال تستند إلى البيان التاريخي لمجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م، الذي نبذ مفهوم المسئولية الجماعية لليهود عن دم المسيح ودشن حوارًا معهم، وأضاف أن الكنيسة «ترفض أي موقف ازدراء أو تمييز ضد اليهود.. وتنبذ بشدة أي نوع من معاداة السامية».

وقالت مصادر كاثوليكية ويهودية: إن البيان سُلِّم إلى أمانة مكتب كبير حاخامات إسرائيل، وقال الفاتيكان: «إنه يأمل أن تساعد التوضيحات التي وردت في هذا البيان على تصفية أي سوء فهم.. إنه يجدد التأكيد على رغبة لا تتزعزع في أن يستمر تطور التقدم الملموس الذي تحقق بخصوص التفاهم المتبادل ونمو الاحترام بين اليهود والمسيحيين.

وتقول الصلاة -آنفة الذكر- والتي انتقدها زعماء اليهود:

«اللهم سلم اليهود من ظلامهم واجعل لهم دليلاً في عماهم».

فأسقط الفاتيكان عبارة تطلب من الله أن (يزيل الحجاب عن قلوبهم).

ويحتفل المسيحيون بيوم الجمعة الحزينة سنويًا، حيث يعتقدون أن اليهود قاموا بصلب المسيح في هذا اليوم.

وإبان زيارة البابا بندكت السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية الأخيرة في شهر إبريل عام ٢٠٠٨م والتي شملت زيارة إلى كنيس يهودي في نيويورك وهذه أول زيارة من نوعها للبابا لأمريكا وسبق - كما أشرنا آنفا- أنه زار الكنيس اليهودي في ألمانيا، وكانت زيارته لكنيس اليهود في نيويورك، كما تقول (باتريسيا ماغواير): «ليقدم احترامه للدين اليهودي»[١].

وفي الوقت الذي كان يُحيي فيه الشعب الفلسطيني ذكرى نكبة عام ١٩٤٨م عام ٢٠٠٨م بمرور ستين سنة على احتلال اليهود لأرض فلسطين واغتصاب أحفاد القردة والخنازير لأرض الأجداد والآباء وما ارتكبوه في حق هذا الشعب المظلوم ولا زالوا من مجازر ومذابح وقتل للنساء والأطفال وتجريف الأراضي واقتلاع الأشجار من جذورها في ظل ذلك كله يخرج علينا البابا بندكت السادس عشر ويعلن عن أمنياته الصادقة بمناسبة (الذكرى الستين لإقامة دولة إسرائيل) شاكرًا الرب لامتلاك اليهود أرض أجدادهم.

وجاءت تلك التصريحات الممجوجة من هذا البابا لدى تسلمه أوراق اعتماد السفير الإسرائيلي الجديد لدى الفاتيكان (مردخاي لوي). وهو السفير الخامس منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين دولة إسرائيل العبرية وبين دويلة الفاتيكان زعيمة الكاثوليكية في العالم وذلك إبان عهد بابا اليهود (يوحنا بولس) عام ١٩٩٤م ثم صار على نهجه ومنواله بابا اليهود الثاني- كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام الألمانية، بندكت السادس عشر.

(١) عن برنامج من واشنطن وكان عن زيارة بابا الفاتيكان إلى واشنطن والذي أذيع على قناة الجزيرة القطرية في يوم ٢١/ ٤/ ٢٠٠٨م، وباتريسيا ماغواير تعمل مديرة جامعة ترينيتي بواشنطن الكاثوليكية.

وبهذا السرد التاريخي الذي أوردناه عن دور اليهود الخفي في جعل بابوات روما والفاتيكان ألعوبة في أيديهم يحركونها كيف شاؤوا يتحقق لنا بما لا يدع مجالاً لأي شك أن الكنيسة الكاثوليكية قد تفككت واضمحل تأثيرها وسط أتباعها وذلك بعد أن استطاع اليهود التغلغل داخل تلك الكنيسة التي تعتبر نفسها أكبر الكنائس النصرانية في العالم وأنها أم الكنائس.

وكان لهذا التغلغل أكبر الأثر في هدم أهم اعتقاد للكنيسة المسيحية قاطبة ونقض نصوص الإنجيل وذلك بإعلان الفاتيكان الوثيقة الفضحية عام ١٩٦٥م والتي نصت على براءة اليهود من دم المسيح، وذلك إبان عهد البابا بولس السادس وهو أول بابا للفاتيكان اعترف بدولة إسرائيل المحتلة لأرض فلسطين وذلك إبان زيارته للقدس عام ١٩٦٤م، ثم استمر مسلسل التنازل والخضوع والإذعان لليهود وكان أشده في عهد بابا اليهود يوحنا بولس الثاني الذي أصدر الفاتيكان في عهده براءة جديدة لليهود من دم المسيح وذلك بناءً على توجيهات شخصية من البابا يوحنا بولس، كما دعت الوثيقة التي صدرت عام ١٩٨٥م(١)، كما ذكرنا آنفًا، إلى عدم اعتبار اليهود شعبًا منبوذًا أو معاديًا للمسيح، على أن المسيح نفسه كان يهوديًا وسيظل يهوديًا.. ثم جاء البابا بندكت السادس عشر والذي سار على خطى سلفه وأعلن أن أرض فلسطين المحتلة هي أرض أجداد اليهود.

وهكذا لعب (اليهود المتخفون) الدور الرئيسي والأساسي لهم بكل دقة وخفاء لتحويل عداء النصارى لهم إلى محبة وموالاة، وهذا ما فعلوه بالكنيسة الكاثوليكية.. أما عن دورهم فيما فعلوه في الكنيسة البروتستانتية فسوف نتحدث عنه في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ولكن قبل أن نتحدث عن البروتستانت نلقي الضوء عن دور اليهود المتخفين في بلاد الأندلس والذين أطلق عليهم (المارانوس) وهو ما سنتحدث عنه في الفصل القادم.

---

(١) نشرت مجلة (أوبسير فاتوري رومانو) الناطقة بلسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونيو عام ١٩٨٥م الوثيقة كاملة وترجمت تلك الوثيقة إلى العربية.

3

الفصل الثالث

اليهود المتخفون في الأندلس (المارانوس)

وفيه:

- مدخل إلى الفصل الثالث

- المبحث الأول: نبذه عن تاريخ اليهود في بلاد الأندلس

- المبحث الثاني: التعريف بمعنى المارانوس

- المبحث الثالث: المارانوس بين ممارسة شعائر المسيحية واليهودية

مدخل إلى الفصل الثالث

ما هي الأندلس:

أطلق المسلمون اسم الأندلس على شبه الجزيرة الأيبيرية وهى تضم بلاد أسبانيا والبرتغال وذلك عندما غزاها المسلمون بقيادة القائد الفذ طارق بن زياد بأمر من أميره موسى بن نصير عام ٩٢هـ/ ٧١١م وذلك إبان عهد الدولة الأموية.

ويعتبر عبدالرحمن الداخل المسمى (صقر قريش) المؤسس الحقيقى للدولة الإسلامية في بلاد الأندلس وذلك عام ٧٥٠م، وهو الذي بنى مدينة (قرطبة) التي أصبحت عاصمة الأندلس واعتبرت المدينة المنافسة لبغداد عاصمة الدولة العباسية، فقد كان للأندلس دور كبير في التأثير على الحضارة الأوروبية وذلك باعتراف كثير من الكُتّاب والمثقفين في بلاد الغرب، فيقول السير توماس أرنولد وهو من كبار المستشرقين البريطانيين (١٨٦٤م- ١٩٣٠)م: «أدخل العرب (المسلمون) الظافرون الإسلام في أسبانيا سنة ٧١١م، وفي سنة ١٥٠٢م أصدر (فروناند وإيزابيلا) ملك أسبانيا وزوجته -مرسومًا يقضي بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في جميع أنحاء البلاد، ولقد كتبت أسبانيا الإسلامية في القرون التي تقع بين هذين التاريخين، صفحة من أنقى الصفحات وأسطعها في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، وقد امتد تأثيرها من ولاية (بروفانس) إلى الممالك الأوروبية الأخرى، وأتت بنهضة جديدة في الشعر والثقافة، ومنها تلقى طلاب العلم المسيحيون من الفلسفة اليونانية والعلوم ما أثار في نفوسهم النشاط العقلي حتى جاء عصر النهضة الحديثة»[1]، ويقول مستشرق أمريكي آخر وهو سير أرنست باركر (١٨٧٤م- ١٩٦٠م) وهو من كبار الباحثين في جامعتي (كمبردج وكولون) : «.. وصلت حضارة (المسلمين) درجة متقدمة في إسبانيا وصقلية، لا بل

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ١٥٤ نقلاً عن قالوا عن الإسلام للدكتور عماد الدين خليل صـ٣٣١.

تسامت إلى الجوزاء، حتى انتقل تأثيرها منهما إلى فرنسا وإيطاليا، وامتدت فلسفة قرطبة وعلى رأسها معلمها الأعظم (ابن رشد) حتى دخلت جامعة باريس وازينت برموز ومعان عربية، وحفلت بجغرافيين وشعراء عرب.. إن عرب إسبانيا هم الذين أهدوا إلى الغرب اللاتيني هباتهم النفسية في ميادين العلم والفلسفة.. علينا أن نذكر ونعيد القول بإن الإسلام قد سبق فثبتت أصوله في الغرب واستطاع أن يخلف آثاره في أسبانيا وصقلية.. والحق يقال إن الغرب مازال يستخدم مصطلحات عربية في عالم التجارة، وكذلك ثبتت مصطلحات بحرية ملاحية.. هذه الكلمات مازالت تستعمل أو أنها كانت دارجة الاستعمال فيما مضى..[1]»

وهذا غيض من فيض مما قاله علماء الغرب عن فضل العرب والمسلمين على الحضارة الأوروبية ومدى تأثير سطوع شمس حضارة الإسلام على حضارة الغرب الأوروبية التي كانت تعيش آنذاك في حالة من الظلام الدامس المتمثل في التخلف والجهل والانحطاط الفكرى والخلقي والثقافي، ويمكننا القول إن تأثير الحضارة الإسلامية في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلى الزمن الحاضر، فقد شُرِحت كتب المعلم (ابن سينا) وترجمت إلى لغات أوروبية عديدة، وإذا كان تأثير المسلمين في أنحاء أوروبا التي لم يسيطروا عليها إلا بمؤلفاتهم وكتبهم التي مازالت تحتفظ بها كثير من متاحف أوروبا وتعتبرها من أندر المخطوطات، فقد كان تأثيرهم أكبر من ذلك في البلاد التي خضعت لسلطانهم في شبه جزيرة أيبريا (إسبانيا، والبرتغال) رغم التدمير الهائل وحرق كثير من الكتب وطمس كل ما هو إسلامى على يد الحاقدين من عُبَّاد الصليب من القساوسة والرهبان في عهد ملكى إسبانيا (فردناند وإيزابيلا) بعد سقوط بلاد الأندلس في أيديهم النجسة التي عاثت في الأرض فسادًا وتخريبًا ودمارًا، يقول المستشرق الإنجليزي لاين بول: «أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور الوسطى، بينما

---

(١) تراث الإسلام صـ ٧٩، ٩١ نقلاً عن: قالوا عن الإسلام (مصدر سابق).

كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية.. ما كان المسلمون يتركون وراءهم الخراب والموت كالبرابرة من القوط والوندال[1]، حاشا، فإن الأندلس لم تشهد قط أعدل وأصلح من حكمهم»[2].

وكما سبق وأشرنا أن الأندلس (شبه جزيرة أيبيريا) تم فتحها إبان الخلافة الأموية في عهد الوليد بن عبدالملك، وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة الأموية كإحدى الولايات الرئيسة، إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (١٣٢هـ)، ثم استقلت الأندلس عن الخلافة العباسية في بغداد وأصبحت ولاية مستقلة، وخاصة بعد أن تمكّن عبدالرحمن بن معاوية، وعبدالرحمن الداخل أن يفلتا من قبضة العباسيين ويهربا إلى أخوالهما في الشمال الأفريقي، ثم استقر بهما المقام في بلاد الأندلس ودخل عبدالرحمن الداخل وأسس مدينة قرطبة التي أصبحت عاصمة بلاد الأندلس، وقد واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم شبه جزيرة أيبيريا لينتقلوا شمالا حتى وصولوا وسط فرنسا وسويسرا، وقد امتدت الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس حتى سقطت آخر معاقل الإسلام بها وهي مملكة غرناطة عام ١٤٩٢م.

وقد عامل أهل الإسلام طيلة تلك الفترة الممتدة حوالي سبعة قرون من عام ٩٢هـ حتى عام ٧٨١هـ الموافق ١٤٩٢م معاملة ملؤها الإحسان والبر لغير المسلمين، وقد اعترف كثير من الغربيين بذلك وآخرهم الرئيس الأمريكي الحالي (باراك أوباما) وذلك من خلال خطابه الذي ألقاه في جامعة القاهرة يوم الخميس الموافق ٢٠٠٩/٦/٤م وقد نقل ذلك عن كثير من المستشرقين الغربيين ومنهم توماس أرنولد الذي قال: «.. لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد

(١) القوط هم قبائل آرية من منطقة البحر الأسود، ولذلك يقال إن أصل كلمة الأندلس من (وندلس، فأبدل العرب الواو ألفًا) والأندلس لدى العرب القدامى هم الوندال وهم شعب جرماني نزحوا من جرمانيا (ألمانيا وبولندا- حاليًا) إلي أيبيريا (إسبانيا والبرتغال- حاليًا).

(٢) دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان صـ٦٤.

منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناد وإيزابيلا دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهبًا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة»[(١)].

ويقول المستشرق (جون براند ترند، ١٨٨٧م -١٩٥٨م): «إن العرب المتنصرين التعساء المعروفين بالموريسكو لقوامن المسيحيين من المعاملة السيئة ما لا يقابله إلا ما لقيه المسيحيون من المسلمين من التسامح في مرحلة سابقة من تاريخ إسبانيا الإسلامية والمسؤول عن كل ذلك الأمر من بدايته إلى نهايته هم رجال الكنسية».[(٢)]

ويقول المستشرق الإنجليزي (روم لاندو): «كان الإسبان قد نعموا، في ظل الحكم الإسلامي، بمعاملة متسامحة تحررية، ولكنهم لم يكونوا الآن (أي: بعد انتصارهم النهائي) في وضع نفسي يساعدهم على تبني السياسة المتمدينة نفسها فراحوا يحنثون، في حرارة دينية متعصبة، بالعهود الغليظة التي أخذوها على أنفسهم باحترام الدين الإسلامي والممتلكات الإسلامية، فإذا بهم يحرقون الكتب العربية ويُتلفون معظم الآثار التي كانت عنوان تفوق الثقافة الإسلامية، وفي عام ١٤٩٩م دشن الكاردينال كزمينز برنامجًا للتنصير الإجباري شعاره: إما المعمودية (أي: التنصير) وإما الإخراج من البلاد: ونشطت محاكم التفتيش (التحقيق) نشاطًا رهيبًا، وأُكره كثير من المسلمين واليهود على مغادرة إسبانيا»[(٣)] وأما من بقى من المسلمين فقد تنصروا إجباريًا وسموا بـ (الموريسكيين) وأما اليهود فقد تنصَّروا ظاهريًا أما باطنًا فظلوا على يهوديتهم وسموا بـ (المارانوس)، وقد عاش اليهود في بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث القادم.

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ٩٨، ٩٩ نقلاً من قالوا عن الإسلام صـ٢٦٦.
(٢) تاريخ العالم (٥/ ٧٥٥) نقلاً من قالوا عن الإسلام صـ٢٧٥.
(٣) الإسلام والعرب (صـ١٨٠) نقلاً من قالوا عن الإسلام صـ٣١٣.

المبحث الأول

نبذة عن تاريخ اليهود في بلاد الأندلس

وضع اليهود قبل الفتح الإسلامي في إسبانيا

بعد السبي الثاني اليهودي على يد حاكم الرومان الإمبراطور: ببليوس إيليوس هدريانوس، والمشهور بـ (هدريان) وتحديدًا عام ١٣٢م وطرد اليهود من مدينة أورشليم (القدس) وخراب هيكلهم للمرة الثانية وتشريدهم في أنحاء المعمورة كما تقول مصادرهم، يقول اليهودي شاهين مكاريوس: «إلى هنا (أي: إلى عهد الإمبراطور الروماني هدريان) ينتهى تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوا أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم»[(١)].

وهكذا تشتت اليهود بين أقطار الأرض، فمن بين البلاد التي استوطنها اليهود شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) وبقية البلاد الأروبية التي كانت تدين بالمسيحية في ذاك الوقت، وقد صدرت عدة قرارات من الجانب المسيحي تمنع استخدام اليهود في الأعمال وتؤكد ضرورة عتق أي عبد مسيحي يملكه يهودي، إضافة إلى منع زواج المسيحيات باليهود، وكذلك منع الختان مع حرمان اليهود من مزاولة شعائرهم وطقوسهم الدينية، وبالطبع كانت هذه القرارات تسرى على اليهود المقيمين داخل شبه جزيرة أيبريا، وكان يهود تلك الجزيرة كتلة كبيرة عاملة، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل، يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد، وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود، وتتوسل إلى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة، فصدرت قرارات بحرق وقتل ورجم كل من يؤدي شعائر غير مسيحية، مما اضطر بعض اليهود إلى اعتناق المسيحية

---

(١) تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس صـ٧٧، نقلاً عن كتابنا: السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادي أبناء إسماعيل عليه السلام صـ ١٤٢ (الناشر: دار الكتاب العربي- الطبعة الأولى ٢٠٠٩م)

منهم ومن لم يعتنقها، فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء (سنة ٦١٦م، أي: قبل الفتح الإسلامي)، ثم توالت عليهم مع ذلك صنوف الاضطهاد والمحن، فركنوا إلى التآمر وتدبير الثورة، وتفاهموا مع إخوانهم يهود المغرب على المؤازرة والتعاون، وظلت تصدر القرارات المسيحية ضد اليهود والتي تقضي بتسليم كل اليهود سواء من اعتنق المسيحية منهم ومن لم يعتنقها، وكافة ممتلكاتهم إلى المسيحيين، وبذلك أصبح اليهود مستعبدين لدى المسيحيين وخاصة بعدما اكتشفت مؤامرتهم عام (٦٩٤م)، فقرر ملك القوط (إجيكا) في بلاد إسبانيا بمعاقبتهم واجتمع مؤتمر الأحبار في طليطلة للنظر في ذلك، وقرر معاقبة اليهود باعتبارهم خوارج على الدولة يأتمرون بسلامتها، ولأنهم ارتدوا عن النصرانية التي اعتنقوها من قبل، وقرر الملك أن ينزع أملاكهم في سائر الولايات الإسبانية، وأن يشردوا ويقضى عليهم بالرق الأبدى للنصارى، وأن يهبهم الملك عبيدًا لمن شاء، وألا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية، وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود أيما عصف»[(١)].

وهكذا كان حال يهود أسبانيا قبل الفتح الإسلامي يعيشون حالة من الضيق والقهر والاضطهاد والازدراء، وكان عدد يهود إسبانيا- في ذالك الوقت يقارب مائة ألف يهودي، وكان ملوك القوط في إسبانيا يعاملون اليهود مثل ما كان يعاملهم أهل سائر البلدان الأوربية المسيحية بل أشد- وكانت العامة من الناس تعاملهم بغاية من الحنق والقسوة والوحشية لما كانوا يسمعونه من مواعظ القساوسة والرهبان حكاية عن الإنجيل، وكان رجال الكنيسة وحكام الدولة ينهبون ويتلفون أموالهم بلا حياء أو رحمة.. ولذلك عندما سمع اليهود بالفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب ونتيجة لما لاقاه اليهود على أيدي المسيحيين من عنت واضطهاد فإنهم كانوا تواقين إلى دخول المسلمين إلى بلادهم لتخليصهم من نير الظلم الجائر ويرون في أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية إقامة شعائرهم مقابل جزية ضئيلة ملائكة منقذين»[(٢)] لذلك فقد لقى الفتح الإسلامي للأندلس ترحيبًا كبيرًا من جانب اليهود..

(١) بتصرف من دولة الإسلام في الأندلس صـ٣١، ٣٢ (مصدر سابق).

(٢) المصدر السابق صـ٣٢.

يقول ول ديورانت:

«وكان يهود إسبانيا يلقبون أنفسهم (سفرديم) ويرجعون بأصولهم إلى قبيلة يهوذا الملكية، ولما اعتنق الملك (ريكارد) الدين المسيحي، انضمت حكومة القوط الغربيين إلى رجال الدين الأقوياء أتباع الكنيسة الإسبانية في مضايقة اليهود وتنغيص حياتهم عليهم، فحرمت عليه المناصب العامة، ومنعوا من الزواج بالمسيحيات أو اقتناء أرقاء مسيحيين، وأمر الملك (سيزبوت) جميع اليهود أن يعتنقوا المسيحية أو يخرجوا من البلاد، وألغى الملك الذي خلفه على العرش هذا الأمر، ولكن مجلس طليطلة الذي عقد في عام ٦٣٢م أصدر قرارًا ينص على أن اليهود الذين عمدوا (أي: تنصَّروا) ثم عادوا إلى الدين اليهودي يجب أن يُفصلوا عن أبنائهم، وأن يباعوا أرقاء، وحرّم الملك (إجيكا) على اليهود امتلاك الأراضي، كما حرَّم كل عمل مالي أو تجاري بين أي مسيحي ويهودي، وكانت نتيجة هذا أن ساعد اليهود العرب حين جاءوا إسبانيا فاتحين في كل خطوة من خطوات الفتح»(١).

ولم يثبت تاريخيًا من خلال المصادر والمراجع المعتمدة سواء العربية أو الغربية ما ذهب إليه (ول ديورانت) من أن اليهود ساعدوا أو قدَّموا أي مساعدة للفاتحين من المسلمين عند فتح بلاد الأندلس وفي ذلك يقول بعض المؤرخين اليهود: «ليس من المؤكد أن اليهود قدَّموا أي مساعدات للغزاة كلية، وقد ابتهج اليهود بطبيعة الحال لهذا الفتح، فقد نال اليهود الحرية في إقامة شعائر دينية طبقًا لشريعتهم وكذلك كان هذا حق المسيحيين، فقد احترم الحكام (أي: من المسلمين) حقوق الناس في ممتلكاتهم»(٢) إلا أن غاية ما يقال في هذا الوضوع أن اليهود الذين عاشوا تحت ظل القهر والظلم والاضطهاد في إسبانيا كانوا يتمنون من كل أعماقهم هزيمة نصارى القوط في إسبانيا وانتصار الإسلام لما كانوا يسمعونه عن تعايش اليهود السلمي مع المسلمين في الأقطار التي تم فتحها ووقعت تحت الحكم الإسلامي العادل، وهذا ما تم لهم بالفعل بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (١٣/ ٥٠).

(٢) تاريخ الشعب اليهودي لماكس مارجوليز وألكسندر ماركس صـ٥٥ (الناشر: دار ومكتبة بيبليون- بيبلوس- لبنان).

❖ اليهود في ظل الحكم الإسلامي الأندلسي:

كان الفتح الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) فاتحة عصر جديدة لتلك البلاد وماجاورها من البلدان الأوربية التي كانت تعيش في تيه من الظلمات والجهل والتخلف، وحيث بدأ التطور العظيم يشمل جميع مناحي الحياة العامة وفي جميع نظمها الاجتماعية. ومن ثم انعكس هذا الفتح على يهود إسبانيا حيث لم يشهد تاريخ الشتات اليهودي في جميع بقاع الأرض ما شهده يهود الأندلس من أمن وأمان واستقرار ورخاء وازدهار على جميع المستويات الحياتية سواء الاقتصادية أو الثقافية أو الحرية الدينية وذلك باعتراف اليهود أنفسهم فيقول ماكس مارجوليز وألكسندر ماركس وهما يهوديان: «كان من المؤكد أن هذا التغيير (أي: بعد الفتح الإسلامي) قد أحدث عند اليهود رخاءً وظهر كثيرون منهم في قوة اعتداد، كان العصر الزاهي الذي ازدهر من حُكَّام بنى أمية امتدادًا من عبدالرحمن (أي: الداخل، ٧٥٥- ٧٨٨م) ومن بعده قد جعل المملكة أزهى دولة في أوروبا وأصبحت العاصمة (قرطبة) مثلاً عظيمًا للعلم وقد حلتها الغدائر والحدائق وقصورها ومساجدها المتألقة وما فيها من أثاث وأدوات فاخرة.. أما قصر الحاكم فقد اجتذب وقرَّب الشعراء والفلاسفة ورجال العلم والعلماء، وقد اشترك اليهود في هذا النشاط فتقدموا في حماس إلى هذا البحر الزاخر المليء بالعلوم واكتسبوا منه روحًا يحيون بها أرواحهم، وهكذا أخذ ضوء العلم اليهودي الذي كاد يختنق في أقصى الشرق يشتعل من جديد في الغرب، فعندما تحطم المركز البابلي بدأ المركز التقدمى يظهر على اليهودية الإسبانية لتبقى خمسمائة عام..»(١)

وهكذا عندما استقر الحال للمسلمين في بلاد الأندلس منحوا اليهود حريات غير مسبوقة، فعاشوا فترة تعد نموذجًا عظيمًا للمعاملة الحسنة بين أصحاب الحكم ورعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى وقد سطّر العديد من المؤرخين النصارى ذلك واعترفوا بفضل الحضارة الإسلامية فيما هم عليه الآن من تقدم وازدهار يقول المستشرق الإسباني جاينجوس: «لقد سطعت في إسبانيا

---

(١) تاريخ الشعب اليهودي صـ٥٥ (مصدر سابق).

(الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية، التي نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء، وحُفظت بعناية، إلى حكمة العرب، وذكائهم، ونشاطهم، يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها»[١].

ومن خلال هذا التسامح الإسلامي الذي لا يوجد له نظير في الديانات الأخرى وباعتراف كثير من الغربيين انتعش حال اليهود في بلاد الأندلس وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للتعامل السمح الذي تمتع به اليهود في ظل الحكم الإسلامي الرشيد، وفي ذلك يقول مارك كوهين أستاذ دراسات الشرق الأدنى والتاريخ بجامعة برنستون بأمريكا بولاية نيوجرسي: «تمتع اليهود والمسيحيون الذين عاشوا في العالم الإسلامي (وفي بلاد الأندلس) من تسامح شرعي.. وليس من المدهش أن اليهود الذين عاشوا في الأراضي الإسلامية في العصور الوسطى لم يحفظوا أية ذاكرة جماعية عن عنف قام به مسلمون ضد اليهود، وهذاعلى خلاف شديد مع إخوانهم الذين عاشوا في الأراضي المسيحية والذين رسموا تاريخهم على شكل سلسلة طويلة من المعاناة والاضطهاد، لقد عاش اليهود في القرون الكلاسيكية (أي: القرون الوسطى) في ظل الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس فترة ازدهار أمني واقتصادي وثقافي، لهذا وذاك، وبالإضافة إلى الاندماج الكامل الذي تمتع به اليهود في تلك القرون، كل ذلك جعلهم ينفتحون ويشتركون في ثقافة جيرانهم العرب المسلمين في تلك الحقبة الرائعة من التاريخ اليهودي.[٢]

وهذا اعتراف من كاتب يهودي بمدى التسامح والتعايش السلمي الذي لاقاه يهود الأندلس على يد المسلمين، وهذا غيض من فيض ممن ذكره اليهود عن معاملة أهل الإسلام في بلاد الأندلس لأسلافهم الذين عاشوا بين ظهراني

---

(١) نقلاً عن دولة الإسلام في الأندلس صـ٦٤.

(٢) مقالة نشرت باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٣ ثم تُرجمت إلى الإنجليزية ومن ثمَّ إلى العربية بواسطة الاستاذ كامل الزبادي.

المسلمين في تلك الفترة من تاريخهم التي أجمعوا على أنها كانت فترة ازدهار، وعصرًا زاهيًا.

وفي خلال ذلك العهد الإسلامي في الأندلس انتعش الاقتصاد اليهودي، أيما انتعاش، وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للرخاء الاقتصادي والأمان والأمن الذي تمتع به اليهود في ظل الحكم الإسلامي، حيث جمع اليهود خلال تلك الحقبة من التاريخ اليهودي أموالاً طائلة، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال إلى اليهود الفقراء من خارج إسبانيا، وخلال العهد الإسلامي في الأندلس أنشأ اليهود العديد من مراكز الثقافة والشعر والأدب مقلدين في ذلك النهضة العربية والإسلامية التي تفرَّدت بها بلاد الأندلس عن بقية البلدان العربية والإسلامية وظهر جيل من اليهود تأثروا أيما تأثر بالحضارة العربية والإسلامية فانكبوا على دراسة العلوم العربية إلى جانب الدراسات العبرية وكان من أشهر علماء اليهود في ذاك الوقت من الذين برزوا وبرعوا في شتى العلوم العربية والعبرية والذي اعتبره اليهود من قادة الفكر اليهودي في إسبانيا إبان الحكم الإسلامي في الأندلس (حسداى بن إيزاك بن شبروط) أيام حكم عبدالرحمن الثالث، وهو عبدالرحمن الناصر لدين الله واسمه بالكامل: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الريضى بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، وهو الأمير الثامن من أمراء الدولة الأموية بالأندلس (٣٠٠هـ- ٩١٢م)- (٣٦٦هـ ٩٧٦م)، حيث ولد (حسداى بن شبروط) في أسرة (ابن عزرا) المثقفة، وعلّمه أبوه اللغات: العبرية، والعربية، واللاتينية، ودرس الطب، وغيره من العلوم في قرطبة، وداوى الخليفة (عبدالرحمن الناصر) من أمراضه، وأظهر من واسع المعرفة وعظيم الحكمة في الأمور السياسية ما جعل الخليفة (الناصر) يُعيِّنه في الهيئة الدبلوماسية، وجمع حوله مجموعة من علماء اليهود التلموديين والشعراء في منحه رسميًا لقب وزير خشية أن يثير عليه النفوس، ولكن (حسداي) قام بمهام منصبه الكثيرة بكياسة أكسبته محبة العرب، واليهود، والمسيحيين على السواء، فلما مات تنافس المسلمون واليهود في تكريم ذكراه».[1]

(١) بتصرف من قصة الحضارة لول ديورانت (١٤/ ٥١).

وإن كان جسداي بن شبروط قد ظهر في قرطبة فقد ظهر في غرناطة صمويل بن هاليفي بن يوسف- ابن نجدله أو (صمويل الناجد)، فقد نافسه في سلطانه وحكمته وفاقه في علمه، وقد وُلِدَ (صمويل) في قرطبة عام ٩٩٣م وجمع بين دراسة التلمود والأدب العربي، ولما أن سقطت قرطبة في أيدى (البربر) انتقل إلى مالقة ثم صحبه وزير الملك إلى غرناطة وأسكنه في قصر الحمراء، وجعله أمين سره، يقول اليهودي ماكس مارجوليز عن هذا الصمويل: «امتدت هذه الفترة التي أظلها هذا السياسى اليهودي على شعبه في غرناطة مدى ثلاثين عامًا ألقى عليه ذاك الوقت لقب (الناجد Nagid) بمعنى (أمير إسرائيل) وقد امتد فضله إلى العلماء اليهود وليس ذلك في إسبانيا فقط بل وفي إفريقيا وصقلية والقدس وبغداد، وكانت لديه صور من المشنا والتلمود، فقدمها إلى الطلبة الذين احتاجوا إليها وكذلك استورد صورًا منها إلى غرناطة، وكان مالكًا لمجموعة كبرى من الكتب، وظهرت محبته لأرض الأجداد عندما أمد المعابد في المدينة المقدسة عامًا بعد آخر بزيت الزيتون من مزارعه الخاصة، وقد حافظ على علاقته الودية بالمشاهير من ملته في وطنه وفي الخارج، وقد ظهر حذقه في دراسة تعاليم التلمود، وقد قام صمويل بتأليف كتاب سماه (كتاب الأعيان) وهو عبارة عن موسوعة (قاموس) كامل للغة التوراة العبرية وفسَّر فيه كل معاني الكلمات الواردة فيها بحيث لم يترك شيئًا لم يذكره»(١).

وممن ظهروا من الأدباء والشعراء اليهود الذين تأثروا بالعلوم والآداب العربية: (سليمان بن يهودا بن جبيرول ١٠٢١- ١٠٦٩م) نظم عدة قصائد عبرية على نظام الموشحات، كما نظّم قصيدة تتناول النحو العبري على غرار ألفية بن مالك في النحو العربي، وكتب المدائح في أولياء نعمته، وتعالج قصائده الدنيوية موضوعات مثل الحب والخمريات ووصف الطبيعة والشكوى من الزمان والعالم، أما قصائده الدينية، فتعالج الموضوعات اليهودية التقليدية مثل البكاء من أجل صهيون، وكتب (ابن جبيرول) بعض الأعمال الفلسفية باللغة العربية كعادة المفكرين اليهود الذين كانوا متأثرين بالعلوم العربية والإسلامية آنذاك، ثم ترجمت هذه الأعمال إلى

---

(١) تاريخ الشعب اليهودي صـ٦٤ (مصدر سابق).

العربية فيما بعد ومنها إلى اللاتينية، حيث تركت أثرًا في الفكر المسيحى، ومن أهم مؤلفاته كتاب (ينبوع الحياة) وهو كتاب صوفي يظهر سعة تأملات (ابن جبيرول) ويُبيِّن أثر الأفلاطونية الجديدة عليه، ولكنه في نفس الوقت كان متأثرًا ببعض تعاليم التوراة كسفر التكوين، كما ألّف كتابًا آخر سماه (تاج الملك) وتتميز مؤلفاته بأنها خالية من الإشارة إلى اليهودية، كما أنها تتناول في معظمها موضوعات فلسفية بحتة ذات صبغة إنسانية في العادة ومن فرط تأثره بالكتابات والعلوم الإسلامية يتصور البعض أن مؤلفاته من وضع كُتَّاب مسلمين، وقد اشترك الشاعر اليهودي المعاصر (بياليك) في جمع أشعار (ابن جبيرول) ونشرها عام ١٩٢٤م[١].

ومن علماء وفلاسفة وأدباء اليهود الذين ذاع صيتهم في ذاك الوقت:

- موسى بن ميمون بن عبدالله القرطبي[٢] (٣٠ مارس ١١٣٥م- ١٢ ديسمبر ١٢٠٤م) وهو الذي يرمز له في العبرية (رمبم أي: الحاخام موشيه بن ميمون) ولد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثانى عشر الميلادي، ويلقب بأبي عمران، وكان أبوه من أحبار يهود قرطبة، فدرس على يد أبيه التوراة والتلمود، وتعلّم اللغة العربية، وأتقن علوم الفلسفة والطب، ودرس على يد العالم الأندلسي الشهير ابن رشد، وعكف على دراسة مؤلفاته طيلة ثلاثة عشر عامًا وتأثر به تمامًا في مؤلفاته، كما ذكر ذلك عن نفسه، ثم غادر ابن ميمون بلاد قرطبة وهرب هو وزوجته وأولاده عام ١١٥٩م، وأقاموا في بلاد فاس بالمغرب تسع سنين مدعين أنهم مسلمين «وبرر ابن ميمون تظاهره بالإسلام بين اليهود بالخطر في مراكش بقوله: إنهم لم يكن يطلب إليهم أن يؤدوا شعائر هذا الدين أداء عمليًا بل كل ما كان يطلب إليهم أن يتلوا صيغة لا يؤمنون بها، وأن المسلمين أنفسهم يعرفون أنهم غير مخلصين في النطق بها (أي: شهادة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله). وإنما يفعلون ذاك ليخادعوا جماعة من المتعصبين[٣] ولكن

(١) بتصرف عن موقع الدكتور فؤاد عبدالواحد.

(٢) سوف نفرد له كتابًا مستقلاً إن شاء الله تعالى.

(٣) قصة الحضارة لول ديورانت (١٤/ ١٢١)، وكان ذلك أيام دولة الموحدين التي ظهرت ببلاد الأندلس.

اليهودي ماكس مارجوليز يرفض مقولة إن ابن ميمون تظاهر بالإسلام إبان دولة الموحدين، ولكنه «عندما اضطر لمغادرة وطنه (أي: قرطبة) أخذ عائلته إلى فاس (بالمغرب العربي)، وهناك أمكنه أن يمارس تعاليم اليهودية سرًا مع بعض رفاقه الذين كانوا على وشك الارتداد إلى الدين الإسلامي فأغراهم (أي: ابن ميمون) على البقاء في دينهم اليهودي وذلك في عام ١١٦٠م، فقد قوّى من عزيمتهم الخائرة وأقنعهم بصحة أن إسرائيل هو الشعب المختار وعلّمهم تعاليم موسى والوعود المقدسة المؤكدة لهذا الشعب»[١].

وهكذا نجد العنصرية البغيضة المتأصلة في جذور هذا الشعب اليهودي التي وصفته التوراة نفسها بصفات ذميمة وكثيرة[٢]، تتضح من خلال كتابات المتعصبين اليهود أمثال هذا (الماكس) وغيره من الكُتّاب اليهود، على أننا كمسلمين لا نعد موسى بن ميمون من المسلمين أو حتى من فلاسفتهم، كما ذهب إلى ذلك الشيخ مصطفى عبدالرازق الذي كتب في مقدمة كتاب اليهودي المعاصر (إسرائيل ولفنسون) عن موسى بن ميمون:

«إن موسى بن ميمون يعد من الفلاسفة المسلمين»[٣]، ثم ذكر العديد من الأدلة التي تدعم رأيه غير الصائب، وكذلك كتب الأستاذ/ حسين أتاي في مقدمة كتاب موسى بن ميمون (دلالة الحائرين): «إذا أخذنا في الاعتبار أن الشهرستاني قد عَدَّ (حنين بن إسحاق) النصراني فيلسوفًا إسلاميًا، فإنه لا وجه للتفرقة بينه وبين موسى بن ميمون الإسرائيلي، والدارس للثقافة الإسلامية حين يقرأ كتابه (دلالة الحائرين) يرى أن موسى بن ميمون حتى في مناقشاته لنصوص التوراة، إنما يصدر عن فكر وثقافة إسلامية، وأنه عندما ينتقد المتكلمين المسلمين يكون نقده لهم بأسلوب خال من الشدّة التي ينتقد بها المتكلمون المسلمون بعضهم بعضًا، وأنه ينتقد بني دينه وجلدته بشكل أشد.. إذن، فابن ميمون يعتبر فيلسوفًا

---

(١) تاريخ الشعب اليهودي صـ٨٢ لليهوديين ماكس مارجوليز والكسندر ماركس (مصدر سابق).

(٢) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية (الناشر: دار الكتاب العربي).

(٣) مقدمة كتاب موسى بن ميمون.

إسلاميًا»[(١)] وهذا الكلام يخالف تمامًا ما كان عليه موسى بن ميمون حيث كان حتى آخر حياته يهوديًا قحًا، وحتى عندما استقر به الحال في البلاد المصرية ظل ينافح ويدافع عن دينه اليهودي وعن حقوق شعبه من اليهود والقول بإسلامه أو اعتباره أحد فلاسفة الإسلام هو قول يحتاج إلى أدلة دامغة وذلك لأن اليهود يعتبرونه أحد أحبارهم الكبار ومن أقوالهم المأثورة عنه: «لم يظهر رجل كموسى (أي: ابن ميمون) من أيام موسى (أي: النبي عليه السلام)[(٢)].

وهكذا نجد أن يهود الأندلس قد عاشوا في ظل الحكم الإسلامي فترة من أزهى وأروع فترات تاريخهم كما اعترف بذلك كثير من كُتّابهم ومؤرخيهم ومؤرخي النصارى فيقول ول ديورانت: «وكانت هذه القرون الثلاثة- العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر (الميلادية) هي العصر الذهبي ليهود إسبانيا، وأسعد عصور التاريخ العبري الوسيط وأعظمها ثمرة».[(٣)]

وبعد انهيار الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس وبداية الحكم المسيحي الكاثوليكي للبلاد، وذلك بسقوط مدينة غرناطة عام ١٤٩٦م، «ففي بداية الحكم المسيحي تكونت في الأندلس عدّة ممالك منها: «قشتالة، وأرجون، وغرناطة، وأشبيلية وسرقسطة وغيرها، حيث قام اليهود بإعادة نفس الدور الذي لعبوه من قبل مع المسلمين، وذلك في سبيل تحقيق مصالحهم، فقد قاموا بمد يد المساعدة للمسيحيين الغازين من أجل استعادة إسبانيا والتخلص من الحكم الإسلامي، باعتباره حربًا مُقدَّسة، الأمر الذي جعل المسيحيين يوطنون اليهود في المدن المفتوحة، بينما كانوا يطردون المسلمين منها.. يقول ول ديورانت: «ودخل بعض الصليبيين إسبانيا عام ١٢١٢م ليساعدوا أهلها على طرد المسلمين منها، وكانوا في أغلب الأحوال يُحسنون معاملة اليهود وكان ألفونسوا العاشر -ملك قشتالة-

---

(١) مقدمة كتاب (دلالة الحائرين) لموسى بن ميمون بتحقيق الدكتور حسين أتاي (كتاب إلكتروني)، وقد ذهب الدكتور محمد بحر عبدالمجيد فيمن ذهبوا إلى أن موسى بن ميمون اعتنق الإسلام في أواخر أيامه (راجع: اليهود في الأندلس ص٨٨، ٨٩ للدكتور محمد بحر).

(٢) راجع قصة الحضارة (١٤/ ١٢٠).

(٣) المصدر السابق (١٤/ ٥٣).

يستخدم طبيبًا وخازنًا لبيت المال يهوديًا، وأهدى إلى يهود أشبلية ثلاثة من مساجد المسلمين ليجعلوها معابد لهم»[1] وبدأ اليهود كعادتهم في كل زمان ومكان، يركزون على رأس السلطة من خلال تغلغلهم في المراكز الحساسة والمهمة عن طريق المال الذي يحتكرونه ويسيطرون من خلاله على مقدرات الأمور في البلاد، فكان الصراع دائرًا وقويًا بين ملوك الطوائف المسيحية في إسبانيا، والكنيسة الأم في روما حول الاستفادة من ثروات وأموال اليهود، مما كان له أكبر الأثر على التغلغل اليهودي وازدياد نفوذهم خاصة بعد ما أسند حكام الولايات الأسبانية مهمة جباية الأموال لبعض اليهود من الفقراء لصالح الأغنياء المسيحيين، ومن ثمَّ ظهر العداء الشعبي المسيحي لهؤلاء اليهود المغتصبين أموالهم لحق غيرهم من السادة المسيحيين»[2].

ثم بدأت تتوالى سلسلة من الاضطهادات ضد اليهود الأسبان وذلك يرجع إلى سببين رئيسيين وهما: السبب الاقتصادي والمتمثل في تعامل اليهود بالربا مع المسيحيين وسيطرتهم على الاقتصاد في البلاد مما أثار الأحقاد في الصدور ضدهم، وكان اليهود الذين يشغلون مناصب رسمية وبخاصة في المصالح المالية هدفًا طبيعيًا للإقصاء والاضطهاد، أما السبب الثاني فهو الدين اليهودي، وتعاليمه وشعائره التي كانت تخالف كثيرا من تعاليم وشرائع النصرانية «فأصبح كل ما هو يهودي بغيضًا لبعض المسيحيين، وكل ما هو مسيحي بغيضًا لبعض اليهود، فأخذ المسيحيون يعيبون على اليهود عُزلتهم ولم يغفروا لهم هذه العزلة التي كانت رد فعل لتمييز غيرهم عليهم، وما كان يوجه إليهم من اعتداء في بعض الأحياء، وبدت ملامح اليهود، ولغتهم وآدابهم وأطعمتهم، وشعائرهم، بدت كلها في أعين المسيحيين غريبة وكريهة، ولم تكن الشريعة اليهودية تبيح لليهود أن يأكلوا طعامًا مسَّتة يد غير يهودية، وخاصة من المسيحيين، إلى جانب قواعد أخرى اعتبرها كثير من المسيحيين أنها إساءة لهم، وكان المسيحي يُفسر هذه القواعد القديمة. التي وضعت قبل نشأة المسيحية بزمن طويل بأن اليهود يرون

(١) قصة الحضارة (١٤/ ٥٥).

(٢) أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس للدكتورة هدى درويش صـ١٦. (الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، طبعة أولى/ ٢٠٠٨م).

أن كل شيء مسيحي نجس، وذلك لأن اليهود يعتبرون أن المسيحيين من عَبَدَة الأوثان، ثم أخذ المسيحيون في القرن الثاني عشر الميلادي يتهمون اليهود باختطاف أطفال المسيحيين ليقدموهم قربانًا إلى يهوه، أو ليتخذوا دماءهم دواء، أو يستعملوه في صنع الخبز «الفطير» لعيد الفصح[1]، واتُّهم اليهود -كذلك- بأنهم يسممون الآبار التي يشرب منها المسيحيون، واتهمت اليهوديات بأنهن ساحرات، وقيل إن كثيرين من اليهود من حزب الشيطان[2] لذلك اشتد الغضب على اليهود في أسبانيا وبدأت حملات التطهير الديني ومحاكم التحقيق التي تسمى (التفتيش) وذلك للضغط على اليهود إلى اعتناق المسيحية وحملهم على ذلك قسرًا واختيارهم بين اعتناق المسيحية وتعميدهم في الكنائس المسيحية أو القتل والإبعاد، يقول ول ديورانت: «لقد ابتدع بعض القساوسة، والأفراد، والنبلاء وكبار الأشراف أساليب تتنافى مع الدين ضد اليهود خداعًا منهم وتضليلاً، فحرموهم بلا حق من أملاكهم قوة واقتدارًا، واستولوا عليها لأنفسهم، واتهموهم زورًا وبهتانًا بجرائم عديدة، وبسبب هذه التهم المختلفة وأمثالها تمتلئ قلوبهم حقدًا وغلاً على اليهود، فينهبون أموالهم، ويضطهدونهم بتجويعهم، وسجنهم، وتعذيبهم، وإيذائهم بغير تلك الوسائل، ويقضون عليهم أحيانًا بالإعدام، وبذلك أصبحت حال اليهود أسوأ مما كان عليه آباؤهم تحت حكم الفراعنة، وهم لهذا اضطروا إلى مغادرة البلاد التي عاش فيها آباؤهم من أقدم العهود[3]، ومن اضطر منهم البقاء في بلاد الأندلس تنصروا تقيّة أي: اظهروا المسيحية وأخفوا يهوديتهم، وهم من أطلق عليهم اليهود المتخفين أو (المارانوس) فمن هؤلاء المارانوس؟

---

(١) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية [الناشر: دار الكتاب العربي].

(٢) قصة الحضارة لول ديورانت (١٤/ ٨١) .

(٣) المصدر السابق (١٤/ ٨٥).

المبحث الثاني: التعريف بمعنى المارانوس

لم ينعم اليهود بعد سقوط الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس بالأمن والأمان والازدهار، وكانت كلما سقطت إمارة من إمارات بلاد الأندلس الإسلامية أو جزء من أجزائها في يد قوات الأمراء والملوك المسيحيين كان اليهود لا يلاقون سوى الاضطهاد والإبادة، ومن ثَمَّ كانوا يفرُّون من مملكة إلى أخرى حتى سقطت آخر معاقل الممالك الإسلامية وهي إمارة غرناطة على يد الملك فرديناند وزوجته الملكة إيزابيلا وذلك في يوم الثاني من شهر أغسطس عام ١٤٩٢م، ثم كان قرار الطرد والإبعاد لليهود ومن قبلهم بالطبع المسلمين من جميع بلاد الأندلس وذلك بإيعاز من الكنيسة الكاثوليكية بروما والتي قررت: إما الطرد أو الإبادة أو التنصير، فالذي قَبِل البقاء من المسلمين وتنصروا أطلق عليهم (الموريسيكون). كما ذكرنا آنفا، ومن بَقَى من اليهود وأظهر المسيحية وأبطن يهوديته أطلق عليهم (المارانوس) وقد اشتد هذا الأمر بعد ظهور محاكم التحقيق (التفتيش)، وكان السبب الرئيسي لإنشاء تلك المحاكم هو شك الكنيسة في أن بعض المتحولين من ديانتهم اليهودية إلى المسيحية، قد فعلوا ذلك دون اقتناع حقيقي وأنهم يمارسون سرًا، شعائرهم وطقوس ديانتهم اليهودية، فكانت تجري معهم التحقيقات وتُعقد لهم الاختبارات للتأكد من جديتهم أو إخلاصهم للديانة المسيحية التي أعلنوا عن اعتناقها، وقد ازدادت الملاحقات والمحاكمات التي كانت تصدر أحكامًا بالقتل والحرق بحق من ثبتت عليهم تهمة الارتداد عن المسيحية وبلغت ذروة تلك المحاكم في عامى ١٤٨٠، ١٤٨١م واستمرت حتى عام ١٤٩٧م وهو العام الذي فرَّ فيه معظم من ظل على قيد الحياة من اليهود أو من المشكوك في صدق مسيحيتهم إلى بلاد المغرب العربي وبقية دول أوربا، وهم من أُطلق عليهم (اليهود المتخفين) أو كلمة (المارانو) أو (المارانوس) وقد شاعت هذه اللفظة كثيرًا في القرن السادس عشر الميلادي مع أن الاختلاف في أصل الكلمة قد صاحبه لغط كبير، ولذلك سنُفصِّل أصل الكلمة حسب اللغات التي ذُكرت بها:

(١) المارانو: وهي كلمة تعني باللغة الإسبانية القديمة: الخنزير.

(٢) ماترانثا: كلمة إسبانية أيضًا ومعناها: الملعون.

(٣) المُرائِي: كلمة عربية ومعناها: المنافق.

(٤) مارثيت عيين: كلمة عبرية ومعناها: ظاهر للعين، لأن اليهودي يُظهر المسيحية ويُبطن اليهودية.

(٥) محوّرام أتاه: وهي أيضًا كلمة عبرية معناها: أنت مطرود من حظيرة الدين[1].

(٦) مازن أث أو (ماران أثا): وهي عبارة آرامية جاءت في الإنجيل في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس تقول: «إن كان أحد لا يحب.. يسوع المسيح فليكن أناثيما (أي: ملعونا)، ماران أثا.. (الاصحاح/ ١٦: ٢٢)، وهي تعني (تعال يا ربنا) أو: (ربنا أتى)، تقول دائرة المعارف المسيحية: «من المؤكد أن عبارة (ماران أثا) مثلها مثل: آمين، و(هللويا) وقد استخدمت في العبادة عند المسيحيين الأوائل من اليهود الذين كانت لغتهم السامية هي الآرامية، وحيث إن بولس كتب رسالته باللغة اليونانية، فقد نقل العبارة بلفظها بحروف يونانية، وهي عملية تؤدي أحيانًا إلى شيءٍ من الغموض، وعلاوة على ذلك فإن الكلمات في المخطوطات القديمة لم تكن تكتب مُفصّلة، ولأن (ماران أثا) تتكون أصلاً من كلمتين، فإنه يمكن تحليلها على وجوه مختلفة، ويتفق غالبية العلماء (في المسيحية) على أن الكلمة الأولى وهي (ماران) أو (مارانا) تعنى (يارب) أو (يا ربنا)، وأن الكلمة الثانية هي كلمة مشتقة من الفعل (يأتى ويمكن أخذ هذه الصيغة من الفعل على أنها صلاة (أو دعاءٌ). ثم تقول دائرة المعارف المسيحية: «إن عبارة (ماران أثا) تحمل دليلاً قويًا على اعتراف الكنيسة منذ البداية بربوبية يسوع المسيح[2]».

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيرى (٣/ ٣٦٤).

(٢)دائرة المعارف الكتاب المسيحية، مادة: (ماران أثا).

وهذه الكلمة (ماران أثا) بمثابة خطاب مُوَجَّه إلى المسيح، وكان محتومًا على اليهودي أن ينطق هذه الكلمة ويكررها كثيرًا لإبعاد الشبهة عنه.

(٧) ويُطلق اسم (الأنوسيم) وتعنى باللغة العبرية: (المكرهون) أو (المغلوبون على أمرهم) على المارانوس واليهود الذين اضطروا إلى إظهار المسيحية خوفًا على حياتهم من الموت أو الطرد من البلاد مع إخفاء يهوديتهم.

(٨) ويطلق عليهم أيضًا اسم (البرتغاليون): وهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى اليهود المتخفين من المارانو الذين خرجوا من شبة جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال)، وكانت الدول الغربية التي هاجر إليها اليهود مثل إنجلترا تسمح لهم بالاستقرار فيها باعتبارهم برتغاليين إسمًا، وهي تعلم جيدًا أنهم من المارانوس فعلاً، وكان هؤلاء يُمارسون شعائرهم الدينية سرًا وأحيانًا في العلن، وكانت المؤسسة الحاكمة تغض الطرف عن كل هذا، وقد لجأت بعض المؤسسات الحاكمة في أوروبا ذاك الوقت إلى هذا الحل لحاجتها الشديدة لليهود بسبب نفعهم سواء من الناحية المادية أو الحِرَفيَّة والمهنية، ولأنهم كذلك مادة استيطانية مهمة، حيث لم يكن بوسع تلك الحكومات استصدار التشريعات اللازمة لذلك بسبب البُغض والمعارضة الشعبية لتلك الفئة من اليهود، ومما زاد من حِدّة هذا البُغض وتلك الكراهية من بعض الشعوب لهؤلاء اليهود أنهم كانوا يتملكون ثلث الأراضي في مقاطعة برشلونة وحدها وذلك إبان القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي وكان لهم حقوق أكثر من السكان المسيحيين الأصليين أنفسهم، وكان لكل بلاط ملكي طوائف كثيرة من اليهود تعمل داخله(١)، كل ذلك أجج نار الحقد والبغضاء في نفوس الشعوب المسيحية من تلك الثُلَّة التي سيطرت عن مقاليد ومقدرات الأمور في البلاد التي استوطنوها.

(٩) ومن الأسماء التي أطلقت أيضًا على طائفة المارانوس: (كريستاوس نوفاس) وهي كلمة برتغالية تعنى: المسيحيين الجدد.

(١) موسوعة اليهود واليهودية (٣/ ٣٦٣) للدكتور عبد الوهاب المسيرى.

(١٠) ومن الأسماء التي اشتهر بها المارانوس أيضًا: (كونفيرسوس) وهي كلمة إسبانية تعني: (المهتدين) أو (المعتنقين للدين).

(١١) وأخيرًا كان هؤلاء المارانوس يُطلق عليهم اسم: (التشويتاس) في جزيرة (مايوركا)، إحدى الجزر التابعة لإسبانيا، وهي كلمة إسبانية تعني: لحم خنزير، غير أن هناك نظرية أخرى تذهب إلى أن الكلمة مشتقة من كلمة (تشوهينا) وتعني: (يهودي) بلهجة الجزيرة.

غير أن كلمة (المارانوس) تعني في الإسبانية والبرتغالية وحتى الفرنسية: المنافق، والدنيء، واللص، والكذاب، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة [1]، وهذا اللفظ اشتُهر عن أصل الكلمة باللغة الإسبانية والتي تعني: الخنزير وهي صفة ذم لكل اليهود الذين دخلوا الدين المسيحي عن غير اعتقاد أو تحت ضغط القتل أو الحرق أو الطرد والإبعاد من البلاد التي عاشوا فيها وهذا اللفظ أيضا يحمل هجومًا واستفزازًا وامتهانًا لمن يُطلق عليه هذا اللقب (الخنزير) وذلك لما يحمله هذا الحيوان الكريه من صفات ذميمة وكريهة، حيث يتصف هذا الحيوان بأنه خبيث الطبع، «تجتمع فيه صفات السباع اللاحمة، وصفات البهائم العُشبية، وهو علاوة على ذلك حيوان نهم كانس، يكنس الحقل والزريبة ويأكل كل شيء، فيأكل القمامات والفضلات بما في ذلك فضلاته، كما يأكل القاذورات والديدان وكل النجاسات، والخنزير حيوان نهم شره، لا يمتنع عن أكل أي شيء، فيأكل الجرذان والجيف المتعفنة، وحتى جيف أقرانه [2]. هذه هي صفات هذا الحيوان النجس المحرّم في الشريعتين اليهودية والإسلامية وحتى عند بعض الطوائف المسيحية، ولذلك إمعانًا في وصف اليهود الذين أظهروا المسيحية وأبطنوا اليهودية أطلق عليهم هذا الاسم (المارانوس) أي: الخنزير.

---

(١) انظر هامش: أسرار اليهود المتنصرين للدكتورة هدى درويش ص ٢٠.

(٢) عن موقع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة مقال بعنوان: صفات الخنزير وطباعه.

❖ تعريف المارانوس في المسيحية الأرثوذكسية.

كم هو الخلاف والتباين بين الكنيستين الأرثوذكسية في الشرق، والكاثوليكية في الغرب، ومع أن هذا الخلاف ليس من مواضيع دراستنا إلا أنه دائم الحضور عند مناقشة أحد الدارسين للمذهبين من القساوسة أو الرهبان فيقول الدكتور يواقيم رزق مرقس وهو أرثوذكسي: «إن أهم سمة تميَّزت بها جماعات المصلين في غرب أوروبا في القرن الثاني عشر، والذين كان (الاكليروس) [(١)] يعتبرهم مخالفين أو معاندين هي سمة: الزهد والدعوة إلى البساطة الأولى كمد روحي للكنيسة الشرقية في مصر [(٢)]، وقد انتعشت هذه الآراء في وقت كانت الكنيسة فيه قد تردت في مساوئها من: اتجار في المناصب الدينية (السيمونية) والسماح كرجال الدين بالزواج بعد أن رفلوا في النعيم، وغير ذلك من أمراض أَلَمَّت بالكنيسة (الكاثوليكية) كبيع صكوك الغفران... إلخ.. وافتضح أمر البابوية وكبار الأساقفة [(٣)]. هذا عن كلام الأرثوذكس عن الكاثوليك، أما عن اليهود المتخفين (المارانوس) فيقول نفس الدكتور: «أكدت التشريعات المطبقة على اليهود بوحي من الكنيسة ما قيل من أنهم أناس رفضهم الله ولعنهم، وأقيم من حولهم سياج عزل صحي يقي أرواح المسيحيين من عدواهم، وانكمشت الاتصالات على الصعيد الاجتماعي معهم، وتعددت حوادث اضطهادهم، وطُوردوا من مكان إلى مكان وفي أسبانيا حيث ازدهر اليهود في ظل الحكم الإسلامي، ثم بدأ

(١) الأكليروس: هو نظام كنسي كهنوتي خاص بالكنائس المسيحية لم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي، وتتفق الكنائس الكاثوليكية مع الأرثوذكسية في درجات النظام الكهنوتي إلا أن البابا في الكنيسة الكاثوليكية يتمتع بسلطان وصلاحيات أكثر وأعلى من نظيره في الكنيسة الأرثوذكسية حيث يعتبرونه من المعصومين، وأما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام وهما: القس والشماس.

(٢) أي : نظام الرهبنة الذي ابتدعته الكنيسة المصرية، ومن ثمَّ انتقل إلى جميع كنائس العالم على اختلاف مذاهبهم ومللهم وهو الذي قال عنه «القرآن الكريم».. ورهبانية ابتدعوها.. (سورة الحديد/ ٢٧).

(٣) عن الموقع الرسمي للأنبا مرقس ـ مطرانية شبرا الخيمة وتوابعها ـ محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية للدكتور/ يواقيم رزق مرقس.

اضطهادهم بوحي من الكنيسة عام ١٤٩٢م، وطُرد اليهود جميعًا من اسبانيا في الثاني من أغسطس من نفس العام وهو يوم اتخذه اليهود يوم حداد في حياتهم، وبذلك استُبعد اليهود في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بصورة تكاد تكون تامة من كل غرب أوربا باستثناء أجزاء بسيطة في ألمانيا وإيطاليا، ومن ثمَّ احتشدوا في الإمبراطوريتين الباقيتين في ذاك الوقت: الإمبراطورية المسيحية بشمال أوربا والإمبراطورية العثمانية الإسلامية وخاصة في تركيا وبعض الدول العربية، وانتشرت بتزايد نفوذ الكنيسة السياسي (في ذاك الوقت) ظاهرة اليهود الذين أخفوا ديانتهم عندما وجدوا أنفسهم بين اختيار الموت أو التحوُّل إلى المسيحية، فاضطرت جموع كثيرة منهم إلى هذا التحوّل الظاهر، وهم مقيمون سرًا على ديانتهم اليهودية، ومصممون على نقل ديانتهم لأولادهم جيلاً بعد جيل، وقد عُرف هؤلاء في أسبانيا باسم (المارانوس) حيث انفتحت أمامهم أبواب العمل في المحاماة والحكومة والجيش والجامعات، بل وفي الكنيسة نفسها [(١)]، وتمت لهم السيطرة على أوجه النشاط في إسبانيا، وكان لفظ (مارانوس) والذي يعنى: الخنزير باللغة الإسبانية هو إشارة لمدى احتقار الأسبان لهؤلاء اليهود غير المخلصين الذين ازداد عددهم ونفوذهم في البلاد، فعلى امتداد القرن الخامس عشر الميلادى كان الناس يكرهون أولئك المنافقين اليهود الذين أصبحوا مسيحيين مظهرًا، ويهودا مخبرًا، أولئك الذين احتكروا المراكز المالية الهامة في إسبانيا المسيحية، وارتبطوا بالعرش، بحيث أصبحوا يُمثّلون أحد مظاهر القهر الملكي، وتقرر في عام ١٤٦٤م النظر في أمر هؤلاء المسيحيين الجدد، إذ فوَّضت الكنيسة ثلاث شخصيات بالتصرف في الأمور التي تنطبق على المرتدين وذلك عام ١٤٧٨م، وكان ذلك إيذانًا ببداية محاكم التحقيق (التفتيش) في اسبانيا، حتى وصلت الأمور إلى أقصى غاية لها عام ١٤٨٠م حين قرر عدد من أغنياء التجار من المسيحيين الجُدد في مدينة (سيفيل) برشوة رجال محاكم التحقيق، غير أن

(١) راجع مبحث اليهود يعتلون كرسي البابوية في الفصل السابق من هذا الكتاب.

أمرهم انكشف وحوكموا وأُعدموا، وفي عام ١٤٨١م أُحْرق ستة رجال وامرأة أحياء، وأُعدِمَ رئيس تلك الجماعة، وطُرد اليهود من إسبانيا نهائيًا عام ١٤٩٢م. وانتقل أغلبهم إلى البرتغال التي طردتهم هي الأخرى عام ١٤٩٧م، ورحلوا إلى أفريقيا، واعتنق الباقون المسيحية دون إخلاص، حيث احتفظوا بديانتهم، وبدأت محاكم التحقيق (التفتيش) في البرتغال عام ١٥٣٦م حيث عُذّب وأُعدم عدد من المسيحيين الجُدد، ونتيجة هذا القهر والاضطهاد ترك المسيحيون الجدد إسبانيا والبرتغال وتوجهوا إلى الشرق الأوسط وإيطاليا وهولندا وإنجلترا، وأصبح لبعضهم وضع قوى جدًا في البلاط التركي[1]، ومن ثَمَّ أدوا في مقرهم الجديد شعائر دينهم اليهودي علنًا وفي حرية تامة، ثم اعترفت بهم فرنسا رسميًا عام ١٧٣٠م، ومارسوا ديانتهم علنًا في هولندا في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، وازداد نشاطهم في البحرية الهولندية بحيث سيطروا على ربع أسهم شركة الهند الشرقية الهولندية، واتجه المارانوس في الوقت نفسه إلى الاهتمام باستكشاف العالم الجديد، ومؤّلوا هذه العمليات، وهناك ما يدعو للاعتقاد أن (كريستوفر كولومبوس) البحّار الإسباني الذي اكتشف القارة الأمريكية كان ينتمي إلى آخر العائلات المنتسبة للمسيحيين الجدد (المارانوس) في إسبانيا.. والذي انتقل عدد كبير منهم إلى البرازيل في القرن السادس عشر الميلادي وكذلك إلى بقية قارة أمريكا اللاتينية كالمكسيك والأرجنتين وبقية دول أمريكا الجنوبية.. أما عن عدد المارانوس في العالم اليوم فمحدود للغاية، حيث بدأت أعداد المارانوس تضمحل حاليًا نسبة إلى الزواج المختلط بين اليهوديات مع غير اليهود، كما أن البعض منهم قد هاجر إلى إسرائيل [2]، ولكن يقال إن كثيرًا من هؤلاء هم من أوائل الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية فمنهم من جاهر بيهوديته في العالم الجديد ومنهم من بقي على المسيحية ظاهريًا مع احتفاظهم بيهوديتهم.

(١) سوف نُفصِّل ذلك تباعًا عند حديثنا عن (يهود الدونمة).

(٢) بتصرف من مقال الدكتور يواقيم رزق مرقس وانظر كذلك موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت القس الحبشي ـ الإسكندرية ـ مصر.

«والمارانوس: ليسوا فرقة من فرق اليهود (كما ذهب البعض إلى هذا القول غير الصحيح) ولكنهم جماعة أو طائفة من اليهود، تشكلت حسب الظروف والبيئات التي عاشوا فيها فأظهروا المسيحية وأبطنوا اليهودية»، ويلاحظ المؤرخون أن المارانية (المارانوس) هي شكل من أشكال الموسوية، أي: الإيمان بالعهد القديم دون حاجة إلى الحاخامات (أي: تعاليم التلمود)، كما أن عبادتهم كانت تُركِّز على الجوهر وحسب، وتتجاوز كل الشعائر والتحريمات، ومن هنا كان التقاؤها باليهودية الإصلاحية، ويجب التمييز بين يهود (المارانوس) ويهود (الدونمة)، من حيث اضطرار يهود (المارانوس) إلى أن يكونوا يهودا متخفين، لكن يهود (الدونمة) اعتنقوا الإسلام باختيارهم وعن طواعية للتمويه على المسلمين واليهود على حد سواء[(١)].

وتُقرن الدراسات بين المسيحيين الجدد وتوحِّد بينهما، وإذا كان (المارانو) هو الذي يُظهر غير ما يُبطن، أي: اليهودي المتخفي، فإن كثيرًا من المسيحيين الجدد كانوا مسيحيين بصدق، وقد تهوَّد بعضهم أو اضطروا إلى التهوّد فيما بعد[(٢)].

والمارانوس كجماعة أو طائفة من طوائف اليهود يعتبرهم بعض المتأخرين من علماء يهود أنهم خارجون عن الدين اليهودي لأنهم أظهروا المسيحية وأبطنوا اليهودية، وهذا قول فاسد لأن يهود المارانوس ومن سار على نهجهم في إخفاء يهوديته وإظهار المسيحية خدموا جماعتهم بل والديانة اليهودية خدمات جليلة ويشهد بذلك القاصي والداني من اليهود أنفسهم، فقد استطاع عدد كبير منهم التسلل والتغلغل داخل أروقة البلاط الملكي لكثير من دول أوربا بل والوصول إلى أعلى المناصب المهمة والحساسة في البلدان التي كانوا يقيمون فيها ولازال كثير منهم يخدمون الدولة اللقيطة المسماة (إسرائيل) في فلسطين المحتلة من خلال استغلال نفوذهم ومناصبهم التي يتبوؤون فيها مواقع الصدارة وخاصة في

(١) سوف نُفصِّل ذلك تباعًا عند حديثنا عن (يهود الدونمة).

(٢) بتصرف من موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري (٣/ ٣٦٣).

الولايات المتحدة الأمريكية التي هاجر إليها أوائل العائلات اليهودية التي كانت تنتمي إلى طائفة (المارانوس) وأصبح كثير من سلالة هؤلاء اليهود يعتلون ويتبوؤون المناصب الحساسة [١]، وكذلك الحال في كثير من البلدان الأوربية، وهؤلاء جميعًا يعملون لخدمة أبناء جلدتهم ويمدونهم بالمساعدات المالية والعينية لتقوية وتدعيم اليهود الذين هاجروا واستوطنوا أرض فلسطين العربية والإسلامية، إذن فاليهود الذين يُظهرون المسيحية ويبطنون يهوديتهم يخدمون أهل ملتهم فهؤلاء كالفيروس الذي يغزو أي خلية، فإنه يسيطر عليها ويُسخِّرها لإنتاج مادته الوراثية، مقابل إهمال وظيفتها الأساسية، فإذا أنهكها وقضى عليها، تركها لخلية أخرى، وهكذا...

فاليهود كانوا وراء إنهاك وإضعاف الإمبراطورية البريطانية عن طريق إشعال الحروب التي كان لعملاء اليهود وعيونهم الفضل الأكبر في اندلاعها وقد نجحوا بذهبهم عن طريق عميلهم الكبير (روتشيلد) في تسخير تلك الحروب لمصالحهم الخاصة [٢]، وكان اليهود وراء تفكيك ما كان يُسمى بالاتحاد السوفيتي، وتقسيمه إلى دويلات مُتناحرة فيما بينها، وهم وراء الأزمة المالية العالمية الحالية والتي ستعصف بالإمبراطورية الأمريكية بإذن اللّٰه تعالى وبالنظام الرأسمالي في الدول الغربية، فهم - كما ذكرنا - كالفيروس الذي ينتشر من خليَّةٍ إلى أخرى، وما كان يتم لهم ذلك إلا عن طريق اليهود الذين تخفوا في مسوح النصرانية ليهدموها على رؤوس معتنقيها ويخرجوا هم سالمين، وكان المارانوس أحد معاول الهدم في الديانة النصرانية..

---

(١) راجع كتابنا: قراءة في كتاب اليهودي العالمي (الناشر: دار الكتاب العربي).

(٢) راجع على سبيل المثال: حكومة العالم الخفية لشيريب سبيريد وفيتش ترجمة مأمون سعيد (الناشر: دار النفائس).

المبحث الثالث:

المارانوس بين ممارسة شعائر المسيحية واليهودية

يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة/١١٣) أي: «يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة، فيها ما أخذ الله ـ تعالى ـ عليهم على لسان موسى بالتصديق، بعيسى ـ عليهما السلام، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه» [1].

وهكذا يقول الإنجيل في إخبار موسى ـ عليه السلام ـ بعيسى كما ورد في عدة مواضع من الأناجيل فيقول إنجيل لوقا: «وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (إنجيل لوقا ٢٤/٤٤) ويقول إنجيل يوحنا: «يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون ما كتب عني، فكيف تصدقون كلامي؟ (إنجيل يوحنا ٥/٤٥: ٤٧).

ولذلك فاليهود الذين تحوّلوا إلى المسيحية غالبهم تنصَّر عن غير اقتناع وإخلاص، يقول برنز يواكيم: «فالطائفة المسيحية الأولى كانت في أول الأمر عبارة عن طائفة يهودية ـ مسيحية بجميع أفرادها تقريبًا، ثم أصبحت بعد ذلك تتألف من المتحولين الوثنيين إلى المسيحية[2]، ولم تكن هذه الطائفة (أي: المسيحية الجديدة) سوى طائفة غير شرعية، مارسوا طقوسهم الدينية في الخفاء... ولذلك كان اليهود عادة ما يتحولون إلى المسيحية إلا عندما تبرز أمامهم فوائد ووعود مادية، أو عند شعورهم بالتهديد، وليس هنالك أي دليل

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٨٦).

(٢) أي: الوثنية الرومانية التي قامت المسيحية على أكتافها وفي أحضانها فحملت بين طيّاتها كثيرا من طقوس وعبادات وعادات تلك الوثنية.

مقبول على إخلاصهم حتى ولو أحرزوا مناصب إكليروسية (أي: مناصب كهنوتية مسيحية ـ كما أوضحنا آنفا) رفيعة... وقد كانت التحولات في إسبانيا كبيرة جدًا بين زمن مذبحة ١٣٩١م في أشبيلية، وطرد اليهود نهائيًا من إسبانيا، وعندما حدث أن قُدِّم لكل متحول يهودي مكافأة مالية من الذهب عام ١٢٩٧م في مدينة (تراني).

تحوَّل حوالي (٣١٠) من اليهود حالاً، ولا أحد يعلم كم كانت تدوم فوائد هذا التحول بالنسبة للمعتقدات المسيحية الحقيقية»[١].

ويتضح من الممارسات الدينية التي قام بها المتنصرون اليهود في المجتمع الإسباني مدى تمكّن العنصر اليهودي للسعي لتحقيق مصالحه ولو كان على حساب عقيدته ودينه، يقول برنز: «فنحن نجد أن أولئك المتحولين إلى المسيحية، كانوا يستمرون في مراعاة واتباع عقائدهم وأساليبهم اليهودية في العبادة، سرًا، رغم تظاهرهم بالتمسك بالديانة الجديدة (المسيحية).

وقد أصبح هذا النوع الباطنى المرائى من اليهودية مشكلة كبرى بالنسبة للمسيحيين بعد طرد اليهود من إسبانيا، فالمارانوس في إسبانيا ـ وهم يهود تحولوا إلى المسيحية ـ يحتفظون بيهوديتهم حتى يومنا هذا، ويعيش أبناء المتحولين في مجتمعهم الخاص في جزيرة (ميورقة) ويبدون كما لو أنهم طُردوا من إسبانيا البارحة، والمارانوس في البرتغال لا يزالون يستعملون الصلوات اليهودية في عبادتهم، والسيدات الكاثوليكيات الثريات في البرازيل والأرجنتين مازلن يتذكرن أجدادهن اليهود في إسبانيا فيشعلن الشموع مساء السبت، وتعتبر السلطات الكاثوليكية الرسمية تحوّل اليهود إلى المسيحية أمرًا يدعو للشك، وفي كاتدرائية (ريمس) هنالك صورة مجسمة لخنزيرة، تدعى الخنزيرة اليهودية (وقد أصبحت نموذجًا يُحتذى به، انتشر في العصور الوسطى ويُشاهد في كثير من الكنائس الألمانية والسويسرية) وتحت هذا الرسم هنالك شرح تفسيرى يقول: (كما أن الفأر لا يمكن أن يأكل السنور، كذلك لا يمكن لأي يهودي أن يُصبح مسيحيًا حقًا»[٢].

(١) بتصرف من بابوات في الحي اليهودي لبرنز بواكيم ص ٤٦، ٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٤٥، ٤٦.

❖ أسلوب ممارسة المارانوس للشعائر المسيحية:

لقد مارس يهود المارانوس الذين تحولوا إلى المسيحية الشعائر والطقوس الدينية المتعلقة بالديانة النصرانية كمحاولة منهم لإظهار صدق إخلاصهم وولائهم للمسيحية وخاصة عندما كانت تشتد عليهم المحن فيضطروا إلى تعميد أطفالهم، والتعميد لا يزال حتى اليوم ظاهرة طقوسية، فالشيطان الذي يسكن داخل الشخص الكافر - حسب الاعتقاد المسيحي، يجب أن يُطرد قبل عملية التعميد، وبما أن التعميد يُعتبر ميلادًا جديدًا، لذلك كان يُعطى للمتحوِّل اسم جديد مسيحي غير مسماه اليهودي المعروف، ومثال ذلك أسرة (بيرليوني) التي تحوَّلت كلها في روما إلى المسيحية وذلك عام (١٠٣٠م). «وأما عن مراسم التعميد لعائلة هذا الباروخ الذي أصبح فيما بعد بابا لكنيسة روما فيقول برنزيواكيم: «فعندما سُئل باروخ عن اسمه أعلن بصوت رزين مهيب أنه إذا قُبِلَ في الدين المسيحى، فإنه يرغب أن يُعرف باسم (بندكتوس) (وهو لقب بابا روما الحالي)، وهذه ترجمة دقيقة لكلمة باروخ، أي: المبارك (وأصبح منذ ذلك الحين يُدعى في الوثائق المسيحية باسم: بندكتوس كريسيانوس - أي (بندكت المسيحي)، وبعدها أعلن كل فرد من أفراد العائلة عن نبذه لاسمه العبري، كما نبذ دينه العبري (أي: اليهودي) وعندها سُجّلت الأسماء الجديدة، وبعدها طُلب من المرشحين (أي: الذين تعمّدوا) أن يصطفوا في صفين الرجال إلى اليمين، والنساء إلى اليسار، فتقدم الكاهن من كل منهم ونفخ في وجه كل منهم، ثم عمل كل واحد منهم إشارة الصليب على جبهته وكتفيه، ثم تليت صلاة القربان.

ويشرح يوحنا الشماس هذه العملية فيقول: (إن النفخ غايته إعلام الروح الشريرة أنها سوف تُطرد على يد روح القدس، وأنها يجب أن تستعد لاستقبال يسوع المسيح، وكل شخص غير مُعمّد يصبح جسمه مكانًا لسكن الشيطان، وهكذا يجب أن يصبح الآن مسكنًا للمخلّص، ولهذا يكفي الروح الشريرة نفخة واحدة دون زيادة، ما دام أنه (أي: الشيطان) أصبح محكومًا ومدانًا دينونة كبرى) وبعد

انتهاء مراسم النفخ يُوضع الملح في أفواه المتحولين (فالملح هو الواسطة الطبيعية لإملاح طعم اللحم)، ويقصدون به ملح الحكمة المقدس وذلك حتى يكتسب المعتنق الجديد المناعة والقوة التي تساعده على مقاومة الفساد (حسب الاعتقاد النصراني)، وبعد ذلك يقوم المتنصر الذي تم تعميده بالركوع على الركبة ليُصلي صلاة الاستغفار والتسبيح، ثم بعد ذلك يقوم وينهض بعد رسم إشارة الصليب على جبهته مع قول آمين[1]»، وعند مغادرة صحن الكنيسة يُقدّم لكل متنصر (أو مستبصر وهو الاسم الذي يُطلقونه على المتنصرين الجدد) الخبز والخمر على المذبح، ثم يُقرأ اسم المتحول، وبعدها يتم القداس ثم يتناول العشاء الرباني المقدس..»[2]

ولأن النصارى لا يثقون ثقة تامة في تحوّل اليهودي إلى ديانتهم المسيحية فمن قبيل الاحتياط «عمدت الكنيسة لإقامة بعض الطقوس الخاصة لحفلة التحويل خصوصًا عند تحويل اليهود، ولذلك التزمت الكنيسة المتحوّل من اليهودية إلى المسيحية بأداء قسم معين وهو كالتالي:

- أُقسم قسمًا مغلظًا أنني أعتقد بأن الضحايا المسجلة في العهد القديم، ما هي إلا بشائر للتضحية المقدسة الكبرى للمسيح، كما عاناها على الصليب.

- أقسم أن قضية خلاص الإنسان من خلال المسيح، قد أعلن عنها الرب في وعده لإبراهيم والرسل الآخرين، وأن هذا الأمر لم يُعره الإسرائيليون أي اهتمام، بل على العكس صلبوا المخلص المنتظر، وهو المسيح نفسه.

- أقسم أني إن انحزت أو تزحزحت عن هذا الإيمان الحقيقي، وهو إيمان الكنيسة الكاثوليكية، بأني أستحق الموت.

- أقسم أني عن طيب خاطر، وبشكل طوعي، ومن كل قلبي، وروحي، وقدرتي أقبل شريعة المسيح وأرفض كل شريعة عداها وأنه طبقًا لديني القديم الذي

(١) بتصرف من بابوات في الحي اليهودي صـ ٤٩، ٥٠.

(٢) المصدر السابق صـ٥٠ـ.

وضع في العهد القديم يلزم شاهدان أو ثلاثة لإقرار الحق، وإزهاق الباطل، ولكن حقيقة المسيح قد أثبتها أثنا عشر شاهدًا، وهم حواريو المسيح الاثنا عشر.

- أقسم أنه مع أن شعبي وأنا قد رفضنا المسيح سابقًا، إلا أننا الآن قد قبلناه في مجده وعُلاه.

- أقسم أنني أعتقد الآن أن مجيء المسيح قد ثبت بشهادة التوراة والأنبياء.

- أقسم أنني أرفض شرائع ومبادئ اليهود، وسوف لن أرفض تناول الأطعمة، التي حرَّمتها الشريعة اليهودية، ما لم يكن تجنبها أمرًا طبيعيًا غير صادر عن الخرافات والأساطير القديمة.

- أقسم أنني من الآن فصاعدًا، سوف أمتنع عن الاتصال باليهود الذين لم يتحولوا بعد.

- أقسم بأن أُسلِّم إلى السلطات اللاهوتية المسيحية جميع الكتب التي بحوزتي بما فيها الأبوكريفا (الأسفار المحذوفة من التوراة) حتى أتجنب الوقوع في أي اشتباه أو شك في إخلاصي وولائي للدين الجديد.

- أقسم أننى سوف لا أقترب من الكنيس اليهودي، وبالتأكيد ألا أدخل أي بيت يهودي للعبادة، بل أوجة خطواتي نحو طريق آخر حتى لا أمر ببيت العبادة ذاك.

- أقسم أن كل ما قلته في هذا القسم صحيح بالنسبة لنفسى وبالنسبة لأفراد عائلتي» [١].

وإمعانًا من النصارى في عدم رجوع اليهودي إلى ديانته اخترعوا وثيقة تسمى (البالسيتوم) وهي التي تُوجب على كل يهودي تحوَّل إلى النصرانية أو تعمَّد بالمعمودية أن يُوقِّع عليها، وإذا حاول اليهودي وعاد أو اشترك في عيد الفصح اليهودي فكان يُعاقب بجلده مئة سوط مع مصادرة أملاكه وربما النفي من البلاد،

(١) بابوات في الحي اليهودي لبرنز يواكيم ص ٥٧، ٥٨.

لذلك فإن تلك الوثيقة تقول: «أتعهد أنني لن أُدنِّس أو أهجر الدين المسيحي المقدَّس، الذي قد قبلته من خلال ماء التعميد، وسوف لن أخالفه لا بالأقوال ولا بالأفعال، ولن أسبب له أيّة إهانة أو إساءة علنية أو سرِّية، ولن أزوغ عن التعميد الحقيقي، لا بالهرب ولا بالاختباء، ولن أفكر في حياتي بالرجوع إلى الأخطاء الماضية، ولن أحاول أن أتملص من الالتزامات التي أتعهد بإنجازها بإخلاص، وأثبتها بتوقيعي الخاص في أسفل هذا التصريح، ولن أحاول إخفاء أي شخص يتورط في عمل المحرّماتِ الممنوعة ولا العادات والتقاليد اليهودية الشيطانية، وأعد أن أسلم هذا الشخص إلى السلطات الكنسية، وأن أعلم وأُخطر هذه السلطات عن أية إشاعة تشير إلى مكان اختباء هذا الشخص، وإني على تمام العلم أن أي خرق أو تدنيس لهذه الالتزامات التي تعهدت بها استحق عليه عقوبة الموت، ولن أحتفل بعيد الفصح اليهودي، ولا أي عيد يهودي آخر، ولن أتزوج أيَّة امرأة يهودية غير مُعمَّدة، وأن أمتنع عن تناول أي طعام أو ألتزم بأي نوع من المآكل عدا المآكل والأطعمة المسيحية» [١].

هذه هي تلك العهود والمواثيق التي أخذها النصارى على كل يهودي يتحوّل إلى الديانة النصرانية، وهي تشمل جميع طقوس وشعائر المسيحية، بل تعدتها إلى كافة جوانب الحياة من حيث السلوك والأخلاق بحيث يمتنع المتحوّل اليهودي الاتصال من قريب أو بعيد بدينه القديم وإحاطته بسياج من حديد عن طريق التعاليم الصارمة الواجبة التنفيذ بحيث يتعرض كل من يخالف تلك التعاليم إلى عقوبة الإعدام أو الحرق أو النفي من البلاد.. ومع هذه القيود والعهود والمواثيق.. هل وفّى اليهود بها، وهل التزم اليهودي المتحوّل بدينه الجديد؟

يقول برنزيواكيم: «لم يدر في خَلَد أي إنسان آنذاك أن هذه الأسرة (أي: أسرة باروخ اليهودي الذي تحوّل إلى بندكت) من المتحولين، قد قُدِّر لها أن تقوم بذلك الدور الهام في أدق اللحظات التاريخية الحاسمة في ذلك القرن الذي شهد الصراع المرير بين البابوية والإمبراطورية الألمانية [٢].

(١) بتصرف من المصدر السابق ص ٦٠.

(٢) بابوات في الحي اليهودي ص ٦١.

وعلى الرغم من تلك التعهدات والالتزامات إلا أن اليهود المتنصرين لم يلتزموا بها ببراعة فقد اتضح من فحص عدد من الوثائق الخاصة بمحاكم التحقيق (التفتيش)، ووثائق أخرى أن عددًا كبيرًا من المسيحيين الجدد ظلوا متمسكين بعقيدتهم ونجحوا في إقامة حياة يهودية سرّية في إطار طائفي تنظيمى، حيث كانت تتم اجتماعاتهم سرًا داخل منازل خاصة على مدى مائتي عام.

وقد تمكنت محاكم التحقيق - في القرون الوسطى - من تعقب عدد من المسيحيين الجدد الذين ذهبوا إلى أوربا، وعادوا ليهوديتهم..

«ويُلاحظ أن اليهود المتنصرين في البرتغال كانوا يشكلون كتلة بشرية كبيرة، وكان اليهود الذين فُرضت عليهم المسيحية من العناصر الصلبة، ولذا احتفظوا بتماسكهم حتى أنهم كانوا يسمون أحيانًا (اليهود) بشكل علنى أو (الأمة) أو (رجال الأعمال)، كما كانت لهم اتصالاتهم التجارية والمالية المهمة، وقد أدى هذا إلى بروزهم في التجارة الدولية - حتى أصبحت كلمة (برتغالى) مرادفة لكلمة يهودي في أنحاء أوربا، وقد كونوا جماعة ضغط قوية داخل البرتغال نفسها، وكان لهم سفير خاص في روما، نجح في تقديم رشاوى أخَّرت إنشاء محاكم التحقيق في البرتغال بعض الوقت..

وقد مارس يهود المارانوس جميع الشعائر التي تقتضيها الديانة المسيحية في العلن، ولكن بعضهم ظل في الوقت ذاته، يمارس شعائر الديانة اليهودية سرًا، فكان اليهودي (المارانو) يُعمِّد أطفاله ويذهب إلى الكنيسة يوم الأحد ويذهب للاعتراف دون أن يُدلى بأية اعترافات حقيقية - ويتناول القربان في الكنيسة ثم يبصقه خارجها، وقد تأثرت عقيدتهم اليهودية بطول التخفي، فاختفت شعائر يهودية مثل: الختان، والذبح الشرعي، واستخدام شال الصلاة، وكثير من الأعياد، واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تمامًا عن دينهم الأصلي.

وكان أساس عقيدة المارانو هو: الإيمان بأن الخلاص يتم من خلال شريعة موسى (عليه السلام) لا من خلال الكنيسة أو المسيح، وكانوا يؤمنون بأن

تصيرهم القسري هو جزء من العقاب الإلهي الذي حاق باليهود، وقد تبوأت (إستير) مكانة خاصة في فكر المارانوس الديني، فكان يُنظر إليها باعتبارها صورة مُسبقة لما يحدث لهم، فإستير - هي الأخرى - اضطرت إلى إخفاء هويتها الدينية مدة من الزمن حتى احرزت مكانة مُتميزة داخل البلاط الفارسي» [1].

وتتلخص قصة إستير - كما وردت في التوراة أن الملك (أحشويروش) الذي مَلَك من الهند إلى بلاد فارس كان له وزير فارسيٌّ يُدعى (هامان بن همداثا الأجاجّى)، وقد رقّاه الملك «وجعل كرسيه فوق جميع الرؤساء الذين معه، فكان كل عبيد الملك الذين بباب الملك يجثون ويسجدون لهامان، وأما مردخاي فلم يجث ولم يسجد» (سفر إستير/٣:٢).

وكان مردخاى رجل يهودي قد أُسر وسُبى أيام السبى البابلى وكان يعمل في قصر الملك وكان مربيًا لبنت عمه (إستير)، وكانت فتاة رائعة الجمال وحسنة المنظر - حسب الوصف التوراتي - وعند موت أبيها وأمها اتخذها مردخاي ابنة له، وكانت (إستير) من حظيات الملك وكان يحبها حبًا شديدًا وقد أخفت عن الملك - حسب وصية عمها مردخاي - جنسها وأصلها اليهودي «وكانت إستير تعمل حسب قول مردخاي كما كانت في تربيتها عنده» (إستير/ ٢: ٢٠).

فلما لم يسجد مردخاي للوزير هامان - حسب التقاليد الفارسية - غضب منه «ولما رأي هامان أن مردخاي لا يجثو ولا يسجد له امتلأ هامان غضبًا، وازدرى في عينيه أن يمد يده إلى مردخاي وحده لأنهم أخبروه عن شعب مردخاى، فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود الذين في كل مملكة أحشويروش.(إستير ٣/٥ : ٦).

وأجرى هامان القرعة لاختيار يوم مذبحة اليهود وأسفرت هذه القرعة عن تحديد يوم الثالث عشر من شهر مارس (آذار) موعدًا لتنفيذ عملية الإبادة الجماعية في اليهود، وأرسلت الكتابات بيد السعاة إلى كل بلدان الملك لإهلاك

(١) بتصرف من موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري (٣/ ٣٦٨ - ٣٧٠).

وقتل وإبادة جميع اليهود من الغلام إلى الشيخ والأطفال والنساء في يوم واحد وأن يسلبوا غنيمتهم.» (إستير ٣/١٣).

وتسترسل القصة التّوراتية في سرد القصة حيث يذهب مردخاي مستنجدًا بإستير التي أصبحت ذات مكانة عالية عند الملك «فأحب الملك إستير أكثر من جميع النساء ووجدت نعمة وإحسانًا قُدّامَه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها وملّكها... وعَمِلَ الملك وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعبيده وليمة إستير. (الإصحاح الثاني/١٧/١٨) فأصبحت إستير ملكة على البلاد دون أن يعلم الملك عن جنسها وشعبها اليهودي وعندما أخبرها عمها مردخاى بما سيفعله الوزير هامان بالشعب اليهودي فقالت إستير: «اذهب واجمع جميع اليهود الموجودين في شُوشن وصوموا من جهتي ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهارًا، وأنا أيضًا وجوارىَّ نصوم كذلك.. (إستير/ ٤ : ١٦) ثم قامت استير بعمل وليمة ودعت الملك والوزير هامان إليها «فجاء الملك وهامان ليشربا عند إستير الملكة. فقال الملك لإستير في اليوم الثاني أيضًا عند شرب الخمر ما هو سؤالك يا إستير الملكة فيُعطى لك وما هي طلبَتك ولو إلى نصف المملكة تقضي فأجابت إستير الملكة وقالت إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك أيها الملك وإذا حَسُن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي طلبتي. لأننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة، ولو بعنا عبيدًا وإماءً لكنت سكت مع أن العدو لا يعوّض عن خسارة الملك. فتكلم الملك أحشويروش وقال لإستير الملكة: من هو وأين هو هذا الذي يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا؟ فقالت إستير: هو رجل خصم وعدو. هذا هامان الرديء.. فارتاع هامان أمام الملك والملكة. (إستير الإصحاح السابع/١:٧) وهكذا تمت المؤامرة التي رسم خطوطها العريضة مردخاى ونفّذتها إستير بكل بدقة وتم التخلص من هامان وصُلب على الخشبة نفسها التي أعدها لصلب مردخاى، فبعد أن أخبرت إستير الملك بما أعده هامان لليهود، أمر الملك بصلبه: «.. فصلبوا هامان على الخشبة التي أعدّها لمردخاي. ثم سكن غضب

الملك، وفي ذلك اليوم أعطى الملك أحشويروش لإستير الملكة بيت هامان عدو اليهود وأتى مردخاي إلى أمام الملك لأن إستير أخبرته بما هو لها ونزع الملك خاتمه الذي أخذه من هامان وأعطاه لمردخاي، وأقامت إستير مردخاي على بيت هامان.» (إستير الإصحاح/١٠، والإصحاح ١١/ ١ : ٢).

وهكذا استطاع هذا اليهودي (مردخاي) والمرأةُ الجميلة (إستير) من حبك تلك المؤامرة عن طريق المكر والحيلة والمخادعة وهو ديدن اليهود في كل زمان ومكان، ولذلك حذّرنا نبينا الكريم ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ من الوقوع فيما وقع فيه اليهود، فقد رُويَ عن أبى هريرة ـ رضى اللّه عنه ـ أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم اللّه بأدنى الحيل» (١).

لذا فحريٌّ بقصة إستير أن تنال هذا القسط الوافر من الاهتمام وهذا الحيِّز من الفكر الديني لليهود المتخفين من المارانوس، بل من كل اليهود واعتبار هذه المرأة (بطلة قومية لليهود) التي أنقذت بمكرها وحيلها وخداعها شعبها من هلاك محقق. لذلك فقصة (إستير) من القصص الملفقة وقد رفضها كثير من علماء اليهود أنفسهم وعلماء اللاهوت المسيحي، فيقول حنا حنا: «الحقيقة: إن قصة إستير ليست إلا أوهامًا وأحلامًا تخريفية وبعيدة كُلَّ البعد عن الحقيقة والواقع، ولكن؛ لنفرض أنها قصة حقيقية حدثت فعلا ـ كما يزعم مريدو هذه الأساطير ومُقدِّسوها ـ فيجب عندها أن تكون هذه القصة قد كُتبت بعد حدوثها بمئات السنين لعدة أسباب، أهمها: إن اسم إستير هي الصيغة اليونانية لاسم عشتار السورية آلهة الجنس، أي: أن اسم إستير عُرف بعد فتح الإسكندر لبابل وبلاد الشرق، ثم إن سفر إستير الأبوكريفي عندما يذكر أن هامان (٢) مقدوني وهو

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٥٧، وقال الشيخ الألباني ـ رحمه اللّه ـ: إسناد رجاله كلهم ثقات (إرواء الغليل ٥/ ٣٧٥).

(٢) إن هامان ليس فارسيًا ولا مقدونيا، ولكنه كما أخبر قرآننا الكريم الذي ﴿لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد﴾ (فصلت/ ٤٢) أن هامان كان وزيرًا لفرعون ـ موسى، قال تعالى: ﴿إنَّ فرعونَ وهامانَ وجنودهما كانوا خاطئين﴾ (القصص/ ٨) وفرعون ـ عليه من اللّه اللعائن المتتابعة إلى يوم الدين كان مصريًا وكذلك وزيره هامان الذي اقتبس كاتب قصة إستير اسمه واعتبره فارسيًا وهو تزييف متعمد من كاتب تلك القصة المزيفة.

فارسي كما أكد عليه قاموس الكتاب المقدس فهذا يعني إما أن كاتب هذه الصفحات أراد أن يكذب بما جاء به قبله، وإما أن كاتب بقية سفر إستير اختلطت عليه الأمور بين الفرس والمكدونيين، وهذا لم يحدث إلا بعد فتح الإسكندر المكدوني أي بعد سنة ٣٣٣ ق. م. [(١)].

والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بهذا السفر حيث يقول مؤسس ذلك المذهب (مارتن لوثر):

«إننى أشعر بالعداء نحو هذا السِّفر لدرجة أنني كنت أتمنى ألا يكون موجودًا فهذا السِّفر يصبغ كل شيء بالصبغة اليهودية، كما أنه يحمل في طيَّاته الكثير من القسوة الوثنية.

ويقول أيضًا عن نفس السِّفر: «على الرغم من أن اليهود يضعون هذا السِّفر بين الأسفار القانونية إلا أن ذلك السِّفر جدير - أكثر من كل كتب الأبوكريفا - (أي: الأسفار غير القانونية التي لا يعترف بها اليهود) - بأن يُستبعد من الأسفار القانونية» [(٢)].

وهكذا من خلال استعراضنا لقصة (إستير) وما قاله أهل الكتاب عن تلك القصة المزيفة يتضح مدى تمسك يهود المارانوس بأهداب تلك القصة كأسلوب من أساليب إخفاء شعائر دينهم اليهودي وهذا ما سنفصّله في الفقرة القادمة..

---

(١) هفوات التوراة لحنا حنا ص٩٠ (الناشر: دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع - سوريا/ دمشق الطبعة الأولى/ ٢٠٠٧م).

(٢) مقال على النت بعنوان: دراسة نقدية لسفر إستير.

أسلوب ممارسة المارانوس لشعائرهم اليهودية

لقد اتبع المارانوس سياسة التخفي لإقامة شعائر دينهم وقد اتخذوا من قصة (إستير) - كما أسلفنا - لهم قدوة وأسوة في ذلك فكانوا يحتفلون بأعيادهم المهمة كعيد الفصح وعيد الغفران في الخفاء، وكان الصوم من أهم الشعائر التي يمارسونها لسهولة إخفائه، كما أن صوم إستير كان أهم أعيادهم «حيث كانوا يتلون مزاميز داوود أو قصائد من نظمهم باللغة الشائعة بينهم.. وكان لديهم طقس يهدف إلى محو أثر التعميد المسيحي [1]. وذلك لأن المتنصرين من يهود المارانوس كانوا لا يؤمنون بعقيدة التثليث المسيحية، ولكنهم كانوا يؤمنون بمسيح (ماشيح) من سلالة النبي - داود - عليه السلام-، وليس المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - لأنه حسب اعتقادهم سوف يخلصهم من ذل تنصرهم القسرى، «إلا أنهم مع ذلك كانوا يستخدمون الصليب ويضعونه على صدورهم ظاهريًا؛ لذلك اعتادوا أن يصوموا، وقاموا بتأليف صلاة خاصة لطلب السماح والغفران من الرب إله إسرائيل. هذا وقد مارس المارانوس شعائرهم اليهودية بطرق سريَّة وخفية حتى لا يلفتوا أنظار المراقبين المسيحيين لهم، وفي الوقت نفسه يشعرون ببعض الأمان الداخلي في أداء شعائر دينهم الأصلي المحظور عليهم أداؤه في الظاهر»[2].

وقد كانت شعيرة الختان من أصعب الشعائر على يهود المارانوس حيث أن النصارى - كما ذكرنا آنفًا - لا يختتنون، والختان في الشريعة اليهودية يُعتبر من الفرائض المهمة للغاية، فقد ذُكرت هذه الشعيرة في أكثر من موضع في التوراة ومنها: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كل ذكر. فتُختنون في لحم غُرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمُبتاع بفضة من كل ابن

(١) موسوعة اليهود واليهودية (٣/ ٣٧١).

(٢) أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس للدكتورة هدى درويش ص ٦٣.

غريب ليس من نسلك. يُختن خِتانًا وليد بيتك والمُبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غُرلته فتُقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى» (سفر التكوين، الإصحاح/ ١٧: ١٠-١٤).

لذلك فقد كانت عملية الختان تسبب أرقًا ومشكلة كبرى لدى يهود المارانوس، وذلك لأن محاكم التحقيق كانت تتعرف على اليهودي عن طريق الختان، لذا فقد أفتى لهم أحد الحاخامات بجرح القلفة فقط دون استئصالها كاملة حتى لا تظهر عملية الختان كأسلوب من أساليب إخفاء تلك العملية، وبذلك حافظوا على أداء تلك الشعيرة عندهم..

ومن الشعائر التي واظب عليها يهود المارانوس لقدسيتها عند كل اليهود المحافظة على الاحتفال بيوم السبت التي تقول التوراة عنه:

«أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إليك، لا تصنع عملاً ما انت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك».. (سفر الخروج، الإصحاح ٢٠/٨:١٠) ولهذا يعتبر يوم السبت من الركائز الأساسية التي بُنيت عليها العقيدة اليهودية، ففي يوم السبت المبادئ الرئيسة للفكر اليهودي والذي يتجلى في العناصر التالية:

١- تذكرة لعملية الخلق. ٢- تذكرة للخروج من مصر. ٣ وحدة وقداسة الشعب الإسرائيلي.

ولذلك يتم في هذا اليوم تجهيز المائدة (أي: مائدة الطعام»، بالشموع المضيئة، والخبز الخاص بيوم السبت والخمر للتقديس عليه والأدوات ويجلس أفراد الأسرة والضيوف لوجبة السبت..»[1].

«وقد سببت المحافظة على شعائر السبت إشكالية كبيرة لدى المارانوس في

(١) عن موقع الدكتور فؤاد عبدالواحد/ يوم السبت. إعداد/ عمرو زكريا

أدائهم لتلك الشريعة المقدسة، حيث إن عدم إشعال الشموع يوم السبت يعد خطيئة في الشريعة اليهودية، لذا فقد اعتادت نساء اليهود من المتنصرين إيقاد الشموع وإخفاءها تحت الموائد، مع تغطية النوافذ بقماش أسود اللون حتى لا يراهم أحد، وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد اليهودية -حتى لا يتم كشف أمرهم، وعند حلول يوم السبت كان المتنصرون يرتدون ملابس نظيفة ويفتحون حوانيتهم، لكنهم كانوا يتهربون من البيع لأي أحد بخدع عديدة، وذلك لأن الشريعة اليهودية تُحرم البيع يوم السبت، وقد كشف أحد المفتشين الكنسيين المكلفين بتعقب أحوال المتنصرين اليهود في إشبيلية، بإسبانيا، ممارسة المتنصرين لشعائر يوم السبت، فيقول: «لو أردنا معرفة كيف يحافظ المتنصرون على وصايا السبت فلنذهب ونصعد إلى البرج، فسنجد أنه لا يوجد بيت من بيوت المتنصرين يتصاعد منه دخان، لأنهم لم يوقدوا نارًا بسبب وصايا السبت[1] وهكذا استطاع يهود المارانوس إخفاء بقية شعائر دينهم اليهودي من صلاة وزواج وحتى مراسم الدفن والعزاء، وكذلك الاحتفال بأعيادهم الرسمية عندهم كعيد الغفران (الكيبور) وعيد الفصح وغير ذلك من الاحتفالات التي كانوا يقيمونها في الخفاء خوفًا من اكتشاف أمرهم مما يُعرِّضهم للعقاب الشديد: «ومن الحكايات التي تعكس الممارسات السرية للمتنصرين اليهود ووسائلهم في التخفي للاحتفال بأعيادهم، وتؤكدها الشهادات التاريخية الخاصة باعترافات محاكم (التحقيق) المسيحية قصة أسرة يهودية تنصرت ظاهريًا بينما كانت تقيم شعائر اليهودية سرًا، حيث أردات هذه الأسرة أداء شعائر عيد الفصح اليهودي فتحكي القصة أن إحدى عائلات المتنصرين أرادات الاحتفال بشعائر عيد الفصح، حيث نزلت إلى مخزن مظلم متفرع من منزلهم لتأدية شعائر هذا العيد في خفية، بينما كان طفلهم الصغير برفقة بعض الخادمات المسيحيات- الذين كانوا لا يعلمون أن والديه من أصل يهودي- وفي المساء بدأ الطفل يبكي بشدة لمرضه، ولم تستطع الخادمات أن تفعل له شيئًا،

(١) عن موقع الدكتور فؤاد عبدالواحد/ يوم السبت. إعداد/ عمرو زكريا

فقاموا باستدعاء طبيب، لكنه لم يستطع مداواة الطفل، فانتابت الخادمات حالة من الخوف على الطفل من الموت، فقاموا باستدعاء الكاهن المسيحي لعلاجه، وعند وصوله اندهش الكاهن، تساءل: ترى أين ذهب والد الطفل؟ فبدأ يدلف من حجرة لأخرى، وهو يذكر بعض أدعية الصلاة، وحينما وصل إلى أقصى المنزل، أثار انتباهه صوت أشعار موسيقية هادئة، فأخذ يتحسس الجدران والحوائط حتى قادته يده للمدخل السري، وحينما رأي المتنصرون المجتمون الكاهن واقفًا على عتبة الباب السري، انتابهم الذعر خوفًا من العقاب، فقرروا قتله، حينئذ أخذ الكاهن يوجه إليهم بسمة ترحاب حيث أخبرهم أنه مثلهم يهودي متنصر، وأن الخادمات أفزعوه أثناء أدائه شعائر ليلة الفصح.. ويبدو أن القصة هي قصة حسيدية[(١)]، تنتمى للنوع الأدبي من القصص التي تعتمد على الإثارة، والتي تنتهي بنهاية سعيدة عندما يتضح أن العدو اللدود ما هو إلا أوفي الأوفياء، والهدف منها إيصال رسالة أخلاقية، باستخدام أحداث ووقائع محاكم التحقيق (التفتيش) كخلفية تنسج عليها القصة، والدرس الأخلاقي الذي تهدف إليه القصة هو:

(بالرغم من أن الاضطهاد قد يُرغم اليهودي على ترك عقيدته ظاهريًا إلا أن قوة ما داخل اليهودي تجعله يحافظ على إيمانه في قلبه)[(٢)].

هذا.. وقد استطاع العديد من المؤلفين والكُتّاب اليهود أن ينسجوا قصصًا وحكايات عن يهود المارانو (المتخفين)، حتى إن السينما الأمريكية في هوليود التي يتحكم فيها كثير من اليهود قد أنتجت العديد من الأفلام التي تحكي عن عائلات

---

(١) الحسديم: فرقة دينية يهودية وهم من اليهود الأرثوذكس المتشددين وهم ينقسمون إلى عدة مجموعات ويعيشون في أمريكا وفلسطين المحتلة وقد بدأت هجرتهم إلى فلسطين منذ القرن الثامن عشر الميلادي ولهم مستوطنات خاصة بهم، ككفر حسيديم، وهم يستمدون تعاليمهم من فرقة يهودية قديمة ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد (راجع: تاريخ الديانة اليهودية للدكتور محمد خليفة حسن أحمد).

(٢) أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس صـ٤٧ (مصدر سابق).

هؤلاء اليهود المتخفين الذي وصل منهم البعض إلى العديد من المناصب الهامة حتى إن أحدهم وصل إلى منصب حاكم لمقاطعة من الولايات الإسبانية وقد علم بجذوره اليهودية عندما اعتلى منصب الحاكم من والدته التي أهدته مفتاح بيت العائلة الذي كانوا يقطنون فيه قبل استيلاء الحكام الأسبان الكاثوليك على بلاد الأندلس الإسلامية ولكن بعد إقامة محاكم التحقيق (التفتيش) تخطى يهود المارانوس الحدود الأسبانية والبرتغالية التي كانت تقع تحت الحكم المسيحي الكاثوليكي والتي رفضت الهرطقات المسيحية الأخرى التي ظهرت في تلك الأونة وأهمها المذهب المسيحي البروتستانتي وهاجرت إلى البلاد الأوروبية المجاورة كهولندا وإنجلترا وألمانيا ومن هؤلاء من أعلن عن يهوديته صراحة عندما هاجر إلى تلك البلاد ومنهم من ظل على إخفاء يهوديته وذلك لنيل بعض المكاسب والمناصب في البلاد التي هاجروا إليها، وخاصة من هاجر إلى الأرض الجديدة التي اكتشفت آنذاك وهي أمريكا.. وحيث إن تلك البلاد التي هاجروا إليها كانت مهدًا لبدايات المذهب البروتستانتي الذي قام على إهدار حق الكنيسة الكاثوليكية في احتكار تفسير نصوص الكتاب المقدس- كما سنبين ذلك في الفصل القادم- مما فتح الباب أمام اليهود لاختراق هذا المذهب عن طريق تفسير النصوص الإنجيلية بما يتماشى وأهواء اليهود وبما يخدم مصالحهم وأهدافهم.

وقد تمكن كثير من اليهود المتخفين من اختراق هذا المذهب وأصبحت لهم فيه صولة وجولة ومن خلاله قام اليهود بالترويج لفكرة أن اليهود هم شعب الله المختار ومنذ ظهور ذلك المذهب نشأت معه فكرة تعظيم النصارى لليهود، وبدأ ظهور ما يسمى بالحركات الصهيونية -المسيحية- كما سنفصل ذلك تباعًا وقد كانت للأيادى الخفية اليهودية الأثر الأكبر في معتقدات وأفكار هذا المذهب البروتستانتي الذي تأثر كثيرًا باليهودية بحيث أصبح هناك شبه تحالف مقدس بين البروتستانتية واليهودية بصورة عامة، وخلقت علاقة أكثر خصوصية بين الصهيوينة المعاصرة بما تحمله من أفكار ومعتقدات يهودية وبين البروتستانتية

الأصولية والتي خرج من رحمها الإنجيليون الأصوليون الذين يدافعون ويؤيدون ويباركون الدولة التي اغتصبت الأرض من أهلها الحقيقيين فلسطين والتي تسمى إسرائيل ويمدونها بالمال والسلاح سواء من الأمريكان أو الأوربيين الإنجيليين.. وهذا ما سنشرحه في الفصل القادم والذي سنتكلم فيه عن اليهود المتخفين وأثرهم في الكنيسة البروتستانتية.

4

الفصل الرابع

اليهود المتخفون وأثرهم في الكنيسة البروتستانتية

وفيه:

- مدخل إلى الفصل الرابع
- المبحث الأول: التعريف بمعنى البروتستانت وبمؤسس ذلك المذهب
- المبحث الثاني: مارتن لوثر واليهودية
- المبحث الثالث: الصهيونية المسيحية
- المبحث الرابع: دور اليهود الخفي في نشر المذاهب والنظريات الإلحادية والفلسفية في المجتمعات الأوروبية

مدخل

يعتبر المذهب البروتستانتي من المذاهب المسيحية المستحدثة حيث خرج هذا المذهب من تحت عباءة الكنيسة الكاثوليكية الأم كمذهب إصلاحي وذلك في القرن السادس عشر الميلادي- حسب ما سنفصله تباعًا إلا أنه يُعدّ المذهب الثاني من حيث عدد أتباعه من بين المذاهب المسيحية قاطبة حيث يصل عدد الذين يعتنقون هذا المذهب على مستوي العالم حوالي ٧٠٠ مليون مسيحي وهو يفوق بكثير عدد أتباع المذهب الأرثوذكسي الذي يُعدُّ من المذاهب المسيحية التي ظهرت إبان القرون الأولى للميلاد.

ومنذ ظهور المذهب البروتستانتي في ألمانيا كمذهب إصلاح ديني على يد مارتن لوثر وهو يحاول إقصاء بل ومنافسة الكنيسة الكاثولكية في أوروبا قاطبة حيث انتشر هذا المذهب في تلك البقاع كانتشار النار في الهشيم، بل يعد هذا المذهب هو الغالب في الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك ازدادت أهمية هذا المذهب على المذهب العالمي للمسيحية ألا وهو الكاثوليكية..

ولكن كعادة المسيحية لأنهم ليسوا على كلمة سواء انقسم المذهب البروتستانتي إلى عدة تيارات وطوائف، فاتباع التيار اللوثري يضم حوالي خمسة وخمسين مليون شخص ومعظم اتباعه موجودون في ألمانيا وشمال أوروبا كالسويد والنرويج والدنمارك. ثم يليه من حيث القوة تيار (كالفن)[1]وهو المؤسس الثاني للإصلاح

---

(١) هو: جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤م) مصلح ديني ولاهوتي فرنسي، وهو مؤسس المذهب الكالفيني المنتشر في سويسرا وفرنسا، وكان من أشد أتباع مارتن لوثر، وكان أتباعه يؤمنون إيمانًا شديدًا بأن كل إنسان له عمل في الدنيا يقوده إلى مكانه في الآخرة.. من أهم أعماله (تأسيس الديانة المسيحية) (عن موقع ويكيبيديا).

الديني في أوروبا بعد لوثر وهو فرنسي وليس ألمانيا، وتعتبر مدينة جنيف بسويسرا العاصمة الأساسية للتيار الكالفيني، ويبلغ عدد أتباع هذا المذهب حوالي خمسين مليون شخص، وهم منتشرون في ألمانيا، وفرنسا، وسويسرا، وبلاد أخرى عديدة.

ثم انبثق أيضًا من المذهب البروتستانتي التيار الإنجيلي وهو واسع الانتشار في الولايات المتحدة الأمريكية -حسب ما سنفصله، ويقدر عدد أعضائه بمائتي مليون نسمة، ثم المذهب الإنجليكاني السائد في إنجلترا، ويبلغ عدد أعضائه سبعين مليون نسمة، ويقال إن هذا العدد مبالغ فيه، ومهما يكن من أمر فإن سبعمائه مليون نسمة من أتباع المذهب البروتستانتي ليس بالعدد القليل بالنسبة لعدد المسيحيين الكاثوليك الذي يبلغ تعدداهم حوالي المليار أو يزيد قليلاً، وخاصة إذا قارنا عدد البروتستانت بعدد الأرثوذكس وهو المذهب الثالث من المذاهب المسيحية المنتشرة حول العالم والذي يتواجد أتباعه في العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط وروسيا ورومانيا وصربيا وبلغاريا، ويبلغ عدد الأرثوذكس حول العالم الثلاثمائة مليون نسمة يزيد قليلاً، ويدخل فيهم طوائف: الأقباط الأرثوذكس بمصر، وطائفة الروم الأرثوذكس وهم أتابع الكنيسة الأرمنية، وطائفة السريان الأرثوذكس وهم أتباع الكنيسة السورية.

وعلى الرغم من أقدمية المذهب الأرثوذكسي على المذهب البروتستانتي إلا أن الأخير يفوق في عدد أتباعه المذهب الأرثوذكسي القديم، وهذا إن دل فإنما يدل على تهافت اعتقاد الديانة المسيحية جملة وتفصيلاً ويدل كذلك على مدى اختراق اليهود للكنيسة الأم وأن تداعيات هذا الاختراق قد ظهر بوضوح من خلال الانشقاقات والصدوع التي حدثت في الكنيسة بفعل اليهود وأياديهم الخفية بل إن هذه الانشقاقات قد حدثت في المذاهب المسيحية والتي قسمتها إلى مذاهب وطوائف وتيارات عديدة وهذا ما حدث في المذهب الذي أسسه مارتن لوثر تحت دعوة الإصلاح الديني والذي يسمي بالبروتستانت وقبل أن نتطرق للتعريف بمارتن لوثر المؤسس نُلقي الضوء في المبحث القادم عن التعريف بمعني البروتستانتية.

المبحث الأول

التعريف بمعنى البروتستانت وبمؤسس ذلك المذهب

تعني كلمة بروتستانت: الاحتجاج أو الاعتراض، وذلك بسبب احتجاج مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي وأتباعه كما سيأتي- على الكنيسة الأم الكاثوليكية بروما وعلى البابا نفسه، وخاصة فيما كان يسمي بصكوك الغفران، وكذلك اعتراضهم على كل أمر يخالف الكتاب المقدس عندهم (الإنجيل)، واعتراضهم على تعاليم البابوات التي تخالف الإنجيل.

يقول القس الإنجيلي الدكتور حنا جرجس الخضري: «بينما كان لوثر يعمل جاهدًا ليل نهار لبناء وتقدم الكنيسة في ألمانيا، كان أعداء هذه الحركة لا يألون جهدًا لإيقافها وشل حركتها والقضاء عليها.. ففي كل اجتماع تقريبًا، لمجلس الأمة (الدايت) كان ملوك وأمراء وحكام المقاطعات الكاثوليكية يطالبون بمطاردة ومحاكمة لوثر وأتباعه، وعندما اجتمع (الدايت) في مارس (آذار) عام ١٥٢٩م تقدم الملوك والأمراء بنفس المطالب التي اعتادوا المطالبة بها لكنهم- في هذا الاجتماع- طالبوا بمطالب أخرى منها:

١- إلغاء قرارات مجلس الأمة التي صدرت عام ١٥٢٦م التي كانت تمنح كل أمير الحرية الكاملة في حكم ولايته بالطريقة التي يراها.

٢- منع تقدم الإصلاح (اللوثري) في المناطق الكاثوليكية وذلك بمنع التبشير في تلك المناطق، ومنع إقامة كنائس لوثرية في أي مكان فيه كنيسة كاثوليكية.

٣- منع الحرية للكاثوليك للعبادة سواء في المناطق الكاثوليكية أو في المناطق التي شملها الإصلاح، وهذا يعني أن الأمراء الكاثوليك كانوا يطالبون بإلغاء حرية العبادة وحرية اختيار المذهب، ومحاولة القضاء على الإصلاح كلية (أي: محاولة القضاء على الحركة اللوثرية في ألمانيا).

وإزاء هذا الظلم الصارخ اجتمع أمراء الشمال مع أمراء ١٤ مدينة من الجنوب وأعلنوا احتجاجهم ضد هذا القرار الذي اتخذته الأغلبية في مجلس الأمة قائلين (نحن نحتج): «Weprotest» نحتج أمام الله الفاحص للقلوب والقاضي العادل، نحتج أمام الناس وكل الخلائق لأنه لا يمكن أن نقبل أمرًا كهذا مخالفًا لله ولكلمته المقدسة، نحن نحتج ضد الظلم، وكلمة يحتج (Protest) (بروتست) اشتق منها الاصطلاح: بروتستانت (Protestant) أي: الذين يحتجون ضد الظلم والطغيان.. فمن هذا التاريخ وفي (سبيرس أو سبير وهي مقاطعة في ألمانيا) دُعيَ اللوثريون: بروتستانت»(١).

إذن فالبروتستانتية حركة احتجاجية أو اعتراضية خرجت من رحم الكنيسة الكاثوليكية الأم، وذلك للاحتجاج على تصرفات رجال الكنيسة ثم اتسعت رقعة الاحتجاجات حتى طالت تلك الاعتراضات بعض عقائد الكنيسة -كما سيأتي- وقد كان بدء تلك الطائفة ونشأتها في إحدى مقاطعات ألمانيا، وتحديدًا في مقاطعة (سبيرس) ثم انتقلت كالنار في الهشيم لبقية الدول الأوروبية، بل وصلت إلى القارة الأمريكية التي تعتبر أكبر محضن لتلك الطائفة على مستوى العالم، ومن ثمَّ انتقل هذا المذهب لبقية قارات العالم بحيث أصبح من المذاهب المسيحية الأساسية، وذلك بعد أن أصبح تحول الإصلاح الديني الذي قاده مارتن لوثر في ألمانيا من خلاف صغير أو اعتراض واحتجاج على صور صكوك الغفران التي كان يبيعها رجال الدين الكاثوليك لأتباعهم بأجور رمزية ثم تحولت تلك الأجور إلى أموال طائلة داخل الكنائس الكاثوليكية التي كان يستفيد منها رجال الكنيسة فقط حيث بلغ ثراء تلك الطائفة من القساوسة والرهبان مداه في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، فتحوَّل هذا الخلاف بين الإصلاحيين من خلاف حول صكوك الغفران إلى تحد كبير للسلطة البابوية على العالم المسيحي، فكانت ثورة حقيقية على أوضاع الكنيسة ومحاكمة علنية للبابا وتصرفاته

(١) بتصرف من: المصلح.. مارتن لوثر .. حياته وتعاليمه.. بحث تاريخي عقائدي لاهوتي بقلم الدكتور القس/ حنا جرجس الخضري (الناشر: دار الثقافة).

الطائشة ولرجاله الذين انغمسوا في الملذات والشهوات مما قوض سلطة البابا ورجال الكنيسة في نظر الأتباع وذلك مما شاهدوه وعاينوه من ازدياد نفوذ رجال الكنيسة وفسادهم الذي أصبح يزكم الأنوف، مما جعل هؤلاء العامة يلتفّون حول رجال الإصلاح ويؤيدون مطالبهم للانفصال عن الكنيسة الأم في روما، فكانت ألمانيا مهد حركة الإصلاح ومنها خرجت حركة الاحتجاج، والاعتراض ضد الكنيسة، وكانت الشكاوي ضد رجال الدين الألمان موجهة أساسًا إلى البطاركة بسبب ثرائهم وانغماسهم في النعيم الدنيوي، فقد كان على بعض الأساقفة والرهبان أن يهيمنوا على اقتصاد مساحات كبيرة وصلت إلى حوزة الكنيسة وإدارتها وكانوا سادة إقطاعيين متوجين أو مكللين، غير أنهم لم يكونوا دائمًا متسامحين، وكان رجال الدين هؤلاء يتصرفون مثل أناس تعلقت قلوبهم بالدنيا لا كرجال نذروا أنفسهم لعبادة الله، ويزعم الرواة أن كثيرًا منهم كانوا يذهبون في مركباتهم لصحبة خطاياهم (من النساء) إلى مجالس (الدايت) الإقليمية أو الاتحادية، وقد لخص جوهانس جانس وهو بطريرك كاثوليكي ألماني ومؤرخ مساوئ الكنيسة الألمانية قبيل عهد الإصلاح الديني اللوثري فقال:

إن التناقض بين الهيام بالتقوى والجشع الدنيوي، بين الزهد والورع والتماس النفع الذي يتنافي مع الدين، يبدو بوضوح بين صفوف رجال الدين، كما يبدو بين طوائف المجتمع الأخرى، وفضلاً عن هذا فإن الوعظ والرعايا للأرواح كان يلقيان إهمالاً تامًا من كثيرين من القسس ورجال الدين، واستشرى الشُّح والخطيئة الفادحة بين رجال الدين من جميع الرتب والطوائف في غمرة تلهفهم على زيادة الموارد الدينية والدخول والضرائب والأجور العائدة إلى أقصى حد، وكانت الكنيسة الألمانية أغنى الكنائس في العالم المسيحي، ويقدر البعض أن ما يقرب من ثلث الأراضي في البلاد كان بين أيدي الكنيسة ورجالها، وأدي هذا إلى أمر يستحق اللوم بين السلطات الدينية».(١)

ومع استشراء وازدياد نفوذ رجال الكنيسة وفساد ذممهم وتسلطهم على

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (٢٣/ ٢٧٩).

رعاياهم مما أدى إلى خروج العديد من أتباع تلك الكنيسة على تعاليمها وقرارات رجالاتها المنغمسين في الفساد إلى حد أن كتب أحد هؤلا الاتباع: «إن روحًا ثائرة من الكراهية للكنيسة ورجال الدين قد تفشت بين الجماهير في مختلف أرجاء ألمانيا.. إن صيحة الموت للقساوسة (التي كانت طالما ترددت في السر همسًا أصبحت الآن كلمة السر التي تردد كل يوم. وقد صدرت كتيبات عنيفة اللهجة حافلة بالهجوم على الكنيسة، وكان رفيقًا بالكنيسة الألمانية بقدر ما كان عنيفًا على الكرسي الأسقفي الروماني.. وانضم بعض الرهبان الألمان والقساوسة إلى حملة الهجوم على الكنيسة الأم في روما، وأثاروا كنائسهم ضد الترف الذي يعيش فيه كبار رجال الدين..»(١).

ومع ظهور فساد رجال الدين والقساوسة في ذاك الوقت ظهر أيضًا ما يُسمى (بصكوك الغفران) التي اخترعها بعض رجال الدين لتوزيعها على رعايا الكنيسة بمبالغ طائلة مما زاد من فساد رجال الدين من القساوسة والرهبان، وقد أصدر البابا ليو العاشر في اليوم الخامس عشر من مارس عام ١٥١٧م أشهر صكوك الغفران»، وكان هذا (الليو) «ابن مصرفي اعتاد أن يبادر إلى إنفاق المال، وبخاصة على الآخرين»(٢).

ومن المعروف أن أصحاب المصارف في ذاك الوقت كانوا يهودًا.

وكان نص صك الغفران يقول: «ألا فليرحمك.. يسوع المسيح ويغفر لك بفضل ما لقى آلاما مقدسة وأنا بتفويض منه ومن رسولية المباركين بطرس وبولس، ومن البابا المقدس منح لي وعهد به إليَّ في هذه الأجزاء أن أُحلّك أولاً من كل لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثم من كل خطاياك، ومن كل تجاوز للحدود، وكل إفراط في الملذات مهما بلغت من الجسامة، بل حتى من أي إثم تحتفظ بتقريره وإداركه السدَّة البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيك من كل عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام، وأعيدك إلى

(١) المصدر السابق (٢٣/ ٢٨٣).

(٢) بتصرف من قصة الحضارة (٢٤/ ٤).

القربان المقدس للكنيسة وإلى البراءة والطهر اللذين حزتهما في العماد، ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب وتفتح لك أبواب جنة النعيم، وإذا لم تمت الآن فإن هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الأب والابن والروح القدس»[1]. وهكذا بلغ استخفاف الكنيسة ورجالها بعقول أتباعها من البلهاء الذين صدَّقوا مثل هذه السخافات ممن أسرعوا لشراء تلك الصكوك معتقدين بتغفيلهم أن واضعي تلك الصكوك صادقين في دعواهم، فكانت صفقة رائعة بالنسبة لرجال الكنيسة لأتباعهم من الرعاع والدهماء الذين صدقوا هذا الهراء، في حين أن ما يسمي بصكوك الغفران لم يؤمن به بعض القساوسة فها هو راهب فرنسيسكاني يكتب تقريرًا عن ما سمِّي بصكوك الغفران والراهب الذي كتب هذه الصكوك قال فيه: «إن ما قاله هذا الراهب الجاهل وبشَّر به أمر لا يُصدق، لقد أعطي خطابات مختومة ضمَّنها أن الخطايا التي يعتزم المرء أن يرتكبها سوف تغفر له، وقال إنه يملك سلطانًا يفوق سلطان الرسل والملائكة والقديسين، بل يفوق سلطان العذراء مريم نفسها، لأن هؤلاء جميعًا كانوا أتباعًا للمسيح، أما البابا فإنه ند للمسيح»[2].

في ظل تلك الأمواج المتلاطمة من الفساد والانحلال الخلقي والتجرؤ على الله -عز وجل- من قِبَل كثير من رجال الدين الفاسدين والمنحرفين ظهرت بقوة آراء تعارض تلك الخرافات والخزعبلات وكان ممن عارض تلك الانحرافات والمتمثلة في ما يُسمى بصكوك الغفران التي أثرت كثيرًا في نفسية العديد من أتباع الكنيسة ممن عاشوا وتعلموا في كنف تعاليم تلك الكنيسة مارتن لوثر الذي أثرت فيه تلك الصور كثيرًا. فكان من المتحمسين لتغيير ذلك الوضع الشاذ والفاسد فأحسَّن بالغبن فقرر الثورة على الكنيسة وقرر رفع راية العصيان ضد الكنيسة الأم وتقويض سلطة البابا، فكانت دعوته لما يسمى بالإصلاح الكنسي أو الإصلاح الديني حسب ما يحلو لبعض أتباع هذا المذهب أن يطلقوه على أنفسهم فمن هو مارتن لوثر؟؟.

---

(١) المصدر السابق (٢٤/ ٥).

(٢) المصدر السابق (٢٤/ ٦).

❖ مارتن لوثر.. مؤسس المذهب البروتستانتي:

هو: مارتن هانز لوثر أو مارتن (يوحنا) لوثر[1]، وُلِد في مدينة (إيسليبن Eisleben) بمقاطعة ساكس الألمانية لعائلة ريفية متواضعة في العاشر من شهر نوفمبر عام ١٤٨٣م، «وكان أبواه يؤمنان بالعصا كوسيلة سحرية لتقويم الأخلاق ويقول مارتن إن أباه ثابر على ضربه يومًا حتى إنهما ظلا زمنا طويلاً يناصب كل منهما الآخر العداء، وفي مناسبة أخري جلدته أمه حتى سال دمه لأنه سرق جوزة، وقال مارتن مفكرًا فيما بعد: (إن الحياة الخشنة القاسية التي عشتها معهما هي التي دفعتني إلى أن ألجأ فيما بعد إلى الدير وأصبح راهبًا).[2] وبالطبع لم يكن سبب معاملة والدية القاسية له -حسب تعبيره- هو المحرك الأساسي لرهبنة مارتن، ولكن بعد أن كبر سنه والتحق بجامعة (أرفورت) لدراسة القانون عام ١٥٠٥م -حسب رغبة والده- الذي أصبح ميسور الحال حدثت لمارتن بعض الحوادث التي جعلته يفكر جديًا في هذا الأمر، ويعيد حساباته في مسألة الرهبنة، ومن تلك الحوادث أنه عندما كان في الجامعة مات زميل له بشكل مفاجئ، وعلى الرغم من أنه لم يكن مقربًا منه جدًا، إلا أنه تأثر كثيرًا بالحادث وأدرك مدى عجز الإنسان أمام النهاية الحتمية.

ومن هذه الحادثة بدأ يفكر في أن الإيمان بالله أو الحق المطلق هو وحده العاصم من رعب الفناء العدمي وبدأ يفكر جديًا في مسأة الموت وما بعد الموت..

أما الحادثة الثانية فكانت بمثابة الحد الفاصل والقرار القاطع والعهد الذي أخذه على نفسه بالرهبنة، وتتمثل هذه الحادثة أنه في أثناء عودته من المدينة التي كان يدرس بجامعتها وهي (أرفورت) إلى بلدته التي كان يعيش فيها مع أسرته وهي (مانسفيلد) حدثت أن قامت عاصفة هوجاء كادت أن تُودي بحياته وسقطت شجرة أمام قدميه، وفي هذه اللحظة عينها رأى أن حياته بلا قيمة وفي نفس الوقت رأي أنه معرض للموت فصرخ مدفوعًا بهذا التأثير الوقتي قائلاً (يا

(١) المصلح مارتن لوثر للقس الدكتور حنا جرجس الخضرى (مصدر سابق).
(٢) قصة الحضارة لول ديورانت (٢٤/ ١٠).

قديسة َحنَّة[١] إذا أنقذتني سأكون راهبًا بقية حياتي)، ويقول مارتن لوثر في كتاب كتبه سنة ١٥٢١م، وقد أهداه إلى أبِّيه ليبرر له الدافع وراء الرهبنة «أتذكر.. أني قلت لك أن دعوة مخيفة من السماء قد وُجهت إليَّ، فلم أصر راهبًا رغبة مني أو مسرَّة في الرهبنة، بل دُفعت إليها بطريقة لا تقاوم للنطق بهذا النذر» ولذلك يقول أتباع لوثر: إن هذا النص لا يوضح الأسباب الحقيقية التي من أجلها دخل لوثر الدير (لقد كان مدفوعًا بطريقة لا تقاوم)[٢].

ومن هذه اللحظة اختار مارتن حياة الرهبنة وقال عن نفسه: «كنت راهبًا ورعًا أرعى أحكام الطائفة التي أنتمي إليها بشدة. وفي مايو عام ١٥٠٧م رسم قسّاً.. ثم ارتقى بسرعة في المناصب الكهنوتية والتعليمية حيث نُصِّب نائبًا للأسقف في طائفته، وألقى محاضرات في الكتاب المقدس، وقام بالوعظ بانتظام في كنيسة الأبرشية، ويقول عالم كاثوليكي عن مارتن لوثر: (إن خطاباته الرسمية تنم على اهتمام شديد بالذين ساورتهم الشكوك وتفيض بعطف رقيق على العاصي أو الآثام وتفضح عن لمسات عميقة من الشعور الديني والرأي العملي النادر وإن كانت لم تخل من تشويه نصائح لها اتجاهات مخالفة للعقيدة).. وخلال هذه السنوات (١٥١٢-١٥١٧م) تحولت آراؤه الدينية ببطء عن المذاهب الرسمية للكنيسة، وبدأ يتحدث عن (لاهوتنا) وفي عام ١٥١٥م عزا ما أصاب العالم من فساد إلى رجال الكهنوت الذين قالوا للناس كثيرًا جدًّا من أمثال وحكايات خرافية من إبداع البشر وليست من الكتب المنزلة، ثم بدأ بتوجيه اللوم إلى المبشرين بصكوك الغفران لاستغلالهم سذاجة الفقراء[٣].

ثم عُيِّن لوثر أستاذًا لتدريس الكتب المقدسة ودعاه دوق ساكسونيا عام ١٥١٧ إلى الوعظ في مدينة (درسون) الألمانية، فأثبت بالدليل أن مجرد قبول فضائل المسيح يحقق الخلاص -حسب اعتقاد مارتن لوثر- ومنذ عام ١٥١٧، ١٥١٩م بدأ

(١) هي: جدة المسيح عيسى ابن مريم وأم السيدة مريم العذراء.
(٢) المصلح مارتن لوثر للقس حنا جرجس (مصدر سابق).
(٣) قصة الحضارة لول ديورانت (٢٤/ ١٥).

«تحدي الراهب المشهور العالم -المسيحي- وإلى مناظرته في الرسائل الخمس والتسعين التي علّقها في كنيسة فيتبرج»[1] والتي أعلن من خلال تلك الرسائل عصيانة العلني للكنيسة الكاثوليكية، وأرسل له بابا روما تهديدًا بالحرمان والطرد من الكنيسة الكاثوليكية، فما كان من مارتن إلا أن جمع كتب القانون الكنسي الصادرة من البابوات والكهنة الكاثوليك وضم إلى تلك الكتب تهديدات البابا له بالحرمان وقال: «بما أنك أحزنت الروح القدس (يقصد يسوع المسيح) لتلتهمك النار» ثم أشعل النار في تلك الكتب وقرارات التهديد، وبهذا أعلن لوثر خروجه واستقلاله عن الكنيسة الكاثوليكية التي لم تقبل الإصلاح الداخلي الذي حاول مارتن لوثر القيام به، وردًا على هذا الفعل أصدر البابا ليون العاشر في يوم الثالث من يناير عام ١٥٢١م حرمانًا ضد لوثر وأتباعه، وبذلك قصد أن يعلن أن لوثر اعتبر هرطوقًا ومرفوضًا من الكنيسة الأم في روما[2] واعتبرته الكنيسة الكاثوليكية ملحدًا وخارجًا عليها فحرَّمت مؤلفاته وقامت باستعداء الحكام والأمراء عليه، فما كان من مارتن لوثر إلا أن أشاع روح القومية الألمانية بين صفوف الشعب الألماني ضد هيمنة الكنيسة الإيطالية في روما، فانحاز إليه عدد من الأمراء والنبلاء الألمان وأيدوا فلسفته ودعوته وأحاطوه بالتأييد والحماية وبذلك انتشرت الدعوة اللوثرية في ألمانيا كانتشار النار في الهشيم ثم انتقلت إلى بقية البلدان الأوروبية المجاورة ومن ثم إلى القارة الأوروبية كلها ثم تنتقل تلك الدعوة إلى بقية قارات العالم، وهذا إن دل فإنما يدل على مدي تهافت الأسس التي قامت عليها المسيحية منذ دعوة بولس الذي دق أول مسمار في نعش المسيحية وكان مارتن لوثر هو آخر مسمار في ذلك النعش، حيث أصبحت المسيحية شذر- مذر، وزاد انشقاقها وتشرذمها وتشتت عقائدها وذلك بعد ولوج اليهود إلى المسيحية بشكل سافر وواضح ومن خلال دعوة مارتن لوثر وتعاليمه- كما سنبين.

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت (٢٤/ ١٦).

(٢) المصلح مارتن لوثر للقس الدكتور حنا جرجس الخضرى.

• اعتقادات وتعاليم مارتن لوثر والكنيسة البروتستانتية

ذكرنا آنفًا أن مارتن لوثر كان راهبًا في الكنيسة الكاثوليكية قبل ثورته وخروجه عليها، وكان يؤمن بعقائدها وتعاليمها لذا فهو يؤمن بعقيدة التثليث وعقيدة الفداء التي تؤمن بها الكنائس المسيحية الأخرى، وقد ضمَّن مارتن لوثر تعاليمه ومعتقداته في كتابين كتبهما عام ١٥٢٠م، وضمنهما خلاصة عقيدته وتعاليمه مع بقية رسائله التي كان يرسلها لأتباعه، وهذه الكتب- حسب قوله- تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

«النوع الأول: كتب عالج فيها مواضيع خاصة بالإيمان المسيحي والأخلاقيات ولقد قبلها الكثير لا من الأصدقاء فحسب بل حتى من الذين اختلفوا معه في الرأي، وعندما قيل له أن ينكر مثل هذه الكتب قال: «كيف يمكنني أن أنكر كتبًا اعترف بفائدتها العدو والصديق؟.

أما النوع الثاني فقال عنها: «هي الكتب التي هاجمت فيها البابوية والبابويين الذين أفسدوا المسيحية وأن الكثيرين شهود لذلك بل ضحية لهم، فإن تراجعت عن هذه الكتب فإني أشجع الظلم والطغيان.. فكيف يمكنني أن أتراجع عن ذلك.

أما النوع الثالث من الكتب فقال أيضًا عنها: «كتب احتوت على نقد شديد ضد الأشخاص الذين اشتركوا في أعمال الظلم والعدوان وأنا اعترف بأني كنت شديدًا في أسلوبي قاسيًا في نقدي، فأرجو المعذرة وأعتقد أني كنت أدافع عن عقيدة هامة، وعندما أدافع عن العقيدة فإنني لا أدافع عن نفسي بل عن حق إلهي»[(١)].

غير أن ناقل هذا الكلام عن مارتن لوثر هو مسيحي بروتستانتي متأثر بتعاليم لوثر ومعتقداته لذلك لم يذكر تأثر مارتن لوثر باليهودية -كما سنذكر ذلك في

(١) المصلح: مارتن لوثر للقس الدكتور حنا جرجس الخضري.

بحث مستقل- إلا أن أهم تعاليم مارتن لوثر التي خالف فيها تعاليم ومعتقدات الكنيسة الكاثوليكية تمثلت -حسب رأيه- في أن خلاص البشرية مرتهن برحمة الله- عز وجل- وليس بالسلوك الأخلاقي ولا بالأعمال الصالحة للإنسان، وبتعبير آخر: إن رحمة الله تعالى هي التي ستخلص الإنسان من أوزاره وخطاياه، وكذلك الفداء بدم المسيح، وعندما يتحرر الإنسان من أوزاره وخطاياه سيصبح مخلوقًا جديدًا، قادرًا وراغبا في عبادة الله وخدمة إخوانه حسب المفهوم اللوثري- وتتخلص أهم تعاليم وأفكار لوثر في التالي:

١- الثورة على الهيمنة البابوية والمجالس الدينية والمراتب الكهنوتية والمساواة بين طبقة اللاهوت المسيحي (الإكليروس) وبين المسيحيين العاديين.

٢- الدعوة إلى حق الفرد المسيحي في قراءة وتفسير الإنجيل دون الرجوع إلى رجال الكهنوت المسيحي وهو الأمر الذي شجع كثيرا من اليهود للولوج إلى خوض غمار تفسير العهد القديم والعهد الجديد ووضع ما يمكن وضعه من مفاهيم وتعاليم يهودية داخل المعتقدات المسيحية.

٣- الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، حيث إن الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) هو دستور الإيمان وعليه تقاس قرارات المجامع السابقة، وأوامر الكنيسة فيقول مارتن في ذلك:

«يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر[(١)]. ولذلك تم ولأول مرة طبع نسخة من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في العهد اللوثري والكنيسة البروتستانتية لا تطبع الإنجيل بمفرده، بل تقوم بطباعة التوراة (العهد القديم) مع الإنجيل (العهد الجديد) في كتاب واحد، وهذا الأمر لاقي معارضة شديدة من قِبَل بعض الكنائس الأخرى.

٤- رفضت الكنيسة البروتستانتية بعض الأسفار التي أسمتها (أبوكريفا أي: الأسفار غير القانونية) واكتفت بستة وستين سفرًا وهي الأسفار القانونية التي شملها الكتاب المقدس عندهم.

---

(١) راجع قصة الحضارة (٢٤/ ٥٨، لاهوت لوثر) وكذلك: المصلح مارتن لوثر للقس الدكتور حنا جرجس.

٥- لا تؤمن الكنائس البروتستانتية بعصمة البابا أو رجال الدين وهاجمت بيع صكوك الغفران، حيث ترى أن الخلاص البشري والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله وكرمه لا بالأعمال الصالحة، وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكرازة والتبشير بالإنجيل.

٦- إن القديسين لقب يمكن أن يوصف به كل إنسان نصراني حيث إن القداسة في فهمهم ليست في ذات الشخص ولكنها مقام يصل إليه.

٧- تأثر لوثر بمفهوم القس أوغسطين الذي كان يتبع كنيسته وبآرائه عن القدر والرحمة، يقول ول ديورانت: «وهذه الآراء كانت لها تقريبًا جميع العناصر الوثنية التي شابت المسيحية عندما اتخذت البروتستانتية شكلها المرسوم وانتصرت الهيبة اليهودية».(١)

٨- كان مفهوم الله عند لوثر يهوديًا، وكان في وسعه أن يتكلم بفصاحة عن رحمة الله وعفوه إلا أن صورة الله باعتباره منتقمًا ثم بصورة المسيح باعتباره القاضي الأخير أكثر استقرارًا في نفسه».(٢)

٩- رفض التسليم بالتعريف الكهنوتي للكنيسة بأنها هي الأسقفية، وعرَّفها بأنها: جماعة المؤمنين بالله وبآلام المسيح تكفيرًا عن ذنوب البشر، وترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت، حيث إن جميع المؤمنين بها كهنة أو سواسية، ليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله -عز وجل- والإنسان سوى شخص المسيح، لأنه حسب اعتقادهم.. هو رئيس الكهنة.. والكهنوت عندهم درجتان فقط هما: القساوسة، والشمامسة، والراعي هو الأسقف.

١٠- وقد منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، كما تفعل الكاثوليكية والأرثوذكس، معتقدين أن ذلك منهي عنه في التوراة(٣).

---

(١) قصة الحضارة (٢٤/ ٥٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع: قصة الحضارة (٢٤/ ٦٠) وموقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، التعريف بالبروتستانت.

وكما ذكرنا آنفًا فإن تعاليم الكنائس البروتستانتية لا تختلف كثيرًا عن باقي الكنائس النصرانية من حيث إيمانهم بعقيدة التثليث أو تقديس الصليب وعقيدة الصلب أو عقيدة الفداء التي اخترعها بولس، ومع أن البروتستانت قرروا حرية البحث والنظر في الأمور الاعتقادية، إلا أنهم حرموها فيما بعد كالكاثوليك والأرثوذكس، بل أصبحت حرية الفكر عندهم قاصرة فقط على نقد رجال الكنائس الأخرى بل إنهم استطاعوا تهويد العديد من تلك الكنائس وتسريب الأفكار الصهيونية، وكذلك إنشاء أحزاب وقنوات فضائية تتبناها وتدعو إليها من خلال ما يُعرف حاليًا بالصهيونية المسيحية، وما كان لليهود أن يتم لهم ذلك إلا من خلال تأثر لوثر نفسه باليهودية.

المبحث الثاني

مارتن لوثر واليهودية

قبل أن نخوض في مدى تأثر مارتن لوثر باليهودية نعرض لبعض كتابات من ينتسبون إلى مذاهب مسيحية أخرى غير البروتستانتية والتي تذكر أن مارتن لوثر نفسه كان يهوديًا.

فقد ذكر الباحث المسيحي سليم فرنجيه في كتابه (اليهودية.. نشيد التيه) الذي صدر مؤخرًا عن دار (التكوين) بدمشق والذي يقع في مائة وثمانين صفحة من الحجم المتوسط أن مارتن لوثر كان يهوديًا فقال: «في عام ١٥٢٣م قام اليهودي الألماني مارتن لوثر بحركة تمرد ضد الكنيسة الكاثوليكية واخترع مذهبًا جديدًا هو البروتستانتية، وفي ٨ نيسان (إبريل) عام ١٥٤٦م عقد في مدينة (ترينت) في إيطاليا ما عُرِفَ بـ (مجمع ترينت) وأعلن هذا المجمع عن ضم التوراة إلى الإنجيل في كتاب واحد واعتباره منذ ذلك التاريخ بـ (الكتاب المقدس) وبعد ذلك الإعلان الذي (استنكره المؤلف سليم فرنجيه) صار المسيحيون يعترفون، ويعتنقون التوراة، ولو ظل المسيحيون مسيحيين (بدون التوراة)، لما أصبح الغرب على ما هو عليه الآن نصيرًا لليهود الأشرار- الصهاينة».[1]

إلا أننا ننكر على الباحث المسيحي سليم فرنجيه قوله بإن مارتن لوثر كان يهوديًا، فهذا القول لم يقله أحد من المؤرخين أو الكُتّاب المسيحيين أو حتى اليهود، فلو أنه كان يهوديًا- كما ذكر هذا الباحث، لطار اليهود فرحًا ولأعلنوا ذلك في كتاباتهم.. إلا أننا لا ننكر أن مارتن لوثر قد فتح الباب على مصراعيه لولوج اليهود من باب الكنيسة البروتستانتية بكثافة وبغزارة حتى تم لليهود ما خططوا إليه تمامًا الا وهو هدم الديانة المسيحية على رؤوس أصحابها، يقول أحد

(١) عن كتاب: اليهودية.. نشيد التيه لسليم فرنجيه صـ٥٥(الناشر: دار التكوين- دمشق).

الباحثين: «لقد كان القس الألماني (مارتن لوثر) مدفوعًا بقوة من اليهود بالثورة على الكنيسة الكاثوليكية المسيطرة على غرب أوروبا، وكانت الشعارات المرفوعة هي شعارات الإصلاح، وقام يناصره عامة القساوسة اليهود الذين سيطروا على أكثر من مكان حساس في الكنائس الأوروبية، وأظهر (مارتن لوثر) حبه الجارف لليهود، فألف كتابًا سنة ١٥٢٣م جعل عنوانه: (المسيح وُلِدَ يهوديًا)!! ومع أن مارتن لوثر نفسه لم يكن من أصول يهودية إلا أنه كتب كلامًا أكثر تعاطفًا مع اليهود من اليهود أنفسهم!! فقد قال على سبيل المثال: (إن الروح القدس، شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا نحن النصارى أن نرضى بأن نكون كالكلاب- كذا- التي تأكل من فتات مائدة أسيادها)، وبهذه الكلمات وأمثالها أثَّر مارتن لوثر في مشاعر الأوروبيين تأثيرًا عظيمًا، ظل مستمرًا عدة قرون، بل وإلى زماننا الآن، غير أن أثر مارتن لوثر لم يقف عند حد تعظيم قدر اليهود وتقديسهم، بل إن الأمر فاق ذلك عندما تدخل معه القساوسة اليهود ليزرعوا أفكارًا أخرى جديدة تؤيد أكثر وأكثر من مواقف اليهود، ولعل من أهم هذه الأفكار فكرتين كانتا لهما الأثر المباشر في سياسة الأوروبيين بعد ذلك وخاصة البروتستانت..

أما الفكرة الأولي: فهي أن العهد الجديد من الإنجيل قد تعرَّض لتحريف شديد « «وهذا صحيح»، ولذلك يجب نبذه والاعتماد فقط على العهد القديم الذي لم يُحرَّف «وهذ غير صحيح فقد حُرِّف هو الآخر تحريفًا كبيرًا» والعهد القديم هو التوراة، وبذلك أصبح الكتاب المقدَّس عند البروتستانت «النصاري الجدد» هو التوراة اليهودية» (١).

أما الفكرة الثانية: فقد زرعوها زرعًا في الديانة الجديدة، وهي أنه لكي يعود

(١) هذا الكلام غير دقيق، فالبروتستانت يعتبرون الإنجيل كتابهم المقدس غير أنهم رفضوا بعض الأسفار التي اعتبروها غير قانونية - كما ذكرنا آنفاً -، هذا إلى جانب أنهم فتحوا باب كنيستهم البروتستانتية على مصراعيه لليهود للولوج فيه كيفما شاءوا حتى انتهى بهم الحال إلى ما يسمى بالمسيحية - الصهيونية التي ستتكلم عنها في مبحث خاص من هذا الكتاب..

المسيح إلى الدنيا لابد من إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبغير هذا الوطن لن يعود المسيح، وبذلك أصبح لزامًا على النصاري المحبين للمسيح أن يساعدوا اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، بل وأصبح ذلك جزءًا من العقيدة لا يمكن التنازل عنه، وأكثر من ذلك أن اليهود أخذوا عن البروتستانت قدسية خاصة، جعلتهم يغضون الطرف تمامًا عن أي خطأ لهم أو مخالفة..

وفي عام ١٥٢٨م أعلن هنري الثامن - ملك انجلترا - الانفصال الرسمي عن كنيسة روما الكاثوليكية، وتبني بوضوح المذهب البروتستانتي [(١)]، وهكذا صارت انجلترا بروتستانتية مؤيدة لليهود بكل قوتها[(٢)]، ومع أن مارتن لوثر قد تبرأ بعد ذلك من مدحه لليهود، وكتب كتابًا عام ١٥٤٤م بعنوان «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم»، إلا أن ما كتبه في كتابه الأول «المسيح ولد يهوديًا» هو الذي ظل راسخًا في الأذهان وذلك بفضل تدعيم اليهود لذلك، ثم بدأ هذا الفكر «أي:

(١) أعلن الملك هنري الثامن استقلاله عن الكنيسة الكاثوليكية بروما لا عن اقتناعه بالبروتستانتية، ولكنه انفصل واستقل بكنيسة انجلترا التي أصبح هو رئيسها وذلك لأن بابا روما رفض زواجه للمرة الثانية، فتشكلت ضده تحالفات جديدة كانت تعارض موقفه الانفصالي إزاء كنيسة روما، إلا أن الملك كان بالمرصاد لكل معارضيه، فطاردهم في كل مكان، وشملت حملته الكاثوليك والبروتستانت على حد سواء، ولم يشجع قط على الأفكار البروتستانتية إلا أنه أمر بترجمة الإنجيل من اللاتينيه إلي اللغة الإنجليزية مما فتح المجال أمام العديد من تبني الأفكار البروتستانتية مما ساعد على تأسيس الكنيسة البروتستانتية وذلك في عهد الملكة إليزابيث الأولى ابنة الملك هنري الثامن التي تمذهبت بالبروتستانتية وذلك عام ١٥٥٩م وذلك بعد أن قامت ببعض التعديلات وأصبحت الكنيسة الإنجليزية تحمل اسم الكنيسة الإنجليكانية.

(٢) ولذلك كانت قناعات وزير خارجية انجلترا لورد آرثر بلفور الدينية ومعتقدات رئيس وزرائه في ذاك الوقت - وتأثرهما بالفلسفة اليهودية وخلفيتهما الفكرية والدينية المستمدة من التعاليم البروتستانتية، والأقوال اللوثرية المتأثرة بالنبوءات التوراتية التي تقول: «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكاً أبدياً وأكون إلههم» [سفر التكوين ١٧/ ٧] كل هذه الأفكار والتعاليم البروتستانتية كانت وراء بلورة موقف وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور الذي وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين، فأعطى من لا يملك لمن لا يستحق، فكان صدور وعد بلفور المشئوم والذي كان أول اعتراف دولي لما يسمى بالصهيونية المسيحية السياسية.

التغلغل اليهودي داخل البروتستانتية» يظهر في كتابات وأقوال كثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء الغرب ممن اعتنقوا المذهب اللوثري، فعلى سبيل المثال يقول إسحق نيوتن العالم الإنجليزي الشهير (١٦٤٢ - ١٧٢٧) في كتابه (ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس يوحنا): «إن اليهود سيعودون إلى وطنهم، لا أدري كيف سيتم ذلك؟ ولنترك الزمن يفسره» ويصف الفيلسوف الألماني «كانت» اليهود بأنهم: الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا(١).

وكذلك عندما قررت الكنيسة الكاثوليكية ملاحقة مارتن لوثر ومعاقبته على ما اقترفته يداه وتطاوله على الكنيسة ورأسها البابا وأصدرت حكما بمعاقبته وقتله حرقًا لجأ مارتن لوثر للعمل السري وعمل على استمالة اليهود الذين كان لبعضهم نفوذ كبير عن طريق أموالهم في البلاط الملكي الألماني في ذاك الوقت وكان يؤكد على أن مذهبه الجديد أو ما ينادي به من خلال رسائله وكتبه يعيد الاعتبار لليهود الذين كانوا يعانون من ازدراء الكنيسة الكاثوليكية ولذلك كان لوثر حريصا على كسب ود اليهود وعلى التصالح معهم لأنه كان يؤمن ويعتقد أن وجودهم ضروري لعودة المسيح المخلص إلى الأرض، فقام بتأليف كتاب «المسيح وُلد يهودياً» فاعتبرت تلك الآراء والدعوات انقلابًا أكبر على موقف الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تنظر إلى اليهود على أنهم قتلة المسيح عيسى - عليه السلام - بعد صلبه وذلك قبل أن يصدروا فتاواهم وصكوكهم التي برأت اليهود من دم المسيح عيسى - عليه السلام - وكانت الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى تحتفل بمقتل المسيح - حسب زعمهم واعتقادهم الفاسد - عن طريق إحياء طقوس عملية الصلب، بل كان سكان مدينة «تولوز» الفرنسية وبعض المدن الأوربية الأخرى تحتفل بتلك المناسبة بطريقة أخرى، فكانوا يحرصون على إحضار يهودي إلى الكنيسة - وفي بعض الأحيان يكون هذا اليهودي أحد أحبارهم - ويقوم أحد النبلاء أثناء تلك الاحتفال ليصفع هذا اليهودي وبشكل

---

(١) بتصرف من مقال على الإنترنت بعنوان «هل للدين أثر على علاقة اليهود بأمريكا؟» للدكتور راغب السرجاني.

علني أمام حشد من الجماهير لإحياء طقس الضرب الذي تَعرَّض له المسيح على يد اليهود، ومع أن كتاب النصارى «الإنجيل» يعترف بأن اليهود قد قروا بأن دم المسيح - عليه السلام - هم من يتحملونه وذريتهم فيقول إنجيل متي: « .. فلما رأي بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قُدّام الجمع قائلا: إني بريء من دم هذا البار (أي المسيح). أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب (أي: رؤساء الكهنة والشيوخ من اليهود) وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا [إنجيل متي، الإصحاح ٢٧/ ٢٤: ٢٥]وهذه الفقرة توجد في جميع أناجيل المذاهب المسيحية سواء الكاثوليكية أم الأرثوذكسية أو البروتستانتية، ومع ذلك قامت الكنيسة الكاثوليكية بقرارها الذي أعلنته فيه على رؤوس الأشهاد من نصارى العالم بتبرئة اليهود من دم المسيح - عليه السلام - وذلك سيرًا على خُطى مارتن لوثر الذي سعى لإرضاء اليهود عن مذهبه ومساعيه تلك التي أصدر كتابه (عيسي وُلد يهوديًا) والذي قال فيه بالحرف الواحد «إن اليهود أبناء الله وأن المسيحيين هم الغرباء الذين عليهم أن يرضوا بأن يكونا كالكلاب التي تأكل ما يسقط من فُتات من مائدة الأسياد».

ويرى كثير من نصاري الغرب أن تلك كانت البداية الحقيقية لتهويد المسيحية وولادة ما يسمى بالمسيحية اليهودية، التي انبثقت عنها الصهيونية المسيحية، وقد بلغ من حرص مارتن لوثر في طلب ود اليهود ومحاولاته التأثير عليهم لإقناعهم الدخول في مذهبه الجديد حدًا قال فيه يومًا أمام عدد من اليهود الذين كانوا يناقشونه: «إن البابوات والقسيسين وعلماء الدين المسيحي - ذوي القلوب الفظة - تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كل من يأمل في أن يكون مسيحيًا مخلصًا يتحول إلى يهودي متطرفٍ وأنا لو كنت يهوديًا ورأيت كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلمون المسيحية فسأختار على البديهة أن أكون خنزيرًا بدلا من أن أكون مسيحيًا.» (١) وقال أيضا في إحدى رسائله: «إن حركة الإصلاح الديني كان أحد أهم أهدافها بث روح جديدة للعهد القديم «التوراة» في الحياة الروحية المسيحية،

(١) راجع موقع ويكيبيديا الإلكتروني «الموسوعة العالمية - مارتن لوثر».

وكنت أومن بأن نبوءات التوراة بتخليص بني إسرائيل أو إنقاذهم ستتحقق، وقد أخذت بالطروحات اليهودية جميعها، وأدعوا إلى إعادة اليهود إلى أرض الميعاد وإقامة دولتهم لأن الرب قد وعدهم بذلك [1]، كما تقول التوراة: «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًا، لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًا، وأكون إلههم» [سفر التكون ١٧ : ٧، ٨].

ومن عجب أن هذا الكلام - إن لم يصبه التحريف - قيل على لسان سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء - عليه وعليهم جميعًا الصلاة والسلام - وإسماعيل عليه السلام - هو ولده الأكبر من نسله وذريته، واليهود يعترفون في كتبهم وعلى مواقعهم الإلكترونية أن سبيهم الأخير سيكون على يد أبناء إسماعيل [2] - عليه السلام - أتباع نبي الإسلام محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه - ، وأن أرض كنعان قد حُرِّمت على بني إسرائيل منذ التيه وقد صرَّح القرآن الكريم بهذا فقال عز وجل: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة/٢٦].. ومع ذلك فإن مارتن لوثر كان له أكبر الأثر في احترام الكنيسة للتوراة، بل وإعادة الاعتبار للعهد القديم ككتاب مقدس لدى النصارى وذلك بعد رفض ما يسمى بالأسفار غير القانونية التي تسمى «الأبوكريفا» - كما ذكرنا آنفًا.

وقد كتب في آخر أيامه كتابًا عن اليهود وأكاذيبهم وهو يعتبر آخر ما كتب مارتن لوثر في حياته حيث كتبه عام ١٥٤٤م وكانت وفاته عام ١٥٤٦م بمدينة «إيسليين» مسقط رأسه، وقد أعرب في هذا الكتاب عن خيبة أمله من اليهود وأقرَّ بفشله في استقطابهم لمذهبه الجديد، كما أقرَّ في شبه استسلام تلقفه اليهود - قبل غيرهم - بأن دخول اليهود في الدين المسيحي لن يتم إلا عبر عودتهم إلى الأرض المقدسة وعودة المسيح الذي سيسجدون له ويعلنون دخولهم في الدين المسيحي حتى يعم السلام العالم أجمع.. ورغم كتابه عن أكاذيب

---

(١) عن الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي للدكتور جورجي كنعاني.

(٢) راجع كتابنا: «بداية النهاية - السبي الأخير لبني إسرائيل» الناشر دار الكتاب العربي.

اليهود فقد سار أتباعه على خطاه وتعاليمه في كتابه الأول الذي صدر بعنوان «عيسي ولد يهوديًا» وذلك بدعم وتأييد اليهود الذين تخفوا تحت أسقف الكنيسة الجديدة «البروتستانتية»، وقام عدد من رجال الدين البروتستانت مثل القس الإنجليزي «جون نلسون داربي» بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحتهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة الإنجليكانية والبروتستانتية بل وجميع الكنائس التي تأثرت بتعاليم مارتن لوثر هي حاملة لواء الصهيونية -المسيحية أو «اليهودية - المسيحية» أينما حلّت، والمُلفت للنظر أن المسيحية الصهيونية تؤمن إيمانًا راسخًا أن وجود اليهود وخاصة في أرض فلسطين ضروري بل وشرط من شروط عودة المسيح مرة أخرى ولذلك فبعد استيلاء اليهود على القدس الشرقية عام ١٩٦٧م كان المسيحيون البروتستانت من الإنجليين في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر فرحة وبهجة من اليهود أنفسهم الذين احتلوا الأراضي المقدسة..

وإذا أمعنا النظر في آراء الكنيسة الكاثوليكية قبل حركة مارتن لوثر نجدها أنها كانت تأخذ في تقويمها للعهد القديم «التوراة» وما جاء فيه عن اليهود بما يسمى بالتفسيرات المجازية التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ومن هذه التفسيرات مثلاً أن اليهود باءوا بغضب الله لما اقترفوه من آثام وما ارتكبوا من خطايا لذلك فقد سُبوا إلى بابل، وعندما تنكروا ليسوع الناصري «المسيح عيسى ابن مريم- عليه السلام»، وأنكروا أن يكون هو المسيح المنتظر تم سبيهم ثانية، فانتهى بذلك وجود ما يُعرف بالكيان القومي اليهودي، وزواله إلى الأبد -حسب المفهوم الكاثوليكي آنذاك - بما يسمي بالأمة اليهودية، ولكنهم كأفراد يستطيعون اعتناق المسيحية فينالون الخلاص الروحي الذي خسروه بإنكارهم ليسوع الناصري.

أما النبوءات الأخرى التي تبشر إسرائيل بمستقبل مشرق فإنها تعني بمفهوم الكاثوليكية «إسرائيل الجديدة» أي : الكنيسة المسيحية لأن هذه الكنيسة -باعتبار الكاثوليكية - هي الوريث المباشر للديانة اليهودية كما أنها تجسيد لمملكة الله الألفية.

المهم أنه لم يكن في الذهن الكاثوليكي التقليدي ولم يخطر على بال رجال الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من بقية الكنائس، قبل عهد الإصلاح أو حتى بوجود أمة يهودية أو كيان في الأرض المقدَّسة لأن فلسطين كانت تعتبر بالنسبة للكاثوليك هي الأرض المقدسة التي فاض منها نور المسيح ليضيء العالم وكانت القدس هي بالنسبة لهم مدينة العهد الجديد الذي نسخ العهد القديم دافعًا وجود المسيحيين البشرى بالخلاص الروحي..

لذا فمارتن لوثر هو أول من دعا إلى التفسير الفعلى للتوراة.. لا المجازي ولذا فيقول أحد أتباع مارتن لوثر وهو الكاهن هنري فنش في كتابه «البعث العالمي العظيم عام ١٦٢١م»: «إن إسرائيل ويهوذا وصهيون والقدس والكتاب المقدس لا تعني إسرائيل الروحية أو كنيسة الله التي تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما، ولكنها تعني إسرائيل التي انحدرت من صلب يعقوب، وينطبق الشيء نفسه على عودتهم إلى أرضهم القديمة جميعًا وقوميًا وانتصارهم على أعدائهم، فمثل هذه التعبيرات ليست مجازًا، ولكنها تعني اليهود قولاً وفعلاً».

ولذلك فقد تعرضت الكنيسة البروتستانتية نفسها لانشقاق بسبب اليهود، فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنجليز عن اعتقادهم أن اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين ذهب بعض البروتستانت الإنجيليين الأمريكان إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتى لو قامت دولتهم في فلسطين، وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء لهم أصلاً..

ولذلك فكثير من المصادر التاريخية والكتابات المسيحية تشير إلى أن رغبة مارتن لوثر الجامحة في إعادة الاعتبار لليهود كانت تعود لإيمانه العميق بضرورة وجودهم في العالم تمهيدًا لعودة المسيح (١).

هذا وقد كشفت صحيفة «كاثوليك جازيت» عن وثيقة يهودية تُبيِّن دور اليهود

---

(١) راجع موقع ويكيبيديا الإلكتروني، وشبكة برسوميات لكشف حقيقة النصرانية.

الخفي في التأثير على حركة الإصلاح وزعمائها. فتقول الصحيفة عن تلك الوثيقة: «والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقضم الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعاتها وقساوساتها ليكونوا روادًا في حركتنا، ويعملون من أجلنا.. أمرنا عددًا من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق، والكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية، ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة تقول: (دعوا بعض أبنائكم يكونون كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدمون كنائسهم)، ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكلة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.. نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم.. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني المسيحي، فكالفن (سبق الإشارة إليه) هو أحد القساوسة الذين أدوا دورًا مشابهًا لدور مارتن لوثر، وهو «أي كلفن» كان واحدًا من أولادنا، يهودي الأصل، أُمر بحمل الأمانة «كذا»، بتشجيع من المسؤولين اليهود، ودعم المال اليهودي، منفذ مخطط الإصلاح الديني.. كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضًا نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية، بإدارة المسؤولين اليهود وتمويلهم، ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظم المنتمين إليهم «أي: إلى البروتستانت» يخلصون الإيمان لدينهم، وهم لا يعون مدى إخلاصهم لنا.. إننا جد ممتنون للعون القيم الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المسيحية، استعدادًا لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم.. [1] والذي يؤكد صدق تلك الوثيقة ما جاء في بروتوكولات صهيون التي تقول: (وأن الجماعة المعروفة لنا «أي المسيحية الكاثوليكية) لا يمكن أن تنافسنا في هذه الفنون (أي: في علم

---

(١) مجلة كاثوليك جازيت الصادرة في نيويورك عام ١٩٣٦م عن الصهيونية لمحمد السماك.

السياسة) ربما تكون جماعة اليسوعيين [١] Jesuits، ولكنا نجحنا في أن نجعلهم هُزوًا وسخرية في أعين الرعاع الأغبياء، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بمنظمتنا سرًا.. ثم ما الفرق بالنسبة للعالم بين يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية (أي: بابا الفاتيكان) أو أن يكون طاغية من دم صهيون؟.. ولكن لا يمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة إلينا نحن (الشعب المختار)، وقد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا، ولكنا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضًا، وهي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها..» [٢]

وتقول البروتوكولات في موضع آخر: «وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأممين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودًا في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يومًا فيومًا.. اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدءًا انهيارًا تامًا.. حينما يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوي تحطيمًا تامًا فإن يدًا مجهولة، مشيرة إلى الفاتيكان ستعطي إشارة الهجوم، وحينما يقذف الناس، أثناء هيجانهم، بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح، وبهذا

---

(١) اليسوعيون هم جماعة أطلقت على نفسها اسم: يسوع نسبة إلى المسيح عيسى - عليه السلام - وهي جماعة قامت على الرهبنة الخالصة انبثقت عن الكنيسة الكاثوليكية وأسسها «أغناطيوس دى لويولا» عام ١٥٤٠م، وقد تأثر مارتن لوثر بآراء هذا الإغناطيوس، ومعظم المنتمين لتلك الجماعة يحملون الرتبة الكهنوتية، وبهذا يكون اليسوعيون أكبر جماعة رهبانية كاثوليكية للذكور في العالم، وتشتهر الرهبنة اليسوعية بعملها التبشيرى الرسولى خاصة في مجال التعليم ولها في الشرق الأوسط عدد من المؤسسات التعليمية أشهرها جامعة القديس يوسف «جوزيف» في بيروت والتي قامت بنشر العديد من كُتب التراث الإسلامى باسم المطبعة اليسوعية وقد طبعوا الكثير من كتب التراث الإسلامى وأحدثوا فيها تحريفات غريبة وعجيبة عن عمد مما يدل على شدة تعصبهم وحقدهم على الإسلام وقد تزعم كبر هذا الأمر القسيس الأب لويس شيخو اليسوعى وقد تصدى لتلك الهجمة على كتب التراث كثير من العلماء والمشايخ كان على رأسهم الشيخ المحقق أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى -.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون - ا لبروتوكول الخامس ص١٢٢ [الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان] قام بترجمة الكتاب والتعليق عليه الأستاذ الأديب عباس محمود العقاد.

العمل سنفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية.. إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحق للعالم، بطريرك الكنيسة الدولية». [1] وقد تم لهم ما خططوا إليه وما أرادوا الوصول إليه وأصبح بابا الفاتيكان ألعوبة في أيديهم، ففي زيارة بندكتس السادس عشر بابا الفاتيكان الحالي إلى باريس في الثاني من أكتوبر عام ٢٠٠٨م وفي حفل ضم قادة اليهود في فرنسا قام البابا بقراءة بعض نصوص التلمود والذي كان محرمًا تداوله بين اليهود وبأمر من الكنيسة الكاثوليكية لما يحويه بين دفتيه على هجوم صارخ على العقيدة المسيحية وعلى المسيح نفسه. فيقول الكاهن اليسوعي «ديفيد مارك نيوهوس» أمين عام النيافة الأسقفية الكاثوليكية الناطقة بالعبرية في إسرائيل «لقد اعتدنا على النبرة الودية في التصريحات والتحيات البابوية الموجهة إلى مختلف الجماعات اليهودية، ولكن ربما تجدر الإشارة إلى أن الأب الأقدس «أي: بندكت السادس عشر» قام بثورة حاذقة أخرى خلال اللقاء الأخير مع الممثلين عن الطائفة اليهودية في فرنسا.

ففي إطار التعليق على أهمية يوم السبت، قال البابا: «ألا ينص التلمود - وأشار إلى البابا (يوما -٨٥) على أن يوم السبت قد أعطي لكم، ولكنكم أنتم لم تعطوا السبت؟».

وأوضح الكاهن «نيوهوس» أن الكنيسة في فرنسا معروفة بتاريخها المراقب والرافض للتلمود، جسد الشريعة المدنية والشعائرية اليهودية.. وقد كتب اليسوعي.. في سنة ١٢٣٩م بعث البابا غريغوريوس التاسع برسالة إلى ملوك أوروبا طالبًا منهم مصادرة كتب التلمود من الجماعات اليهودية التي تعيش على أراضيهم وكانت الاتهامات تُشير إلى أن التلمود يشتمل على تحريفات ضد العقيدة المسيحية، ويُشكل عائقًا أمام اعتناق المسيحية لدي اليهود.

---

(١) المصدر السابق/ البروتوكول السابع عشر ص١٦٨

وسـأل الكاهن اليسـوعي: «أوليسـت إذًا بثـورة حـاذقـة أن يقـوم البـابا بندكت السادس عشر ليس فقط بتوجيه تحية حارة إلى الجماعة اليهودية في باريس، لا بل أيضًا بالنقل عن التلمود البابلي عينه؟ (١).

وهذا الذي فعله البابا «بندكتس السادس عشر» وسلفه من البابوات لهو ثمار ما بذرته مخططات البروتوكولات التي دبرت بإحكام كيفية السيطرة على الكنيسة سيطرة شبه تامة، وهذا نتاج طبيعي لما زرعته الأيادي اليهودية من قبل في قلب الكنائس المسيحية وفي عام ١٥٤٤م نشر مارتن لوثر أفكاره التي تلقفتها الصهيونية العالمية- فيما بعد - عن عودة اليهود إلى فلسطين بحجة التخلص منهم، حيث ذكر في كتابه (اليهود وأكاذيبهم) ما نصه: «من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى يهودا.. لا أحد.. إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحيلهم النهائي لا لشيء إلا لنتخلص منهم.. إنهم عبء ثقيل علينا» (٢).

وبكل هذا الوضوح تتجلي الحقيقة وينكشف مدى تأثير اليهود الخفي على دعوة مارتن لوثر ومن ثَمَّ مَنْ تأثروا به وبأفكاره التي تلقفتها الأيادي الصهيونية فتأثرت العقيدة البروتستانتية باليهودية ونتج عن هذا التأثير تعايش يشبه التحالف المقدس بين البروتستانتية واليهودية بصورة عامة، وخلقت علاقة أكثر خصوصية بين الصهيونية اليهودية والبروتستانتية الأصولية أو ما يسمى بالصهيونية المسيحية فما هي حكاية هذا التحالف؟

---

(١) عن موقع ZENIT.Org والمقالة نُشرت على الموقع الإلكتروني التابع للأسقفية الكاثوليكية الناطقة بالعبرية في حيفا بالقدس المحتلة.

(٢) بتصرف من مقال للدكتور/ خالد بن محمد الغيث بعنوان: حركة الإصلاح الديني في أوروبا.

المبحث الثالث

الصهيونية المسيحية

ذكرنا آنفا أن العقيدة البروتستانتية قد تأثرت كثيرًا بالتوراة وبالتعاليم اليهودية، وآمنت المسيحية - الصهيونية ، قبل تأسيس دولة ما تسمى إسرائيل، بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى أرضه الموعودة في فلسطين - كما ذكر ذلك مارتن لوثر - وإقامة بالتالي كيان يهودي في تلك البلاد تمهيدًا لعودة المسيح مرة ثانية وقيادته للعالم مع تأسيسه لملكة الألف عام، وتمثل فكرة عودة اليهود إلى فلسطين حجر الأساس في فكر المسيحية الأصولية - الصهيونية، لذا كانت فكرة إنشاء (وطن قومي لليهودي في فلسطين) هي فكرة عقدية ترسخت في أذهان المؤمنين بالتعاليم اللوثرية - البروتستانتية، وإلا فإن اليهود أنفسهم عندما فكروا في إقامة كيان لهم لم يفكروا في فلسطين بل أن تيودور هرتسل عندما كتب كتابه (الدولة اليهودية) ووضع أدلة من الواقع والتاريخ ليُثبت أن اليهود يجب أن يجتمعوا في دولة ،فكّر أولا في ليبيا لإقامة هذا الوطن لليهود، أرض صحراء، ونسمتها ضئيلة، ثم فكر في العراق، وفي الحبشة، وفي أوغندا، وذهب وكلم المسؤولين السياسيين الإنجليز الذين يحتلونهم، لكن الإنجليز رفضوا لمصالح لهم داخل أوغندا، ففكر في الموزمبيق وهي كانت عبارة عن مستعمرة برتغالية فذهب إلى ملك البرتغال وتحاور معه وحاول إقناعه ليكوّن وطنًا قوميًا هناك، لكن الملك رفض، ثم فكّر في سيناء، وسيناء كانت تقع تحت الانتداب البريطاني فكلم اللورد كرومر الذي كان يحكم مصر آنذاك والذي كانت لديه الصلاحية والقوة الحقيقية رغم وجود الملك أو الخديوي - الذي لم يكن له قيمة في نظر الإنجليز - ومع ذلك رفض اللورد كرومر، فلم يعد أمامه ولا خيار إلا في بلدين هما: فلسطين أو الأرجنتين، وقد قام باختيار الأرجنتين، لأنه كان يراها أرضا واسعة ثرواتها شاسعة ليس فيها أطماع لغيره من أقطاب العالم في ذاك الوقت بحيث يستطيع

أن يقيم لليهود وطنًا قوميًا لهم هناك، وعندها فقط انهارت على تيودور هرتزل الرسائل من كل مكان وخاصة من انجلترا وأمريكا ومن القساوسة البروتستانت كرد فعل لهم يبلغونه أنه لا يجوز بحال من الأحوال إقامة وطن قومي لليهود إلا داخل فلسطين، وهذا بالطبع قول واعتقاد الصهاينة المسيحيين أي: النصارى البروتستانت، وهو اعتقاد استمدوه كما ذكرنا من فكرة مارتن لوثر ومن ثمَّ اتباعه ومن تأثروا بأفكاره ومعتقداته.. وذلك يرجع إلى أن تيودور هرتزل لم يكن في بداية حياته مؤمنا بالتعاليم اليهودية فهو كان يهوديًا علمانيًا ثم أصبح يكسب ود حاخامات الصهاينة الذين نفثوا في روعه أنه الأب الروحي لليهود وأنه نبي عصره، فعقد لهم مؤتمر بازل بسويسرا الذي قرر فيه هو وأعوانه إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، بدعم كامل من المسيحية البروتستانتية، وكان له وللمخططين اليهود ما أرادوا فقاموا بتنفيذ دقيق لكل ما خططوا إليه وبعناية فائقة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من هيمنة شبه كاملة على العالم وفرض كلمتهم وقراراتهم على الكبير قبل الصغير وأصبحوا في علوهم الثاني الذي أخبرنا عنه القرآن الكريم في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٤) فزماننا هو زمن العلو الثاني والكبير لليهود والذي سيعقبه بإذن الله السبي الأخير لهم سيكون على أيادي أبناء إسماعيل - عليه السلام - من المسلمين الملتزمين بقرآنهم الكريم وبهدي وسنة نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه - وبسلوك طريقة سلفهم الصالح من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين الأبرار وبالمجاهدين الصالحين من أبناء أمة الإسلام..

لذلك فإن العقيدة البروتستانتية تأثرت كثيرًا بفكرة عودة اليهود إلى أرض فلسطين - وهي كما ذكرنا - تمثل العمود الفقري وحجر الأساس في فكر المسيحية الصهيونية «البروتستانتية والإنجيلية» القائم على اشتراط عودة المسيح - عليه السلام - حسب رؤيتهم - بعودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس ما يسمى بدولة إسرائيل، لذا كانت فكرة إنشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين» التي آمن

بها المسيحيون البروتستانت قبل إيمان اليهود أنفسهم بها هي أهم ما يجمع بين الطرفين.

ويعد «تيودور هرتزل» هو مؤسس ما يسمى بالصهيونية الحديثة وهو أول من استخدم مصطلح «الصهيونية - المسيحية».

وعُرف المسيحي المتصهين بأنه «المسيحي الذي يُدعِّم الصهيونية» ثم تطور هذا المصطلح ليأخذ بُعدًا دينيًا، وأصبح المسيحي المتصهين هو: «الإنسان الذي يساعد الله - حسب المفهوم المسيحي البروتستانتي - لتحقيق نبوءته من خلال دعم الوجود العضوي لإسرائيل، بدلاً من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح».

ولذلك فإن من أدبيات الحركة الصهيونية المسيحية أنهما يلتقيان حول مشروع «إعادة بناء الهيكل اليهودي في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم».

لذا فالهدف الذي تعمل الحركتان على تحقيقه يتمحور حول فرص سيادة يهودية كاملة على كل فلسطين بدعوة أنها «أرض اليهود الموعودة» ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تعميم البركة الإلهية على كل العالم.

لذا فإن الصهيونية المسيحية أخذت البُعد الديني من خلال هذا المفهوم الذي يرتكز على فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إيذانا وتهيئة لنزول المسيح عيسي ابن مريم - عليه السلام - الذي سيقود العالم لألف سنة قادمة وأصبح هذا الاعتقاد هو المسيطر والمهيمن على المسيحيين البروتستانت في إنجلترا ومن ثمَّ في أمريكا - وسوف نأتي بمزيد بيان وتوضيح حول توجهات تلك الحركة الصهيونية المسيحية وقبل ذلك نسلط الضوء بشيء من التفصيل حول تعريف مصطلح الصهيونية المسيحية..

تعريف الصهيونية المسيحية:

هناك تباين واختلاف حول تعريف ومفهوم مصطلح الصهيونية المسيحية، فيقول الدكتور عبدالوهاب المسيري - رحمه الله تعالى:

«مصطلح (الصهيونية المسيحية) انتشر في اللغات الأوروبية وتسلل منها إلى اللغة العربية، حيث تتم ترجمة كل المصطلحات بأمانة شديدة وتبعية أشد دون إدراك مضامين المصطلح، ومن ثَمّ فإننا لا نعرف إن كان هذا المصطلح يُعبِّر عن موقفنا بالفعل وعن رؤيتنا للظاهرة أم لا، والواقع أن مصطلح (الصهيونية المسيحية) يُضفي على الصهيونية صبغة عالمية تربطها بالمسيحية ككل، وهو أمر مخالف تمامًا للواقع، إذ ليس هناك صهيونية مسيحية في الشرق، بل إن أوائل المعادين للصهيونية بين عرب فلسطين كانوا من العرب المسيحيين، وأول مفكر عربي تنبأ بالصراع العربي - الصهيوني وبمدى عمقه هو المفكر المسيحي «اللبناني الأصل الفلسطيني الإقامة» نجيب عازوري. [1]، كما أن الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية تعارضان الصهيونية على أساس عقائدي ديني مسيحي، وإن حدث تقارب ما «كما هو الحال مع الفاتيكان»، فإن ذلك يتم مع

(١) نجيب عازوري: كاتب وسياسي مسيحي لبناني، جاهر بالدعوة إلى استقلال سوريا وفصلها عن الدولة العثمانية، فرّ إلى مصر بعد إصدار الدولة العثمانية حكماً بإعدامه وأصدر جريدة مصر باللغة الفرنسية، وقام بتأسيس أول حزب قومي عربي أسماه «حزب جامعة الوطن العربي» في عام ١٩٠٤م، وقد لخّص مبادئ هذا الحزب في النداء القومي الذي صدر عن المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس عام ١٩٠٥م وكان الهدف الأسمى من كل تحركات وكتابات نجيب عازوري الدعوة إلى انفصال الدولة العربية عن الدولة العثمانية التركية وإقامة دولة عربية تمتد حدودها الطبيعية من وادي دجلة والفرات حتى قناة السويس، ومن البحر المتوسط حتى عُمان، وقد ذكر نجيب عازوري في كتابه «يقظة الأمة العربية» أن القرن العشرين سيشهد صراعاً بالغ الحدة بين القومية العربية والحركة اليهودية الساعية لإعادة إنشاء مملكة صهيون في فلسطين - «عن كتاب: «يقظة الأمة العربية» لنجيب عازوري - ترجمة وتحقيق أحمد بوملحم - الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٩٨م» إذن: نجيب عازوري هو مفكر قومي مسيحي، وسياسي لبناني، وُلد في قرية عازور بجنوب لبنان وتخرج في معهد الدراسات العليا في باريس، عُين في منصب نائب حاكم القدس من ١٨٩٨ - ١٩٠٤م، كانت له اليد الطولى في مساعدة الثوار العرب وإمدادهم بالسلاح لإشعال الثورة العربية بزعامة الملك عبدالله بن الحسين الأول وعاجله الموت في عام ١٩١٦م..

دولة إسرائيل ولاعتبارات عملية خارجة عن الإطار الديني العقائدي إلى حد كبير، بل هناك في الغرب المسيحي البروتستانتي عشرات من المفكرين المسيحيين الذين يرفضون الصهيونية على أساس ديني مسيحي أيضًا.. ولذا فإن مصطلح «الصهيونية المسيحية» غير علمي لعموميته ومطلقيته.

ومن هنا، فإن الحديث يجري عن «الصهيونية ذات الديباجة المسيحية» فهي صهيونية غير مسيحية بأية حال، بل صهيونية استمدت ديباجتها (عن طريق الحذف والانتقاء) من التراث المسيحي دون الالتزام بهذا التراث بكل قيمه وأبعاده، ودون استعداد منها لأن يُحكم عليها من منظوره الأخلاقي (ويمكنها أن تستخدم ديباجات إلحادية دون أن تغير مضمونها، أو بُنيتها الفكرية الأساسية)[1]

ونحن نختلف مع الدكتور عبدالوهاب المسيري-رحمه الله- حول هذا الطرح حيث أن الحركة الصهيونية المسيحية أو «المسيحية الأصولية» أو الإنجيلية الصهيونية، سمها ما شئت انبثقت عن عقيدة راسخة - كما ذكرنا - وقد تأثرت المسيحية الصهيونية بثلاثة توجهات يجمع بينها خلفية التفسير الديني المعتمد على النصوص التوراتية، ورغم تباين هذه التوجات وتناقضها إلا أن التفسير الحرفي للتوراة والإيمان بضرورة مساعدة إسرائيل قد جمع بين تلك التوجهات، والحركات الثلاث هي:

(١) حركة تهتم بقضية نهاية العالم ومؤشراته ومعركة هرمجدون حسب - سفر الرؤية الذي يصف فيه (القديس جون) وصفا جيدًا حول ما ستكون عليه هذه المعركة النهائية، إن ٢٠٠ مليون رجل من جيش الشرق سوف يتقدمون نحو الغرب لمدة عام، إن هذا الجيش سوف يمر عبر مجيدو «هرمجدون» وسوف يدمر معظم المناطق الآهلة في العالم قبل أن يصل إلى نهر الفرات [2]، إن معركة هرمجدون تشكل هاجسا كبيرا عند الإنجيليين والمسيحيين البروتستانت.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبدالوهاب المسيرى (١٦/ ٣٥٩) - «النسخة الإلكترونية».

(٢) النبوءة والسياسة .. الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية ،تأليف غريس هالسل، ترجمة محمد السماك [الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية -الطبعة الأولى / يوليو ١٩٨٩م ليبيا].

٢- حركة تهتم بقضية التقرب من اليهود من أجل المسيح، ولذلك فهم يقولون: «لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح، إن أي تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة، إنه ضد كلمة الله، إنه ضد المسيح».

٣- حركة تُركّز على الدفاع عن إسرائيل وعلى مباركتها ودعمها بكل ما هو ممكن ومتاح وفي هذا الصدد تقول غريس هالسل: «وفي يوم آخر توجهت إلى المدينة القديمة في القدس، حيث كنت على موعد مع مسيحي عاد من أمريكا ليعيش في فلسطين كمحام، لقد كا ن مسيحيًا بروتستانتيًا إنجيليًا، سألته كمسيحي عاش في أمريكا، كيف يفهم عقول وقلوب الحجاج الأمريكيين الذين يأتون إلى أرض المسيح لزيارة المعالم الحجرية دون زيارة المسيحيين الذين يعيشون هنا؟ أجاب: بالنسبة للإنجيليين الأصوليين مثل «فولويل»، فإن الإيمان بإسرائيل يتقدم على تعاليم المسيح.» [1]، ولِمَ لا وجيري فولويل هو قس إنجيلي أمريكي هلك في يونيو عام ٢٠٠٧م، وهو أول قس أمريكي رفع شعار دعم الصهيونية، وكان له برنامجٌ تليفزيونيٌّ بعنوان «ساعة مع إنجيل زمان» وكان يقول: «إن دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها» [2].

وكان فولويل يُعدُّ بمثابة المستشار الروحي للرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان، ولذلك فهو من أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية، فجذور الصهيونية عنده تعود إلى معتقداته اللاهوتية المتأثرة بالتوراة وبنقولات مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية إذ يشير في كثير من كتاباته إلى ما يسميه «وعد الله لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام. (سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها). وكان يقول: (ومن هذا الموقف اللاهوتي فإنه على الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى إسرائيل).

---

(١) المصدر السابق ص٣٨.

(٢) جريدة الواشنطن بوست الصادرة في ٢٣/ ٣/ ١٩٨١م نقلاً عن مقال بعنوان: التطرف الإنجيلي المعاصر... جيرى فولويل نموذجاً لقاسم العلوش

لذا فإن الصهيونية المسيحية تشكل رافدًا على الدوام لتدعيم الكيان الاستيطاني الصهيوني في أرض فلسطين وتمكن الدولة اللقيطة المسماة إسرائيل من تحقيق مشروعاتها وطموحاتها وتوسعاتها في أرضنا المحتلة حتى خرج علينا الـ «نتنياهو» بتصريح مفاده الدعوة إلى الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل تحت سمع وبصر العالم أجمع ولولا الدعم الأمريكي لما استطاع هذا اليهودي بأن يُصرح بمثل هذا التصريح، ولقد كان للحركة الصهيونية المسيحية القوة المحركة وراء دفع السياسة الأمريكية الرعناء في عهد رئيس الكوارث الأمريكية «جورج دبليو بوش» الذي كان آخر عهده ضربه (بالحذاء) إلى معاداة العرب والمسلمين والتحريض على خوض الحروب ضد أفغانستان والعراق تحت دعوة محاربة الإرهاب وغيرها من الشعارات وذلك بعد وصول سدنة هذه الحركة إلى سدَّة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فقد لعبت القوى الصهيونية المسيحية دورًا رئيسًا في صياغة الأبعاد الأيديولوجية والتصورات الدينية والفلسفية بل والأخلاقية لقوى اليمين في الولايات المتحدة كما مدت هذا التيار بعناصر وكفاءات بشرية بارزة، وساندته بمؤسساتها ومنظماتها المختلفة بحيث أصبح أبرز مفكري هذا اليمين المحافظ يُعبِّرون عن جوهر المنطلقات الفكرية لتيار الصهيونية المسيحية.

ولذلك يمكن أن نُطلق على الصهيونية المسيحية أنها الدعم المسيحي «البروتستانتي» للفكرة الصهيونية، وهي حركة مسيحية قومية تقوم على أساس عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين ولذلك فالمسيحية البروتستانتية تلتقي مع الصهيونية اليهودية حول هذا المفهوم.. كما أوضحنا ذلك آنفًا .

وتقوم فلسفة الصهيونية المسيحية على نظرية الهلاك الحتمي لليهود، فعندهم أن هلاك اليهود لن يتم إلا على أرض فلسطين، وهناك الكثير من الدراسات اللاهوتية في هذا المجال خلاصتها أن هلاك يهود الأرض قدر محتوم وضرورة للخلاص من «إرث الدم» الذي حمله اليهود على أكتافهم بعدما صلبوا المسيح وهم سيتحولون إلى المسيحية بعد عودته ولن يبقى شيء اسمه اليهود.. فيقول

هال ليندسي [١] في كتابه «آخر أعظم كرة أرضية»: سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون [٢]، وفكرة نهاية العالم وارتباطها بقيام دولة إسرائيل هي من الأفكار الأساسية التي يؤمن بها المسيحيون المتصهينون، وقد ترسخت هذه الفكرة منذ نشأة هذه الحركة، أما عن القس «جيري فولويل» وهو قس أمريكي مسيحي أصولي «١٩٣٣ - ٢٠٠٧م» وكان من أشد المؤيدين لدولة إسرائيل ومواقفه كلها معادية للإسلام وكارهة للمسلمين وهو مؤسس جماعة العمل السياسي الأصولي المسماة «الأغلبية الأخلاقية» وهي بحق - غير أخلاقية - فإنه يقول عن تعريف المسيحية الصهيونية: «إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقًا يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم، إن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين لهي في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهد القديم والجديد».

ويقول القس رياض جرجور «الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط»: «إن الصهيونية المسيحية في نهاية المطاف تعبر وكما جاء في بيان اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط في نيسان «أبريل» عام ألف وتسعمائةوستة وثمانين، عن مأساة في استعمال الكتاب المقدس واستغلال المشاعر الدينية في محاولة تقديس إنشاء دولة ما، وتسويغ سياسات حكومة مخصوصة.. ثم يستطرد

---

(١) هال ليندسي: قس بروتستانتي أمريكي وأحد رموز التيار المحافظ المتطرف الديني أو ما يعرف بتيار الصهيونية المسيحية، ويعد من كبار مُنظرى هذا التيار ويرى ليندسي في إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م تطبيقاً قويا لنبوءات آخر الزمان، ويرى أن سعى اليهود لإعادة معبد يهودى تاريخي في موقع قبة الصخرة حالياً سيقود إلى حرب عالمية تقودها القوى المعادية للمسيح ضد إسرائيل وحلفائها، وهي المعركة التي سيطرت ولازالت تسيطر على عقول جُل الإنجيليين أو ما يُطلق عليهم المسيحيين المتصهينين بل ويسعون إلى إشعال فتيلها وما الحرب على العراق وأفغانستان إلا نتاج أفكارهذه المجموعة التي تسيطر على مقاليد الأمور في الولايات المتحدة الأمريكية الآن «راجع كتابنا: قراءة جديدة لكتاب اليهودي العالمي، فصل سيطرة اليهود على السلطة في أمريكا، - [الناشر : دار الكتاب العربي].

(٢) النبوءة والسياسة لغريس هالسل ص٥٠ «مصدر سابق».

هذا القس قائلاً: «إذن لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط ويجب أن تُنبذ من قبل الكنيسة العالمية، إنها تشويه خطير وانحراف كبير عن الإيمان المسيحي الحقيقي المتركز في السيد المسيح، كما إنها تدافع عن برنامج سياسي قومي يعتبر الجنس اليهودي متفوقًا، وكما وصفها أحد قادة الكنيسة الإنجليكانية: «إن إعطاء وكيل عقارات إلى الله يحطم القلب.. إنهم لا يكترثون بالمسيح أبدًا» وبكلمات رجل دين فلسطيني محلي «إنهم أدوات تدمير وخراب، وهم لا يعطون أي اعتبار أو أهمية للمسيحيين الأصليين في البلاد»(١).

هذا عن تعريف الصهيونية المسيحية بأقلام بروتستانت وطوائف مسيحية أخرى تتهم حركة المسيحية الصهيونية بالتطرف والانحياز الكامل لليهود، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى تغلغل اليهود وأياديهم الخفية لتدمير المسيحية على اختلاف مذاهبهم، فالمهم هو الجنس اليهودي - كما سنبين..

---

(١) مقال بعنوان: المسيحية الصهيونية: صهيومسيحية أم صهيوأمريكية؟ للدكتور القس رياض جرجور «مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن».

(٥) بذور نشأة المسيحية الصهيونية:

يعتبر - كما ذكرنا - مارتن لوثر وتعاليمه الأولي عن اليهودية وعودة اليهود إلى أرض فلسطين هي بمثابة الخطوط العريضة التي بنى عليها أتباع هذا المذهب البروتستانتي رؤيتهم لما أصبحت عليه الآن المسيحية الصهيونية.

ويمكن اعتبار القس الأيرلندي جون نيلسون داربي هو بمثابة الأب الروحي لحركة المسيحية الصهيونية التي انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية تحديدًا، وقد قام هذا القس البروتستانتي بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحهم مكانة متميزة، حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلت، وقد حصل انشقاق داخل الكنيسة البروتستانتية نفسها بسبب اليهود، فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنجليز عن اعتقادهم الراسخ بأن اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين.

ذهب بعض البروتستانت الأمريكيين إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتي لو قامت دولتهم، وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء فيهم أصلاً، وقد تزعم القس «داربي» هذا الفريق، ويُنظر إليه - كما ذكرنا - على أنه الأب الروحي للمسيحية الصهيونية، قبل أن يعمل العشرات من القساوسة البروتستانت على نشر نظريته تلك...

- و في عام ١٥٨٥م قام أحد رجال الدين البريطانيين وهو القس «جون برايت مان» يدعو إلى إعادة اليهود إلى الأرض المقدسة كتحقيق لنبوءة التوراة، وسبق وأشرنا إلى أن هذه النبوءة كاذبة.

- وفي عام ١٦١٥م ناشد السيناتور «هنري فنش» أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي الحكومة دعم فكرة عودة اليهود إلى فلسطين، ولقد كان لتعاليم فنش تأثير عميق في أوساط النخبة من البرلمانيين والمحامين والشخصيات الأدبية ورجال الدين الإنجليز..

ثم هاجرت أفكار ومعتقدات البروتستانت مع من هاجروا من إنجلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

- فمنذ عام ١٧٣٥م - ١٧٧٥م كانت الفكرة السائدة بين الإنجيليين الأمريكيين والوعاظ عقيدة ما بعد الحكم الألفي، أي: أن السيد المسيح سيأتي ليحكم العالم لمدة ألف سنة وسيحكم من فلسطين، وتركزت تلك العقيدة على بيع الممتلكات والمجيء إلى فلسطين لملاقاة المسيح في مجيئه الثاني.

- ويعتبر القس «وليام بلاكستن» من أكثر الشخصيات الأمريكية التي عملت على نمط سياسي من أنماط المسيحية الصهيونية وقد ارتكز هذا النمط على الدعوة إلى إنشاء وطن لليهود في فلسطين، وقد ألَّف كتابًا اسمه «المسيح آت» عام ١٨٨١م، وقد بادر «بلاكستن» بالقيام بحملة مكثفة لكسب تأييد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي، ورئيس المحكمة العليا وبعض رجال الأعمال البارزين ونشادوا الرئيس «بنيامين هاريسون» للعمل على الدعوة لإقامة دولة يهودية في فلسطين وقد كان لهذا الـ «بلاكستن» اتصالات مع هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية.

وقد آمنت المسيحية الصهيونية قبل تأسيس دولة إسرائيل المغتصبة للأرض الفلسطينية بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وهذه العقيدة - كما ذكرنا آنفا هي بمثابة حجر الأساس في فكر المسيحية الصهيونية لذا كانت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين التي آمن بها المسيحيون البروتستانت قبل إيمان اليهود أنفسهم بها هي أهم ما يجمع بين الطرفين.. «(١)

وبقيام دولة إسرائيل المغتصبة على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م تحقق حلم المسيحية الصهيونية وكان هذا الحلم بمثابة تأكيد صحة نظرية المسيحية الصهيونية.

أما انتصار إسرائيل الخاطف على العرب عام ١٩٦٧م واستيلاء اليهود على القدس الشرقية فكان بمثابة الدليل القوي عند الأصولية الإنجيلية والمسيحية الصهيونية على صدق نظريتهم وأنهم يعيشون في آخر الأزمنة وعلى تحقيق نبوءاتهم التي استمدوها من تعاليمهم الإنجيلية التوراتية..

(١) مقال بعنوان: المسيحية الصهيونية والتحالف المقدس بين البروتستانتية واليهودية علي موقع شبكة النبأ المعلوماتية.

أما القس «سايروس سكوفيلد» وهو قس أمريكي، وُلِدَ في ولاية «ميتشجن عام ١٨٤٣م»، وكان من المتأثرين بنظرية «نلسون داربي» ويعتبر «سكوفيلد» من أشد المسيحيين الصهيونيين تشددًا حيث قام بوضع إنجيل سماه «إنجيل سكوفيلد المرجعي» نشره عام ١٩٠٩م وفي هذا المؤلف طرح المبادئ اللاهوتية للأصولية الإنجيلية التدبيرية (أي: القدرية) فسكوفيلد يقول لكل قدر دور من الزمان يمتحن فيه البشر حسبما أوحاه الله من وحي مخصوص وهي قائمة على اعتبار النبوءات التوراتية الإنجيلية والتي تعتبر من أهم المؤثرات في صنع القرار السياسي الأمريكي لأن «سكوفيلد» اعتبر أن النبوءة الدينية في المقام الأول لفهم أصل الديانة المسيحية، وفي عام ١٨٧٥م قام «سكوفيلد» بعقد عدة مؤتمرات ليؤكد على نظريته التي استخلصها من أفكار سابقيه من الإنجيليين المتصهينين أمثال «داربي» الذي يعتبر بمثابة الأب الروحي - كما ذكرنا - لحركة المسيحية الصهيونية التي انتقلت من إنجلترا إلى أمريكا وكان «سكوفيلد» هو صاحب ترسيخ مفهوم المبادئ اللاهوتية للأصولية الإنجيلية، فكان «إنجيله» هو مصدر إلهام لمن جاء بعده من القساوسة الأصوليين في الولايات المتحدة أمثال: «بات روبرتسون»، و«جيمي سواجرت»، «جيم بيكر»، «أورال روبرتس» و«جيري فولويل»، و«كينين كوبلاند»، و«رايكس همبرد»، و«هال ليندسي» [١] وكلهم قساوسة يؤيدون ويدافعون وينافحون عن نظرية «سكوفيلد» وبإنجيله الذي أصبح بمثابة المرجع الأول لحركة المسيحية الصهيونية والمعتمد الرسمي والأساسي لكثير من القساوسة البروتستانت وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية حتى يومنا الحاضر، ونظرًا لرواج وانتشار إنجيل «سكوفيلد» فقد التبس على الكثير التمييز بين نص الإنجيل الأصلي وتفسيرات هذا الـ «سكوفيلد» الواردة في إنجيله، وهو بمضمونه وسعة انتشاره أصبح العمود الفقري للفكر الأصولي للإنجيلية الصهيونية، ومنه يستمد قساوسة هذه الحركة من المعاصرين أفكارهم التي يبنون عليها التزامهم الديني نحو الدولة المغتصبة المسماه «إسرائيل» وبما يعتقدون أنه

---

(١) راجع: النبوءة والسياسة ص ٢٩:٣٣.

حقها التوراتي [(١)]، وهكذا استطاعت أيادي يهود الخفية أن تتغلغل داخل أروقة الكنيسة البروتستانتية والإنجيلكانية ومن انبثق عنهما من طوائف كلها تؤيد دولة إسرائيل وتدعمها بكل غال ونفيس ومن خلال تلك الكنيسة استطاعوا الولوغ إلى العقلية الأمريكية والسيطرة على مقاليد الأمور في تلك البلاد.

يقول القس رياض جرجور: «انتقلت في القرن العشرين الصهيونية المسيحية إلى الولايات المتحدة الأمريكية،[(٢)] ولا سيَّما بعد إنشاء دولة إسرائيل وترجمت بعض الفقرات الدينية بعد أن حُرِّفت تفاسيرها الروحية ترجمة سياسية مباشرة صبت بقوة في دعم دولة إسرائيل، واستخدم الصهيونيون المسيحيون الأميركيون وسائل الإعلام الجماهيرية بشكل منقطع النظير لنشر أفكارهم وأوهامهم وأحلامهم ومعتقداتهم، فإذا أخذنا على سبيل المثال، نهاية العالم كماتتصوره الصهيونية المسيحية، وجدنا فيه بعض الملامح التي ترافق الغزو الأمريكي الحاصل حاليًا على العراق، وقبل ذلك، بعض الملامح هي رد الإدارة الأمريكية على أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وذلك بشن حملة إرهاب في العالم أجمع تصديًا على حد زعمها للإرهاب الذي طالها. هذا وإن نهاية العالم على الطريقة الأميركية الصهيونية تستند شكلاً على بعض أسفار العهد القديم كسِفر حزقيال، وسِفر دانيال، ومن العهد الجديد على سِفر رؤيا يوحنا، وتستنتج أن العالم كما نعرفه قد أشرف على النهاية، العالم آت إلى نهاية - حسب زعمهم - لا بفعل جنون جنرال أو سياسي يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا هو قصد الله.

نهاية العالم ليست مدعاة للقلق بنظر «الألفيين» لأنها تمهد لمجيء المسيح الثاني، لكن قبل هذا المجيء على بعض الأحداث أن تقع، إنها «علامات الأزمنة» أي تبشير العامل، وعودة اليهود، وإعادة بناء دولة إسرائيل، وظهور «المسيح الدجال» وموجة من الصراعات، كل هذا يتوج بمعركة «هرمجدون» وهي قرية

---

(١) انظر: الصهيونية لمحمد السماك ص٢٤.

(٢) مقال سابق بعنوان: المسيحية الصهيونية.

مذكورة في سفر الرؤيا، وتقع إلى شمال القدس حيث تزج الأمم الكبيرة في معركة بين «الحق والباطل» وعند اقتراب إفناء العالم يظهر المسيح، ولذلك فإن التأييد المسيحي الأصولي لإسرائيل يستند عند الكثيرين إلى رؤية للعالم، أو بالأحرى لنهايته، تفترض تبشير اليهود. (١) أو يستند في حقيقته إلى تدعيم دولة إسرائيل لأنها الركيزة الأساسية في الفكر الأصولي للمسيحية الصهيونية.. لذا فقد قامت المسيحية الصهيونية بتأسيس سفارة لها في إسرائيل لتدعيم هذا الفكر الأصولي فما هي حكاية تلك السفارة؟

(١) المصدر السابق.

• السفارة المسيحية الصهيونية العالمية وحقيقة تواجدها في إسرائيل:

تأسست السفارة المسيحية العالمية في مدينة القدس عام ١٩٨٠م ردًا على سحب ثلاث عشرة دولة سفارتها من القدس استنكارًا لإعلانها عاصمة لإسرائيل، فقامت حركة الصهيونية المسيحية بدعم من يهود الولايات المتحدة الأمريكية بتأسيس تلك السفارة لتتحدث باسمها، ولهذه السفارة فروع شتى في جميع دول العالم، ولها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من عشرين مكتبًا قنصليًا وتقوم تلك المكاتب بعمل دعائي من مختلف الأنواع، وتجمع المساعدات والتبرعات المالية والعينية لمساعدة دولة إسرائيل في حين أغلقت الولايات المتحدة وصادرت أموال الجمعيات الخيرية الإسلامية في أمريكا وأوروبا وتلاحق تلك الجمعيات في البلدان الإسلامية..

ومن نشاطات تلك السفارة المشبوهة تسويق البضائع الإسرائيلية داخل الولايات المتحدة وخارجها، وتعتبر تلك السفارة التي أنشأتها المسيحية الصهيونية من أبرز ممثلي تيار المسيحية الأصولية وأخطرهم وهي تعتبر بمثابة الواجهة لهذا التيار وأفعالها أكبر دليل على وضوح انحيازها التام لدولة إسرائيل خاصة ولليهود عامة وذلك من خلال توظيف الدين المسيحي لأغراض وأهداف اليهود.

ولا يخفى على ذي بصيرة مدى تأثير الأيادي الخفية لليهود في تحريك تلك السفارة، وما أدل على ذلك من عقد المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا لمضاهاة المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقده تيودور هرتزل في نفس المدينة عام ١٨٩٧م بل وفي القاعة نفسها التي استخدمها هرتزل، وقد تم عقد هذا المؤتمر بالطبع بتمويل يهودي - أمريكي في السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٨٥م برعاية تلك السفارة المشبوهة ولنترك غريس هالسل التي حضرت ذلك المؤتمر لتتحدث عنه وعن مقرراته وما تم فيه فتقول: «في أواخر أغسطس عام ١٩٨٥م طرت من واشنطن إلى سويسرا لحضور المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول في بازل، كنت واحدة من بين ٥٨٩ شخصًا حضروا المؤتمر من ٢٧ دولة برعاية السفارة المسيحية العالمية في القدس،... استمعت إلى خطباء

مسيحيين يعيدون إلى الذاكرة مجزرة النازية ضد اليهود، وهي المجزرة التي أثارت نمطًا عالميًا أدى إلى خلق الدولة اليهودية..

لم يُشر أي متحدث سواء كان مسيحيًا أو يهوديًا إسرائيليًا إلى أننا جميعًا بشر يجب أن نتعلم كيف نعيش كجيران طيبين في العصر النووي.. لقد أصدرت الوفود بعد ثلاثة أيام من الاستماع إلى الكلمات السياسية مجموعة من المقررات التي كتبها مسبقًا «فادن دير هوفن» من هولندا، وهو الناطق باسم الكنيسة المسيحية العالمية «وجوهان لاك هوف» مدير السفارة وهو من جنوب إفريقيا، والدكتور «جورج جياكوماكس» المدير السابق بمعهد دراسات الأرض المقدسة في القدس، و«ريتشارد هيلمان» ممثل السفارة المسيحية في واشنطن العاصمة، وغيرهم.. في أحد هذه المقررات حث المسيحيون الصهاينة كل اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل على ترك الدول التي يعيشون فيها الآن ويتوجهوا إلى الدولة العبرية، في هذا القرار أعلن المسيحيون أنهم يدركون (المعاناة الرهيبة التي واجهها اليهود وأنه بما أن اليهود لا يزالون يواجهون قوى معادية ومدمرة فإن عليهم جميعًا - على كل اليهود في أمريكا وفي كل دولة أخرى في العالم - أن ينتقلوا إلى إسرائيل، وأنه على كل مسيحي أن يُسهّل ذلك».

وحث المسيحيون إسرائيل أيضًا على ضم ذلك الجزء المحتل من فلسطين الذي يُدعى الضفة الغربية بسكانه المليون فلسطيني تقريبًا.

وقبل التصويت وقف يهودي إسرائيلي كان جالسًا بين الحضور واقترح تعديل لغة القرارات، وأشار إلى أن استقصاءً للرأي في إسرائيل أظهر أن ثلث الإسرائيليين يُفضلون مقايضة الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ بالسلام مع الفلسطينيين.

كذلك حث المسيحيون الولايات المتحدة وجميع دول العالم على أن توافق على الإجراءات غير الشرعية التي قام بها رئيس الحكومة السابق مناحم بيجين لضم مدينة القدس العربية وذلك من خلال نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس،

وطالب المسيحيون الولايات المتحدة، وألمانيا ودولاً أوروبية أخرى بالتوقف عن تسليح أعداء إسرائيل.» [1] - يقصدون العرب.

والذي انتهى إليه هذا المؤتمر المشبوه خلاصته تهنئة دولة إسرائيل المغتصبة على قيامها على أرض فلسطين وعلى إنجازاتهم طيلة الأربعين سنة الأخيرة «أي: منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م وحتى انعقاد المؤتمر في عام ١٩٨٥م» وكذلك الدعوة من خلال ذلك المؤتمر إلى الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل، وبيهودا والسامرة «الضفة الغربية» كأجزاء من أرض إسرائيل، وتحذيرًا للأمم التي تعادي الشعب اليهودي ودولة إسرائيل..

أما المؤتمر الثاني الذي عقدته السفارة المسيحية الدولية فكان في شهر نيسان «أبريل» من عام ١٩٨٨م وتم عقده في مدينة القدس.

ومن المعرف أن هذه السفارة تنظم إعلامًا معاديًا للعرب عامة وللفلسطينيين خاصة، وتقوم بإعداد برامج مختلفة تهدف إلى دعم السياسة الإسرائيلية والاستيطانية منها بشكل خاص.

وتنبع مواقف هؤلاء المسيحيين الأصوليين من سوء فهمهم للكتاب المقدس (عند المسيحيين) وتفسيره تفسيرًا مغلوطًا واستغلاله استغلالاً سياسيًا خاطئًا لصالح دولة إسرائيل على غرار معظم التفسيرات اليهودية والصهيونية له، حيث تعتبر هذه التفسيرات المغلوطة أن دولة إسرائيل هي تحقيق لما ورد في أسفار العهد القديم وتتمة لأقوال الأنبياء.

وقد أدان مجلس كنائس الشرق الأوسط في بيانه الذي صدر في قبرص عام ١٩٨٨م السفارة المسيحية الدولية، كما أصدر رؤساء الكنائس المسيحية في القدس بيانًا رسميًا حول السفارة المسيحية الدولية نشر في جريدة القدس في الثالث عشر من نيسان «أبريل» عام ١٩٨٨م جاء فيه: «إن الهيئة التي تدعو نفسها السفارة المسيحية الدولية لا تمثل كنائسنا، وليست مخوَّلة ولا منوطة بأن تمثل

(١) راجع: النبوءة والسياسة ص ١٣١، ١٣٢ [مصدر سابق].

كنائسنا في هذه البلاد، كما أنها لا تستطيع أن تمثل غالبية المؤمنين (أي: من المسيحين) في العالم، إننا لا نعترف بهذه السفارة ولا بنشاطاتها ولا بمؤتمراتها. وبما أن تعاليم السيد المسيح انطلقت من هذه الديار نفسها حيث نمثل نحن ديانتنا المسيحية، وحيث نجتهد في تكريم المقدسات والمحافظة عليها - فإننا لسنا بحاجة إلى أُناس يأتوننا من الخارج يتحدثون أو يتصرفون باسمنا، خصوصًا أنهم غير واعين لواقعنا، كما نرفض رفضًا باتًا أي تفسير سياسي للكتب المقدسة»[(١)].

هذا وقد أدان أ يضًا مجلس كنائس الشرق الأوسط البيان الذي أصدرته السفارة المسيحية والخاص بمؤتمرها الذي عُقد في القدس واعتبر أن السفارة المسيحية في القدس هي مثال واضح ومفضوح لانحياز التيار المسيحي الأمريكي الأصولي لدولة إسرائيل ولتوظيف الدين توظيفًا مُغرضًا في السياسة.

وحول هذا الصدد تقول غريس هالسل عن الصهيونية المسيحية وتوظيف السياسة لتتماشي مع مصالح اليهود ودولة إسرائيل: «من مطالعتي في كتب ودراسات عن الصهيونية يتبين أن (تيودور هرتزل) الذي يُعرف بأنه أب السياسة الصهيونية لم يختلق حركة تشجيع لليهود للانتقال إلى فلسطين، لقد فعل ذلك المسيحيون البروتستانت الإنجيليون قبل ثلاثة قرون من المؤتمر اليهودي الصهيوني الأول قبل الحركة الإصلاحية (أي: حركة مارتن لوثر وأتباعه) وكان جميع المسيحيين الغربيين من الكاثوليك ومع القرنين ١٦، ١٧ بدأ المسيحيون الأوائل شراء الأناجيل وتفسير نصوصها بأنفسهم ومن خلال ذلك بدأوا تعظيم مفهوم إسرائيل واليهود على أنهم المفتاح الأساسي للرؤي الإنجيلية.

قليل من العلماء بحثوا في أسباب التحول المفاجئ في دعم المسيحيين للفكرة التي تقول: بأنه على جميع اليهود أن يتوجهوا إلى فلسطين وبعض العلماء صنفوا

---

(١) عن مقال سابق للقس الدكتور رياض جرجور بعنوان «صهيومسيحية أم صهيو أمريكية» وهذا المقال عبارة عن كلمة ألقيت في ندوة فكرية في بيروت في شهر أبريل من عام ٢٠٠٣م ونشرت مع كلمات ومحاور أخرى في كتيب خاص ضمن سلسلة الندوات الفكرية التي يصدرها المركز.

الإصلاح على أنه إحياء لليهودية أو العبرانية بحيث تقبل البروتستانتيون الأوائل مظاهر من التقاليد اليهودية مثل توقع عودة المسيح، والألفية أي: حكم السلام لمدة ألف سنة على الأرض، ذلك أنه خلال الحركة الإصلاحية تقبل المسيحيون البروتستانت الكتاب المقدس على أساس أنه يشكل السلطة العليا للاعتقاد والسلوك.. لقد حفظوا عن ظهر قلب قصص العهد القديم وبدأ الكثير من البروتستانت يفكر في أن فلسطين أرض يهودية..

وبصرف النظر عن أسباب تأييد الحركة الإصلاحية البروتستانتية، فكرة إنجلترا وأوروبا متحررة من كل اليهود، فإن العديد من اليهود الصهيونيين اليوم يقولون: إنهم مسرورون لتصرف المسيحيين بهذه الحرارة، إنهم ينسبون الفضل إلى المسيحية الصهيونية في مساعدة الصهيونية اليهودية الحديثة لتحقيق هدفها: خلق دولة يهودية حيث لا يرحب بغير اليهودي مواطناً فيها.

وفي السادس من فبراير عام١٩٨٥م ألقي سفير إسرائيل (١) لدي الأمم المتحدة بنيامين ناتنياهو خطاباً أمام المسيحيين الصهاينة قال فيه: «... لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين.. إن المسيحية الصهيونية لم تكن مجرد تيار من الأفكار، إن مخططات عملية وُضعت فعلاً من أجل عودة اليهود. ففي عام ١٨٤٨م ساعد «وردر كريسون» القنصل الأمريكي في القدس على إقامة مستوطنة يهودية في «وادي رفيم» بدعم من جمعية مسيحية – يهودية مشتركة في إنجلترا..

وقال نتنياهو أيضاً: لقد قدم المسيحيون دعماً طويلاً متواصلاً وناجحاً للصهيونية، وهو دعم أعرب عن نفسه في الأدب الإنجليزي مثل رواية «جورج إيليوت» عين الصهيونية، والتي تدعي «دانيال ديروندا» والتي تنبأت بأن يقيم اليهود كياناً يهودياً جديداً، يكون كياناً عظيماً، بسيطاً، كالكيان القديم.. المسيحيون ساعدوا على تحوُّل الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية. وقال نتنياهو:

---

(١) يشغل الآن منصب رئيس وزراء إسرائيل المغتصبة لأرض فلسطين.

إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنجليز والأمريكان، أثرت بصورة مباشرة في تفكير قادة تاريخيين مثل: لويد جورد، أو أرثر بلفور، وودرو ويلسون، في مطلع هذا القرن «أي: القرن الماضي»، إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دورًا رئيسًا في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.

ثم تقول غريس هالسل: «وهكذا فإن تأثير المسيحيين الصهاينة على الساسة الغربيين هو الذي ساعد اليهودية الصهيونية الحديثة على تحقيق هدفها في إعادة ولادة إسرائيل» (١).

ولذلك كان من أدبيات الحركة المسيحية الصهيونية مشروع إعادة بناء هيكل اليهود - كما ذكرنا آنفًا - وفرض سيادة يهودية كاملة على كل فلسطين ولذا دعا نتنياهو في بداية توليه رئاسته للوزارة الإسرائيلية إلى اعتراف العرب بيهودية دولة إسرائيل.

وهذه الدعوة نتيجة طبيعية لسيطرة اليهود الكاملة من خلال الصهيونية المسيحية على مقاليد ومقدرات الأمور في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وعلى رأس تلك الدول إنجلترا حاملة لواء المذهب البروتستانتي الإنجيلكانى، هذا إلى جانب حالة الخنوع والضعف والخور والتشرذم، والانقسام العربي - العربي، والفلسطيني - الفلسطيني، مما شجع هذا النتنياهو إلى تصريحه الذي أعلن فيه أنه سيجبر الفلسطينيين على الاعتراف بيهودية إسرائيل، وهذا التصريح يعني وأد عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وموطنهم الأصلي فلسطين، وهم أكثر من خمسة ملايين ونصف لاجئ فلسطيني وأملاكهم التي تشكل أكثر من ٩٠٪ من أرض فلسطين المحتلة، وللمسيحية الصهيونية الفضل الأكبر في إعلان قادة العدو الإسرائيلي أمثال النتنياهو وغيره من زعماء دولة الاحتلال والاغتصاب لأرض فلسطين لمثل تلك التصاريح الفجة والمجوجة والجريئة..

---

(١) راجع: النبوءة والسياسة ص -١٤٠، ١٤١ [مصدر سابق].

ومن خلال ما عرضناه عن المسيحية الصهيونية آنفًا يتضح أن «تهويد المسيحية البروتستانتية كان نتيجة منطقية لمشكلة في المصادر المسيحية، جعل المسيحيين البروتستانت يعتمدون (العهد القديم -التوراة العبرانية) في تصوراتهم ونظام قيمهم أكثر مما يعتمدون (العهد الجديد-الإنجيل) [1]، والتأثير البالغ لليهود لاعتماد هذا المذهب المسيحي الجديد وتأكيده على مقولة «إن اليهود جنس يفوق جميع الأجناس وأنهم حسب زعمهم وخيالهم المريض شعب الله المختار وقد ترسَّخت هذه المفاهيم المغلوطة لدي كثير من المسيحيين المتصهينين بدعم وتأييد وتمويل من اليهود أنفسهم، وأن الصهيونية اليهودية كان لها الدور الريادي في تعميم ونشر مفاهيم المسيحية الصهيونية بين أوساط الدهماء والغوغاء من المسيحيين البسطاء الذين لا يعرفون شيئًا عن ديانتهم فانقادوا للتأويلات اليهودية التي اخترقت الكنيسة البروتستانتية تمام الاختراق حتى أصبحت تلك التأويلات اليهودية من المسلَّمات في الديانة المسيحية البروتستانتية والإنجيلية على اختلاف مشاربها وما انبثق عنها من فرق وطوائف كلها تدعم الكيان الصهيوني على أرضنا المحتلة في فلسطين كجماعة شهود يهوه، وطائفة المورمون[2] إلى جانب طوائف وجماعات عديدة خرجت من تحت عباءة البروتستانتية.

---

(١) عن مقالة بعنوان «الصهيونية المسيحية والسياسة الأمريكية لمحمد المختار الشنقيطي.

(٢) شهود يهوه: منظمة عالمية تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة، دينية سياسية، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خرجت من رحم الإنجيلية البروتستانتية وتدَّعي المسيحية، والواقع أنها واقعة تحت سيطرة وتأثير اليهود وتعمل لحسابهم، وهي تعرف كذلك باسم «جمعية العالم الجديد» إلى جانب «شهود يهوه» الذي عُرِفت به ابتداء من عام ١٩٣١م، وقد اعترفت أمريكا بها رسميًا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك عام ١٨٤٤م، وهم يدّعون الإيمان بيهوه إلهاً لهم وبعيسي- عليه السلام - رئيساً لمملكة الله، وهم يستغلون اسم المسيح والكتاب المقدس للوصول إلى هدفهم وهو إقامة دولة دينية دنيوية - يتحكم فيها اليهود للسيطرة على العالم.

- المورمون: طائفة انشقت عن الكنيسة البروتستانتية، تلبس لباس الدعوة إلى دين المسيح - عليه السلام - وتدعو إلى تطهير هذا الدين المسيحي بالعودة به إلى الأصل أي إلى العهد القديم، ونبيهم هو جوزيف سميث الأمريكي الأصل المولود عام ١٨٠٥م والذي دعا ضمن بنود كتابه الذي يؤمن به المورمون بإعادة جميع إسرائيل واستعادة القبائل « الأسباط» العشرة والإيمان بصهيون «أورشليم الجديدة» التي ستقام على أرض القارة الأمريكية ويؤمنون بقدوم المسيح الذي سيحكم العالم [بتصرف من الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، وموقع «ويكيبيديا، الموسوعة الحرة].

وكان هذا الجهد الذي توصل إليه اليهود من هدم الديانة المسيحية نتاج جهد وتخطيط وتدبير شيطاني على مدار العصور ومنذ ظهور السيد المسيح نفسه – عليه السلام – الذي حاربه اليهود إبان حياته ومن بعد رفعه إلى السماء أخذ اليهود على عاتقهم إبادة هذه الديانة وهدمها وذلك من خلال التغلغل إلى داخلها وإفراغها من معتقداتها وتعاليمها ومضامنيها وأصبحت أثيرة لتعاليم وتوجهات شياطين اليهود وحاخاماتهم، وذلك بفضل أياديهم الخفية التي عاثت في الديانة المسيحية فسادًا أو تدميرًا، بدءًا من بولس أو «شاؤل» اليهودي – حسب ما فصلناه آنفًا – وانتهاء بما يسمى بالمسيحية الصهيونية التي سيطرت تمامًا على مقاليد الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرض سيطرتها على العالم بفضل تحكم تلك الشرذمة التي تحركهم الصهيونية العالمية التي نجحت أن تبسط سيطرتها على العالم المسيحي وتحطيمه من الداخل.. وقد نشرت مجلة البحوث اليهودية الفرنسية رسالة نشرتها عام ١٨٨٠م تدل تلك الرسالة دلالة واضحة على تخطيط اليهود لمد أيديهم الأخطبوطية للسيطرة والهيمنة على العالم المسيحي، فقد كتب «شامور» حاخام مدينة آرل «من أعمال مقاطعة بروفانس» إلى المجمع اليهودي القائم في الأستانة يستشيره في بعض الحالات الحرجة، ومما جاء في الكتاب: «إن الفرنسيين في إكس وآرل ومرسيليا يهددون معابدنا، فماذا نعمل؟..

فجاءه الجواب التالي:

أيها الإخوة الأعزاء.. بأسى تلقينا كتابكم، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأي الكهنة والحاخامات:

– بمقتضى قولكم: إن ملك فرنسا يجبركم على اعتناق الديانة المسيحية، اعتنقوها لأنه لا يسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم.

- بمقتضى قولكم: إنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تُجّارًا ليتمكنوا رويدًا رويدًا من تجريد المسيحيين من أملاكهم.

- بمقتضى قولكم: إنهم يعتدون على حياتكم.. فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم.

- بمقتضى قولكم: إنهم يهدمون معابدكم.. فاجعلوا أولادكم كهنة وإكليريين ليهدموا كنائسهم.

- بمقتضي قولكم: إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة.. فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوي، وكتبة عدل، وليتداخلوا دائما في مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم، فتستولوا على زمام السلطة العالمية، وبذلك يتسنى لكم الانتقام..

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم بهذا الذل وهذه الضعة التي أنتم فيها ستصلون إلى ذروة القوة والسلطة الحقيقية.

التوقيع

أمير يهود القسطنطينية (١)

وللتأكيد على صحة تلك الوثيقة ننقل تعاليم حاخامات يهود السرية كما ذكرها الأب أي بي برانايتس عن كيفية الإضرار بالمسيحيين على صعيد الأمور الحياتية الضرورية:

«على اليهود أن لا يوفروا أية وسيلة في مقاتلة الطغاة الذين يسيطرون عليهم في هذا (الأسر الرابع)، لإطلاق حريتهم.. على اليهود مقاتلة المسيحيين بمكر، وأن لا يحولوا دون حدوث الشر لهم: عدم الاهتمام بمريضهم، الامتناع عن مساعدة النساء المسيحيات عند المخاض وعدم إنقاذهم من خطر الموت.

---

(١) كُتبت هذه الرسالة في ١٣/ ١/ ١٤٨٩م ووردت مع بعض الاختلاف في النص في كتاب «اليهود» إعداد زهدي الناتج ص١١٤ مأخوذ عن كتاب صدر سنة ١٦٠٨م بعنوان La Sicva Guriosa
- وراجع أيضا «حكومة العالم الخفية لشيريب سبيريدوفيتش ص٢٦ - الناشر [دار النفائس - بيروت].

- على اليهودي محاولة خداع المسيحيين دائمًا.. ثم نقل من التلمود تعاليم الحاخامات فقال: «نقرأ في زوهار (1,160a): سيقول الرابي «أي: الحاخام» جيهودا Jehuda له «للرابي: شيزكيا Chezkia: يجب الثناء عليه أكثر فأكثر الذي يتحرر منهم «الجوييم أي: غير اليهود» ويقاتل ضدهم: سأل شيزكيا: كيف يجب مقاتلتهم؟ فقال الرابي جيهودا: بالخطة الحكيمة تستطيع محاربتهم، فسأله: ما نوع الحرب؟ فأجاب: نوعها هي أن على كل ابن رجل مقاتلة أعدائه بالطريقة التي استخدمها يعقوب ضد إيسو «عيسو» بالخداع والمخاتلة [1]، كلما كان ذلك ممكنا، عليهم الاستمرار في المقاتلة بدون كلل ولا توقف إلى أن يُعاد النظام الصحيح - كذا -، وهكذا، فإنني أقول باقتناع أنه يجب أن نحرر أنفسنا منهم ونسيطر عليهم» [2].

وبروتوكولات صهيون مليئة بمثل تلك التعاليم والنصائح ضد المسيحيين ومن ذلك قولهم: « إن صيحتنا (الحرية والمساواة والإخاء) قد جلبت إلى صفوفنا فرقًا كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين - كذا -، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة، بينما كانت هذه الكلمات مثل كثير من الديدان تلتهم سعادة المسيحيين، وتحطم سلامهم واستقرارهم، ووحدتهم، مدمرة بذلك أسس الدولة.. يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية» [3].

وهكذا استطاع اليهود سلخ الديانة المسيحية من جلدها ومن ثمَّ القضاء عليها قضاءً مبرمًا وذلك من خلال نشر أفكار ومذاهب فلسفية إلحادية عن طريق

---

(١) إشارة إلى حكاية «يعقوب» مع أخيه «عيسو» التي ذكرتها التوراة في سفر التكوين الإصحاح ٢٧، وهي من وضع أحبار وحاخامات يهود لأننا نربأ بنبي الله يعقوب - عليه السلام - أن يخادع أو يخاتل كما وصفته التوراة المحرَّفة.

(٢) فضح التلمود بقلم الأب: آي. بي. براناتيس، إعداد زهدي الفاتح ص١٣٦ [الناشر: دار النفائس - بيروت].

(٣) البروتوكولات ص ١١١، ١٢٠.

أياديهم وأصابعهم الخفية والمتمثلة هذه المرة في فلاسفة اليهود الذين نشروا مذاهب ونظريات علمية كلها تدعو إلى الإلحاد والانسلاخ التام من القيم والأخلاق فقوضوا وقضوا بذلك على ما تبقى من الديانة المسيحية وفي ذلك تقول البروتوكولات أيضًا: ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأممين (أي: غير اليهود) وجعلناه فاسدًا متعفنًا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلى للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها في بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليه مشترعوها»..

وتقول في موضع آخر: «وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحد أبدًا على ديانتنا من وجهة نظرها الحقة، إذ لن يستطاع لأحد أبدًا أن يعرفها معرفة شاملة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها.. وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبًا مريضًا قذرًا يُغثي النفوس، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب، كي يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التي سنصدرها، وسيقوم علماؤنا الذين رُبوا لغرض قيادة الأممين بإلقاء خطب ورسم خطط، وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الأفكار التي تلائمنا... لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الآدمي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا على التأكيد..» (١).

وبذلك استطاع اليهود من خلال تلك النظريات والفلسفات أن يُفسدوا على المسيحيين، وغيرهم من الأمم الأخري الدين والأخلاق.

---

(١) بروتوكولات صهيونية، البروتوكول التاسع ص١٣٣، والبروتوكول الرابع عشر ص١٥٣، والبروتوكول الثاني ص١١٣ [مصدر سابق].

وقد طال العالم الإسلامي دَخَن مثل تلك الفلسفات والنظريات المتهالكة والفاسدة التي أثرت على عقول كثير من المثقفين والمتعالمين من أبناء جلدتنا فتبنوا تلك النظريات والفلسفات الإلحادية والكفرية التي تخالف تمام المخالفة عقائد وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ولكن هيهات هيهات أن يفسد اليهود على المسلمين إسلامهم كما أفسدوا المسيحية، فالله - عز وجل - تكفل بحفظ هذا الدين بحفظ كتابه الكريم فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وسوف نُفصّل ذلك عند (حديثنا عن أثر اليهود والمتهودين على الإسلام) ولكن قبل ذلك سنلقي الضوء على فلاسفة اليهود ونظرياتهم التي أفسدوا بها الديانة المسيحية وأتوا على ما تبقى منها، وذلك بنشر قيم الانحلال والإلحاد في الأمم التي وافقت على نشر مثل تلك النظريات والفلسفات في بلدانهم..

المبحث الرابع

دور اليهود الخفي في نشر المذاهب والنظريات الإلحادية والفلسفية في المجتمعات الأوروبية

إن النظريات العلمية الفلسفية والاجتماعية التي ظهرت إبان وعقب الثورة الصناعية في أوروبا وبعد ظهور المذهب البروتستانتي وتداعياته وتغلغل اليهود داخل هذا المذهب وهدمه من داخله - كما أوضحنا آنفًا - فقد كان لظهور تلك النظريات الفلسفية أكبر الأثر في نشر الأفكار الإلحادية والتي قامت على أساس تنحية الدين نهائيًا عن الحياة الأوروبية وخاصة من خلال فلاسفة اليهود الذين وجدوا في المذهب البروتستانتي الذي أباح الخوض في تفسير الكتاب المقدس والخوض في اللاهوتيات بعد أن كان هذا الأمر حكرًا على رجال الدين من الكهنة والقساوسة داخل الكنيسة الكاثوليكية فقط، وقد ساعد مارتن لوثر على نشر تلك الأفكار وذلك من خلال ترجمته للكتاب المقدس عند النصارى إلى اللغة الألمانية ومن ثمَّ إلى بقية اللغات الأوروبية الأخرى كالإنجليزية والفرنسية بعد أن كان الكتاب المقدس مدوَّنًا باللغة اللاتينية بما في ذلك آراء وتفاسير الكهنة والقساوسة، وقد شجعت تلك الترجمات إلى خوض العديد من النصارى بل واليهود إلى تفسير الكتاب المقدس حسب أهواء وآراء ومذاهب عديدة بل شجَّع العديد من الفلاسفة إلى الخوض في علم اللاهوت الذي كان مخصصًا وحكرًا على رجال الكنيسة فقط، وهناك علاقة وثيقة بين علم اللاهوت من حيث النظرة الشاملة للعلم والحياة، ولكن بينما يبدأ علم اللاهوت بالإيمان بوجود الله - عز وجل - عند النصارى - وإن كان يستخدم العقل ولكن لا يعتمد عليه بل يساعد كلاهما الآخر، ولكن مصدر تعاليمه هو الوحي الإلهي لذلك فإن علم اللاهوت لا يخطئ كما تخطئ الفلسفة.. أما الفلسفة فتبحث عن الله - العلة الأولى - حسب قولهم الفاسد - وقد تبحث عنه في الكون والطبيعة لتصل بين النسبي إلى المطلق

أو من الوجود إلى الجهر وتسمى هذه الفلسفة بـ «الفلسفة الطبيعية» أو الفيزيقية، وقد تبحث أيضا عن النفس والموت والحياة الأخرى وتسمى هذه الفلسفة بالفلسفة «الميتافيزيقية» أو «ما وراء الطبيعة»، وهذا هو التعريف الغربي الفلسفي لمعنى اللاهوت والفلسفة [١].

فالفلسفة تعتمد على العقل والفكر والبحث العقلاني والاندهاش وابتغاء الحقيقة، ولذلك فدراسة الفلسفة عند النصارى من الأهمية بمكان، فعلى دارس اللاهوت - عندهم - أن يعرف الفلسفة لكي يفرّق بين مباحث اللاهوت والآراء الفلسفية الإلحادية مثل آراء الفيلسوف الوجودي الملحد «سارتر» صاحب الفلسفة الوجودية - والذي سنتحدث عنه تباعًا - الذي قال:-ونستغفر الله تعالى من قوله- «حيثما أُوجد فلا يوجد الله» وهذا هو الكفر البواح والصريح، وعند النصاري لابد من دراسة الفلسفة لأنها تخلق عندهم، طريقة الفكر والمناقشة وتُنسّق الحديث المنطقي والدفاع والمعارضة والوصول إلى الهدف المنشود الذي يقصده المتفلسف، ولذلك فالفلسفة عند النصاري تعتبر أم العلوم كلها.

ولذلك وجد فلاسفة اليهود بغيتهم في الولوج إلى علم اللاهوت وهدم العقيدة المسيحية لهدم ما تبقى منها على رؤوس أصحابها ومعتنقيها من خلال طرح الآراء والنظريات المختلفة التي أربكت عقول علماء اللاهوت المسيحي فزادوا حيرة على حيرتهم وضلالاً على ضلالهم وانتشرت من خلال تلك الآراء والنظريات الأفكار الإلحادية والكفرية والتي حادت ما تبقي من الديانة النصرانية عن طريقها وأصبحت تلك الديانة غريبة وسط أتباعها وذلك بفضل النشاط الملحوظ الذي أعقب ظهور المذهب البروتستانتي ونظرية مارتن لوثر الداعية إلى طرح أفكار وآراء آباء الكنيسة الكاثوليكية واتباع آراء وتفاسير جديدة، فكان أول من خاض بآرائه الفلسفية ونظريته اللاهوتية بعد مارتن لوثر من اليهود هو الفيلسوف اليهودي الأصل والهولندي الجنسية «إسبينوزا» الذي كان من أوائل من طرح نظريته الفلسفية بعد ظهور مارتن لوثر في ألمانيا.. فيا ترى من هو هذا الأسبينوزا؟ وما هي نظريته؟

(١) راجع موقع كنيسة مارجرجس مقال بعنوان «علم اللاهوت والفلسفة».

١- باروخ سبينوزا ونظريته الفلسفية:-

هو: باروخ سبينوزا فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر الميلادي، ولد عام ١٦٣٢م في أمستردام، هولندا عن عائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى مارانوس البرتغال «الذين تحدثنا عنهم آنفا، كان أبوه تاجرًا ناجحًا ولكنه كان حريصًا على الالتزام بتعاليم دينه اليهودي، ولذلك كان حريصًا على تعليم ابنه تعليما دينيا فألحقه بمدرسة يهودية ليتعلم التلمود بعد دراسته للغة اليهود العبرية مع دراسة التوراة وشروح الحاخامات، كما أنه درس تاريخ بعض الشخصيات اليهودية وأعمالها مثل موسى بن ميمون «ت/١٢٠٤م» وإبراهام ابن عزرا «ت ١١٦٤م» وهما من أعلام اليهود الذين نشأوا وتعلموا في أحضان الدولة الأندلسية الإسلامية قبل انهيارها فتأثروا بعلماء وفلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وغيره من أعلام المسلمين، ولذلك تأثر «سبينوزا» ببعض الفلاسفة العرب أمثال «الحلاج وابن عربي» وهما من القائلين بوحدة الوجود وقد رد عليهما كثير من أعلام المسلمين العدول ولكن دراسة سبينوزا لأمثال هؤلاء الفلاسفة هو لغرض آخر وهو تدعيم مقالة هؤلاء المنحرفين عن عقيدة الإسلام الصحيحة والقائلين بالفناء الروحي ووحدة الوجود، لذا كتب اسبينوزا عن ذلك وادعى أن الله – تعالى – يكمن في الطبيعة والكون وأن النصوص الدينية اليهودية وغيرها من نصوص الأديان السماوية الأخرى هي بمثابة استعارات ومجازات غايتها أن تُعرِّف بطبيعة الله، ومن ثمَّ بدأ يصطدم بطائفته وجاليته اليهودية في مسائل تخص عقائد الديانة اليهودية وكذلك المسيحية، ولذلك سماه ول ديورانت «الهرطيق الصغير» فقال: «إن هذه الشخصية الغريبة المحببة التي بذلت في التاريخ الحديث أجرأ محاولة للعثور على فلسفة يمكن أن تحل محل عقيدة دينية ذائعة، ويمكن تتبع أسلافه إلى مدينة سبينوزا بالقرب من «برجوس» في مقاطعة ليون الإسبانية، وكانوا يهودًا ثم ارتدوا إلى المسيحية، فكان منهم العلماء والقساوسة، وكان منهم كاردينال «دييجو»، كبير المحققين يومًا.. وكان والد سبينوزا في فترات مختلفة ناظرًا للمدرسة اليهودية، ورئيسا لصندوق الصدقات

المنتظمة للجالية اليهودية البرتغالية.. وقد افتتح اليهود لهم مجمعًا في هولندا، وكانت العبرية لغة عبادتهم، والإسبانية والبرتغالية لغتهم في حياتهم اليومية، وفي عام ١٦١٥م «أي: قبل ولادة سبينوزا» أقرت السلطات الهولندية رسميًا وجود الجالية اليهودية، ومنحتها العبادة ولكنها منعت اليهود من التزاوج مع المسيحيين ومن التهجم على الدين المسيحي، ومن هنا ظهر الذعر الذي استولى على رؤساء المجمع اليهودي حين مست هرطقات باروخ سبينوزا أسس العقيدة المسيحية.. ويقول في موضع آخر: وينبغي ألا يغيب عن الأذهان ما كثرت الإشارة إليه من أن زعماء الجالية اليهودية في أمستردام كانوا يجدون حرجًا في معالجة الهرطقات التي تهاجم أساسيات المسيحية واليهودية على حد سواء، إن اليهود في الجمورية الهولندية نَعِمُوا بتسامح ديني أنكرته عليهم سائر الأقطار المسيحية..

وفي موضع آخر يقول سبينوزا: «إنه أولاً بطبيعة الحال، كان يهوديًا وعلى الرغم من أنه كان محرومًا من الكنيس اليهودي(١)، فإنه لم يستطع أن يخرج عن هذا التراث الضخم، ولا أن ينسى سنين تأمله في العهد القديم «التوراة» والتلمود وكثير من الفلاسفة اليهود وتعاليمهم، ولابد أن دراسته للتلمود ساعدت على شحذ الإحساس المنطقي الذي جعل من رسالته «الأخلاق» معبدًا ممتازًا للعقل، قال سبينوزا: «إن بعض الناس يبدأون فلسفتهم من الأشياء المخلوقة، وبعضهم من الذهن البشري، أما أنا فأبدأ من الله»، وتلك كانت الطريقة اليهودية» (٢)، وقد أبدى سبينوزا تصورًا مغايرًا ومخالفًا عن فكرة الله في التصور اللاهوتي اليهودي والمسيحي وتتلخص تلك الفكرة مع فكرة الحلول والاتحاد، وفي ذلك يرى سبينوزا «أن من يلجأ إلى إرادة الله - تعالى - عندما يجهل شيئًا ما، فإنه يكشف عن جهل وتفاهة في التفكير، ولما كان الجاهل لا يدرك شيئًا بوضوح فإنه يرى كل

---

(١) وهذا أمر طبيعي من الكنيس اليهودي لأن إعلان وإظهار عقائد وأفكار سبينوزا ونشرها بين المجتمعات المسيحية سيجلب على الطائفة الشر المستطير لذلك أعلنوا رفضهم وبراءتهم من أفكاره ومعتقداته.

(٢) قصة الحضارة - بتصرف (٣٤/ ١٠٥ - فصل سبينوزا (الهرطيق الصغير).

شيء من الله، أما الفيلسوف، وخاصة الفيلسوف الذي يؤمن بالحلول - كذا - فإنه يرفض كل تفسير يفوق الطبيعة..» ولذلك بدأ سبينوزا يعرض أفكاره الدينية تحت دعوى إعمال العقل، وحرية الفكر دون تحيُّز للدين، ويقول حول النزاع الذي نشب بين الفلاسفة والكنيسة: «منذ رأيت الخلافات الحادة التي نشبت بين الفلاسفة في الكنيسة والدولة، وهي مصدر الكراهية المريرة والانشقاق.. فإني اعتزمت أن أتناول بالبحث من جديد، الكتاب المقدس، بدقة وروح غير متحيِّزة، طليقة غير مقيدة، دون أن أضع افتراضات أو نظريات لا أرى بوضوح أنها موجودة فيه، ومع هذه الاحتياطات وضعت طريقة لتفسير الأسفار المقدسة [١] ».

وهكذا بدأ سبينوزا يطعن في كتاب النصاري المقدس وكذلك بعض أسفار العهد القديم «التوراة» فيقول عن التوراة: «إن المعلومات التاريخية الواردة في التوراة ناقصة بل هي كاذبة، وأن الأسس التي تقوم على المعرفة في هذا الكتاب غير كافية من حيث الكم ومعيبة من حيث الكيف..»، ويقول: «ظهر واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة..»، وأنكر أن يوشع هو الذي ألف سِفر يشوع، ونسب الأجزاء التاريخية في العهد القديم إلى القسيس والكاتب عزرا في القرن الخامس بعد الميلاد، أما سِفر أيوب فقد ذهب إلى أنه كان من عمل الأممين «الكفار» ثم تُرجم إلى العبرية.. «أما عن العهد الجديد «الإنجيل» فقال: «كانت هناك استحالات وتناقضات من حيث التوقيت الزمني، ففي رسالة بولس الرسول إلى الرومان «٣: ٢٠ - ٢٨» لقنهم أن خلاص الإنسان يمكن أن يكون بالإيمان وحده لا بالعمل، ولكن رسالة بولس «نسخة جيمس» [٢] (٢/٢٤) أوردت نقيض هذا على خط مستقيم، فأيهما تتفق مع كلمة الله وتوجيهه؟ وأشار الفيلسوف إلى مثل هذه النصوص المتباينة قد خلقت بين رجال اللاهوت صراعات مريرة بل دامية، بدلا

(١) قصة الحضاة لول ديورانت «٣٤/ ١١٢، ١١٣».

(٢) وقد أشار الشيخ أحمد ديدات رحمه الله في مناظرات عديدة مع القساوسة النصارى على اختلاف مذاهبهم إلى كثير من هذا التناقض والتباين بين نسخ الأناجيل.

من السلوك القويم الذي يحث عليه الدين» [1] وهكذا شكَّك سبينوزا في الكتاب المقدس عند اليهود (ذرًا في الرماد) ولكن المعنى والمقصود هو كتاب النصارى «الإنجيل».. وقد تأثر سبينوزا بآراء ومذاهب وأفكار من سبقوه من الفلاسفة وعلى رأس هؤلاء «رينيه ديكارت» [2]، صاحب مذهب الشك، ولكن فاق سبينوزا ديكارت بمذهب الحلول، فديكارت يرى أن الجسم والذهن جوهران مختلفان ولكن سبينوزا يعتقد «أن الجسم والذهن شيءواحد، وأنهما نفس الحقيقة، وأنهما يدركان في مظهرين أو صفتين مختلفتين مثلما أن الامتداد والفكر شيء واحد في الله - ومن ثَمَّ لا تكون هناك مشكلة في كيفية تأثير الجسم في الذهن أو العكس بالعكس» [3].

وهكذا أعمل سبينوزا عقله في النصوص وكذلك في الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى «ومذ قبع سبينوزا واهنًا مقرورًا وحيدًا في علياء فلسفته، توّاقًا إلى أن يعثر في الكون على شيء يتقبل عبادته وثقته، فإن المهرطق الوديع، الذي كان قد أبصر الكون رسمًا هندسيًا (متأثرًا بديكارت في هندسته التحليلية) انتهى برؤية كل الأشياء في الله وفقدانها في الله، حيث أصبح «الملحد» النشوان بحب الله، مما أدى إلى ارتباك الأجيال القادمة وحيرتها..» [4]

وقد ترك سبينوزا عدة مؤلفات أهمها: (رسالة في اللاهوت والسياسة) وقد قام بترجمتها والتعليق عليها الدكتور حسن حنفي، وكذلك رسالة في علم الأخلاق، ونُشر بعنوان (الأخلاق مؤيدة بالدليل الهندسي)، وقام بترجمة تلك

(١) بتصرف قصة الحضارة (٣٤/ ١١٣)

(٢)هو رينيه ديكارت، فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ - ١٦٥٠م» عاش في هولندا، وأُطلق عليه لقب «مؤسس الفلسفة الحديثة» وهو يعتبر الأب الروحي الذي وضع علم الهندسة التحليلية، وهو من أهم الفلاسفة الذين نادوا بالمذهب العقلاني، واشتهر لرفضه مبدأ «الغائية» سواء كانت إلهية أو طبيعية في تفسير الظواهر الطبيعية ويُقصد بالغائية: الاعتقاد بأن كل شيء في الطبيعة مقصود به تحقيق غاية معينة؛ ويعتبر منهج الشك عند ديكارت هو خطوة التأمل الفلسفي الأولى والأساسية وهو السبيل الأمثل عنده للوصول إلى اليقين [راجع: ديكارت، د. نجيب بلدي ص٨٨، دار المعارف - مصر]

(٣) قصة الحضارة (٣٤/ ١٣٥).

(٤) المصدر السابق (٣٤/ ١٤٧).

الرسالة د. فتح الله المشعشع. وقدأثرت فلسفة سبينوزا في العديد من المثقفين العرب الذين انبهروا بالمذاهب الغربية وفلاسفتها.. [١]

وهكذا أثرت أفكار وفلسفة سبينوزا في الأجيال التي جاءت من بعده «واعتبر اليهود ابنهم خائنا لقومه، وصب المسيحيون عليه اللعنة شيطانًا بين الفلاسفة، مسيحًا دجالاً سعى لسلب العالم من كل معنى ورحمة وأمل، بل إن المهرطقين أنفسهم أدانوه واستنكروه.. إن لسبينوزا نصيبًا متواضعًا، يكاد يكون خفيًا، في تنشئة الاستنارة في فرنسا، فإن زعماء هذه الثورة العنيفة استخدموا نقد سبينوزا للكتاب المقدس سلاحًا في حربهم ضد الكنيسة، وأعجبوا بمذهب الجبرية عنده، وبأخلاقه القائمة على المذهب الطبيعي، وبرفضه للتدابير في الطبيعة.. إن التعادل بين الطبيعة والله (وهو مذهب سبينوزا) ذلك التعادل القائم على مذهب وحدة الوجود، وهو بالتحديد الذى اهتزت طربًا له ألمانيا..» [٢] وهذا اعتراف من كاتب مسيحي أمريكي وهو ول ديورانت على أن سبينوزا كان لأفكاره وآرائه العون والمدد لزعماء الثورة الفرنسية في حربهم ضد كنيستهم، بل وإعجاب الأجيال المسيحية في جميع أنحاء أوروبا بآراء ومعتقدات وأفكار سبينوزا تمامًا كما اقتنعوا بأفكار وآراء الفلاسفة من بعده وخاصة من اليهود الذين دعوا إلى نبذ الدين واتباع أفكارهم ومذاهبهم، وفي استفتاء أجرته مجلة «النوفيل أوبزرفاتور» الفرنسية التي تصدر في باريس ذكرت أن المثقفين الفرنسيين والأوروبيين المعاصرين قد اعتبروا مسألة الجدال الدائر بين بابا الفاتيكان السابق (يوحنا بولس الثاني) الذي كان يدعو المجتمعات الأوروبية والغربية عمومًا إلى العودة مرة أخرى للدين المسيحى قد حُلّت لأن الفلسفة - من وجهة نظرهم - قد أزاحت الدين المسيحى وحلت محله في أوروبا وعموم الغرب، وهكذا استطاعت أيادي اليهود الخفية من خلال فلاسفتهم أو النظريات التي تبنوها أن

---

(١) راجع رسالتنا: المذاهب الغربية المعاصرة وأثرها على العالم الإسلامى [الناشر: الجامعة الأمريكية المفتوحة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية].

(٢) بتصرف قصة الحضارة (٣٤/ ١٥٥).

تهدم ماتبقى من الديانة المسيحية وقد كانت لنظرية داروِن المُحرِّك والداعم الرئيسي لما جاء بعدها من نظريات.. فمن هو دارون وما هى نظريته؟..

٢- دارون ونظريته:-

هو العالم البريطانى تشارلز دارون «١٨٠٩ - ١٨٨٢م».

كان يعمل ضابطًا في الجيش البريطاني ثم تخصص في علم الحياة، وكان يؤمن بالمسيحية، ويؤمن بأن الله هو خالق الكائنات، وفي عام ١٨٥٩م نشر «دارون» كتابه: (أصل الأنواع) فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعلمية - كما سنرى - ما لم يكن في الحسبان.

والغرض الذى يدور حوله الكتاب هو : افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة، وعدم التقييد بالدقة والتعقيد، وتدرجها من الأحطّ إلى الأرقى.. ولم يكن (دارون) هو أول من قال بهذه النظرية، فقد سبقه علماء من فرنسا أشهرهم: «لامارك» [(١)]، الذي قال: «إن نشوء الحياة في سائر الحيوان كان عن طريق النشوء البطيء وتحول الأنواع، وظهور أنواع جديدة، وزعم لامارك أن أنواع الأحياء ليست أصيلة في الخلق والتكوين، بل اشتق بعضها من بعض، بطريق التحول والارتقاء التدريجي، وظل هذا المذهب ضعيفًا، لا يقوى على الوقوف أمام مذهب أهل الأديان، إلى أن جاء (دارون) فدفع مذهب التحول دفعة قوية للأمام.

والحقيقة أن الظروف لم تكن مهيأة أمام لامارك، ومن قال بنظرية النشوء، ولكن للحقيقة والإنصاف في جميع الأجواء كانت ممهدة أمام «دارون» لتقبل نظريته، وخاصة عقب الثورة الصناعية التي اشتعلت في أوروبا، وقيام اليهود لإعلان وتبنى هذه النظرية، ونشرها على مستوى واسع وكبير في جميع أنحاء

---

(١) هو جان باتيست لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩م)؛ من علماء الطبيعة الفرنسيين، ألّف دائرة المعارف النباتية، وهو صاحب نظرية في التطور التي اقتبسها منه دارون [بتصرف من موقع ويكيبيديا].

أوروبا وأمريكا، وقد كانت نظرية (دارون) بمثابة المتنفس والملاذ الرئيسي لجميع الملحدين في الأرض الذين لا يؤمنون بوجود خالق، فاستغلوها تمامًا لنشر مذهبهم الإلحادى، ووجدوا في هذه النظرية السند والدعم لهم.

ويمكن تلخيص وجهة نظر «دارون» ونظريته في الآتى:

١- ناموس «تنازع البقاء»: ومعناه: أن الكائن في هذه الحياة في صراع دائم مع الطبيعة من جهة، ومع أبناء نوعه من جهة أخرى.

٢- ناموس «تباينات الأفراد»: ومعناه: أن الأجساد الحية تميل للتباين ببعض صفاتها عن الأصل الذى نشأت منه؛ لذلك لا يتم التشابه الكلي بين الآباء والأبناء، ولا بين الأصول والفروع.

٣- ناموس: «الانتخاب الطبيعى» وخلاصته: أن الإنسان أصله قرد!!.

نقض نظرية «دارون» علمياً:

نقض الافتراض الأول: هذا الافتراض يتعارض مع القوانين الثابتة والحقائق العلمية التالية:

١- العلم الحديث يكشف لنا كل يوم أن الكون الذي نعيش فيه به نظام بيئيٌّ متكامل، ومتزن لدرجة متناهية في الدقة، وهذا أمر لا يحدث مصادفة.

٢- إن نظرية «دارون» قاصرة؛ فهى لم تفسر جميع الظواهر في الحياة، فهى لم تقدم تفسيرًا لأصل الحشرات - مثلاً - مع أنها تمثل ٨٠٪ من مجموعة الحيوانات، فهل تطورت تلك الحشرات، أم بقيت على ما هى عليه، وعلى سبيل المثال فإن النملة التي تحدث إليها نبي الله سليمان - عليه السلام - لم نسمع أنها جرى عليها مبدأ التطور والارتقاء، فحجم النملة منذ آلاف السنين هو هو لم يتغير حتى الآن.

٣- لم تقدم نظرية «دارون» كذلك أي تفسير لأصل الطيران بجميع أشكاله، فأصله غير معروف تمامًا، فلم تقدم تفسيرًا لكيفية ظهور الطيران لدى الحشرات والخفافيش والطيور.

أما الافتراض الثانى: والذي يقول بأن السلم قد بدأ بالكائنات وحيدة الخلية وتحت تأثير الظروف البيئية تم التطور إلى كائنات أكثر من أجل البقاء مع انقراض الأفراد الأقل صلاحية، بمعنى: البقاء للأقوى والأصلح والأحسن، وهذا الافتراض ينقصه كثير من الدقة؛ لأننا ما زلنا حتى الآن نرى كائنات دقيقة وحيدة الخلية، وعديدًا من الكائنات التي لم تنقرض، رغم أنها ضعيفة، بسيطة التركيب، ولا أدل على ذلك من اكتشاف فيروسات جديدة كل يوم لم تكن موجودة من قبل، وكذلك تم اكتشاف أنواع من البكتيريا في حفريات الفراعنة.

كذلك من أوجه نقض نظرية (دارون) والتى أصابتها في مقتل: اكتشاف علم الوراثة، وهو علم راسخ الأركان يقطع بأن الكائنات تتوارث في صفاتها عن طريق الجينات الوراثية، وكلما زادت معلوماتنا عن الخلية الحية، ومدى تعقيدها، تأكدنا أكثر وأكثر مدى استحالة ظهورها مصادفة، كما يقول الطبيعيون ويكفى أن نعلم أن جزئيات الحمض النووي للإنسان المعروف بـ DNA تحتوي على معلومات لو قمنا بتسجيلها على الورق لاحتجنا إلى أكثر من تسعمائة ألف صفحة تقريبًا، وهذا يعادل: ٢٤ مرة ضعف المعلومات الواردة في دائرة المعارف البريطانية.

الافتراض الثالث والأخير الذي تقول به نظرية النشوء والتطور أن الإنسان من نسل القرود والشمبانزى والغوريلا وليقل لنا أصحاب هذه النظرية إذا كان الإنسان قد تطور من الحيوانية المتمثلة في القرود، وأخذ في التطور والتغير حتى أصبح ما عليه الإنسان، لماذا لم ينقرض القرد؟ وماذا نسمى القرود والشمبانزي الذين هم على حالهم ولم يحدث لهم أى نوع من أنواع التطور والتغير الآن؟

كما يُثبت نقض هذا الافتراض ما ثبت أيضًا من عدم توافق التكاثر التناسلي بين الإنسان وأنواع القرود. وهذا معناه في ضوء التقسيم أن الإنسان نوع منفرد وراثيًا.

ومن خلال مجمل تلك المحاور أو تلك الافتراضات يتضح من خلال نظرية

«دارون» التي وضعها في كتابين هما: «أصل الخلائق»، «ظهور الإنسان» ومجمل تلك النظرية تقوم (نستغفر الله تعالى) على أن الوجود قام بدون خالق وأن الإنسان قد تطور طبيعيًا، وهي نظرية تقوم على تأصيل الكفر بالله - عز وجل - وإصباغ الصبغة العلمية المزيفة على قضية الإلحاد، وقد أدت تلك النظرية إلى التأثير على الغرب المسيحي الذي وجد في النظريات العلمية والفلسفية مجالاً رحبًا للابتعاد عن الدين الكنسي التقليدي وساعدت تلك النظرية في تشكيل وبلورة العقلية العلمية التي كفرت بكل شيء في سبيل التقدم العلمي وقد تجاوزتها إلى العقلية الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية وهيمنت تمامًا على جميع نواحي الحياة في الغرب المسيحي عمومًا، وقد نشأت أجيال غربية على مثل تلك النظريات والمذاهب الفلسفية وتشربت نظرية دارون بجميع أبعادها بحيث كانت لهذه النظرية قصب السبق لصقل تصرفات تلك الأجيال في شتى مناحي الحياة..

وكانت لهذه النظرية أيضا الفضل الكبير عند اليهود لتأسيس فكرتهم التي ترتكز على أن جنسهم هو أفضل أجناس البشر وأنهم - حسب زعمهم الباطل - شعب الله المختار، وأن جنسهم يتفوق على جميع الأجناس من «الجوييم» حسب تعبيرهم في كتبهم - لفرض سياستهم الاستعلائية على جميع البشر وأن بقية شعوب الأرض إنما خلقها الله - عز وجل - لخدمتهم - حسب اعتقاداتهم الفاسدة، وكما ترسخ بذلك تعاليم كتبهم وحاخاماتهم وكما سبق وأشرنا إلى قول مارتن لوثر الذي قال عن اليهود: (إنهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما تساقط من فتات مائدة أسيادها تمامًا كالمرأة الكنعانية».

وقد رسَّخت تعاليم التلمود ذلك الاستعلاء وقد فصلناه في العديد من كتبنا [١]، ثم تلقفت أيادي اليهود النجسة نظرية دارون العفنة لتؤصل هذا المفهوم الاستعلائي عند الغوغاء والدهماء من الجماهير المسيحية وخاصة المسيحية

(١) راجع على سبيل المثال: التوراة العدو اللدود للسامية [الناشر دار الكتاب العربي].

البروتستانتية - على ما أوضحناه آنفًا - ولذلك فتلك النظرية تجعل اليهود هم سادة العالم وتبرر لهم جميع تصرفاتهم الرعناء لأنهم حسب تلك النظرية الاستعلائية يرون أنهم ليس عليهم التزام بأي عهود أو مواثيق مع من هم دونهم من السلالة البشرية وأن جميع المجتمعات الإنسانية قامت لخدمتهم وأنهم فوق تلك القوانين التي تصدرها تلك التجمعات البشرية كالأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وغيرها من المحافل الدولية، وهذا هو الواقع بعينه الذى تعيشه البشرية اليوم..

ومن تداعيات هذه النظرية المشئومة:

١- أنها جعلت كل ما يأتي من الأجناس والشعوب التي هي في أسفل السلالة البشرية هى عبارة عن جماعات متخلفة وهمجية وبعيدة عن الحضارة الغربية التي تتعالى على جميع البشر كذلك، بل جعلت هناك عوالم: عالمًا أول وعالمًا ثالثا..

٢- ومن آثار تلك النظرية أيضا أنها جعلت الغرب الأوروبي ينسب جميع الأمراض والأوبئة إلى هذه الشعوب المتخلفة التي تأتيهم من العالم الثالث المليء بالجهل والمرض والتخلف ومن تلك الأمراض: مرض الإيدز الذى يدعي الغرب المسيحى أن مصدره من أفريقيا وأنه قد انتقل إليهم من القرود ومن ثمَّ انتقل إلى المجتمعات الأوروبية والأمريكية عن طريق هؤلاء الأفارقة.

٣- ومن تداعيات تلك النظرية أنها تبرر للغرب المسيحي إضفاء صفة الحضارة والتمدن لكل ما يقومون به ويُصدِّرونه للشرق الإسلامي بما في ذلك تلك النظريات والمذاهب الهدَّامة التي تبناها - للأسف - بعض أبناء جلدتنا الذين انسلخوا عن دينهم وقيمهم وانبهروا بكل ما يأتي من الغرب وهؤلاء صدق فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه -أن النبي-صلي الله عليه وسلم-قال: «لتتبعن سنن من

قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جُحر ضبٍّ لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن..»[1]

٤- أن هذه النظرية كانت الأساس الذي اعتمد عليه «كارل ماركس» و«أنجلز» في إنشاء الفكر الشيوعي البائد - هذا الفكر الذي يدعو لإنكار وجود إله واحد أحد خالق الكون [2].

٥- ومن تداعيات تلك النظرية أنها كانت الأساس الذى بنى عليها بعض الفلاسفة وأدعياء العلم من نظريات ومذاهب وفلسفات لتدعيم آرائهم ونظرياتهم الباطلة والفاسدة أمثال: فرويد، ودور كايم. ونيتشه، ومكيافيلي، وجان بول سارتر، وغيرهم من الفلاسفة أصحاب النظريات الفاسدة والمدارس التي خرّجت أجيالا انسلخت عن دينها وقيمها تمامًا..

ومن النظريات التي يتبناها اليهود أيضاً ونشروها في الغرب المسيحي نظرية فرويد .. فمن هو هذا الفرويد؟

٣- فرويد ونظريته الجنسية لهدم الأسرة:

سيجموند فرويد يهودي نمساوي، كان يعمل طبيبًا ثم تخصَّص في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، ولد عام ١٨٥٦م ومات في عام ١٩٣٨م عن عمر يناهز الاثنين والثمانين عامًا.

ألّف نحو ثلاثين كتابًا في الدراسات النفسية، من أشهرها: الذات والذات السفلى، والطواطم والمحرمات، وتفسير الأحلام، وثلاث مقالات في النظرية الجنسية، والأمراض النفسية المنتشرة في الحياة اليومية، وكلها تدور - من زوايا مختلفة - حول موضوع واحد مكرر فيها جميعًا، وهو التفسير الجنسي للسلوك البشرى، وخلاصة هذا التفسير: أن الطاقة الجنسية هي الطاقة العظمى في

---

(١) رواه البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل/ ٣٤٥٦.

(٢) بتصرف من مقال بعنوان: «حقيقة نظرية دارون» للدكتور حامد إسحاق خوجة «كلية الطب والعلوم الطبية - جامعة الملك عبدالعزيز».

الكائن البشرى، وهى المسيطرة على طاقاته جميعًا، والموجهة لها، والمسخّرة لها كلها لحسابها الخاص.

ويقول بأن الطفل يولد بطاقة جنسية، وتسيطر عليه منذ لحظة مولده تلك الطاقة الجنسية التي ولد بها، فيرضع ثدى أمه بلذة جنسية - حسب رأيه المخبول - ويتبول ويتبرز بلذة جنسية، ويمص إبهامه بلذة جنسية، ويحرك أعضاءه بلذة جنسية أيضًا، ثم ينمو الصبي فيحس تلقاء أمه بلذة جنسية، كما تحس الصبية بالشهوة الجنسية تلقاء والدها، ولكنه يجد أباه حائلاً بينه وبين الاستيلاء على الأم التي يشعر نحوها بتلك الشهوة الجنسية، فيكره أباه الذي يحبه في ذات الوقت، ويصطرع الحب والكره اللذان يحس بهما في آن واحد تجاه الأب، فيكبت الكُره في اللاشعور، الذي تدفن فيه - ظاهريًا كل الرغبات المكبوتة، والمخاوف المكبوتة، ولكنها تبقى حية، فاعلة، ومؤثّرة، موجّهة لسلوك الإنسان دون وعي، ويظهر الحب وحده على السطح، لأن ذلك هو الذي يعجب المجتمع.

ولكن القضية لا تنتهي عند هذا الحد، ولا على هذه الصورة، فإن الصبي يأخذ في حبس نفسه عن والده، عوضًا عن عجزه عن الاستيلاء على الأم بسبب قيام والده حاجزًا بينه وبينها، فيروح ينهى نفسه ويأمرها كما ينهاه أبوه ويأمره، فينشأ الضمير، وتنشأ في نفس الطفل القيم الأخلاقية التي يتعاطاها المجتمع ويرضى عنها، كما ينشأ الدين من ذات العقدة التي سماها «عقدة أوديب» (١)، ويقابلها «عقدة إليكترا» (٢) عند البنت، وهي العقدة الناشئة من الكبت الجنسي

---

(١) وهذا المفهوم استوحاه «فرويد» من أسطورة أوديب الإغريقية، وهى عقدة نفسية تُطلق على الذكر الذى يحب أمه ويتعلق بها ويغير عليها من أبيه ويكرهه وكلمة «أوديب» كلمة يونانية تعني «صاحب الأقدام المتورمة» وقد سُمى أوديب بهذا الاسم في الأسطورة لأن والديه قد ثقبا قدميه بقطعة معدنية مما أدى إلى تورمهما.

(٢) وهى أيضا من الأساطير اليونانية التي تقول: إن «إلكترا» كانت تكره أمها كراهية شديدة وتحب أباها حباً كبيراً وعظيماً بحيث دفعها هذا الحب إلى تحريض أخاها على قتل أمها والتخلص منها، ولقد استعمل فرويد هذه الأسطورة وفسرها - حسب خياله المريض - على تعلق البنت بأبيها هذا التعلق فغارت من أمها على أبيها فحرضت على قتلها [عن موقع ويكيبيديا].

لشهوة الصبي الجنسية نحو أمه، وشهوة البنت الجنسية نحو أبيها، هكذا تنشأ - عنده - القيم العليا كلها: الدين والأخلاق والتقاليد المستمدة من الدين، من تلك العقدة الناشئة من الكبت الجنسي!!.

نشأة الدين عند فرويد:

اخترع فرويد وابتداع قصة من نسج خياله المريض اعتبرها هي منشأ ومَنْبَت الدين والأخلاق عنده، فقال في كتاب: «الطواطم والمحرمات»: «حدث في جيل من الأجيال البشرية الأولى، أن أحس الأبناء برغبة جنسية ملحة نحو أمهم التي ولدتهم، ولكن سطوة الأب كانت تمنعهم من مزاولة هذا العمل الجنسى مع الأم، فتآمر الأولاد على قتل أبيهم، ليتخلصوا من سطوته ويستأثروا بأمهم، وفي ذات ليلة قتل الأولاد أباهم، فلما أصبحوا ندموا على قتل أبيهم ندمًا شديدًا. فصمموا أن يقدّسوا الأب، كفارةً لما ارتكبوه من الجريمة البشعة بالنسبة إليه، ثم امتزج ذكر الأب ببعض أنواع من الحيوانات فامتنعوا عن قتل هذه الحيوانات، بل بالعكس أخذوا يقدسونها، وهذا أول دين ظهر على الأرض في العالم ثم نشأت من هذا الدين سائر الأديان.!!

فالأديان - من وجهة نظر هذا المخبول - جاءت لحل مشكلة إحساس الأبناء بالجريمة، فتولدت عندهم عقدة الذنب؛ لذا فإن الأديان - عند فرويد - رد فعل لحدوث ذلك الإجرام، ونشأت بذلك أول عبادة عرفتها البشرية عنده، وهى: عبادة الأب، ثم وجدوا أنهم - أي الأولاد - لو تقاتلوا بينهم للاستيلاء على الأم فسيقتل بعضهم بعضًا وينتهى نسلهم، فاتفقوا على ألا يقربها أحد منهم، فنشأ أول تحريم في العلاقات الجنسية وهو تحريم الأم» (١).

ومن الواضح أن هذه القصة لم تعرفها كتب التاريخ في جميع الأديان السماوية أو الأرضية، ولكنها من اختراع هذا المخبول، الذى أراد أن يفسر كل شيء حسب النزعة الجنسية عند البشر، فابتدع هذه القصة لتتواءم وتتوافق مع

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب (ص٩٠).

خيـاله المريض؛ لذا فـإنه يعلّل المجتـمع والأخـلاق والتقـاليـد بأنهـا قـهر للنوازع الفطرية للبشـر، ويرى أنه لولا هذه الثـلاثة لم يكن هناك مـريضٌ ولا معـتوهٌ، ولا مـجرم، فإن المجـرمين والمعتوهين والمرضى - حسب رأيه - كلهم ضحايا المجتمع والأخلاق والأديان. !

إن نظرية «فرويد» لا تميز بين السلوك الحيواني والإنساني، في حين أن هناك فرقًا بينهما، صحيح أن الإنسـان تُحرِّكه أحيانًا دوافع أقرب إلى البهيمية، ولكن الواضح هو أن الغـريزة عند الحـيوان جـامـدة لا تتـغـيـر ، بينمـا نجـد الغـريزة الإنسانية قابلة للتغيير والتقويم.. و«فرويد» يرفض التربية والأخلاق، ففى كتابه: (قلق الحضارة) يركّز على مصطلحين هما: الشقاء والصراع، شقاء الإنسان أمام عدم تحقيق نزواته ونزعاته الجنسية، ثم صراع الدين والأخلاق مع الغرائز [١].

وهكذا تدعو نظرية فرويد إلى نبذ الدين والأخلاق والتقاليد والأعراف وتدعو كذلك إلى التـحـرر والانطلاق نحـو الانحـلال وإطلاق العنان للغـرائز الجنسيـة البهيمية لتتحكم في كل شيء.. !!

إن حركة التحليل النفسي التي اخترعها «فرويد» إنما استمد جذورها من تراثه اليهـودي الذى كان أحد الركائز والدعـائم في تنشئته، فـقد كان «فـرويد» صديقًا حميمًا لتيودور هرتزل مؤسس الصهيونيـة الحديثة، وكان يوليه احترامًا وتقديرًا كبيـرًا، وقد أرسل إليه أحد كتبه مع عبارة «إهداء شخصي» [٢]، فمع كتاباته عن موضوع التحليل النفسي إلا أن إيماءاته التحليلية كانت تدعـو إلى التحلل من القيم والأخلاق ونشر الثقافة الجنسية إلا أنه كان يهوديا إلى النخاع مع اضطراب شديد في شخصيته، ففى الفترة الأخيرة من حياته عكف على تأليف كتاب بعنوان (موسى والتوحيد)، والذي ظهر بعد وفاته، وهذا الكتاب يميل معظم الدارسين اليهود إلى إغفاله حين يكتبون عن «فرويد»، لأنه ذكر فيه أن

(١) عن مقالة بعنوان: الطبيعة الإنسانية في التصور الإسلامى، لملاك مصطفى، من المغرب.

(٢) التراث اليـهودى الصـهيونى والفكرى الفـرويدى ، د. صبـرى جرجس [الناشر: دار عـالم الكتب - القاهرة ١٩٧٠]

موسى - عليه السلام - كان مصريًا ولم يكن قط يهوديًا، وأن اليهودية خرجت من رحم التوحيد المصرى، وقد كتب إدوارد سعيد عن هذا الكتاب فقال: «في تعارض تام مع الروح التي لا يزال فرويد يُذكّر بها عامدًا بأن موسى مؤسس اليهودية لم يكن يهوديًا، وبأن اليهودية قد خرجت من رحم التوحيد المصرى غير اليهودى، فإن التشريع الإسرائيلي يدحض ويكبت ما دأب فرويد عليه من انفتاح الهوية اليهودية على خلفيتها غير اليهودية»(١).

ويرى إدوارد سعيد أن فرويد يتخبط في كتابه هذا سالف الذكر، في تحديد هوية الثقافات غير الأوروبية في تكوين فرويد، وتوصل إلى أن معرفة فرويد بالثقافات الأخرى «غير الأوروبية» مصوغة استنادًا إلى التراث اليهودى - المسيحي ذى الطابع الغربي، وهذا الأمر هو الذي حدد هويته، وقد أثارت تلك المحاولة من فرويد كثير من الدهشة والاستغراب بل والاستنكار من قِبَل اليهود أنفسهم، لأنها تحمل بين ثناياها إدانة لليهود وشهادة من أحدهم ضدهم، في الوقت الذى كانت ابنته «آنا فرويد»، والتي أصبحت فيما بعد من علماء النفس المشهورين في ألمانيا، وعلى الرغم منها أصبحت في ضيافة الجستابو (٢)، مما كان يُشعر «فرويد» بالذل والهوان»، هذا الكتاب كشف عن مدى القلق والاضطراب والتوتر والتمزق الداخلي، الذى كان يعاني، منه فرويد، رغم مظهره الخارجي المتماسك، وحين هلك فرويد في الثالث والعشرين من أيلول «أغسطس» ١٩٣٩م، لم يجد الشاعر البريطاني الأمريكى الشهير أودن (٣)، أبلغ من أن يقول فيه وهو يرثيه: «لقد مات في المنفى، يهودى كبير، ولم يعد بالنسبة لنا مجرد شخص كغيره من الناس، وإنما أصبح الآن عالمًا كاملاً من الآراء والأفكار.» (٤).

(١) مقال على النت بعنوان «فرويد وغير الأوروبيين» لإدوارد سعيد.

(٢) الجستابو: هو جهاز البوليس السري الألماني أيام الحقبة النازية من حكم هتلر

(٣) هو ويستاف هيو أودن، شاعر بريطاني، ولد عام ١٩٠٧م وتوفى عام ١٩٧٣م وكان من المؤيدين للفكر الفرويدى ومبادئ التحليل النفسي وعندما سافر وهاجر إلى أمريكا بدأ يشتغل في شؤون المسيحية ولاهوت المسيحية البرتستانتية [مختارات من أعمال و. هـ. أودن، تحرير وترجمة د. شريف بقنه الشهراني.

(٤) مقال بعنوان: فرويد.. فشل في التخلص من يهوديته للصحفي صُباح صادق من كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

ومع أنه - كما ذكرنا آنفًا - لم ترد فى كتب وتحليلات فرويد أية دعوة صريحة إلى الانحلال بشكل واضح، وإنما كانت هناك إيماءات تحليلية تتخلل المفاهيم الفرويدية تدعو إلى ذلك، وقد استفاد الإعلام الصهيوني من تلك المفاهيم المغلوطة على نحو يُغري الناس بالتحلل من القيم وييسر لهم سُبُله.. فمن أكبر الآثار المدمِّرة لآراء فرويد:

- أن الإنسان حينما كان يقع في الإثم - حسب المفهوم المسيحي - كان يشعر بالذنب وتأنيب الضمير. فجاء «فرويد» ليوهمه بأنه يقوم بعمل طبيعي لا غبار عليه، وبالتالي فلا يحتاج إلى اعتراف داخل الكنيسة أو إلى توبة.

- وكان ينشر أن الامتناع عن الاتصال الجنسى «أى: الزنا» قبل الزواج قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز بعد الزواج. !!

وقد تلقفت وسائل الإعلام - على اختلاف أنواعها - والتي يُسيطر عليها اليهود بنشر تلك المفاهيم عن طريق المجلات الخليعة، والأفلام الجنسية الفاضحة، وصور النساء العارية، وكذلك الحال بالنسبة للرجال وهكذا استطاعوا نشر الرذيلة وإشاعة الفساد تحت تلك المزاعم والمفاهيم التي أقرتها البروتوكولات التي تقول: «ومن المسيحيين أُناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا، وخدمنا، وقهرماناتنا [(١)] في البيوت الغنية وكتبتنا ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم - وإليهن أضيف -كما يقول البروتكول- من يسمين (نساء المجتمع) والرغبات من زملائهم في الفساد والترف» [(٢)].

ولذلك قام اليهود بتقديم فكر «فرويد» الانحلالي للإنسانية بهدف إشاعة الفاحشة ونشر الرذيلة بين الأمم..

---

(١) القهرمانة: هي القيِّمة على شؤون المنزل أو على شؤون الأطفال فيه، وهي المربية أو «الدادة» وقلما تخلو منها البيوت الكبيرة.

(٢) بروتوكولات صهيون، البروتوكول الأول ص١٠٩.

«وليست الإباحية الجنسية فقط هي الفكرة الوحيدة التي كان يعتمد عليها «فرويد» في تحليلاته ويسعى لنشرها، بل كان يكافح ضد كل القيود والأوامر الدينية والإلهية الموجهة للنفس البشرية، فيعتبر الدين مرضًا نفسيًا، فالعقائد الدينية في نظره أوهام لا دليل عليها، وهي تقارن بالهذيان، وقد كان «فرويد» يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحًا علمانية، فيسهل انتشاره وتقبله، ولكن الحقيقة أنه كان غارقًا في يهوديته - كما ذكرنا ذلك آنفا - من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.. فهو يهودي إلى النخاع، والدليل على أنه أحد أذناب اليهود من الفلاسفة الذين تأثرت بهم حضارة الغرب المسيحي:

أولاً: أنه كان يناقش فكرة «عداء السامية»، وهي ظاهرة كراهية اليهود، تلك النغمة التي يعزف عليها اليهود، لاستدرار العطف عليهم وإخفاء أعمالهم الخبيثة، وقام بتحليل هذه المعاداة للسامية، وردها للشعور ولعدة أسباب، منها:

١- أن الشعوب الأخرى تغار من اليهود؛ لأنهم أحباء الله وشعبه المختار - حسب زعمه وزعم حاخاماته الأشرار.

٢- أن كراهية الشعوب لليهود هي في أصلها كراهية للنصارى المسيحيين، ذلك أن الشعوب التي قامت بالاضطهاد ضد اليهود كانت شعوبًا وثنية ثم تحولت إلى النصرانية بالقوة الدعوية، وبعد أن توحدت معها نقلت حقدها وكراهيتها لليهودية التي هى أصل النصرانية.

ثانيًا: دعوته للزنا «عشق المحارم»؛ لأن اليهود هم كثر من أشاعوا تلك الفاحشة في أوساط المجتمعات الغربية، وقد استغل اليهود نظرياته تلك وأنتجوا أفلامًا فاضحة تعرض نماذج من عشق وزنا المحارم.

ثالثًا: تفسيره للحرب، باعتبارها محاولة جماعية للإبقاء على الذات نفسيًا، وأن الذي يحارب يُعرِّض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل فيفنى نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفنى غيره أفضل من أن يؤذي نفسه بالصراعات النفسية الداخلية، ويعتبر الانتحار مثلاً واضحًا لفشل الفرد في

حفظ حياته، و هذا المفهوم وهذه التبريرات تُريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني الدموي، وقد ساعد على انتشار أفكاره ما يلى:

أ- الفكر الداروينى الذي أرجع الإنسان إلى أصول حيوانية مادية.

ب- الاتجاه العقلاني الذي ساد أوروبا حينذاك.

جـ- الفكر العلماني، الذي قام على الثورة ضد الكنيسة وتعاليمها في البداية ثم أصبح ضد كل المفاهيم الدينية.

د- اليهود - أنفسهم - الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمعات، ليسهل لهم السيطرة عليها، وقد ساعدت (الفرويدية) كثيرًا في تمكينهم من ذلك. [١].

ثم تستمر نظريات فلاسفة اليهود التي حطمت عقائد المسيحية وقيَّضتها بين أتباعها «يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، ويجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا.. وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية)..[٢].

٤- دوركايم اليهودي ونظريته «العقل الجمعى»:

إميل دوركايم، يهودي فرنسي، ولد عام ١٨٥٨م ومات عام ١٩١٧م عن عُمر يناهز الستين عامًا، وتخصَّص في علم الاجتماع، وله فيه كتب من أشهرها:

(مقدمة في علم الاجتماع).

أخذ «دوركايم» عن «دارون» التفسير الحيواني للإنسان، ومدَّه ليغطى مَيْدان العلاقات الاجتماعية، ولم تكن نظرية «دارون» لها أدنى علاقة بعلم الفلسفة أو الاجتماع، ولكنهم اليهود الذين استغلوا تلك النظرية إلى أبعد الحدود، وخاصة آراء «دوركايم» أن الكائن البشري محكوم بنزعة القطيع التي تحكم عالم الحيوان وتُسيِّره دون وعي منه ولا إرادة، وهو ما أُطلق عليه اسم (العقل الجمعى)، و«دوركايم» الذي تخصص في علم الاجتماع توقع فصل هذا العلم عن الدين إذ يقول: «إن المجال الاجتماعي مجال من مجالات الطبيعة لا يُفرِّقه عنها إلا أنه

(١) بتصرف من مقال بعنوان: «فرويد.. يهودي إلى النخاع».

(٢) بروتوكولات صهيون، البروتوكول الرابع عشر (ص١٥٢، ١٥٣).

أشدّ منها تعقيدًا، ومعلومٌ أنه من المستحيل أن تختلف الطبيعة اختلافًا جذريًا عن أصلها من حالة إلى حالة فيما يتعلق بالأُسس الكبرى»، ويقول أيضًا: «ليس هناك علم إلا وواجه مقاومة من قبل العواطف الإنسانية التي كانت هذه المقاومة لا تقل في عنفها عن المقاومة التي يلقاها علم الاجتماع في وقتنا الحاضر «أي: فى وقته» وذلك لأن الظواهر الطبيعية كانت هي الأخرى ذات طابع ديني أو خُلقي، أما وقد تحررت العلوم واحدًا بعد الآخر من سيطرة تلك الفكرة الشائعة «أي: فكرة الدين» فإنه يحق لنا الاعتقاد أنها سوف تختفي في نهاية الأمر من علم الاجتماع أيضًا، أي: من آخر معاقلها، وبذلك تدع السبيل حرًا أمام العلماء»، وهكذا أراد أن يجرد علم - ما يسمى - بالاجتماع من الدين لكي يطلق العنان لعلماء الإلحاد أن يقولوا ما يحلو لهم دون وازع من دين أو أخلاق أو قيم، وهذا ما حدث لكثير من العلماء الذين تخصصوا في الفلسفة، أو علم الاجتماع، فإنهم دائمًا ما يَفصلون بين الدين والعلم، والدين والسياسة ثم يستخلص «دوركايم» مذهبه ويحدّد طبيعته ويوضح نظريته؛ لكي لا يلتبس على أتباعه بالنظريات الأخرى، فيقول:

«إن الوصف الوحيد الذى نرتضيه لأنفسنا هو أن نُوصَفَ بأننا عقلانيون، لا ماديون، ولا روحيون، وذلك لأن الهدف الرئيسي الذي نرمي إليه ما هو - في الواقع - إلا محاولةٌ نريد بها مدّ نطاق المذهب العقلىّ حتى يشمل السلوك من الناحية التاريخية إلى بعض العلاقات السببية، وليس مذهبنا الذي خلع عليه البعض اسم المذهب الوضعي سوى إحدى نتائج المذهب العقلى» [1].

أما الصورة التي يريد «دوركايم» أن يرسمها للبشرية فهى صورة مختلفة، يريد أن يُلغي فيها شخصية الفرد إلغاءً كاملاً ويلغي إرادته ليجعله يتقبل ما يلقيه إليه العقل الجمعي من أوامر وتوجيهات بلا وعي منه ولا إرادة.

ويُعرِّف «دوركايم» العقل الجمعى بأنه: شيء كائن خارج عقول الأفراد، ليس

---

(١) الإنسان والعلاقات البشرية «ص٢»، عن العلمانية لسفر الحوالى «ص١٥٣»

هو مجموع عقولهم، ولايشترط أن يكون موافقًا لعقل أحد منهم ولا لمزاجه الخاص، وأنه يؤثر في عقول جميع الأفراد من خارج كيانهم، ولا يملكون إلا أن يطيعوه، ولو على غير إرادة منهم، ثم يقول: إنه لا يمكن من ثَمَّ تصور ثبات شيء من القيم على الإطلاق: لا الدين، ولا الأخلاق، ولا التقاليد؛ وإن النظر إلى هذه الأمور على أنها أمور قائمة بذاتها هو تفكير غير معقول، وكان المظنون أن الدين والزواج والأسرة هي أشياء من الفطرة ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان» (١).

وهكذا يلغي «دوركايم» الدين من حساباته ومن نظريته المتهافتة، ويعتبره عائقًا لانطلاقاته الاجتماعية التي أراد أن يلغي فيها الكيان البشري، وفطرة الإنسانية التي فُطر الناس عليها.

لقد أسَّس «دوركايم» نظريته على أمور وهمية لا يفهم منها شيء، اللهم إلا إبعاد الدين، أو الأخلاق من الحياة الاجتماعية، وجَعَلَ العقل الجمعى «الوهمى» هو الذي يُحرك الغوغاء، ويُصرّف شؤونهم، ولا ندري أي عقل، وعقل من؟ فإنه لم يحدد!

ويمكن أن نقول: إن «دوركايم» أسس مذهبه على الآتى:

١- أن الدين ليس إلهيّاً؛ لأن فكرة الألوهية في نظره ليست إلا تعبيرًا عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطوُّرها، ويكون الإله فيها رمزًا، فيقول: «إذا أردنا فهم الفكرة التي يكوِّنها المجتمع عن نفسه، وعن العالم الذى يحيط به فلابد لنا من دراسة طبيعة هذا المجتمع لا طبيعة أفراده...».

٢- أن الدين - بناء على ما سبق - ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعى بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض البيئات والمراحل، دون أن يكون لهم حرية اختيار في ذلك، وهذا يعنى أنه لو فرض عليهم - أحيانًا - ألا يكون لهم دين مطلقًا لكانوا غير متدينين، ولا يملكون إلا الانصياع.

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب «ص٩٥».

ثم يُعمل عقله في فلسفة رفض الدين فيقول: «إني حين أؤدّي واجبي كأخ، أو زوج، أو مواطن، أو حين أُنجز العهود التي أبرمها أقوم بأداء واجبات خارجية حددها العرف والقانون، وعلى الرغم من أن هذه الواجبات لا تتعارض مع عواطفي الشخصية، وعلى الرغم من أنني أشعر بحقيقتها شعورًا داخليًا، فإن هذه الحقيقة تظل خارجة عن شعوري بها؛ وذلك لأني لست أنا الذى ألزمت نفسي بها، ولكنني تلقيتها عن طريق التربية، وكذلك الأمر فيما يمس العقائد والطقوس الدينية، فإن المؤمن يجدها تامة التكوين منذ ولادته، وإنما كانت هذه العقائد أسبق في الوجود من الفرد الذي يدين بها للسبب الآتي: وهو أن لها وجودًا خارجيًا بالنسبة إليه».

٢- إن الدين ليس فطريًا، ومثله الأخلاق والأسرة، وهذا الرأى اقتبسه علماء الاجتماع من بعده وعمموه في أبحاثهم، دون أن يدرك هؤلاء أو بعضهم أن الناس يفسرون عادة نشأة النظام الأسري بوجود العواطف التي يكنُّها الآباء للأبناء، ويشعر بها الأبناء تجاه الآباء، كما يفسرون نشأة الزواج بالمزايا التي يحققها كل من الزوجين وفروعهما، وليس الأمر على خلاف ذلك فيما يتعلق بالظواهر الخلقية، فإن الأخلاقيين يتخذون واجبات المرء نحو نفسه أساسًا [(١)].

وفكرة «العقل الجمعي» التي اخترعها «دوركايم» هي فكرة وهمية لأنها تسلب الفرد حريته وفكره واعتقاده وتجعل سلوكه قائما على فكرة هذا العقل الجمعى الهلامية والتي ترتكز في أساسها على إلغاء الفطرة السليمة التي يقول عنها دوركايم نفسه: «كان المظنون أن الدين والزواج والأسرة هي أشياء من الفطرة، ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان» [(٢)].. - كما سبق وأشرنا - وكذب في ادعائه لأن الله - عز وجل - فطر الناس على هذه

---

(١) المجتمع لماكيفر وزميله (ص١٦ - ١٧) عن العلمانية نشأتها وتطورها للشيخ سفر الحوالى (ص١٥٥).

(٢) مقال بعنوان «إميل دوركايم - رائد علم الاجتماع».

النزعات فالذى يخالف فطرة الدين فهو إنسان ملحد لا يؤمن بالله الواحد الأحد، والذى يلغي فكرة الزواج فقد خالف فطرة الله - عز وجل -.

وهكذا ألغى هذا «الدوركايم» الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها وألغى النوازع الإنسانية «من البرنامج».

وهكذا أدى دوركايم اليهودي دوره ببراعة منقطعة النظير كما أداها من قبله فلاسفة اليهود من سلفه الطالح وأن القيادات اليهودية الخفية قد دفعته لإيجاد أفكار في مجال تخصصه وهو «علم الاجتماع» وقد كانت لنظريته المهترأة الداعم الأساسي للفكر الشيوعي الذي أسسه اليهود أيضًا بزعامة «لينين: وهو يهودى اسمه حيام جولدمان»، وكارل ماركس وهو حفيد لحاخام يودي يدعى مردخاي ماركس» [1]، والقائم «أي: هذا الفكر الشيوعي» على الإلحاد بالله - عز وجل - فكانت فكرة «العقل الجمعي» بمثابة الامتداد لهذا الفكر الشيوعي والداعم له وقد أثَّرت هذه الأفكار تأثيرًا تامّا على المجتمعات الغربية المسيحية - التي انسلخت تمامًا من دينها وعقيدتها - وللأسف الشديدانتقلت هذه المفاهيم وتلك النظريات الفاسدة إلى الشرق الإسلامى عن طريق تلامذة المستشرقين الذين درسوا هذه المذاهب والأفكار في الجامعات الأوروبية والأمريكية وتأثروا بها ومن ثَمَّ نقلوها إلى بلادهم كالببغاوات دون أدنى وعي من هؤلاء أذناب المستشرقين أن هذه المذاهب وتلك النظريات ستهدم وستخرِّب أفكار أجيال من أبناء الجامعات في الشرق الإسلامي.. يقول الأستاذ/ أنور الجندي - رحمه الله - : «إن ما ذهب إليه -دوركايم - في مذهبه الاجتماعي الذي يضمه كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) ليس إلا نظرية فرضية بناها عقله في ضوء تحديات كثيرة، ودوركايم يُعتبر ربيب الثقافة الماركسية أو المذهب الماركسي والنظرية المادية أصلاً، ومفهومه معارض تمامًا لكل القيم الأساسية التي جاءت بها الفطرة، أو صاغتها الأديان في منهجها الرباني القائم على الفطرة، وهو في كل دعاواه يأخذ الطرف

---

(١) راجع كتابنا: المذاهب الغربية المعاصرة وأثرها علي العالم الإسلامى ص٢٢٦ [مصدر سابق].

الثاني المعارض فإذا أعلنت الأديان أن الدين فطرة وأن الأسرة فطرة أعلن هو عكس ذلك تمامًا فقال: إن الجريمة هي الفطرة، ولكن الدين والأسرة ليسا من الفطرة في شيء.. وفي نظريته الفاسدة (العقل الجمعي) يدعو إلى إنكار الفرد ومسئوليته ودوره وإلغاء شأن الظاهرة الاجتماعية وتحميلها كل النتائج على النحو الذي يؤدي إلى أخطر الآثار التي يترتب عليها إنكار مسئولية الفرد والتزامه الأخلاقي والديني.. ومن شأن هذا أن يبرر للأفراد تصرفاتهم ويحررهم من التبعية ويلقيها كلها على المجتمع، ولا ريب أن هذا الاتجاه معارض معارضة جوهرية لمفهوم الدين..» [1].

ويمكن أن نُجمل أفكار دوركايم الهدَّامة في الآتي:

١- «الإصرار على تفسير أية ظاهرة اجتماعية تفسيرًا ماديًا، لا يعترف بالله - عز وجل - ولا بأية قوة غيبية، أو موجودات وراء العالم المادي.

٢- ابتكار واختراع فكرة «العقل الجمعي» الذي يسيطر على الجماعة دون إرادة منهم ولا تفكير، فهو يحركهم كما يحرك راعي القطيع من الأنعام قطيعه.

٣- التركيز على إلغاء الفطرة السليمة والإنسانية التي فطر الله - عز وجل - الناس عليها والنزاعة إلى الإيمان بالله - تعالي - وإلى عبادته حق عبادة، وإلى فضائل الأخلاق، وإلى بناء الحياة الاجتماعية السوية القائمة على النظام الأسري القائم على الزواج وضوابطه. [2].

ومن الفلاسفة الذين تبنتهم الأيادى اليهودية أيضًا:

٥- فريدريك فيليهلم نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م):

فيلسوف ألماني مُلحد وكافر بالله تعالى، عالم في تخصصه الفلسفي، تميَّز بشخصية عدوانية، و كان ناقدًا حادًا للمبادي الأخلاقية والدينية والنفعية.. كان أبوه قسيسًا بروتستانتيا، وكذلك كان جده، توفي والده وهو طفل، فتولى تربيته

(١) راجع بتوسع: المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية للأستاذ أنور الجندى.

(٢) كواشف زيوف للأستاذ / عبد الرحمن حبنكة الميدانى.

نسوة العائلة، فنشأ مدللاً حساسًا، مما جعله محل سخرية زملائه في الدراسة مما دفعه للبحث عن وسيلة تجعله خشنًا، صلبًا..

ولعل رد الفعل هذا له أثره في جنوحه فيما بعد - إلى مذهب القوة والعنف والقسوة الذي كان طابع فلسفته.. ولذلك أراد في حداثة سنة أن يكون قسيسًا كوالده وجده، فنشأ على النصرانية البروتستانتية [(١)]، ثم بدأت الشكوك تساوره من الناحية الدينية وهي عادة جميع من يُعملون عقولهم في الديانة النصرانية المتناقضة وهؤلاء لا يكون لهم إلا طريقان: إما طريق الهداية والمتمثل في معرفتهم لدين الله الحق ألا وهو الدين الإسلامي، وإما طريق الغواية والضلال والإلحاد.

ولقد كان نصيب نيتشه سلوكه للطريق الثاني فدخله الشك والريبة وهو في سنِّ الثامنة عشرة من عمره ففقد إيمانه بالنصرانية وكفر بها، ودخل في مرحلة الكفر بكل شيء والنقمة من كل شيء، واندفع إلى طريق الإلحاد حتى مماته، فأعلن موت الآلهة أو «الإله» ثم اتخذ من «السوبرمان» أو (الإنسان الأعلى أو المتفوق) إلهه ومعبوده وقد تلقف اليهود أفكاره وآراءه وساعدوا على نشرها بكل الوسائل المتاحة لديهم في ذاك الوقت ليصلوا من خلاله إلى أهدافهم الخبيثة، مما جعلهم يشيدون به وبأفكاره في بروتوكولاتهم ومجامعهم، تقول البروتوكولات - كما سبق وأشرنا-: « لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون، وماركس، ونيتشه، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا على التأكيد»[(٢)].

وأعتذر من القارئ العزيز لإعادة هذه الفقرة ولكن لأهميتها القصوى نثبتها هنا لندلل على دور اليهود المؤثر والأكيد والفعال لنشر مثل تلك المذاهب والأفكار بين الأمم غير اليهودية..

أما عن فلسفة هذا الملحد المغرور نيتشه فيقول الدكتور/محمود مزروعة:

---

(١) بتصرف من موقع ويكيبيدا - الموسوعة الحرة..

(٢) البروتوكول الثاني من بروتوكولات صهيون «مصدر سابق».

١- ليس هناك فكر، وليست هناك فلسفة تخلو من نقد أو تقويم.

لكن فلسفة «فردريك نيتشه» لا تنطبق عليها هذه القاعدة فهي لا تحتاج إلى نقد أو تقويم، ليس لأنها تعلو على النقد، أو لأنها تعلو على التقويم، أو لأنها خالية من المآخذ، بل لأنها أقل قيمة، وأوضح بطلانًا، وأظهر سقوطا وإسفافًا، وأبين ضلالاً وفسادًا من أن تُنقد، إن الفكر لكي يخضع للنقد لابد أن يحتوي على حد أدنى من العقل والمنطق، يجعله أهلاً لأن ينظر فيه العقلاء ويهتموا له.

لكن فكر هذا الرجل قد فقد الحد الأدني من العقل والمنطق حتي أضحي خيالاً وأوهامًا هي في الواقع أحط من الخيال، وأسفُّ من الأوهام.. إنه لا يقدم للناس أفكارًا وحقائق يقيم الأدلة على صدقها، بل يكتفي بأن يسرد أوهامه ويتجشأ خيالاته التي تنضح بالحقد والمقت لكل شيء في الوجود: الدين، والأخلاق، والقيم، والإنسان، والحق، والخير، والجمال، ولم يفلت شيء في الوجود من مقته وكراهيته، وحقده، حتى نفسه التي بين جنبيه.

٢- إن خيالاته وأوهامه التي يقدمها للناس على هيئة أفكار فلسفية إنما هي خيالات وأهام مريضة، لإنسان فاسد مريض، وقد كانت خيالاته وأوهامه جديرة بأن تذهب سُدى، وأن ينبذها الفكر الإنساني كما نبذت الحياة صاحبها، لولا أن اليهود توسموا في هذا الفكر ما يفسد الإنسانية، ويلوِّث كل ما فيها من حق وخير وجمال، فأمسكوا بهذا الفكر ونشروه، فكان منه هذا الكم الهائل من الغثاء، والذي أضحى معدودًا من المذاهب الفكرية التي فرضها أذناب المستشرقين والذين آمنوا بمثل تلك الأفكار والمذاهب المنحلة ويقوموا بتدريسها لطلاب الجامعات وخاصة في كليات التربية التي تحمل بين طياتها أقسام الفلسفة...، ولذلك ينبغي على المهتمين بهذا الأمر والغيورين على دينهم وثوابتهم الأخلاقية دراسة تلك الأفكار دراسة علمية رصينة ومن ثمَّ تحليلها لإظهار ما فيها من زيف وفساد وانحلال ليتجنبها أبناؤنا الطلاب ومن يدرسون مثل تلك الغثاء فيتحاشوا ضرره ووباءه وفساده.

٣- إن (نيتشه) أقام فلسفته وأفكاره على أساس من التعارض بين الذاتية والموضوعية، فقرر أن معارف الناس عن العالم الخارجي إنما هي أوهام متأثرة بذواتهم، ومغايرة للواقع، كذلك قرر أن الواقع مغاير لمعارف الناس، وإذا كان الفيلسوف قد وضع نفسه في كفة والعالمين في كفه، ثم صدر حكمه منفردًا على جميع الناس أنهم واهمون، وأن علومهم ذاتية لا صلة لها بالواقع، فإن كان قد سمح هو لنفسه أن يفعل هذا، أو ليس من حق الناس أن يتخذوا منه نفس الموقف، ويحكموا عليه بمثل ما حكم به هو عليهم؟، ومن ثَمَّ.. فإن معاملة «نيتشه» بنفس منطقه هذا، وتطبيق تلك القاعدة التي جاء بها، من شأنه أن ينسف فلسفته بجملتها، وفكره المضمحل لأنها - حسب قواعده - مجرد أوهام ذاتية لا صلة لها بالواقع، والواقع معارض لها ومغاير، وكل ما فيه مختلف عنها.. فليس علينا - كي نهدم فكره من جذوره - إلا أن نعامله بفكره، ونطبق عليه مبادئ فلسفته العرجاء، بل إنه أولى بذلك من غيره، لأنه إذا كان قد اتهم الأسوياء من الناس بأنهم واهمون، وأن أفكارهم وعقائدهم إنما هي خيالات وأوهام ذاتية لا صلة لها بالوقع.. فماذا عنه هو الذي قضى حياته مريضا مشلولاً، شبه أعمى، نصف مجنون، ثم وقع به الجنون المطبق قرابة الاثني عشر عامًا الأخيرة من حياته التي قضاها يتخبط في ظلام العمى والجنون؟ ليس من شك في أنه الأولى والأحق بصفة الواهم المتخيل المريض الذي يعيش بعيدًا عن الواقع والذي لا يَمُتُّ إليه بصلة.

٤- إن الفيلسوف الحاقد قد أقام فلسفته على أنقاض كل ما هو خير وحق وجميل في هذه الحياة إنه عاشق للشر والباطل وكل قُبح وفساد، إنه ينفر ويحذر من كل ما هو خيِّر وطيِّب وفاضل، ويُرغِّب في كل ما هو شر وخبيث ودنس.

إن أوضح الأدلة على فساد مذهبه أنه أخذ على عاتقه أن يقلب الحقائق، وأن ينقض القيم، وأن يُحيل المجتمعات البشرية إلى ساحات للحرب، يقضي فيها الأقوياء على الضعفاء، ثم تستمر الحرب بين الأقوياء، حتى تتحول المجتمعات

البشرية إلى أنقاض وخرائب يرتفع فوقها نعيق الغربان والبوم.» (1).

وآراء هذا المخبول إنما استقاها من كتبه ومؤلفاته والتي من أهمها:

١- الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي.

٢- مولد التراجيديا ١٨٧٢م.

٣- هو ذا الإنسان ١٨٧٨م.

٤- هكذا تكلم زارادشت ١٨٨٣م.

٥- ما وراء الخير والشر ١٨٨٦م.

٦- أفول الأصنام ١٨٨٨م.

٧- عدو المسيح ١٨٨٨م (2).

ومن كلمات نيتشه المليئة بالكفر الصريح وبالهجوم الضاري على المسيحية والتي تلقفتها الأيادي اليهودية - كما نقلنا عن بروتوكولاتهم آنفًا - فقاموا بنشرها بشكل مكثف في الغرب المسيحي، فكانت من العوامل المهمة والرئيسة في هدم ما تبقي من الديانة المسيحية في الغرب وتشييعها إلى مثواها الأخير وإحلال الفلسفة والنظريات الكفرية والإلحادية والإباحية محلها، ولأن الكفر كله ملة واحدة، فقد ساعد على نشر هذه الأفكار والمذاهب الهدامة في بلاد الشرق الإسلامي كثير من تلاميذ المستشرقين الذين حملوا أفكارهم وما يُطلقون على أنفسهم في عصرنا الحاضر باللادينيين العرب ومن سار على دربهم من المعتنقين للمذاهب والأفكار الغربية من العملاء والخونة والمارقين العرب الذين تبنوا مثل هذا الفكر المريض وينشرونه الآن بكثافة على مواقعهم ومنتدياتهم على الإنترنت..

فمن أمثال كلمات هذا المارق الكافر المدعو «نيتشه» والتي اخترناها من كتبه

---

(١) بتصرف من كتاب: «التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها» لمحمود مزروعة ص ٢١١، ٢٢٧ [الناشر: دار الرضا - مصر - ط أولي / ١٤٢٥هـ]

(٢) عن موسوعة ويكيبيديا، وهذه الكتب موجودة على كثير من المواقع على الإنترنت..

ومؤلفاته التي بين أيدينا والتي تدل دلالة واضحة على فكر ومذهب وكفر هذا الرجل المريض قوله:

- «أنا ضد الحمار بامتياز، ومعه، أنا وحش تاريخي عالمي، أنا في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط، أنا ضد المسيح».

وننقل من كتاب «عدو المسيح» قوله:

- «يجب ألا تُزين المسيحية أو تُجمل لقد قامت بحرب مستميتة ضد هذا النمط السامي من الإنسانية، مبطلة كل غرائز الإنسانية..

لقد انحازت المسيحية إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل.. لا الأخلاق، ولا الدين المسيحي يلامسان الواقع في أية نقطة.. وتأكيدي هو أن كل هذه القيم السامية للبشرية تفتقر إلى هذه الإرادة، وأنها قيم ساقطة، وقيم عدمية، تحقق قدرتها في ظل الاسم الأكثر تقديسًا بدين الشفقة.. يدعونه.. المسيحية».

ومن فرط تأثره بنظرية دارون قوله:

- «لقدأعدنا تصحيح المفاهيم - كذا - لقد عدنا متواضعين في كل الحقول، إننا لم نعد نشتق الإنسان من «الروح» ومن «الألوهية»، وإنما صرنا نصنعه من الحيوانات، إننا نعده الحيوان الأكثر قوة، ذلك لأنه الأكثر دهاءً.»

ثم يفضل الديانة البوذية على المسيحية فيقول:

-«لا أريد بحكمي ضد المسيحية أن أرتكب إجحافًا ضد دين قريب منها، ويتفوق عليها بالعدد الأكبر من الرهبان، أعني البوذية، كلاهما - كدينين ينتميان إلى العدمية - دينا انحطاط، ولكن البوذية أفضل مائة مرة من المسيحية.».

- ويقول أيضًا: «المسيحي معنى مؤكد على: الفظاظة والقسوة ضد ذاته، وضد الآخرين، وعلى البغضاء ضد من يفكرون بطريقة مختلفة وعلى إرادة الاضطهاد.. المسيحي هو بغضاء الشرف النفس والفخر والجبروت، إنه ضد الحرية، وضد التحرر الروحي، المسيحي كتلة بغضاء معادية للأحاسيس، وضد سرور الأحاسيس، وضد الفرح في النهاية...».

ثم يختتم هذا الزنديق كتابه (عدو المسيح) بسبعة بنود سمَّاها: «تشريع ضد المسيحية» يقول فيها:-

«أعطي في يوم الخلاص في الثلاثين من شهر سبتمبر من عام ١٨٨٨م من التقويم الزائف (يقصد بتقويم ميلاد المسيح) حرب حتى الموت ضد الرذيلة، والرذيلة هي المسيحية..

البند الأول: رذيل كل نوع ضد الطبيعة، النوع الأكثر رذيلة بين البشر هو الكاهن، إنه يعظ بمضادة الطبيعة، وضد الكاهن لا يُتعامل بالحقوق، بل بالسجن.

النبد الثاني: كل مشاركة في خدمة إلهية هو تعدٍّ على الأخلاق العامة، يتوجب التشدد والقسوة.. فما في الكينونة مسيحيًا من جنوح جريمي ينمو، بمقدار الدنو من العلم، أكثر الجانحين جُرمًا، بهذا هو الفيلسوف.

البند الثالث: المكان اللعين «يقصد الكنيسة» حيث حضنت المسيحية بيوض الأفاعي، ذات النظرات الميتة سيكون مدمرًا ومُسوى بالأرض، وكمكان دنس في الأرض، سيكون فزعًا للأنسال «جمع نسل» الآتية كلها، وسيكون ثمة أفاع سامة تربوا فوقه.

البند الرابع: الوعظ بالعفة هو تحريض عمومي لمضادة الطبيعة، كل احتقار للحياة الجنسية، كل تدنيس مضاد للذات عبر مفهوم «اللا تقى» الدنس، هو خطيئة أصلية ضد الروح المقدس للحياة.

البند الخامس: تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يسبب الطرد: معه سيحرم المرء نفسه من المجتمع الشريف، الكاهن هو طبقتنا المنحطة، ويجب أن يكون مُبعدًا محظورًا، ميتًا من الجوع منفيًا إلى أي قفر «الخلاء من الأرض - الصحرا» كان.

البند السادس: التاريخ «المقدس» يجب أن يُلقب بالاسم الذي يستحقه تاريخ ملعون، وكلمة «الله»، «المخلّص»، «الفادي»، «قدِّيس» تستعمل كسُبَّة كتمييز للمجرمين.

البند السابع: البقية تُستنبط من هنا.» (١)

وهكذا تم نشر هذا الغثاء من فكر هذا الرجل المخبول بشكل واسع ومكثف على أيدي اليهود حيث وجدوا في كتابات «نيتشه» بُغيتهم، وتوسموا في فكره ما يُفسد المسيحية ويقضي على البقية الباقية منها فقاموا بإعلاء شأنه وسط المثقفين والمتعلمين والفلاسفة وتبنوا هذا الفكرة اللاديني واللاأخلاقي فقاموا بنشره عبر وسائل الإعلام والنشر التي يسيطرون على معظمها في الغرب المسيحي فانتشر الإلحاد في أوساط الأجيال المسيحية وكفر الغرب بكل القيم الأخلاقية وأباحوا كل شيء، وصارت للإباحية قوانين تحميها في الغرب كقانون إباحة الشذوذ الجنسي وغيره من القوانين أوصلت الغرب المسيحي إلى البهيمية المحضة في التعامل الأخلاقي وكل ذلك بفضل نشر أفكار وفلسفات ونظريات كفرية وإلحادية أبعدت الغرب تمامًا عن كل خُلُق سليم وقويم وعن كل قيم مطلقة أزلية أو معايير ثابتة، فتأثرت الحضارة الأوروبية والغربية عمومًا بآراء ونظريات هؤلاء الفلاسفة وكان من نتيجة ذلك أن انفصلت السياسة عن الأخلاق وانقلبت ميكافيلية الغاية تبرر الوسيلة، فما هي الميكيافيلية؟.

٦- مكيافيلي:

هو نيكلو مكيافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧م) فيلسوف إيطالي إبان عصر النهضة، ويعتبر مكيافيلي أن هدف السياسة هو المحافظة على قوة الدولة، والعمل على توسيع نفوذها، وهذا لا يتم بوجود وازع ديني أو أخلاقي، حيث الغاية تبرر الوسيلة.

وقد اعتمد مكيافيلي في نشر معتقده على سوء نوايا البشر، وأنهم غالبًا ما يركنون إلى الراحة والدِّعة والتملك بأقل قدر من الخسائر، سواء كانوا مواطنين أو حُكَّامًا.

(١) بتصرف من كتاب: «عدو المسيح» لفريدريك نيتشه، ترجمة: جورج ميخائيل ديب [كتاب إلكترونى] والصفحات: ٢٨، ٤٦، ٤٩، ٦٠، ٦٥، ١٦، ١٨٩، ١٩٠.

وقد تلقف اليهود نظرية مكيافيلي، وساعدوا على نشرها أيضًا في أرجاء المجتمع الأوروبي، ونشروا في بروتوكولاتهم يقولون: «إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع؛ وهو لذلك غير راسخ على عرشه، إن الغاية تبرر الوسيلة» (١).

والمكيافيلية تقوم على ثلاثة أسس متلازمة مستمدة من تصور لا ديني صِرف، وهي:

١- الاعتقاد بأن الإنسان شريرٌ بطبعه، وأن رغبته في الخير مصطنعة؛ فلا حرج عليه، ولا لوم إذا انساق وراءها.

٢- الفصل التام بين السياسة والدين والأخلاق، فقد رسم مكيافيلي للسياسة دائرة خاصة مستقلة - بمعاييرها وأحكامها وسلوكها - عن دائرة الدين والأخلاق، وفرّق مكيافيلي كل التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشئون الأخلاقية، وأكد على عدم وجود أي رابط بينهما.

٣- ومن أهم النظريات التي انبثقت وتفتق بها ذهن هذا المكيافيلي وتلقفتها الأيادي العلمانية والسياسية وقبل كل هؤلاء تلقفتها الأيادي اليهودية نظرية: الغاية تبرر الوسيلة، مهما كانت الوسيلة منافية للدين والأخلاق، وميكافيلي وضع هذه النظرية في إطارها السياسي حسب ما ذكر ذلك في كتابه الشهير (الأمير)، وقد استند في رأيه هذا إلى الواقع المنحرف للأكثرية من الناس، لا إلى مبادئ الحق والعدل والخير والفضيلة.

وأنكر ميكافيلي في كتابه (الأمير) بصراحة تامة الأخلاق المعترف بصحتها، فيما يختص بسلوك الحكام، فالحاكم - من وجهة نظره الفاسدة - يهلك إذا كان سلوكه متقيدًا دائمًا بالأخلاق الفاضلة، لذلك يجب أن يكون ماكرًا مكر الذئب، ضاريًا ضرارة الأسد.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون - البروتوكول الأول (ص١١٥).

«فآراء (ميكافيلي) في تبرير الوسائل المنافية لفضائل الأخلاق قد تدور حول السياسة، وأخلاق الحكام، وذوي السلطة، وقد أخذ معظم أرباب السياسة في الشرق والغرب، بهذا الاتجاه الميكافيلي وفق أقصى صوره المنحرفة» .

ولكن اليهود تلقفوا هذه النظرية بشكل أوسع وأشمل فيقول عبد الرحمن حبنكة: «إذا كانت الميكافيلية العامة تقول (إن الغاية تبرر الوسيلة) في شؤون السياسة فقط، دون أن نضع لفكرتها هذه أي قيد من قيود المنطق السديد، والحق الثابت، والخير الجلي، والفضيلة والجمال، فإن الميكافيلية اليهودية تأخذ بهذه الفكرة نفسها، في مختلف الشؤون السياسية والمالية، والعلمية، والدينية، وغيرها من الشؤون التي تحقق لليهودي غاية من غاياته مهما كانت حقيرة، ولو كانت الوسيلة إلى تحقيقها إهدار أي حق لفرد أو جماعة أو أمة، باستثناء اليهود أنفسهم، ولو كانت الوسيلة ارتكاب أيّة رذيلة خُلُقية، أو جريمة قذرة، أو نشر الكفر بالله، وبث الإلحادية في شعوب الأرض»[١].

وهكذا أصبحت الميكافيلية وسيلة لنشر أفكار وآراء فلاسفة اليهود حيث أن غايتهم التي هي السيطرة على العالم تبرر لهم كل الوسائل للوصول إلى تلك الغاية التي هم الآن بصدد الوصول إليها..

(٧) جان بول سارتر:

عاش سارتر ٧٥ سنة (١٩٠٥ - ١٩٨٠م) وتنوّعت حياته بين: ماركسي - أي: شيوعي - متعصب، إلى أسير في يد النازيين الألمان، ثم عاش في فرنسا وتبني مذهب الوجودية، وتنسب كلمة الوجودية إلى الوجود، لا الوجود المطلق، ولكنها تعني: أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه.

ووجودية سارتر تقوم على: "أن كل فرد هو عالم قائم بذاته يصنع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه، فيختار الإباحة إن شاء، ويختار النسك والزهد إن شاء، ومذهب جان بول سارتر وأصحابه وأتباعه من المتفلسفين تقوم على

(١) بتصرف من كواشف زيوف لعبد الرحمن حبنكة الميداني صـــ٣٩٠.

الإباحية؛ فأكثر تَمَثُّلٍ لآرائه نجده في رواياته المسرحية وأخلاق أبطاله وبطلاته في تلك الروايات.

فمنهم من يستبيح الإجرام والشذوذ أو التبذُّل أو الخيانة، ولا ترى في معاملة المؤلّف لهم جميعًا فرقًا بين الأمين والخائن، أو بين الوقور والماجن، ويعتبر سارتر من أكثر الوجوديين تطرفًا؛ إذ يقرر أن الإنسان - كما تصوره الوجودية - ليس له في البدء أي وجود حتي يمكن تعريفه أو تحديده، وأن هذا التعريف لا يصح وجوده إلا بعد أن يكون الإنسان قد وجد على الشكل الذي يوجِد نفسه عليه"[(١)].

يقول الأستاذ عباس العقاد - رحمه الله - "ووجودية سارتر إباحية؛ ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبعًا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخفّ بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان".

- فاليهودي "كارل ماركس" وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والآداب، وتقوّض دعائم الأوطان والأديان.

- واليهودي "دور كايم" وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطوّر الفضائل والآداب.

- واليهودي - أو نصف اليهودي - سارتر وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى إباحة حيوانية تصيب الفرد والجماعة معًا بآفات القنوط والانحلال»[(٢)].

هذه النظريات والآراء التي خَدع بها اليهود أجيال أوربا كان لها أكبر الأثر في تبني تلك الأجيال للمذاهب والأفكار التي هدمت الفضائل وكرّست مفهوم الرذائل

---

(١) أفيون الشعوب للعقاد (ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٢) بين الكتب والناس للعقاد (ص ٣٢) الناشر دار الكتاب العربي، لبنان، ط أولى عام ١٩٩٦.

وساعدت على نَشره وسائل الإعلام التي يتحكم فيها اليهود، فتقول البروتوكولات:

- «إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد».

- «إن الصحافة التي في أيدي الحكومة (أي: حكومة اليهود الخفية) هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس».

- «في كل أوربا، وبمساعدة أوربا - يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتن والمنازعات والعداوات المتبادلة».

والخلاصة كما تذكر البروتوكولات أيضًا:

- «بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليًا، وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم، وأن نُشكِّل حكومتنا العالمية العليا»[(١)].

يقول الأستاذ/ أنور الجندي - رحمه الله -: «ومن أجل هذا فإن اليهود حملوا كل الفلسفات الهدَّامة القديمة إلى العصر الحديث وابتعثوها وفق منهج محدد لهدم مقومات الأمم الدينية والأخلاقية وقد حملوا هذه النظريات ونقيضها وعمل بعضهم مع الأصل والآخر مع النقيض لتوسيع المباراة ودفع الأقطار إلى الصراع حتى يحمى الوطيس، وهم يلتقطون كل شيء ويتمشون مع كل الاتجاهات لترويج كل النزعات مادية وروحية ثم احتواءها بعد ذلك. ويرى المؤرخون أن التلمودية الصهيونية مهَّدت لاستيعاب الرأي العام المسيحي في أعقاب حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية وتوابعها) ووقفت وراء النظريات العلمية لتحويلها من هدفها الطبيعي إلى الغايات التلمودية.

---

(١) بتصرف من بروتوكولات صهيون (البروتوكول الأول صـ١٠٧، والثاني صـ١١٤، الخامس صـ١٢٥.

وقد أفلحت الدعاية اليهودية في طبع كثير من العقائد والنِّحَل بما يحقق مصلحتها، فنرى روح الولاء والتهليل لبني إسرائيل ومقدساتهم تهيمن على بعض المقدسات المسيحية، وما ظهر مذهب فكان يؤدي إلى أن يُسهم بالأذي من قريب أو بعيد إلا قلبوه أو أولوه بما تُفسده هو وينفعهم هم، وما كان مؤديًا إلى خير لهم روجوه في أنحاء العالم»[١].

ويقول الأستاذ محمد خليفة التونسي ناقلاً عن مقال للأستاذ العقاد: «ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبعًا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان.. ومن الخير أن تُدرس تلك المذاهب الفكرية، بل الآراء الفكرية كلما شاع منها في أوربا مذهب جديد، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود [٢].

وبالفعل إذا تتبعنا السرد التاريخي لليهود مع الديانة المسيحية نجد أن أصابع اليهود كانت وراء كل حجر هدم للديانة المسيحية حتى أتوا على البناء بكامله وهدموا الديانة على رؤوس أصحابها وأصبحت المسيحية أثرًا بعد عين وأصبح المسيحي الغربي تائهًا حيرانًا بفضل تلك المذاهب الهدّامة والأفكار الإلحادية الفلسفية التي زادته حيرة على حيرته وأصبح المسيحي الشرقى يتخبط في تعاليم بولس (شاؤل) اليهودى وترك تعاليم المسيحية الحقة بعد أن حَرّفتها الأيادي اليهودية - كما سبق وأوضحنا - وبذلك تم لليهود ما خططوا له من هدم للديانة المسيحية وتقويض أركانها وجعلها ديانة منبوذة بين أهلها.

(١) المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية لأنور الجندي صـ١٥١ (مصدر سابق).

(٢) مقدمة بروتوكولات صهيونية صـ٧١ نقلاً عن جريدة الأساس الصادرة في ٢١/ ٤/ ١٩٥٠.

وقد حاولوا ذلك مع الدين الإسلامي ولكنهم لم يُفلحوا وخابوا وخسروا وارتد كيدهم للإسلام في نحرهم.

وهذا ما سنفصله في الجولة القادمة والتي سنخصصها لمحاولة اليهود الفاشلة واليائسة في تقويض الإسلام أو هدمه من داخله كما فعلوا في الديانة المسيحية.

وسوف نثبت فشل اليهود لمحاولتهم اختراق الإسلام من الداخل بإذن الله تعالى.

2

الباب الثاني

اليهود المتخفون وأثرهم في الإسلام

وفيه:

الفصل الأول: اليهود المتخفون في العصر النبوي

الفصل الثاني: اليهود المتخفون في عصر الخلافة الراشدة (السبئية)

الفصل الثالث: اليهود المتخفون وأثرهم في كتب التراث الإسلامي (الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث)

الفصل الرابع: اليهود المتخفون في عهد الخلافة العثمانية (يهود الدونمة)

قال الله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..﴾ (المائدة/٨٢)

وقال الرسول- صلى الله عليه وآلم وسلم:

«لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود»

(أخرجه البخاري)

وفي رواية أخرى قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم: «لو تابعني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهوديٌّ إلا أسلم».

(رواه مسلم)

1

الفصـــــل الأول

مدخل.

المبحث الأول: نبذة عن تاريخ اليهود في المدينة النبوية

المبحث الثاني: اليهود المتخفون ممن أسلموا خُفية وموادعة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ليهود المدينة

المبحث الثالث: صور من خيانات وإيذاء اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق مع المسلمين

المبحث الرابع: الخيانة العظمى.. نقض يهود بني قريظة ويهود خيبر للعهد وغدرهم برسول الله -صلى الله عليه وسلم -

الفصل الأول

عداوة اليهود وخياناتهم للإسلام ولرسول الإسلام -صلى الله عليه وسلم-

مدخل

إن تاريخ اليهود أسود مُربادًا كالكوز مُجخيًا[1]، ولون تاريخهم الأسود كلون قلوبهم أيضا وذلك من كثرة ذنوبهم وآثامهم وعداوتهم لغيرهم ممن ليسوا على دينهم وملتهم، بل هم أكثر عداوة فيما بينهم.. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ..﴾ (الحشر/١٤)، وتاريخهم الأسود ذاخر بكفرهم بآيات الله عز وجل وخيانتهم وقتلهم لأنبيائهم، بدءا من نبيهم موسى- عليه السلام- الذي خانوه بعبادتهم العجل.. قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ..﴾ (البقرة/٥٤)

وتقول توراتهم التي بين أيديهم الآن: «تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت» (سفر القضاة/٢-١٣)

ومن تاريخهم الأسود نقضهم للمواثيق والعهود وقتلهم لأنبيائهم.. قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء/١٥٥].

---

(١) اقتبسنا هذه العبارة من الحديث النبوى الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه والذي يقول في أوله (تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً.. الحديث) (كتاب الإيمان من صحيح مسلم باب: بدأ الإسلام غريبا/٢٠٧).

وتقول توراتهم أيضًا: «فقال غِرت غَيرةً للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف» (سفر الملوك الأول/١٩-١٤).

وتقول التوراة أيضًا: «... بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع. لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم. شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر، ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق. يتكلمون على الباطل ويتكلمون بالكذب. قد حبلوا بتعب وولدوا إثما. فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت. الآكل من بيضهم يموت والتي تُكسر تُخرج أفعى. خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسون بأعمالهم. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم. أرجلهم إلى الشر تجري وتُسرع إلى سفك الدم الزكي. أفكارهم أفكار إثم. في طرُقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سُبلاً مُعوجَّة. كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً».

ثم تستطرد التوراة فيقول إشعياء: «من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل. ننتظر نوراً فإذا ظلام.. نتلمّس الحائط كعُمي وكالذي بلا أعين نتحسس. قد عثرنا في الظُهر كما في العتمة.. ننتظر عدلاً وليس هو وخلاصاً فيبتعد عنا. لأن معاصينا كثُرت، وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها، تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب..» (سفر إشعياء/٥٩: ١-١٤).

إذا.. فتاريخهم حافل بالغدر والخيانة والكذب وسفك الدماء وها هي توراتهم تعترف بأنهم خونة، وقتلة، وأهل كذب وبهت وغدر، وهم كذلك أهل منكر وخبث، لا يعرفون سلاما، دينهم العداوة والشحناء والبغضاء، قساة القلوب، حكماء في عمل الشر، طريق العدل والسلام والعهود والمواثيق لا يعرفونه، فهم نسل فاعلي الشر، كما وصفتهم توراتهم[1].

(١) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية (الناشر: دار الكتاب العربي- دمشق- القاهرة طبعة أولى/٢٠٠٨م).

وهكذا هم اليهود على مدار تاريخهم حتى مبعث النبي- صلى الله عليه وسلم- فعندما علموا أنه ليس منهم ناصبوه العداء منذ أن وطأت قدماه الشريفتان أرض المدينة النبوية، ولكن قبل حديثنا عن خيانتهم ونقضهم للعهود والمواثيق مع النبي- صلى الله عليه وسلم- نُلقي نبذة يسيرة عن تاريخهم في المدينة النبوية..

المبحث الأول:

نبذة عن تاريخ اليهود في المدينة النبوية

لم يقطع أحد من المؤرخين في تحديد المدة الزمنية والكيفية التي دعت اليهود إلى الهجرة للجزيرة العربية وخاصة المدينة المنورة التي كانت تسمى يثرب قبل الهجرة النبوية، ولكن الغالب والأعم أنهم رحلوا من الشام على فترات إلى بلاد الحجاز وخاصة عقب الحوادث والنوازل والكوارث التي كانت تقع على بني إسرائيل بما كسبت أيديهم وخاصة عقب سبيهم الأول على يد بختنصر، والثاني الذي وقع على يد تيطس ثم كانت هجرات اليهود وتشتتهم بعد خراب مدينة (أورشليم أي: القدس) على يد هدريان عام (١٣٢- ١٣٥م).

وفي تلك الفترة تم تشريد اليهود وتفرقهم بين شعوب الأرض وكانت جزيرة العرب لها نصيب من أحفاد أولاد القردة والخنازير ليسكنوا فيها وذلك لما اقترفوه من ذنوب وآثام في حق السيد المسيح عيسى ابن مريم- عليه السلام- وأتباعه من الحواريين المخلصين الذين كانوا يعتقدون تمام الاعتقاد أنه عبدالله ورسوله، فعاشت فلسطين والبلاد اليهودية المحيطة بها حالة من الاضطراب والاضطهاد الشديد من قبل الرومان الذين أحكموا سيطرتهم على مقاليد الحكم في تلك الأزمنة.

وكان اليهود دائما ما يشقون عصا الطاعة الرومانية وفي عام (١٣٢م) قاد اليهود ثورة في مدينة القدس بزعامة (شمعون بن كوسبا) المعروف بـ(باركوخبا) ظناً من هؤلاء اليهود أنهم قد استردوا جزءا من قوتهم بعد ضربة (تيطس) لهم، فقاموا بتلك الثورة الجامحة ضد الرومان.. فأرسل الإمبراطور (هدريان) الوالى (يوليوس سيفيروس) فاحتل القدس، وهزم اليهود، وأخمد الثورة، ودمَّر المدينة تماما، وهدم ما تبقى من الهيكل وسوَّاه بالأرض، وقيل إن (هدريان) هو الذي قاد تلك الحملة، وتقول المصادر اليهودية: «في عام (١٣٥م) قتل الرومان أكثر من ٥٨٠ ألف شخص من اليهود، وتؤكد المصادر اليهودية صحة هذا الرقم وتلك الأعداد الكبيرة»[١].

---

(١) راجع: كتابنا السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على يدى أبناء إسماعيل- عليه السلام-صـ١٣٩ (الناشر: دار الكتاب العربي).

ويقـول اليـهـودي شـاهين مكاريوس: «إلى هنا (أي: إلى عـهـد الإمـبـراطور الرومـانى هدريان) ينتهي تاريخ الإسـرائيليين كـأمة، فـإنهم بعد خـراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم»(١).

وكانت لبلاد العرب نصيب من هجرة هؤلاء اليهود، يقول اليهودي إسرائيل ولفنسون: «أخذت جموع كثيرة من اليهود فى القرن الأول والثاني بعد الميلاد تهاجر إلى الأرجاء العربية عموما وإلى الربوع الحجازية بنوع خاص، ولاشك - حسب زعمه - أنه كانت هناك أسباب دعت هذه الجموع إلى ترك أوطانها والنزوح إلى البلاد العربية ويمكننا أن نلخص هذه الأسباب فيما يأتي:

أ- زيادة عدد اليهود في فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم وتتفسح لعملهم في سبيل الحياة، وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة، وهو عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين، فاضطروا بحكم هذه الزيادة المستمرة والنمو المطرد أن يهاجروا إلى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كمصر والعراق والجزيرة العربية(٢).

ب- حدث حوالي القرن الأول ق.م أن هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوضت أركان الدولة اليهودية المستقلة فيها وأخضعتها لسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيد من حديد، ولكن النفور والاستياء في نفوس اليهود كان شديدًا إلى حد أن الفتن والثورات العنيفة كانت تشتعل نيرانها

(١) تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس صـ٧٧ (الناشر: مطبعة المقتطف).

(٢) وهذا سبب واه وفيه كثير من المغالطات والمبالغات كعادة يهود.. إذ أن عدد اليهود لم يبلغ قط على مدار تاريخهم هذا العدد المبالغ فيه ممن استوطنوا أو سكنوا أرض فلسطين سوى في هذه الأيام النحسات التي نعيشها حيث يبلغ عدد اليهود الذين يحتلون أرض فلسطين الآن نحو (٥,٥ مليون) يهودي- حسب آخر تقرير أعدته الوكالة اليهودية- (عن وكالة: إسراج- القدس المحتلة، والإحصائية عن الدائرة المركزية للإحصاء الصهيونية التابعة للوكالة اليهودية الصادرة في السابع والعشرين من شهر نيسان (أبريل) عام ٢٠٠٩م).

من حين إلى آخر، وكان الرومان يقمعون تلك الثورات بشدة وقسوة تزيد النفور وتضاعف الاستياء فاضطر من لم يكن يستطيع البقاء في البلاد مع هذه الأحوال القاسية أن يلجأ إلى أرض الجزيرة العربية التي كانت أحب إليهم من غيرها نظرًا لأنظمتها البدوية ونظرًا لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سير القوات الرومانية المنظمة وتمنع توغلها..

ج- بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ب.م) التي انتهت بخراب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب»(١).

وقد نقل هذا المستشرق اليهودي عن أمثاله من المستشرقين الحاقدين على الإسلام، ولكنه لأنه قد حصل على شهادته تلك (الماجستير) من الجامعة المصرية وهي (تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام) وكان المشرف عليه وقتها (د.طه حسين) الذي وافقه- للأسف- في كثير من أطروحاته وآرائه ودفاعاته عن بني جلدته من اليهود، ولكنه كان يتلطف في عباراته واستشهاداته.. مع أنه قد نقل عن مصادر غير ثقة عند المتخصصين في الأحداث التاريخية الإسلامية وخاصة التي تتعلق بالسيرة النبوية أو موقف رسول الإسلام- صلى الله عليه وسلم- مع اليهود، فقد نقل هذا المستشرق اليهودي -كعادة أسلافه من المستشرقين- عن كتاب الأغاني للأصفهاني، وهو كتاب مليء بالروايات والحكايات والقصص الموضوعة والمكذوبة على النبي- صلى الله عليه وسلم- وعلى آل بيته وصحابه الكرام- رضي الله عن الجميع-، ولذلك فالنقل عن المستشرقين وخاصة من اليهود ينبغي أن يكون بحذر شديد مع تقييم تلك النقولات بما ثبت وصح في مصادرنا الإسلامية المعتمدة..

ولذلك فهذا المستشرق الحاقد وغيره ممن نقل عنهم يقولون إن اليهود هم

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام للدكتور اليهودي إسرائيل ويلفنسون صـ٥١، ٥٢، قدّم له: د.طه حسين.

أوائل من سكنوا المدينة المنورة وكذبوا، لأن أول من نزل أرض المدينة المنورة هم أهل سبأ من عرب اليمن بقول الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: «وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم (أي: أهل سبأ) احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدى سبأ، شذر مذر، فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم من نزل المدينة المنورة، فكانوا أول من سكنها، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود هم: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، فحالفوا الأوس والخزرج (من القبائل العربية التي سكنت المدينة المنورة) وأقاموا عندهم..»(١).

وقال ياقوت الحموى: «وكان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمَّر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق، وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام ابن نوح- عليه السلام-، ونزلت اليهود بعدهم الحجاز ، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد فأخذوا بين البحرين وعُمان والحجاز كله إلى الشام، ومصر فجبابرة الشام، وفراعنة مصر منهم»(٢).

وذكر ياقوت الحموى حكاية عجيبة وغريبة عن سبب نزول اليهود بالمدينة فقال:

«وكان سبب نزول اليهود بالمدينة وأعراضها أن موسى بن عمران- عليه السلام- بعث إلى الكنعانيين (أي: سكان فلسطين) حين أظهره الله تعالى على فرعون، فوطئ الشام وأهلك من كان بها منهم، ثم بعث بعثا آخر إلى الحجاز إلى العماليق، وأمرهم أن لا يستبقوا أحدا ممن بلغ الحُلم إلا من دخل في دينه، فقدموا عليهم فقاتلوهم، فأظهرهم الله عليهم فقتلوهم، وقتلوا ملكهم الأرقم، وأسروا ابنًا له شابًا جميلاً كأحسن من رُأي في زمانه، فضنّوا به عن القتل وقالوا: نستحييه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه، فأقبلوا، وهو معهم،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٦٠) (الناشر: دار المعارف- بيروت- الطبعة الثالثة/ ١٩٧٩م).

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى (٤/ ٧٢).

وقبض الله موسى قبل قدومهم، فلما قربوا، وسمع بنو إسرائيل بذلك تلقوهم، وسألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم بما فتح الله عليهم. قالوا: فما هذا الفتى الذي معكم، فأخبروهم بقصته، فقالوا: إن هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبدا فحالوا بينهم وبين الشام فقال ذلك الجيش: ما بلد إذ منعتم بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتم أهله، فارجعوا إليه، فعادوا إليها (أي: إلى المدينة) فأقاموا بها، فهذا كان أول سُكنى اليهود الحجاز والمدينة، ثم لحق بهم بعد ذلك بنو الكاهن بن هارون- عليه السلام- فكانت لهم الأموال والضياع بالسافلة، والسافلة ما كان في أسفل المدينة إلى أُحد، وقبر حمزة، والعالية ما كان فوق المدينة إلى مسجد قباء، وما إلى ذلك إلى مطلع الشمس فزعمت بنو قريظة أنهم مكثوا كذلك زمانًا، ثم إن الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقًا كثيرًا، فخرج بنو قريظة وبنو النضير وهَدَل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم، فلما فصلوا من الشام وجَّه ملك الروم في طلبهم من يردهم فأعجزوا رُسله وفاتوهم، وانتهى الروم إلى (ثَمَد) بين الشام والحجاز، فماتوا عنده عطشا، فسُمِّي ذلك الموضع (ثمد الروم) فهو معروف بذلك إلى اليوم، وذكر بعض علماء الحجاز من اليهود أن سبب نزولهم المدينة أن ملك الروم حين ظهر على بني إسرائيل، وملك الشام خطب إلى بني هارون، وفي دينهم أن لا يُزوجوا النصارى، فخافوه وأنعموا له وسألوه أن يشرفهم بإتيانه فأتاهم ففتكوا به وبمن معه، ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز وأقاموا بها، وقال آخرون: بل علماؤهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي- صلى الله عليه وسلم- وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرَّتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصًا منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا: هو البلد الذي نريده فنزلوا، والله أعلم أي ذلك كان»[1].

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى (٧٢/٤)، وراجع تاريخ ابن خلدون (٨٨/٢، ٨٩).

ولعل تلك الروايات والحكايات العجيبة قد نقلها ياقوت الحموى عن الإسرائيليات، وهي من الروايات التي لا ينبني عليها عمل وهي كذلك من الروايات التي لا تصطدم مع نص صريح من نصوص الكتاب أو السُّنة النبوية الصحيحة ولذلك فلا نُصدِّقها ولا نُكذبها ونقول كما روى البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» وقولوا: (آمنا بالله وما أُنزل إلينا) الآية...»[١] قال الحافظ ابن حجر: «لم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يُقطع بصدقه»[٢].

وقال ابن خلدون نقلا عن المسعودي: «وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماءً فنزلوا (أي: اليهود) بلاد يثرب واتخذوا بها الأموال وبنوا الآطام والمنازل في كل موطن وملكوا أمر أنفسهم وانضافت إليهم قبائل من العرب (الأوس والخزرج) نزلوا معهم واتخذوا الأطم والبيوت وأمرهم (أي: اليهود) إلى ملوك المقدس من عقب سليمان- عليه السلام-»[٣].

وكان بين الأوس والخزرج واليهود معاهدات وموادعات ومواثيق عاشوا على تلك المواثيق حينًا من الدهر، ثم دارت معارك طاحنة بين الأوس والخزرج كانت آخر تلك المعارك ما يُسمى بـ(يوم بُعاث) وفيه انقسم اليهود في تحالفاتهم مع الحيين فتحالفت بنو قريظة وبنو النضير مع قبيلة الأوس أما بنو قينقاع فتحالفوا مع قبيلة الخزرج وفي تلك المعركة انتصرت الأوس على الخزرج. قال ابن الأثير: «.. وانهزمت الخزرج، ووضعت فيهم الأوس السلاح، فصاح صائح: يا معشر الأوس أحسنوا ولا تُهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب! فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم، وإنما سلبهم يهود قريظة والنضير.. وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الإسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال[٤].

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات/٢٩.

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٦/١٠).

(٣) تاريخ ابن خلدون (٢٨٧/٢).

(٤) الكامل لابن الأثير (٢٣٧/٠١).

وهكذا عاش اليهود مع القبائل العربية في المدينة النبوية قبل الهجرة النبوية إليها فاهتموا بزراعة الأرض وصناعة الذهب وبناء الحصون، وكانت من أشهر قبائل اليهود في المدينة:

١- قبيلة بني قينقاع التي كانت تسكن في الجزء الجنوبي الغربي عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية (العوالي حاليا) وكان هناك سوق يسمى بسوق قينقاع وكانوا يشتهرون بصناعة الذهب، ويهود بني قينقاع كانوا أول من سكنوا في المدينة وأول من أُجلي منها- كما سنبين تباعا-.

٢- قبيلة بني النضير كانت بجوار بني قينقاع أيضا عند وادى بطحان بجوار العالية (العوالي)، وكان منهم كعب بن الأشرف وأطلال حصنه لازالت موجودة إلى الآن وكان يبعد هذا الحصن عن المسجد النبوي بحوالي ثلاثة كيلو مترات، وأيسر الطرق إليه عن طريق مسجد قباء (وسوف نتكلم عنه بتفصيل تباعًا).

٣- قبيلة بني قريظة كانت تسكن بين القبيلتين (القينقاع والنضير) على أن بني قريظة وبني النضير يشير كثير من الإخباريين إلى أنهما قد عُرفوا بين اليهود بـ(الكاهنين) نسبة إلى جدهم الذي يُقال له (الكاهن) وهو هارون بن عمران، ولذلك كانوا يتفاخرون على بني جنسهم بنسبهم..

على أنه كان يوجد لليهود تواجد في شمال المدينة في منطقة وادي القرى وكان لهم تواجد أيضا في منطقة خيبر وهي تبعد عن المدينة بحوالي (١٨٠كم) شمال شرق المدينة..

ويمكن تقسيم تاريخ الوجود اليهودي في يثرب قبل الهجرة النبوية إلى قسمين:

١- القسم الأول: عهد السيطرة والتحكم المطلق بعد هجرتهم إلى المدينة بعد تشردهم وتشتتهم في البلاد عقب السبي الثاني منذ عهد (هدريان)- كما ذكرنا أيضا- «ولم تزل اليهود ظاهرين على المدينة (يثرب) حتى كان سيل العرم..»[١].

(١) راجع: سُبُل الهُدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحى الدمشقى (٣/٢٨٢).

ويقول ابن كثير: «ثم لما كان سَيْل العَرِم وتفرَّقت شَذَرَ مَذَرَ، نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود، ذحالفوهم، وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء، لكن الله منَّ على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام، وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق[1].

ولذلك كان اليهود طيلة ألف ومائتى سنة- سادة يثرب دون منازع يتحكمون فيها تحكما استعماريا (عسكريا وسياسيا واقتصاديا) بالرغم من أن بعض القبائل العربية كانت تساكنهم في تلك المنطقة من الضعف والتفكك بحيث لم تستطع التعرض لليهود ساعة نزولهم يثرب، ولم تقم حينئذ بأية محاولة لمقاتلتهم كدخلاء أجانب، وظل اليهود هكذا حتى تم انكسارهم.

٢- عهد الانكسار والذلة، ويبدأ هذا العهد بهجرة الأوس والخزرج من بلاد اليمن إلى يثرب بعد هدم سد مأرب، ولكن لم يخلو اليهود من خوض غمار حرب أهلية فيما بينهم (في يثرب)، فقد كان بنو قينقاع على خلاف دائم مع بني قريظة والنضير.. ويقول المؤرخون إن سبب وجود يهود بني قينقاع داخل المدينة بعد أن كانوا مثل إخوانهم بني النضير وقريظة يسكنون في ضواحيها هو أنه قبل الإسلام دارت معارك عديدة بين يهود بني قينقاع وبني قريظة والنضير، ألحق فيها بنو قريظة والنضير ببني قينقاع خسائر فادحة اضطروا على إثرها إلى الالتجاء إلى داخل المدينة فأقاموا وسط حي من أحيائها[2].

وعلى مر الزمان تعاظمت قوة الأوس والخزرج وسيطروا سيطرة شبه تامة على (يثرب) وتضعضعت سيطرة يهود وذلك بسبب تفرقهم واختلافهم فيما بينهم كما أخبرنا المولى عز وجل عنهم فقال تعالى مُحذِّرًا أهل الإسلام فيما وقعوا فيه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ﴿آل عمران/١٠٥﴾، فتفرَّق اليهود في جزيرة العرب وخاصة في يثرب وصاروا أحزابًا متناحرة تبني

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢٠/٣٢٠) وراجع كتابنا الحسد والحسَّاد عبر التاريخ (الناشر: دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة).

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي (٦/٢٤).

أحلافا مع القبائل العربية كالأوس والخزرج، وفي هذا الصدد يقول القرطبى: «وكانت بنو قينقاع أعداء لبني قريظة، وكانت الأوس حلفاء بني قينقاع، والخزرج حلفاء بني قريظة، والنضير والأوس والخزرج إخوان، وقريظة والنضير أيضًا إخوان، ثم افترقوا فكانوا يقتتلون[1].

فانكفأ اليهود على أنفسهم داخل حصونهم وآطامهم ولم ينفتحوا كعادتهم مع جيرانهم لذلك لم يكن لهم أثر يُذكر في بلاد العرب ولكنهم هم الذين تأثروا بهم وبعاداتهم بل وسرقوا كثيرا من تراثهم وحضارتهم[2].

إن المتتبع لتاريخ الوجود اليهودي في جزيرة العرب يدرك بوضوح أنه لم يكن للديانة اليهودية أي أثر ذى بال بين الأعراب من المشركين الذين عايشوا اليهود منذ قدوم أولاد وأحفاد القردة والخنازير للمدينة وخاصة في منطقة يثرب وخيبر ومناطق الشمال التي كانت مركز الثقل ومناطق التجمع الرئيسة لليهود.. وهذا لا يعنى أن أحدا من الأعراب لم يدن باليهودية على الإطلاق في هذه المناطق، بل ذكر المؤرخون أن هناك أعرابا دانوا بذلك الدين، إلا أنهم قليلون جدًا بحيث لا يزيدون على اثنين في المئة من مجموع أعراب يثرب وخيبر والمناطق الشمالية التي كان اليهود مستقرين بها.. ولهذا فإن اسم زعيم أية قبيلة عربية لم يبرز بين أسماء زعماء اليهود عند ذكر الأحداث المهمة التي تستوجب ذكرهم سواء قبل الإسلام أو بعده.. اللهم إلا كعب بن الأشرف، وهو عدو الله من قبيلة طيء، زعيم يهود بني النضير، والده: الأشرف كان أحد بني نبهان، وهم بطن من طئ ثم إنه أصاب دمًا في قومه، فهرب منهم وفرَّ إلى يهود بني النضير في المدينة وتحالف معهم وتزوج منهم عقيلة بنت أبي الحقيق، واغتنى فيهم، فولد له كعب الذي ترعرع في أحضان اليهود وشرب منهم العداوة والبغضاء لهذا الدين الحنيف، فكان شاعرًا هجّاءً جسيمًا وكان من عداوته أنه كان يصد اليهود عن الإسلام- وسوف نُفصّل ذلك تباعًا-.

---

(١) تفسير القرطبى (٢/ ٢٠).

(٢) راجع المبحث الثاني (اساطير وقصص اليهود المقتبسة من الحضارات القديمة) من كتابنا: بداية النهاية: السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادي بني إسماعيل صـ٦٩ (الناشر: دار الكتاب العربي).

ومما يدل على ضعف أثر اليهودية وعدم انتشارها بين أعراب تلك المناطق، هو أنه لم يكن من الأعراب الذين دانوا باليهودية أي أثر في تدعيم الكيان اليهودي ومناصرة اليهود، لا قبل الإسلام (عندما كان اليهود عُرضة لحرب ضروس شنّها عليهم الأوس والخزرج بعد هجرتهم من مأرب)، ولا بعد الإسلام عندما نشب الصراع المسلح وغير المسلح بين الإسلام واليهود.. ومردُّ ذلك- على ما يظهر- إلى أنانية اليهود حتى في مجال الدين، الأمر الذي أضعف الرغبة أو أعدمها بالمرة عند هؤلاء اليهود في نشر ديانتهم بين الوثنيين العرب.. والدليل على ذلك أن أي مؤرخ من الذين أرَّخوا لجزيرة العرب لم يذكر أي نشاط دعائي قام به كهان اليهود وأحبارهم لنشر اليهودية بين الأعراب الوثنيين طيلة تواجد اليهود في يثرب[1].

ولذلك كانت نظرة اليهود خارج الجزيرة العربية إلى بني جنسهم ممن سكنوا بلاد العرب نظرة ازدراء وعدم رضا، بل إن كتب التاريخ اليهودي لم تذكر ولم تؤرخ لتلك الحقبة من تاريخ اليهود، وتحت يدي العديد من تلك الكتب التاريخية ولكنها لم تشر من قريب أو بعيد عن تلك الفترة التاريخية التي عاشتها القبائل في بلاد العرب، يقول اليهودي إسرائيل ولفنسون: «ويجب ألا يغيب عن البال أن جهات يثرب ووادي القرى كانت غير آهلة بكثير من العرب، بل كانت جموع منهم تأتي إلى وديانها في أوقات معينة من السنة.. ولطبيعة الحال كان لليهود في دورهم الثاني بالجزيرة حوادث تاريخية.. ومع هذا فإننا نجد المصادر الإسرائيلية خالية من ذكر شيء عن تاريخ اليهود في ذلك الدور، وساكتة عن التحدث عنهم سكوتًا تامًا، كأن لم يكن هناك يهود، وكأن لم تحدث لهم حوادث، وكان هذا السكوت موضع العجب عند الباحثين إذ هم يعلمون أن الأمة الإسرائيلية كانت كثيرة التدوين في كل عصورها مُغرمة بجمع حوادثها وأخبارها في كل البلاد التي نزلت بها جموع منها.. وها هي مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والقُدس ومصر، واليونان والرومان، نجد فيها كل ما نتطلع إليه من أخبار

١- بتصرف من معارك الإسلام الفاصلة (غزوة بني قريظة) لمحمد أحمد باشميل صـ٦١ (الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية/ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م).

اليهود في تلك البلاد في حين لا نكاد نجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب إلا شيئًا ضئيلاً جداً لا يتجاوز بضعة نصوص اندمجت في بعض الكتب اندماجا عَرَضيًا غير مقصود.. ولكننا نستطيع أن نستنتج من هذه الناحية نفسها نتيجة ذات شأن وهي أن سكوت المراجع الإسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية أبناء جنسهم في جهات العالم، ولم تكن لهم بهم أيَّة صلة،وكأن الجزيرة العربية انفردت بقبائلها، وانقطعت عن العالم المتمدن انقطاعًا كليًا قضت على كل من يسكنها من اليهود أن يكون مثل أبنائها وأن يقطع كل علاقة بينه وبين يهود البلدان الأخرى..[1] غير أننا نقول إن هذا الاستنتاج الذي توصل إليه هذا اليهودي باطل واستنتاج ساذج، وذلك لأن يهود الجزيرة العربية كانوا يعلمون- كما سيأتي- أن نبيًا سيخرج من تلك المنطقة وكانوا يأملون أن يكون هذا النبي منهم، ولكنهم عندما علموا أنه من أصل عربي ومن قريش جحدوه وكذبوه وعادوه وآذوه، ولذلك آثروا ألا يُعرف خبره ولا تنتشر دعوته من يهود البلدان الأخرى خارج بلاد العرب فكتموا ذلك عنهم وانكفأوا على أنفسهم ولكن الله- عز وجل- نصر رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- ونشر دعوته بين البلدان والأمم الأخرى وأظهر نوره للعالمين.. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة/٣٢).

ولذلك عاش اليهود وسط القبائل العربية على أمل خروج هذا النبي الذي كانوا يطمعون أن يكون منهم فتطبعوا بطباع العرب، وزالت منهم بعد استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة كل حركة عمرانية وضعفت فيهم تلك الوراثة الروحانية التي حملوها معهم إلى كل بلد نزحوا إليه، وأخذوا ينزلون من أوج المدنية والحضارة شيئًا فشيئًا حتى وقعوا في هوَّة الهمجية وصاروا مثل غيرهم من سكان تلك الجزيرة المنعزلين عن جميع العالم والمكتفين بأبسط أنواع المعيشة.. ولم يظهر شيء من النبوغ والعبقرية في يهود بلاد العرب مطلقا[2].

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: لإسرائيل ولفنسون صـ٥٣، ٥٤ (مصدر سابق).

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب صـ٥٤، ولا يخفي على ذي لب ما وراء ذلك الكلام من غمز ولمز للعرب ووصفهم بالهمجية، وكذلك نظرة الاستعلاء عند هذا اليهودي عندما وصف بني جنسه بالعبقرية..

وهكذا صار اليهود قُبيل الهجرة النبوية في ضعف واستكانة، وكانوا دائما ما يستفتحون[1] على عرب يثرب أنه سوف يخرج منهم نبي في بلاد العرب فيقتلهم قتل عاد وإرم، فقد روى الطبرى عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: «إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلاّم بن مِشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم» فأنزل الله - جل ثناؤه - في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩)، قال الحافظ ابن كثير: (ولما جاءهم) يعني اليهود (كتاب من عند الله) وهو القرآن الذي أُنزل على محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- (مصدقٌ لما معهم) يعني: بما هو مكتوب في التوراة، وقد كانوا من قبل مجيء رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بهذا القرآن يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين (العرب) إذا قاتلوهم: إنه سيبعث نَبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بُعث محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه، وهم يعلمون أنه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-[2].

وقال الرازي في قوله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) ففيه مسائل..

المسألة الأولى: تدل الآية على أنهم كانوا عارفين بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه سؤال: وهو أن التوراة نُقلت نقلا متواترًا، فأما أن يقال: إنه حصل فيها نعت محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- على سبيل التفصيل، أعني بيان أن

(١) أي: يستنصرون الله على مشركي العرب.

(٢) تفسير الطبرى (٢/٣٣٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢٥).

الشخص الموصوف بالصورة الفلانية والسيرة الفلانية سيظهر في السنة الفلانية في المكان الفلاني، أو لم يوجد هذا الوصف على هذا الوجه، فإن كان الأول كان القوم مضطرين إلى معرفة شهادة التوراة على صدق محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- فكيف يجوز على أهل التوراة إطباقهم على الكذب، وإن لم يكن الوصف على هذه الصفة لم يلزم من الأوصاف المذكورة في التوراة كون محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- رسولا، فكيف قال الله تعالى: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)؟

والجواب: أن الوصف المذكور في التوراة كان وصفًا إجماليًا وأن محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يعرفوا نبوته بمجرد تلك الأوصاف، بل بظهور المعجزات صارت تلك الأوصاف كالمؤكدة، فلهذا ذمهم الله تعالى على الإنكار.

المسألة الثانية: يحتمل أن يقال: كفروا به لوجوه: أحدها: أنهم كانوا يظنون أن المبعوث يكون من بني إسرائيل لكثرة من جاء من الأنبياء من بني إسرائيل، وكانوا يُرغِّبون الناس في دينه ويدعونهم إليه، فلما بعث الله تعالى محمدًا من العرب من نسل إسماعيل- عليه السلام- عظم ذلك عليهم، فأظهروا التكذيب وخالفوا طريقهم الأول.

وثانيها: اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياستهم وأموالهم، فأبوا وأصروا على الإنكار.

المسألة الثالثة: أنه تعالى كفَّرهم بعدما بيَّن كونهم عالمين بنبوته- صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ومع أن اليهود كانوا يعرفون النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- حق المعرفة بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم- كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة/١٤٦) ومع ذلك عاداه اليهود منذ أول وهلة -فداه أبي وأمي ونفسي وأولادي- وصلوات الله وسلامة عليه وعلى آله وصحبه-

١- تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب ٢/٢١٦).

ومنذ أن وطأت قدماه الشريفتان أرض يثرب التي أصبحت المدينة النبوية- كما سمَّاها الله عز وجل بذلك: ﴿ما كانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أن يَتَخَلَّفُوا عن رَسُولِ اللهِ..﴾ (التوبة/١٢٠) بل حاولوا قتله واغتياله- كما سنُفصِّل ذلك عند حديثنا عن خياناتهم، ولكن قبل ذلك سنتناول في المبحث القادم موادعة ومعاهدة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - مع اليهود.

المبحث الثاني:

اليهود المتخفون ممن أسلموا خُفية، وموادعة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- ليهود المدينة

اختار الله- تعالى- المدينة النبوية كدار هجرة لنبيه ومصطفاه محمد بن عبدالله- صلى الله عليه وآله وسلم- فعن أبي موسى (رضي الله عنه)- عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ، فذهب وَهَلِي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة، يثرب...»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا..﴾ (الإسراء/٨٠).

قال الحافظ ابن كثير: «أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء وأن يجعل له مما هو فيه فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلاً، فأذِن الله- تعالى- له في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب، فصارت دارًا وقرارًا، وأهلها له أنصارًا»[(٢)].

وكانت حالة يثرب- كما ذكرنا- يشوبها القلق والاضطراب وذلك نتيجة طبيعية لما كان بين الأوس والخزرج من الاقتتال والحروب التي أنهكت كاهل هؤلاء الأعراب ومعهم حلفاؤهم من اليهود وكانت آخر تلك المعارك- كما ذكرنا آنفا- (يوم بعاث)، ولذلك كانت الأجواء مُهيأة لاستقبال دعوة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ومتعطشة لهذا الدين الجديد وذلك لعدة أسباب:

١- أن الله- عز وجل- اختار هؤلاء القوم ليكونوا أنصار رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فكما اختار- سبحانه وتعالى- تلك البقعة الطاهرة لتكون

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة/٣٦٢٢، ووَهَلي بفتح الواو والهاء أي: ظنّي.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣/١٧٤).

مأوى ومهاجر نبيه ومصطفاه- صلوات الله وسلامة عليه- اختار أيضا أنصاره أن يكونوا من نفس المدينة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾(الحشر/٩).

٢- أن الأوس والخزرج وهم مجموع الأنصار أسلموا وحَسُنَ إسلامهم، كانوا ينشدون الأمن والسلام بعد الحروب الطاحنة التي دارت بينهم- كما ذكرنا- وكانوا يتطلعون إلى الهدوء النفسي والسكينة والاستقرار فوجدوا ذلك في دعوة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وفي هذا الدين العظيم فأسلموا وجوههم ونفوسهم- لله تعالى- عن إيمان تام ورضا مطلق وتسليم كامل..

٣- أنهم كانوا قد سمعوا بخروج نبى في ذلك الزمان وكان اليهود يخبرونهم بذلك فقد أخرج ابن كثير عن ابن إسحاق عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام ابن وقش- وكان من أهل بدر- قال: كان لنا جار من يهود في بنى عبدالأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على فروة لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان أوَ ترى هذا كائنا؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه، فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدًا، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن فقالوا: «ومتى تراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عُمرَهُ يُدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو حيّ بين ظهرنا، فآمنا به وكفر به بغيًا وحسدًا، قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، ولكن ليس به»[١].(أي: ليس هو الذي قلتُ لكم).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢٤٢/١٣- حديث رقم/٥٧٩٠، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، وانظر: سيرة ابن هشام (٢١٢/١)، والبداية والنهاية (٣٠٩/٢).

وهكذا آمن العرب من أهل المدينة بالنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وكفر به اليهود ولذلك قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود»، وفي رواية مسلم: «لو تابعني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم»، وفي رواية الإمام أحمد: «لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»[1].

ولذلك أسلم كثير من يهود المدينة تقية أي: أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام فتبعهم بعض من في قلوبهم مرض من أعراب المدينة وكان على رأس هؤلاء المنافقين عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا، وكانوا قد أجمعوا على أن يُملِّكوه عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك، شرِّق اللعين بريقه وغاظه ذلك جدًا، وهو الذي قال على لسانه القرآن الكريم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون/٨).

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جدًا، وفيه وفي (وديعة، رجل من بني عوف، ومالك ابن أبي قوقل، وسويد وداعس)، وهم من رهطه نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ (الحشر/١١، ١٢)[2] وقد روى الإمام مسلم عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «في أصحابي (وفي رواية: في أمتى) اثنا عشر منافقًا، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبَيْلة: سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم».

---

(١) رواه البخارى في مناقب الأنصار/٣٩٤١، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار/ ٧٢٣٦، والإمام أحمد في مسند أبي هريرة/٨٧٨٣.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٣٩).

قال الإمام النووي: «أما قوله- صلى الله عليه وسلم- (في أصحابي) فمعناه الذين يُنسبون إلى صُحبتي، كما قال في الرواية الثانية (في أمتي)، وسمّ الخياط: ثُقب الإبرة، ومعناه: لا يدخلون الجنة أبدًا كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة أبدًا»(١).

وروى مسلم عن أبي الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة، قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك قال: كُنَّا نُخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهدُ بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعَذَرَ ثلاثة. قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا علمنا بما أراد القوم. وقد كان في حَرَّة فمشى، فقال: (إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد) فوجد قومًا قد سبقوه فلعنهم يومئذ.

قال النووي: «وهذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمنى التي كانت بها بيعة الأنصار- رضي الله عنهم- وإنما هذه العقبة على طريق تبوك، اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في غزوة تبوك فعصمه الله منهم(٢).

وقد سمَّى ابن إسحاق في السيرة النبوية العديد من أسماء هؤلاء المنافقين ممن تأثروا باليهود الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر منهم جُلاس بن سويد ابن الصامت وأخوه الحارث بن سويد من بنى حبيب بن عمرو بن عوف، وبجاد ابن عثمان بن عامر من بنى ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف وغيرهم ممن انضاف إلى يهود ممن نافقوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهم من اليهود المتخفين في زي الإسلام.. والإسلام منهم براء.

---

(١) مسلم بشرح النووى، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (١٥٦/٩).

(٢) المصدر السابق (١٥٨/٩).

(٣) راجع سيرة ابن هشام (٥١٩/٢) بتحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى وعبدالحفيظ شلبي.

• اليهود المتخفون ممن أسلموا نفاقا في عهد رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلم.

وهؤلاء اليهود الذين أسلموا على سبيل التقية ليتسنى لهم الطعن في الإسلام من داخله فكانوا يحضرون الصلوات في المسجد النبوي ويستمعون إليه- صلى الله عليه وآله وسلم- وكانوا كفارًا في الباطن وقد ذكر ابن إسحاق من أسلم من أحبار يهود نفاقًا ممن تعوذوا بالإسلام فقال: «وكان ممن تعوَّذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود: (من بني قينقاع) سعد بن حُنيف، وزيد بن اللُّصَيت، ونعمان بن أوفي بن عمرو، وعثمان بن أوفى، وزيد بن اللُّصيت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال، حين ضلَّت ناقة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رَحله، ودلَّ الله- تبارك وتعالى- رسوله- صلى الله عليه وآنه وسلم- على ناقته: (إن قائلا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدرى أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، فهي في هذا الشِّعب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وكما وصف.

ومن هؤلاء اليهود الذين أظهروا الإسلام نفاقًا: رافع بن حُريملة، وهو الذي قال عنه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- فيما بلغنا- حين مات: (قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين).

ومنهم: رفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي قال فيه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- حين هبت عليه ريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا تخافوا، فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قَدِم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات في ذلك اليوم الذي هبَّت فيه الريح.. وكان هؤلاء المنافقون (من اليهود)

يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يومًا في المسجد منهم ناس، فرآهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يتحدثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فأخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا..[١].

وهؤلاء كانوا من اليهود الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا يهوديتهم وكفرهم.. أما الذين أظهروا عداوتهم صراحة دون أن يعلنوا إسلامهم فكانوا كُثر وقد أكد ابن إسحاق العديد من القبائل اليهودية التي ناصبت النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- العداء منذ قدومه الشريف إلى المدينة النبوية قال السهيلي: «وإنما اليهود بنو إسرائيل، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم (بنو قريظة)، وبنو النضير، وبنو قينقاع، غير أن في الأوس والخزرج من قد تهوّد وكان من نسائهم من تُنذر إذا ولدت إن عاش ولدها أن تُهوِّده، لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفي هؤلاء الأبناء الذين تهودوا نزلت ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة/٢٥٦) حين أراد آباؤهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال[٢].

وقد نزلت صدر سورة البقرة في المنافقين واليهود حتى الآية مائة منها، وذلك للتحذير منهم ومن أقوالهم وأفعالهم وخاصة أحبار يهود الذين ناصبوا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- العداوة، بغيًا وحسدًا وضغناً، لما خصّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- منهم وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج، ممن بقي على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم وذلهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنّة من القتل ونافقوا في السّر، وكان هواهم مع يهود، لتكذيبهم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وجحودهم الإسلام، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ويتعنّتونه، ليُلبِّسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه[٣].

---

(١) بتصرف من سيرة ابن هشام (٥٢٧/١).

(٢) الروض الأنف للسهيلى (٣٦٩/٢).

(٣) سيرة ابن هشام (٥١٣/١).

ولذلك كانت عداوة اليهود لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- منذ قدومه الشريف إلى المدينة النبوية من أول وهلة.

فقد روى ابن إسحاق، والبيهقي، وأبونعيم عن أم المؤمنين صفية بنت حيي -رضي الله عنها- أنها قالت: «لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أبي ياسر أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قباء، قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي، حيي ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا بأمر أبي كبشة (كالين، كسلانين) ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم. قال: أتعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»[1].

وذكر ابن عقبة عن الزهري قال: «إن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة ذهب إليه فسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعوني، فإن الله تعالى قد جاءكم بالذي تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حيي بن أخطب، وهو يومئذ سيد يهود، وهما من بني النضير، فجلس إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وسمع منه، ثم رجع إلى قومه، وكان فيهم مُطاعا فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا. فقال له أخوه أبوياسر: يا ابن أُم أطعني في هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعد لأمهلك. فقال حيى: والله لا أطيعك.. فاستحوذ عليه الشيطان، وتبعه قومه على رأيه..»[2] ولذلك كان حرص النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- على موادعة اليهود، وهذا إن دل فإنما يدل على حنكة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- السياسية والتدبير في الحكم حيث كان حريصا على بناء دعائم الدولة الإسلايمة وتثبيت أركانها ولم تكن هذه الوثيقة أو المعاهدة عن ضعف واستكانة ولكن كانت

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٥١٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٠٣)، وحلية الأولياء للأصبهاني (٢/٨١).

(٢) سُبُل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي (٣/٢٧٨).

إشعارًا للقوة وللتحالف القوي ضد أعداء الإسلام من كفار قريش وضد كل من تُسوّل له نفسه الخروج عن تلك الدولة وعلى قيادتها المتمثلة في رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: «وموادعة اليهود في الكتاب (أي: المعاهدة أو الوثيقة التي سنذكرها) إنما جاءت تبعًا لإشعارهم بقوة المجتمع المسلم في حياته الجديدة، وأنهم إذا أرادوا الأمن والاستقرار لأنفسهم على دينهم وأموالهم فلينزلوا عن غرورهم واستكبارهم إلى تبعيتهم للمسلمين[1].

ولكن اليهود أهل غدر وخيانة ونقض للعهود والمواثيق يقول القرآن الكريم عنهم: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة/٢٧) وتقول توراتهم التي بين أيديهم الآن: «فلما سمع إيليا لفَّ وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول مالك ها هنا يا إيليا. فقال: «غِرتُ غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف» (سفر الملوك ١٣/١٩، ١٤).

فلم يراعوا معاهدة أو موادعة مع المسلمين وظلوا على خُلقهم الخبيث المتأصل فيهم ينفثون سمومهم وعداوتهم بين حين وآخر منذ قدوم الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى المدينة، ولقد عانى منهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أشدَّ المعاناة- كما سنوضح ذلك- فكان يحلم عليهم ويصبر على أذاهم ومكرهم وخداعهم وكان ملتزمًا بالمعاهدة التي عقدها معهم ويتمسك بها كرغبة صادقة منه- صلوات الله وسلامة عليه- في تطبيقها حرفيًا والوفاء بها إلى أبعد الحدود، فإن هؤلاء اليهود (دونما استثناء) كانوا لا تسنح لهم فرصة يرون أنهم قادرون فيها على تسديد ضربة قاتلة إلى المسلمين وقائدهم- صلى الله عليه وآله وسلم- إلا وحاولوا استغلالها وكأن لم يكن هناك بينهم وبين المسلمين عهد أو ميثاق.

وقبل حديثنا عن صور إيذاء اليهود للمسلمين ولرسولهم الكريم نُلقي الضوء على هذه المعاهدة التي عقدها الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- مع يهود.

---

(١) محمد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لمحمد الصادق إبراهيم عرجون (١٧٢/٣) (الناشر: دار القلم- دمشق ط أولى/١٩٨٥).

● نص المعاهدة بين المسلمين واليهود:

قال ابن إسحاق وأهل السير: «وكتب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا كتاب من محمد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وبين المؤمنين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس... وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[1] ظُلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليهم جميعًا، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمَّة الله واحدة، يُجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وإنه لا يحلُّ لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحدثًا ولا يُؤويه، وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردّه إلى الله- عز وجل- وإلى محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا مُحاربين، وأن يهود بنى عوف أُمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظَلم وأثِم، فإنه لا يُوتغ[2] إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجَّار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف، وإن البرَّ دون الإثم،

(١) الدسيعة: العظيمة، وهي في الأصل، ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، وأراد بها هاهنا: ما ينال منهم من ظلم.

(٢) يوتغ أي: يهلك.

وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة[1] يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- وإنه لا ينحجز على ثأر جُرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبرِّ هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النُّصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنَّفس غير مُضار ولا آثم وإنه لا يُجار حُرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُهُ فإن مردّه إلى الله- عز وجل-، وإلى محمد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نَصَرَها، وإن بينهم النَّصر على من دهم يثرب، وإذا دُعُوا إلى صُلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرِّ المحض من أهل هذه الصحيفة».

زاد ابن إسحاق: «وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-[2].

وقبل أن نناقش بنود الوثيقة نتطرق إلى التأكد أولا من مدى صحة الوثيقة قبل أن تُبنى عليها الدراسات. يقول الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمرى: ونظرًا لأهمية الوثيقة التشريعية إلى جانب أهميتها التاريخية، فلا بد من تحكيم مقاييس أهل الحديث فيها لبيان درجة قوتها أو ضعفها، وما ينبغي أن يتساهل فيها كما يفعل مع الروايات والأخبار التاريخية الأخرى.

(١) بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام (١/٥٠٣، ٥٠٤)، الروض الأنُف للسهيلي (٢/٣٤٥)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/٣٢١).

إن أقدم من أورد نص الوثيقة كاملاً هو (محمد بن إسحاق- ت/١٥١هـ) لكنه أوردها دون إسناد، وقد صرَّح بنقلها عنه كل من ابن سيد الناس، وابن كثير، فوردت عندهما دون إسناد أيضًا.

وقد ذكر البيهقي إسناد ابن إسحق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون البنود التي تتعلق باليهود، لذلك لا يمكن الجزم بأنه أخذها من نفس هذه الطريق أيضًا.

وقد ذكر ابن سيد الناس (في عيون الأثر) أن ابن أبي خيثمة أورد الكتاب (الوثيقة) فأسند الوثيقة... كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق الزهري أيضًا...

والوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، فابن إسحق في سيرته رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفة وأوردها البيهقي من طريق ابن إسحق أيضا بإسناد فيه سعد بن المنذر وهو مقبول فقط.. وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري وهو من صغار التابعين، فلا يُحتج بمراسيله.. ولكن نصوصًا من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي، وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة.

وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها من كتب الحديث الصحيح- فإنها لا تصلح أساسا للدراسة التاريخية التي تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة، كما أن الإمام الزهري علم كبير ومن الرُّواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية، ثم إن أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادعة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لليهود وكتابته بينه وبينهم كتاباً..[١].

(١) بتصرف من المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمري (الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- المجلس العلمي.. إحياء التراث الإسلامي- الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

وقد رجَّح الدكتور العمري أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم.

وأن وثيقة موادعة اليهود كُتبت قبل موقعة بدر الكبرى، فقد صرّحت المصادر بأن موادعة اليهود تمت أول قدوم الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى المدينة، فقال أبوعبيد القاسم بن سلام: «إن الوثيقة كُتبت حدثان مقدم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة، قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وكانوا ثلاث فرق: بنو قينقاع، والنضير، وقريظة.. فأول فرقة غدرت ونقضت الموادعة بنو قينقاع (حسب ما سنذكر ذلك تباعًا)، وكانوا حلفاء عبدالله بن أُبى (ابن سلول)، فأجلاهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عن المدينة، ثم بنو النضير، ثم قريظة..[١].

وإذا اعتبرنا أن هذه الوثيقة- كما ذكر الدكتور العمرى- تصلح أساسا للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، فنقول إن تلك الوثيقة قد سبقت كل العهود والمواثيق الدولية العالمية لما تتضمنها بنودها من معان سامية وأخلاق راقية، يقول الدكتور محمد أبوشهبة- رحمه الله-: «هذه هي الوثيقة التي وضعها نبينا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- منذ قرابة أربعة عشر قرنا، وهي وثيقة جديرة بالإعجاب حقًا، وثق فيها ما بين المهاجرين والأنصار من إخاء وحلف، وقرر فيها حرية العقيدة لغير المسلمين، وحرية الرأي، وحُرمة المدينة، وحُرمة الحياة، وحُرمة المال، وبذلك سبق النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى تقرير حقوق الإنسان من هذا الزمن البعيد، وقرر فيها أيضًا تحريم الجريمة والإثم والغدر والخديعة، وهي فتح جديد حقًا في الحياة السياسية والمدنية في هذا العالم يومئذ، هذا العالم الذي كان تغلب عليه روح الاستبداد، وتعبث فيه يد الظلم فسادًا، ولا تراعي فيه الحقوق والحرمات[٢].

وبهذا يتضح من خلال ما ذكرناه ونقلناه عن علمائنا الأثبات أن وثيقة موادعة

---

(١) كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام صـ٤٨٠ (كتاب إلكترونى).

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبوشهبة (٥٩/٢) (الناشر: دار القلم/دمشق- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

اليهود كتبت في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، ثم إن تحليل بنودها ونصوصها دل على أنها لا تعكس أي توتر في علاقة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وذلك حرصًا منه -صلى الله عليه وآله وسلم- على استتباب الأمن في المدينة لنشر دعوته بين صفوف اليهود ومن العرب الذين لم يسلموا بعد.. وهذه الصحيفة أو (الموادعة) تؤكد على التزام المسلمين بالعدل تجاه حلفائهم اليهود، والتزام اليهود بدفع قسط من النفقات الدفاعية عن المدينة، وكفلت لليهود الحرية الدينية، وحصرت مسئولية الجرائم في مرتكبيها وحدهم، ومنعت اليهود من إجارة تجارة قريش، كما منعتهم من المشاركة في حروب القبائل خارج المدينة إلا بإذن من الرسول القائد- صلى الله عليه وآله وسلم- باعتبارهم مواطنين يخضعون للنظام العام ولقائد الدولة الإسلامية في المدينة.

وبموجب هذه الموادعة اعترف اليهود بوجود سلطة قضائية عُليا يرجع إليها سائر السكان بمن فيهم اليهود إلا في قضاياهم الخاصة وأحوالهم الشخصية فيرجعون إلى أحبارهم، وسمحت الموادعة- كذلك- لليهود الاحتكام إلى الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- إذا شاءوا وله أن يحكم بينهم أو يردهم إلى أحبارهم[1].

فهل وفَّى اليهود بتلك المعاهدة والتزموا بها؟

إن التاريخ اليهودي يؤكد على أنهم لا يراعون عهدًا، ولا يوفون بميثاق، وأن الغدر والخيانة والكيد والمكر هي صفات ملازمة لهذا الجنس الشرير أولياء الشيطان وحزبه، وإذا ذُكرت تلك الأوصاف ذُكِرَ اليهود، فإن شغفهم بنقض العهود والمواثيق سطَّرته توراتهم نفسها التي بين أيديهم الآن، وقد ذكر قرآننا الكريم الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿فصلت/٤٢﴾ العديد من الآيات التي تدل دلالة واضحة على نقضهم للعهود والمواثيق ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء/١٥٥)، فاليهود

(١) بتصرف من مقال بعنوان (أول دستور أعلنه الإسلام) للدكتور أكرم ضياء العمرى، على الشبكة الإسلامية.

نقضوا عهودهم مع خالق السماوات والأرض- سبحانه وتعالى- كما نقضوها مع رسله- عليهم السلام- بدءًا من نبيهم موسى- عليه السلام- ومرورًا بداود وسليمان وعيسى- عليهم السلام- حتى آخر الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فلم يصبروا على الوفاء بالعهد لأنهم لا يستطيعون ذلك، لأن نقضهم للعهود والمواثيق صفات لازمة في الشخصية اليهودية وفي بنى إسرائيل منذ عهد موسى- عليه السلام- وحتى عصرنا الذي نعيش فيه، تقول توراتهم: «وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أُمورا قبيحة لإغاظة الرب. وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر. وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلا ارجعوا عن طُرُقكم الرَّدية واحفظوا وصاياي وفرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء. فلم يسمعوا بل صلّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل..» (سفر الملوك الثاني ١٧/١١-١٦).

هذا هو اعتراف التوراة بأفعال بني إسرائيل ونقضهم العهود والمواثيق مع خالقهم سبحانه وتعالى وقد سطر لنا القرآن الكريم عبادتهم للعجل الذي هو البعل فقال- سبحانه وتعالى-: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف/١٤٨)، وفي سورة طه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ (طه/٨٨) فهذا هو نقضهم للعهد مع الله- عز وجل- ومع نبيهم موسى- عليه السلام- هذا هو نقضهم للعهد الذي سطَّرته توراتهم، وقد صدَّق القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وأصدقها، نقض اليهود للعهود والمواثيق مع الله- عز وجل-

ومع أنبيائه ورسله- عليهم السلام- فكما نقضوها مع الله ورسله فمن باب أولى نقض العهود والمواثيق مع سائر البشر، فاليهود لا يعرفون سلامًا كما تقول توراتهم أيضا: « ... طُرق السلام لم يعرفوه وليس في مسلكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبُلا معوجَّة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاما» (إشعياء الإصحاح ٥٩/٨).

هذه هي صفات اليهود من توراتهم.. فهم لا يعرفون معنى السلام ولا طريقه لأن طُرُقهم معوجَّة غير مستقيمة كالأفاعي وهي الصفة التي أطلقها عليهم عيسى ابن مريم- عليه السلام- «يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار» (متى/١٢-٣٨).

من أجل ذلك ومن خلال تلك الصفات الرديئة والسيئة التي يحملها اليهود والملاصقة لهم على مر العصور والأزمان لم يلتزم اليهود بالمعاهدة التي أبرمها الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- معهم، بل سرعان ما نقضوها ولم يكتفوا بعدم الوفاء- كما سنرى- بالتزاماتهم التي حددتها الوثيقة، بل وقفوا مواقف عدائية مع المسلمين وقائدهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ولم تدم تلك المعاهدة طويلا بل كانت أقصر مما نتصور حيث كانت المعاهدة قد أبرمت -كما ذكرنا- في السنة الأولى من الهجرة ونقض اليهود العهد في السنة الثانية- وكان أول من نقض العهد منهم بني قينقاع- كما سنفصِّل ذلك في المبحث القادم.

المبحث الثالث:

صور من خيانات وإيذاء اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق مع المسلمين

كانت أول خيانة وغدر من يهود المدينة للمسلمين وقائدهم- صلى الله عليه وآله وسلم- على ما ذكرنا- من قبيلة بني قينقاع اليهودية، وكان ذلك بعد معركة بدر الكبرى، وقد «حدد الزهرى تاريخها فذكر أنها كانت في شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة»[1]. ففي معركة بدر التي فَصّل فيها الله- عز وجل- بين الحق والباطل كان النصر والغلبة والظفر من نصيب المسلمين، وكانت الذلة والصغار والهزيمة الساحقة الماحقة من نصيب كفار قريش، فأشعل ذلك الانتصار الباهر نار الحقد والحسد في نفوس يهود المدينة قاطبة، والذين كانوا يودون في نفوسهم هزيمة المسلمين حقدًا وبُغضًا في الإسلام وأهله، فرد الله- سبحانه وتعالى- كيد يهود في نحورهم ونصر القلّة المستضعَفة من المسلمين على الكثرة المتغطرسة من كفار قريش، فكان يهود بني قينقاع أول من أظهروا الغضب والحسد، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد المجاهرة بالعداء، وقد رأي النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- التزامًا منه ببنود المعاهدة أن يجمعهم وينصحهم بعد انتصاره ببدر، فقد روى أبوداود عن أبي هريرة- رضى الله عنه- أنه قال: «بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: «انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فناداهم فقال: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بَلّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك أريد[2]، ثم قالها الثالثة: اعلموا أنما الأرض لله ورسوله، وإنى أريد أن أُجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-[3]. وفي رواية أخرى لأبي داود عن ابن عباس

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى (١/ ٤٦٠).

(٢) أي: أن تشهدوا على أنفسكم أني بلغتكم.

(٣) رواه أبوداود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣/ ٤٠٢ حديث رقم/ ٣٠٠٢) وصححه الألباني.

(رضى الله عنهما) قال: لما أصاب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قريشًا يوم بدر وقَدِمَ المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا» قالوا: يا محمد، لا يغُرَّنَّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا[1] لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله- عز وجل- في ذلك (قل للذين كفروا ستُغلبون) إلى قوله.. ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ببدر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾[2] (آل عمران/ ١٢، ١٣) قال ابن جرير الطبرى بعد أن ذكر روايات يهود بني قينقاع ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران/١٢) هم: اليهود، المقول لهم ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا..﴾[3] (آل عمران/١٣) وهذه الآيات لا تعني أن سبب جلاء بني قينقاع يعود إلى رفضهم قبول الإسلام (كما يفترى البعض من المتأثرين بكلام المستشرقين)، ففي هذه المرحلة كان الإسلام يقبل التعايش السلمي مع يهود المدينة، ولم يكن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- يشترط على أحد من اليهود أن يدخل في الإسلام مقابل بقائه في المدينة المنورة، بل إن نصوص المعاهدة تؤكد إعطاء اليهود حريتهم الدينية في المدينة المنورة، وإنما يعود سبب الجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية، انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة النبوية[4].

فالسبب الرئيسي لإجلاء بني قينقاع من المدينة وطردهم منها شر طردة يرجع إلى خيانتهم وغدرهم ونقضهم لنصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين وقائدهم -صلوات ربي وسلامه عليه- وبين اليهود، فيا ترى ما هي حكاية بني قينقاع؟ وما هو سبب طردهم المهين من مدينة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-؟

---

(١) أغمارًا: جمع غُمْر- بضم فسكون- وهو الجاهل الغر الذي لم يجرِّب الأمور.

(٢) أخرج أبوداود في سننته: كتاب الخراج والإمارة والفيء (٤٠٢/٣ حديث رقم ٣٠٠١) وضعفه الألباني، وهذه الرواية وردت من طريق ابن إسحق في سيرة ابن هشام، وقد حسَّنها الحافظ ابن حجر في فتح البارى (٣٣٢/٧).

(٣) تفسير الطبرى (٢٢٩/٦).

(٤) بتصرف من المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمرى صـ١٢٨.

• غدر وخيانة بني قينقاع ونقضهم العهد:

أجمع المؤرخون وأهل السير على أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فقد روى ابن إسحاق وابن كثير، وابن سيد الناس وغيرهم أن سبب جلائهم من المدينة النبوية هو: «أن امرأة من العرب قَدِمت بجلب[1] لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فَعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها فعَقَده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا وشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[2].

وقد ورد في تفاصيل خبر حصار بني قينقاع أنهم كانوا حلفاء عبدالله بن أُبى ابن سلول، وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة، فلما أظهروا صريح العداء والبغضاء وأظهروا خيانتهم للنبى- صلى الله عليه وآله وسلم- استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر، وعقد لواء أبيض حمله حمزة بن عبدالمطلب (رضى الله عنه) وحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذى القعدة فاشتد عليهم الحصار ونزلوا على حكم الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-، على أن له أموالهم، وأن لهم النساء والذرية[3].

قال ابن إسحق بعد أن ذكر حصار رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لبني قينقاع ونزولهم على حُكمه: «فقام إليه عبدالله ابن أُبى ابن سلول، فقال: «يا محمد، أحسن في مواليَّ، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فقال: يا محمد أحسن في مواليَّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: أرسِلْني، وغضب رسول الله- صلى الله عليه وآله

(١) الجَلَب (بتحريك اللام بالفتحة): كل ما يُجلب للأسواق ليباع فيها.

(٢) سيرة ابن هشام (٣/٤٧، ٤٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣، ٤)، وابن سيد الناس، في عيون الأثر (١/٢٩٥)، والواقدي في المغازي (١/١٧٦، ١٧٧).

(٣) المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمرى صـ١٣٩، ١٤٠ (مصدر سابق).

وسلم- حتى رأوا لوجهه ظللا (أي: من شدّة الغضب)، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمائة حاسر (أي: الذي لا درع له) وثلاثمائة دارع (أي: الذي عليه الدرع)، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هم لك؛[1]».

قال ابن إسحاق: «وحدثني أبي إسحق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- تشبَّث بأمرهم عبدالله بن أبى ابن سلول، وقام دونهم، قال: ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وكان أحد بني عوف، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبدالله بن أُبيّ، فخلعهم إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وتبرأ إلى الله- عز وجل-، وإلى رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- والمؤمنين، وأبرأ من حِلْف هؤلاء الكفار وولايتهم.

قال: ففيه (أي: عبادة بن الصامت- رضى الله عنه) وفي عبدالله بن أُبيّ نزلت هذه القصة من المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة/ ٥١:٥٦)[2].

(١) وفي رواية الصالحي الشامي: «خلوهم: (أي: اتركوهم) لعنهم الله ولعنه معهم» (سُبُل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٨٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٨، ٤٩) (مصدر سابق).

والفرق واضح بين عبدالله بن أُبي ابن سلول الذي أُشرب قلبه النفاق، وبين عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) الذي صقلته التربية المحمدية، وخلصته من آثار العصبية الجاهلية والأهواء والمصالح الشخصية، فنظر إلى مصلحة العقيدة وقدمها على مصلحته الخاصة، فكان مثلا للمؤمن الواعي الملتزم(١).

هذا السرد التاريخي من سيرة خير العباد- صلى الله عليه وآله وسلم- مع يهود بني قينقاع لا نذكره لمجرد السرد، وإنما نسرده للعظة والعبرة، وذلك لأن وجه التشابه بين ما تعيشه أمة الإسلام اليوم مع اليهود وبين ما نحكيه ونذكره بين اليهود والمنافقين مع أهل الإسلام إبَّان عصر النبوة قريب إلى حد كبير، وذلك من عدِّة وجوه:

١- أن اليهود والمنافقون في عصر النبوة تحالفوا ضد الدولة الإسلامية وقائدها رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وفي عصرنا الحاضر تحالف المنافقون واليهود ضد الإسلام وأهله، ففي كل زمان ومكان دائمًا ما يتحالف أهل الباطل ضد أهل الحق.

٢- في عصر النبوة والَى كثير من المنافقين اليهود وقد أنزل الله- عز وجل- فيهم القرآن وحذّر أهل الإسلام من موالاة اليهود والنصارى، فالتزم أهل الإسلام بأوامر القرآن الكريم ونواهيه في موالاة الكفار من اليهود والنصارى، فهل يعتبر أهل زماننا ممن يوالون اليهود من المآل الذي صار عليه أسلافهم ممن تحالفوا قديمًا مع يهود أمثال عبدالله بن أُبي ابن سلول وصحبه من المنافقين؟.

٣- أن الحُجَجَ والمبرراتِ التي كان يرددها المنافقون قديمًا في إقامتهم علاقات مع اليهود وموالاتهم كانت تتلخص في المصالح الشخصية والمنافع الدنيوية، فقدّموا تلك المصالح والمنافع على مصلحة العقيدة الإسلامية وموالاة المؤمنين، وفي عصرنا يتحجج من يُقيمون علاقات مع يهود تحت ذرائع شتى، فكم من استثمارات وتعاقدات تتم سرًا وعلانية مع يهود تحت مبررات المصالح الشخصية والمنافع الدنيوية تحت مظلة السلام المزعوم والتطبيع مع اليهود..

٤- إن مَثَلَ من يرفضون التطبيع مع يهود اليوم والتحالف معهم وموالاتهم هم

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم العمرى صـ١٤١ (مصدر سابق).

مِثْلُ الصحابي الجليل عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- الذي رفض موالاة يهود بني قينقاع وبراءته من التحالف معهم بعدما نقضوا العهد مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- هذه أوجه التشابه بين عصر النبوة وعصرنا في تحالف أهل الباطل (من المنافقين واليهود) ضد أهل الحق (وهم أهل الإسلام).

ومن خلال ما عقدناه من مقارنة بين عصر النبوة وعصرنا الحاضر ينبغي أن يكون مسلم اليوم على حذر شديد وأن يعلم أن هناك طريقين لا ثالث لهما: إما فسطاط الإيمان الذي لا نفاق فيه وهو طريق أهل الحق، وإما فسطاط النفاق وموالاة أعداء الله من يهود اليوم والتحالف معهم، وهو طريق النفاق الذي لا إيمان فيه.. وعلى المسلم الحصيف أن يشري نفسه ابتغاء مرضات الله- عز وجل- ويختار فسطاط الإيمان وموالاة أهل الحق، وأن يبتعد عن فسطاط النفاق وموالاة أهل الباطل.. ويكون الصحابي الجليل عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أُسوته وقدوته بعد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لأنه اختار الله ورسوله وموالاة أهل الإيمان ورفض ورد حلف يهود بني قينقاع وتبرأ منهم ومن أفعالهم مما فعلوه من خيانة الأمانة ونقضهم للعهد مع المسلمين، فأجلاهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وطردهم شر طردة من المدينة النبوية وغَنم المسلمون ما لديهم من الأموال والسلاح، وتوجه القوم إلى منطقة يقال لها (أَذْرُعات من بلاد الشام)[1]، ولم يمض وقت طويل حتى هلك أكثرهم هناك، وكان عددهم يربو عن السبعمائة رجل، وهذا الحكم الذي صدر من النبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- كان لأجل ما بدر منهم من خيانة وصدٍّ عن هذا الدين ورفض له حتى وصل الأمر عندهم إلى الإخلال بالأمن العام والخروج عن الشرعية وبنود المعاهدة التي عقدها رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- معهم ومع بقية اليهود الذين يعيشون داخل المدينة النبوية، فهل كفَّ يهود المدينة عن أذيتهم لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والمسلمين؟، وهل التزموا بالمعاهدة التي عقدها معهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-؟، وهل وقف مسلسل الخيانة والغدر منهم؟، تعالوا لنرى في الفقرة القادمة ما فعله كعب بن الأشرف أحد رؤساء يهود بني النضير مع المسلمين وقائدهم- صلوات ربي وسلامه عليه-.

(١) أذرعات: بلد من أطراف الشام بجوار أرض البلقاء وعمّان بالأردن حاليًا.

● كعب بن الأشرف وخيانته المسلمين:

عدو الله ورسوله كعب بن الأشرف من قبيلة طيء، زعيم يهود بني النضير، والده الأشرف أحد بني نبهان، وهم بطن من طيء[1]، ثم أصاب دمًا في قومه، فهرب منهم وفرَّ إلى يهود بني النضير في يثرب وتحالف معهم وتزوج منهم عقيلة بنت أبي الحقيق (اليهودي)، وأصاب مالاً كثيرًا، ووُلِدَ له (كعب) فترعرع في أحضان اليهود وشرب منه خُلق اليهود وأُشرب قلبه الحقد والعداوة لكل خير وحق، وعندما شبَّ وكبر، كبُر معه الحقد والعداوة، فكان من أشد اليهود عداوة لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وصدق فيه وفي أمثاله من بني جنسه قول الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ (المائدة/٨٢)، وكان كعب ابن الأشرف شاعرًا هجاءً شديد العداوة للإسلام ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وعندما انتصر المسلمون في معركة بدر الكبرى قال هذا الكذاب الأشر: «.. لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها»[2]، فمن شدَّة عداوته للإسلام أنه خرج إلى مكة ليُواسي كفار قريش ويندب من مات منهم، ويُحرِّض على رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والمسلمين، ويُنشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب (من كفار قريش)، الذين أصيبوا يوم بدر.

وقد سجَّل القرآن الكريم قبح طويته، وإجابته على سؤال أبي سفيان وهو بمكة عندما قال له: أناشدك يا كعب أديننا أحب إلى الله أم دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، وأيُّنا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نُطعم الجزور الكوماء[3]، ونسقى اللبن على الماء؟ فقال له كعب بن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلا، فأنزل الله- عز وجل- قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء/٥١، ٥٢)، وأخذ هذا

---

(١) راجع مُعجم قبائل العرب للدكتور عمر رضا كحالة (١٧٩/٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٥١/٣).

(٣) هي: الناقة الكوماء أي: طويلة السنام، والكوم عِظم في السنام (راجع لسان العرب- ٢٣١/١٥).

الكذاب الأشر يُحرِّض كفار قريش (- كما يفعل خلفه الطالح من يهود اليوم الذين يحرضون ويؤلبون الدول الغربية على المسلمين تحت دعوى الإرهاب-).

ولم يرجع كعب بن الأشرف من مكة إلا بعد أن أجج نار الحقد والبغضاء وأخذ العهد من كفار قريش على محاولة الكَرَّة على الإسلام ونبيه المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- للثأر من قتلاهم يوم بدر.. وعندما رجع عدو الله ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى المدينة النبوية جعل يُشبِّب[1] بنساء المسلمين ويهجو رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ويؤذيه في نسائه ويتعرض له في مجالسه بالغمز واللمز، وأسفر عن عداوته وأفصح عن مكنون سريرته، وأخذ ينشد الشّعر في هجاء النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه- رضى الله عنهم- وروى ابن سعد عن الزهرى في قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ (آل عمران/١٨٦) قال: هو كعب بن الأشرف، فإنه كان يُحرِّض المشركين على رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه، يعنى في شعره ومجالسه»[2] لذلك كان ينبغى من قائد الأمة وزعيمها ونبيها- صلى الله عليه وآله وسلم- من موقف واضح وصريح مع هذا الكذاب الأشر الذي أظهر وأعلن عداوته للإسلام وقائده -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «مَن لنا من ابن الأشرف، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا، وقد أخبرنى الله- عز وجل- بذلك»[3].

---

(١) التشبيب: ذكر محاسن النساء ومفاتنهن والتعرّض لهن.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٣).

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/٢٩٣) وراجع: سيرة ابن هشام (٣/٥١، ٥٢)، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤/ ٥، ٦).

● قصة قتل كعب بن الأشرف:

أجمع علماء التاريخ والسير على أن قتل كعب بن الأشرف وقع بعد غزوة بدر وقبل غزوة بني النَّضِير، وقد حدّد الواقدي في مغازيه ذلك بدقة فقال: «وكان قتله على رأس خمسة وعشرين شهرًا (من الهجرة النبوية)، في ليلة أربع عشرة من ربيع الأول»[1].

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله- رضي الله عنهما- يقول: «قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمد بن مَسْلَمة فقال: يا رسول الله، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذنْ لى أن أقول شيئا. قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صَدَقةً، وإنه قد عَنَّانا، وإنى قد أتيتك أستسلفُك. قال: وأيضا والله لتملُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أيِّ شيء يصيرُ شأنه، وقد أردنا أن تُسلفُنا وَسَقًا أو وسقين- فقال: نعم، أرهنونى، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم. قالوا: كيف نُرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأرهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نُرهنك أبناءنا فيُسَبُّ أحدهم، فيقال: رُهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنّا نرهنك اللأمة. قال سفيان: يعنى السلاح. فواعده أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة- وهو أخو كعب من الرضاعة- فدعاهم إلى الحِصن، فنَزَلَ إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو: قالت: أسمع صوتا كأنه يَقطرُ منه الدم. قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبونائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة بليل لأجاب. قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين- قيل لسفيان: سمَّاهم عمرو؟ قال: سمَّي بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبوعبس بن جبر والحارث بن أوس، وعبَّاد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشُمُّه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرَّة: ثم أشمُّكم. فنزل إليهم مُتوشِّحًا وهو ينفح منه ريحُ الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا- أي: أطيب- وقال غير عمرو: قال عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. قال عمرو

1- المغازى للواقدى (١/ ٧٠).

فقال: أتأذن لى أن أشُمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمه، ثم أشَمَّ أصحابه ثم قال: أتأذن لى؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فأخبروه(١).

- شرح مفردات الحديث ومعانيه:

- قوله- صلى الله عليه وآله وسلم- على لسان الصحابى (فأذن لى أن أقول شيئا): كأن الصحابى الجليل محمد بن مسلمة (رضى الله عنه) أراد أن يستأذن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أن يقول شيئا عن النبي- صلوات ربى وسلامه عليه- كحيلة وخُدعة (وهى من الأمور المشروعة في الحروب).

- قوله (قد عنّانا): بالمهملة وتشديد النون الأولى من العناء هو: التعب والنصب.

- قوله: (لتَمَلُّنَّه): بفتح المثناه والميم وتشديد اللام والنون من الملَل.

- (الوَسَق): بفتح الواو والسين: مكيلة معلومة، وقيل هو حمل بعير وهو ستون صاعا بصاع النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو يعادل: خمسة أرطال وثلثا(٢).

وهذه الرواية التي رواها البخاري ومسلم هي أصح الروايات في قصة قتل طاغية يهود بني النضير كعب بن الأشرف، وقد ذكر أهل السير والتاريخ روايات مشابهة في سبب طلب النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قتل هذا الكذاب الأشر كعب بن الأشرف، وسوف نختار من تلك الروايات، رواية الواقدي، لأنها أكثر الروايات تفصيلاً لقصة قتل كعب بن الأشرف.. فقال الواقدي: «عن جابر ابن عبدالله (رضي الله عنهما) قال: «إن ابن الأشرف كان شاعرًا وكان يهجو النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه، ويُحرِّض عليهم الكفار من قريش

١- رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: قتل كعب بن الأشرف (٤٠٢٧- ٧/٣٣٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود/١١٩.

٢- راجع: لسان العرب (١٠/٣٧٨)، والمعجم الوسيط (٢/٩٨٨).

في شعره.. فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: مَنْ لي بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا به يا رسول الله، وأنا أقتله، قال: فافعل.. فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس، منهم عبَّاد بن بشر، وأبو نائلة (سلكان ابن سلامة)، والحارث بن أوس، وأبوعبس بن جبر، فقالوا: يا رسول الله نحن نقتله فأذن لنا فلنقل (أي: نتكلم فيك) فإنه لابد لنا منه، قال: قولوا ... فخرج أبونائلة إليه، فلما رآه كعب، فقال أبو نائلة: حَدَثت لنا حاجة إليك، قال: وهو في نادى قومه وجماعتهم: أدن إلىَّ فخبِّرني بحاجتك، وهو متغير اللون، مرعوب،- فكان أبونائلة ومحمد بن مسلمة أخويه من الرضاعة- فتحدثا ساعة وتناشدا الأشعار وانبسط كعب وهو يقول بيِّن ذلك حاجتك، وأبونائلة يناشده الشعر، فقال كعب: حاجتك، لعلك أن تحب أن يقوم القوم من عندنا؟ فلما سمع ذلك القوم قاموا، قال أبونائلة: إني كرهت أن يسمع القوم ذَرْوَ كلامنا(١)، ثم قال أبونائلة: كان قدوم هذا الرجل (أي: النبي- صلى الله عليه وآله وسلم) علينا من البلاء، وحاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السُّبُل عنا حتى جهدت الأنفس وضاع العيال، أُخذنا بالصدقة ولا نجد ما نأكل(٢).

فقال كعب: قد والله كنت أُحدِّثك بهذا يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إليه.

فقال أبونائلة: ومعي رجال من أصحابي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعامًا أو تمرًا وتُحسن في ذلك إلينا، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة. قال كعب: أما والله ما كنت أحب يا أبا نائلة أن أرى هذه الخصاصة(٣) منك، وإن كنت من أكرم الناس علىَّ، أنت أخي، نازعتك الثدي(٤)، قال سلكان: اكتم عنَّا ما حدثتك من ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). قال كعب: لا أذكر منه حرفًا، ثم قال كعب: يا أبا نائلة: أصدقني ذات نفسك، ما الذي تريدون في

(١) أي: تساقط الكلام وتطايره.

(٢) وهذا هو الكلام الذي رخَّص لهم النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فيه، وهو من باب (الحرب خدعة)، والمكر بالعدو والنيل منه.

(٣) أي: الفقر والفاقة وضيق العيش.

(٤) أي: رضعتُ معك من ثدي واحد.

أمره[١]؟ قال: خذلانه والتنحي عنه[٢]. قال: سررتنى يا أبا نائلة، فماذا ترهنونني. أبناءكم ونساءكم؟ فقال: لقد أردت أن تفضحنا وتظهر أمرنا، ولكنا نرهنك من الحلقة[٣] ما ترضى به، قال كعب: إن في الحلقة لوفاء، وإنما يقول ذلك (سلكان) لئلا يُنكرهم إذا جاءوا بالسلاح.. فخرج أبونائلة من عنده على ميعاد، فأتى أصحابه فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، ثم أتوا النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- عشاءً فأخبروه، فمشى معهم حتى أتى البقيع، ثم وجههم ثم قال: امضوا على بركة الله وعونه.

قال: فمضوا حتى أتوا ابن الأشرف، فلما انتهوا إلى حصنه[٤] هتف به أبونائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعُرس، فوثب، فأخذت امرأته بناصيته (ملحفته) وقالت: أين تذهب؟ إنك رجل محارَب ولا ينزل مثلك في هذه الساعة، فقال: ميعاد، إنما هو أخى أبونائلة والله لو وجدنى نائما ما أيقظنى، ثم ضرب بيده الملحفة وهو يقول: لو دُعى الفتى لطعنة أجاب.. ثم نزل إليهم فحياهم ثم جلسوا ساعة حتى انبسط إليهم، ثم قالوا له: يا ابن الأشرف هل لك أن نتمشى إلى شرج العجوز[٥]، فنتحدث فيه بقية ليلتنا، قال: فخرجوا يتماشون، فأدخل

(١) أي: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) وذلك ليزداد كعب بن الأشرف اطمئنانا وأمانا للقوم.

(٣) أي: السلاح.

(٤) وهو قلعة صغيرة مبنية على هضبة صخرية في المنطقة الجنوبية الشرقية للمدينة، يبلغ طول الحصن (٣٢ مترًا) وعرضه مثل ذلك، وارتفاع ما بقي من جدرانه (٤ أمتار)، وسُمكها (متر)، وله باب واحد من الجهة الغربية، وثمانية أبراج ضخام مبنية من حجارة ضخمة، طول بعضها ١٤٠سم، وعرضها ٨٠سم، وسُمكها ٤٠سم، وبوسطه رحبة واسعة مربعة تبلغ مساحتها ألف متر، وبجوانب الحصن من الداخل ١٠ غرف وبداخله بئر ماء، وقد خُرِّب هذا الحصن عندما أجلى الرسول - ﷺ - بني النضير من المدينة ولكن لمتانة بناء الحصن لم يستطع اليهود تقويضه أو هدمه بالكامل ولازالت بقايا أطلال هذا الحصن إلى الآن، ومكان الحصن يبعد عن المسجد النبوي في استقامة الطريق إلى قباء حوالي ثلاثة كيلو مترات أو يزيد قليلا (بتصرف من: آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري صـ٦١، المدينة المنورة بين الماضي والحاضر لإبراهيم بن على الغباشي صـ٢٩).

(٥) موضع خارج باب حصن كعب بن الأشرف.

أبو نائلة يده في رأس كعب ثم قال: ويحك، ما أطيب عطرك هذا يا ابن الأشرف، وإنما كان كعب يدهن بالمسك الفتيت[1] بالماء والعنبر حتى يتلبَّد في صدغيه، وكان جعدًا جميلاً.. ثم مشى ساعة فعاد بمثلها حتى اطمأن إليه وسُلسلت يداه في شعره وأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه: اقتلوا عدو الله، فضربوه بأسيافهم، فالتفت عليه فلن تُغن شيئًا[2]، ورد بعضها بعضًا ولصق بأبي نائلة، قال محمد بن مسلمة فذكرت مِغولا[3] كان معي فانتزعته فوضعته في سُرَّته ثم تحاملت عليه فقطعته[4] حتى انتهى إلى عانته، فصاح عدو الله صيحة ما بقى أطم[5] من آطام يهود إلا قد أوقدت عليه نار، فقال ابن سُنينة (يهودى من يهود بني حارثة)، وبينهما ثلاثة أميال: إنى لأجد ريح دم بيثرب مسفوح، وقد كان أصاب بعض القوم الحارث بن أوس بسيفه وهم يضربون كعبًا، فكلمه[6]، فلما فرغوا احتزوا رأسه (أي: رأس كعب بن الأشرف) ثم حملوه معهم، ثم خرجوا يشتدون وهم يخافون من يهود الأرصاد[7]، حتى إذا بحرَّة العُريض نزف الحارث الدم، فأبطأ عليهم، فناداهم: أقرئوا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- منى السلام، فعطفوا عليه، فاحتملوه حتى أتوا النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فلما بلغوا بقيع الغرقد كبَّروا، وقد قام رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- تلك الليلة يُصلى، فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبَّر وعرف أنهم قد قتلوه، ثم انتهوا يَعدون[8] حتى وجدوا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- واقفا على باب المسجد، فقال: أفلحت الوجوه، فقالوا: ووجهك يا رسول الله، ورموا برأس عدو الله بين يديه فحمد الله على قتله.. ثم أتوا بصاحبهم الحارث، فتفل[9] في جُرحه

(١) أي: وخليط من الماء والعنبر.

(٢) أي: الضربة لم تصب ابن الإشرف وذلك لشدَّة الظلام الدامس.

(٣) المِغْوَل: بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الواو: جراب في جوفه سيف صغير (خنجر) كالذي يتوشح به أهل اليمن وعُمان، قال ابن منظور: «وسُميَ مِغْولاً: لأن صاحبه يغتال به عدوه أي: يهلكه من حيث لا يحتسبه» (لسان العرب ١١/٥٠٧).

(٤) أي: قطعته. (٥) الأطم: هو الحصن المبني من الحجارة.

(٦) أي: جرحه جرحًا شديدًا.

(٧) يهود الأرصاد أي: اليهود الذين يسكنون بجواره وهم يهود بني النضير.

(٨) أي: يُسرعون. (٩) أي: بصق على جُرح الحارث بن أوس - رضي الله عنه - فبرأ، وهذا من معجزات النبي ﷺ.

فلم يؤذه.. قالوا: فلما أصبح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- من الليلة التي قُتِلَ فيها ابن الأشرف قال: من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه.. فخاف اليهود، فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بُيت ابن الأشرف وفزعت اليهود ومن معهم من المشركين فجاءوا إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- حين أصبحوا فقالوا: قد طُرِق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قُتِلَ غيلة[1] بلا جُرم ولا حَدَث علمناه، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: إنه لو قرَّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منَّا الأذى وهجانا بالشعر ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان له السيف، فحذرت اليهود وخافت وذلَّت من يوم قتل ابن الأشرف[2].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى سببًا آخر غير الذي ذكره أهل السير في طلب النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قتل طاغية اليهود كعب بن الأشرف فقال: «ووجدت في (فوائد عبدالله بن إسحق الخراساني) من مرسل عكرمة بسند ضعيف إليه لقتل كعب سببًا آخر، وهو أنه صنع طعامًا وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى الوليمة، فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه، فقام وستره جبريل بجناحه، فخرج، فلما فقدوه تفرقوا، فقال حينئذ: من ينتدب لقتل كعب» ثم قال الحافظ ابن حجر: «ويمكن الجمع بتعدد الأسباب»[3].

(١) الغيلة في اللغة هي أن يجامع الرجل امرأته، كما في حديث مسلم في كتاب النكاح، باب: جواز الغيلة وهي وطء المرضع.. وأما المقصود هنا فهي الغيلة: بكسر المعجمة أي: الخديعة والاغتيال. وقُتل فُلان غيلة أي: خُدْعَة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله (لسان العرب ١١/ ٥١) وقتل ابن الأشرف يدخل تحت قول النبيﷺ - (الحرب خُدعة)..

(٢) مغازي الواقدي (١/١٨٤: ١٩٤) وانظر: عيون الأثر لابن سيد الناس (١/٢٩٢)، وسيرة ابن هشام (٢/١٥٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٥).

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (كتاب المغازي ٧/٣٣٨).

ولكن هذا السبب الذي ذكره الحافظ ابن حجر مع إقراره على ضعفه إلا أنه لا يتوافق مع ما ذكرته كتب الصحاح والسير من أن سبب قتله هو أنه أسفر عن وجهه القبيح وأعلن عداوته الصريحة للمسلمين ولقائدهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأن القصة التي ذكرها الحافظ ابن حجر وهي محاولة اليهود لاغتيال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- إنما كانت من قوم كعب بن الأشرف وهم يهود بني النضير- كما سنبين ذلك في الفقرة القادمة- لذا فنحن نرجح السبب الذي أجمع عليه أهل السير وكتب الصحاح في طلب النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لقتل كعب ابن الأشرف حيث إنه آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن عداوته للإسلام وأهله بكل صراحة ووضوح وألّب وحرّض كفار قريش- كما ذكرنا آنفا- على معاودة قتال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وهذا السبب كافيًا لدعوة النبي وطلبه- صلوات الله وسلامه عليه- بإهدار دم هذا الخائن، الناقض للعهد، الذي تعاظم شرّه وازداد خطره على كيان الدولة الإسلامية فكان لابد من وقفة حاسمة وحازمة مع هذا اليهودي الطاغية المتجبر الذي لم ير من رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- هو وقومه إلا الوفاء بالعهد.

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «وقد يبدو مقتل ابن الأشرف متسمًا بالغدر، ولكن صاحب النظر الفاحص والبصيرة النافذة يدرك أن ابن الأشرف معاهد بموجب الصحيفة التي التزم فيها يهود بني النضير مع الآخرين، وأنه بهجائه للنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو رئيس الدولة بالنسبة لابن الأشرف وبإظهاره التعاطف مع أعداء المسلمين ورثاء قتلاهم وتحريضهم على المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محاربا مهدور الدم، وأما استدراجه ممن يثق بهم وقتله بالخديعة فإنه جائز مع المحارب، وقد تم بأمر الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-.

ولكن الرسول- صلوات الله وسلامة عليه- لم يؤاخذ بني النضير بجريرة كعب ابن الأشرف واكتفي بقتله جزاء غدره وجدّد المعاهدة معهم، ولكن يبدو أن لمقتل كعب أثراً عميقاً في نفوسهم حيث مضوا يكيدون للإسلام رغم تجديدهم المعاهدة، حيث إن الخوف وليس النوايا الطيبة هو الذي جرّهم إلى تجديدها(١).

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة صـ١٤٢، ١٤٣ (مصدر سابق).

وبعد مقتل طاغية اليهود كعب بن الأشرف ووأد فتنة الخيانة والغدر والتآمر التي ارتكبها هذا الخائن، ارتدع يهود المدينة واستكانوا ودخلوا جحورهم يرتجفون فزعًا ورعبًا، فانطووا- كعادتهم عند ضعفهم- على أنفسهم بعد أن عمَّهم الذعر من موقف النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- الحاسم والحازم مع كل من تُسوِّل له نفسه العبث بالأمن والاستقرار داخل المدينة النبوية، وخاصة بعدما أنزل الله- عز وجل- على نبيه قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال/٥٨).

ولكن يهود الخيانة والغدر عادوا لنشاطهم المشبوه ضد الدولة الإسلامية الحديثة، وصاروا يُحيكون المؤامرات والدسائس ضد المسلمين وقائدهم- صلى الله عليه وآله وسلم- لأن صفات اليهود تلك هي متأصلة ومترسخة في جيناتهم الوراثية من نقضهم للعهود والمواثيق وغدرهم وخياناتهم، ولذلك استمر هذا المسلسل الخياني وهذه المرة كانت الخيانة من يهود بني النضير، فماذا فعل هؤلاء الخونة؟

• خيانة وغدر ونقض يهود بني النضير للمعاهدة النبوية:

سبق وأشرنا إلى أن يهود بني النضير كانوا يسكنون داخل المدينة النبوية وتحديدا في العالية (العوالي حاليًا)، وكان الطاغية كعب بن الأشرف من رؤسائهم وساداتهم، وبعد مقتله وهلاكه جاءوا مذعورين إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ليجددوا العهد الذي نكثه زعيمهم ورئيسهم كعب بن الأشرف فسارعوا إلى كتابة معاهدة أخرى يأمنوا فيها على أموالهم وأنفسهم(١) ولكن سرعان ما نقضوا عهدهم وانقلبوا على أعقابهم- كعادتهم- لأنهم أهل خيانة وغدر وهي صفات لازمة في الشخصية اليهودية على مدار التاريخ وذلك عن طريق محاولة اغتيال القائد والنبي محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ولكنهم خابوا وخسروا وكشف الله- عز وجل- مخططهم لنبيه ورسوله ومصطفاه- صلى الله عليه وآله وسلم- فحاصرهم وأمر بإجلائهم من المدينة النبوية- كما سنبين-.

وقد وردت روايات صحيحة تدل على أن غزوة يهود بني النضير كانت بعد غزوة بدر، فقد روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة أن غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر(٢)، وروى أبوداود أن «كفار قريش كتبت بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحَلَقة والحصون(٣)، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء- وهي الخلاخيل- فلما بلغ كتابهم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أجمع بنو النضير بالغدر(٤).

(١) روى أبو داود عن كعب بن مالك أن النبي - ﷺ- أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه (أي: كعب بن الأشرف)، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي - ﷺ - فقالوا: طُرق صاحبنا فقُتِل، فذكر لهم النبي - ﷺ - الذي كان يقول، ودعاهم النبي - ﷺ - إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي - صلى الله عليه - بينه وبين المسلمين عامة صحيفة. (سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء (٤٠٢/٣ حديث رقم/ ٣٠٠٠). وصححه الألباني.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٣٥٧/٥). والحاكم في المستدرك في تفسير سورة الحشر (٤٨٥/٨ حديث رقم/ ٣٧٥٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٣) أي: السلاح والقلاع المنيعة، وخَدَم النساء: (خلاخيلهن).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة (٤٠٥/٣ حديث رقم/٣٠٠٤) وصححه الألباني.

فهذه الرواية الصحيحة تؤكد على أن غزوة يهود بين النضير كانت بعد غزوة بدر، وقد بوّب البخاري في كتاب المغازي من صحيحه فقال: «باب: حديث بني النضير، ومخرج رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في ديَّة الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قال الزهرى عن عروة: كانت على رأس ستة أشهر من واقعة بدر قبل واقعة أُحُد»(١) ولكن أهل السير والمغازى أجمعوا على أن تلك الغزوة كانت بعد بئر معونة، وكانت تلك الحادثة بعد غزوة أُحُد- كما في كتب السير والمغازي، قال ابن سيد الناس: «وغزوة بني النضير عند ابن إسحق في شهر ربيع الأول على رأس خمسة أشهر من واقعة أُحُد»(٢).

ولكن نحن نميل إلى قول الحافظ ابن حجر بترجيح رواية عروة بن الزبير على رواية ابن إسحق لأنها أقوى من حيث الصحة الحديثية.

قال الحافظ ابن حجر: «فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحق (أي: حديث عروة) من أن سبب غزوة بني النضير طلبه- صلى الله عليه وآله وسلم- أن يُعينوه في ديةالرجلين، لكن وافق ابن إسحق جُلّ أهل المغازى، فالله أعلم(٣).

يقول الدكتور أكرم العمري: «ويبدو أن استفاضة الروايات على ضعفها في تأييد قول ابن إسحق، وهو السبب في عدم جزم الحافظ (أي: ابن حجر) رغم رجحان الدليل الصحيح عنده»(٤).

---

(١) فتح الباري، كتاب المغازي، حديث بني النضير (٧/٣٢٩).

(٢) عيون الآثر لابن سيد الناس (٢/٢٣)، وسيرة ابن هشام (٣/١٩٠)، والروض الأنف للسهيلي (٣/٢٨٦).

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧/٢٣٣).

(٤) المجتمع المدني في عهد النبوة صـ١٤٥.

• سبب غزوة يهود بني النضير:

ذُكِرَت عدةٌ روايات في سبب تلك الغزوة فقد روى أبوداود من حديث عبدالرحمن بن كعب بن مالك (رضى الله عنه) أن كفار قريش لما كتبوا إلى اليهود ليقاتلوا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أجمعت بنو النضير بالغدر. فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حَبرًا، حتى نلتقي بمكان المَنْصَف[1] فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك [فقص خبرهم] فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بالكتائب فحصرهم، فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تُعاهدوني عليه، فأبوا أن يُعطوا عهدًا، فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه: فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم، حتى نزلوا على الجلاء، فَجَلت بنو النضير واحتملوا ما أقلّت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكان نخل بني النضير لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- خاصة، أعطاه الله إياها وخصّه بها..[2].

وفي مصنف عبدالرزاق أن بني النضير أجمعت على الغدر فأرسلت إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرًا، حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا كلنا، فخرج النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرا من يهود، حتى إذا برزوا في براز في الأرض، قال بعض اليهود لبعض، كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه، كيف تفهم ونفهم، ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا، وصدّقناك، فخرج النبي -صلى الله عليه

---

(١) المَنْصَف: بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة هو الموضع الوسط.

(٢) سنن أبي داود كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣/٤٠٦ حديث رقم/٣٠٠٤).

وآله وسلم- في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فأقبل أخوها سريعا، حتى أدرك النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، فلما كان من الغد، غدا عليهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بالكتائب، فحاصرهم.. الحديث(١).

أما عن الرواية الأخرى فقد ذكرها أصحاب السِّيَر والمغازى كلهم نقلا عن ابن إسحاق الذي قال: «ثم خرج رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى بني النضير يستعينهم في ديَّة رجلين معاهدين قتلهما خطأ عمرو بن أمية الضمرى، وكان بين النضير وبين أهل القتيلين عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يستعينهم في ديَّة ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعينُك على ما أحببت، فيما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالة هذه- ورسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعدو على هذا البيت، فيُلقى عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليُلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في نفر من أصحابه، فيهم أبوبكر، وعمر، وعلى، رضوان الله عليهم. فأتى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، وأخبر أصحابه بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم(٢). وإن كانت روايات رجال الحديث ورجال السير والمغازى اختلفت في سبب غزو النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ليهود بني النضير إلا أنهم ومعهم علماء التفاسير أجمعوا على أن سورة الحشر نزلت في يهود بني النضير.. فماذا تقول السورة عنهم؟

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/٣٥٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/١٩٠)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٢٣)، الروض الأنف للسهيلي (٣/٢٨٦).

سورة الحشر ويهود بني النضير:

وقد سمَّاها حَبر الأمة عبدالله بن عباس- رضى الله عنهما- سورة النضير، فقد روى البغوي «عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير»(١).

يقول الله- عز وجل-: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر/٢): هم يهود بني النضير، والحشر هو: الجلاء، والحشر الأول: خروجهم من المدينة النبوية إلى خيبر، والثانى: من خيبر والجزيرة العربية إلى الشام. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ (الحشر/٢) «ما ظننتم أن يخرجوا» لشدّة بأسهم، وحصانة حصونهم، وكثرة عَددهم وعُدَدهم. (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي: من بأس الله- عز وجل- وعذابه. (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي: سلّط الله- سبحانه وتعالى- المؤمنين من ذوى البأس الشديد، فلم تُغن عنهم حصونهم ولا عددهم وعدتهم شيئًا (وقذف في قلوبهم الرعب): قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الذي رواه جابر «أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلى: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر.. الحديث»(٢). وفي رواية أخرى: «أُعطيتُ ما لم يُعط أحد من الأنبياء، فقلنا يا رسول الله، ما هو؟ قال: «نُصرتُ بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسُميت أحمد، وجُعل التراب لي طهورا، وجُعلتْ أمتي خير الأمم»(٣).

«يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين» ذكرنا آنفًا في الحديث الذي رواه أبو داود أن يهود بني النضير خلعوا الأبواب والخشب «واحتملوا ما أقلّت الإبل من

---

(١) انظر تفسير البغوي (٨/٦٤)، ورواه البخاري في كتاب المغازي /٤٠٢٩.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٨٠) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٣٩).

أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها» وقال الإمام الطبري: «وأنهم كانوا يخربون بيوتهم ومساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذُكر في منازلهم فما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منهم بأيديهم وأيدي المؤمنين»[1]، (فاعتبروا يا أولي الأبصار): فاتعظوا يا معشر المسلمين ذوي الأفهام والعقول والبصائر، واحذروا أن تقعوا فيما وقع فيه اليهود من الاغترار بالقوة والمال وترك جانب الله ومحاربة الله ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم-.. قال الطبري: «وإنما عنى بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون»[2]، (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من المدينة النبوية وطردهم منها (لعذبهم في الدنيا): بالأسر والسبي والقتل (ولهم في الآخرة عذاب النار) بما ارتكبته أياديهم الآثمة من المعاصي وبنقضهم للعهود والمواثيق وبعدائهم السافر لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والإسلام.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر/٥) روى البخاري عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- حرَّق نخل بني النضير»[3]، واللينة: هي النخلة دون العجوة (وليخزى الفاسقين) أي: اليهود، ثم ذكر الله عز وجل دور المنافقين في سورة الحشر وموالاتهم لليهود فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿الحشر/١١﴾.

قال ابن إسحق: «وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم (عدو الله) عبدالله بن أُبيٍّ ابن سلول، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنا لن نُسلمكم، إن قوتلتم، قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله- صلى الله

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٤).

(٢) المصدر السابق (٢٣/٢٦٦).

(٣) فتح الباري كتاب المغازي (٧/٣٢٩ حديث رقم/ ٤٠٣٢).

عليه وآله وسلم- أن يُجليهم ويكفَّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلَقة[1]، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف[2] بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام»[3].

ثم قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر/١٣) أي: «لأنتم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ويا مَن تسيرون على هديه واتباع طريقة أصحابه- صلوات الله وسلامه عليه- ورضي الله عن جميع أصحابه- وتتبعون خُطاه وتلتزمون بسنته المُطهرة على مدار التاريخ الإسلامي حتى المعركة الأخيرة التي ستقع بين هؤلاء المؤمنين وبين اليهود الذين سيختبئون وراء الحجر والشجر خوفًا ورعبًا منهم -كما فصّلنا ذلك في أكثر من موضع[4]- لأنتم أيها المؤمنون أشدُّ رهبة في صدور اليهود من بني النضير، ويهود آخر الزمان من الله، هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله- عز وجل- من أجل أنهم قوم لا يفقهون، قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبتهم منكم.

ثم يقول الله- عز وجل-: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر/١٤) يقول الدكتور محمد أبوشهبة: «أي: هم يدّعون القوة والبأس فيما بينهم، فإذا لقوكم انهارت قواهم، وإنماعت شجاعتهم، والمراد بالحصون الحسية والمعنوية، فتشمل الحصون المثبتة، والمتاريس، والخنادق ونحوها كما كان أولا، وتشمل أيضا الدبابات والطائرات والقواعد التي يوجهون منها الصواريخ كما هو

---

(١) الحَلْقة: أي: السلاح. (٢) النجاف (بوزن كتاب): العتبة التي بأعلى الباب.

(٣) سيرة ابن هشام (١٩١/٣).

(٤) الإعجاز النبوي في الفتن والملاحم (الناشر: دار الفاروق)، وكذلك كتابنا: السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادي أبناء إسماعيل (دار الكتاب العربي).

اليوم، ولو لم يكن إلا عنايتهم ببناء المسالح..»(١). ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ في كل زمان ومكان كان اليهود لا يقاتلون إلا من وراء القرى الحصينة، وهي القرى المنيعة وراء تلك الحصون والقلاع المنيعة، وأما في عصرنا الحاضر فكانت تلك الحصون المنيعة تتمثل في خط بارليف الذي سقط في أيدى الجنود المصريين البواسل الذين رفعوا شعار- الله أكبر- في حربهم الأخيرة مع اليهود وهي حرب العاشر من رمضان (حرب أكتوبر).

(أو من وراء جُدُر) وهذا لم يحدث قط على مدار تاريخ الحروب التي دارت بين المسلمين واليهود، وهذا من الإعجاز القرآني لأن الجدار العازل الذي تبنيه إسرائيل المحتلة لأرضنا فلسطين بقوة في عصرنا الحاضر هو المقصود به قوله تعالى: (أو من وراء جُدُر) وهذا الجدار العازل أو (جدار الفصل العنصري)، أو (السياج الأمني)- حسب التسمية الإسرائيلية- «هو مشروع قيد التنفيذ حتى وقتنا الحاضر، أو بمعنى أدق حتى وقت كتابة هذا البحث، حيث بدأ تنفيذ بناء هذا الجدار في عهد حكومة الهالك الآن، الذي يشتهي الموت ولا يجده (آرئيل شارون) في شهر يونيه من عام ٢٠٠٢م، وارتفاع هذا الجدار يتراوح ما بين ٤,٥ : ٩م في المناطق المأهولة بالسكان الفلسطينيين، وسياج إلكتروني في المناطق غير المأهولة، وطوله حسب الخطة المعلنة في أبريل من عام ٢٠٠٦م نحو ٧٠٣كم، وهو يفصل التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية عن إسرائيل، وقد زاد هذا الجدار من معاناة إخواننا في فلسطين»(٢)، وبناء هذا الجدار العازل هو من الإعجاز القرآني في قوله تعالى: «أو من وراء جُدُر» وكذلك من الإعجاز النبوي الذي نبأنا بقتال اليهود في آخر الزمان سيكون وراء الجدار وسيختبئ اليهود وراء هذا الجدار، فعن أبي هريرة- رضى الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة (٤٠٤/٢) - مصدر سابق.

(٢) راجع كتابنا: الإعجاز النبوي في الفتن والملاحم صـ٢٨٠.

الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودى خلفي، فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[1].

قال الإمام النووى: «والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتال اليهود»[2] وهي شجرة صغيرة كثيفة الأغصان كثيفة الشوك، وهي تُزرع الآن بكثافة في كل أنحاء فلسطين المحتلة، ولايزال أهل النقب بفلسطين يسمونها (الغرقد) ويزرعها اليهود الآن بكثافة في مستوطناتهم وحول منازلهم، لعلمهم التام بأن تلك المعركة ستقع لا محالة[3].

أما قوله تعالى: (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي: تحسب اليهود والمنافقين متفقين في ظاهرهم ولكنهم مختلفون في بواطنهم، فأهواؤهم متشعبة وقلوبهم متفرقة، وهذا الكلام لا يقتصر على اليهود والمنافقين إبان العصر النبوي ولكنه ينطبق تماما على يهود ومنافقي اليوم، قال الطبري: «قال قتادة: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق»[4]. وهم كذلك في عصرنا فاليهود والمنافقون (حزب الشيطان) يجتمعون ويتآمرون على (حزب الله من المسلمين الملتزمين بقرآنهم وبسنة نبيهم -صلى الله عليه وآله وسلم- والملتزمين بهدي سلفهم الصالح من الصحابة- رضى الله عنهم- والتابعين وتابعيهم بإحسان).

قال الدكتور محمد أبوشهبة: «ثم بعد ذلك نادى الله المؤمنين وأوصاهم بتقوى الله وأن يقدِّموا ما ينفعهم في أخراهم، ولا يكونوا كاليهود الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ثم خلص من ذلك إلى أن السبب في العصيان والمخالفة واتباع هوى النفس إنما هو لعدم الفقه والتأمل في القرآن، هذا الكتاب الذي لو نزل على الجمادات لخشعت وتصدعت، فكيف لا تخشع له قلوبكم وتلين جلودكم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر/٢١)، وبذلك تُسدل سورة الحشر الستار على قصة يهود

(١) متفق عليه. (٢) راجع مسلم بشرح النووي (١٨/٤٥).

(٣) راجع كتابنا: الإعجاز النبوي في الفتن والملاحم صـ٣٨٠ (مصدر سابق).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٢).

بني النضير بنصيحة غالية للمسلمين ووصية عظيمة لهم ألا وهي التمسك بكتاب الله- عز وجل- الذي إذا نزلت آياته على جبل أصم فسيخشع ويتصدع من خشية الله- فما بالنا بالمسلم الذي يسمع آيات القرآن فلا يخشع قلبه ولا يلقى بالاً لتلك الآيات العظيمة التي تعتبر بمثابة الدستور الرباني للأمة الإسلامية والذي وصّانا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بالتمسك به فقال زيد بن أرقم- رضى الله عنه- قال: قام رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّرَ ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه.. «وفي حديث جرير: «كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان الهدى ومن أخطأهُ ضَلّ»[(١)].

وفي حديث الإمام على- رضي الله عنه- وإن كان به ضعف ولكني سأذكره لأن به معانيَ عظيمة وجليلة ولتعلم أخي المسلم أين أنت من قرآن ربك- عز وجل- وما هو موقعه منك؟ يقول الحديث: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: إنها ستكون فتن، قالوا: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين وهو الذِّكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَّ إلى صراط مستقيم»[(٢)].

فيا من تريدون تحرير المسجد الأقصى أين أنتم من قرآنكم وسنة نبيكم..؟

وبعد حصار يهود بني النضير رضخوا لشروط رسول الله- صلى الله عليه

(١) رواه مسلم (١٦/ ٢٤ حديث رقم/ ٦٣٧٨).

(٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن/ ٢٢٥٣،والطبراني في معجمه الكبير/ ١٦٥٨٧ وضعفه الألباني.

وآله وسلم- وقرروا الخروج من المدينة النبوية «وقد أدى إجلاء بني النضير إلى كسر شوكة اليهود والمنافقين في المدينة، حيث جددت قريظة- كما أشرنا آنفا- المعاهدة مع المسلمين خلال حصار بني النضير وأظهرت رغبتها في المحافظة على العهد، حتى كانت غزوة الأحزاب- كما سيأتي-، والمنافقون لم ينجزوا وعدهم لبني النضير بالنصر وخذلوهم، وتبين ليهود عدم جدوى الاعتماد عليهم.. وقوى كيان الإسلام بالتخلُّص من بني النضير والإفادة من أراضيهم بإقطاعها للمهاجرين الذين كانوا يعتمدون في سكناهم على أراضي وبيوت إخوانهم الأنصار..»[1].

ومن نتائج تلك الغزوة المباركة تطهير المجتمع الإسلامي من رجس هؤلاء الخونة الذين استحقوا عقوبة الطرد والإبعاد من ديارهم التي خرَّبوها بأيديهم، مع إنزال الرعب والخوف فيمن تبقى من يهود بني قريظة في المدينة النبوية، فهل حافظ يهود بني قريظة على عهودهم مع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-؟ أم أن داء الخيانة والغدر ونقض العهود الذي يسري في يهود الأرض قاطبة- كما يسري الدم في العروق- غلب عليهم في أكبر وأخطر خيانة وغدر عرفها التاريخ، فاستحقوا العقوبة القاسية التي حاقت بهم من قتل رجالهم، وسبي نسائهم، وتقسيم أموالهم فقد روى البخاري عن ابن عمر- رضى الله عنهما- قال: «حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين»... الحديث[2] فماذا فعل يهود بني قريظة ليستحقوا تلك العقوبة؟ هذا ما سنتحدث عنه في المبحث القادم..

(١) المجتمع المدني للدكتور أكرم العمري ص ١٥٠ (مصدر سابق).

(٢) فتح الباري بشرح البخاري، كتاب المغازي (٧/٣٢٩ حديث رقم/٤٠٢٨).

المبحث الرابع:

الخيانة العظمى

نقض يهود بني قريظة ويهود خيبر العهد وغدرهم برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-

بعد أن أُجلي يهود بني النضير ورحلوا عن المدينة النبوية، فمنهم- كما ذكرنا آنفاً- من ذهب إلى خيبر وكان منهم زعماء بني النضير حييّ من أخطب، وسلاَّم ابن أبى الحقيق، وكنانة بن الربيع وغيرهم ممن اختاروا مدينة خيبر التي تبعد عن المدينة النبوية بحوالى (١٦٥كم).. كما سنبين- وبقية يهود بني النضير رحلوا إلى الشام. وقد أكل الحقد والضغينة كبد هؤلاء اليهود الذين رحلوا إلى خيبر وكان على رأس هؤلاء حُييّ بن أخطب، ولم يتعظ هؤلاء اليهود بما حاق ببني جلدتهم من يهود بني قينقاع، وما حلّ بهم من نفي وخروج مَهين ومُذل نتيجة غدرهم وخيانتهم وتآمرهم ونقضهم للعهود، فقد ظلت أحلام العودة إلى ديار المدينة تراود هؤلاء اليهود الخونة، فقرروا الرحيل إلى خيبر القريبة من المدينة ليتسنى لهم تحريض وتأليب القبائل العربية وعلى رأسهم قريش لمهاجمة المدينة ومحاربة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول الأستاذ محمد أحمد باشميل- رحمه الله-: «فلم تمض على نزولهم خيبر أيام مدعودات حتى شرعوا بالاتفاق مع زعماء خيبر في إعداد خطط التآمر الجديدة الموجهة ضد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وصحبه في يثرب، وكانت نتيجة هذا السعى والإعداد أنه لم تمض على إقامتهم في منفاهم الجديد (خيبر) أربعة أشهر حتى خرجوا بمخطط حربى شامل رهيب علّقوا أملهم في العودة إلى يثرب ومحو الوجود الإسلامي على نجاحه. فقد أعدوا للتخلّص من الإسلام والمسلمين (نهائيًا) مشروع غزو شامل كبير يتلخص فيما يلي:

١- السعي لدى القبائل العربية المعادية للإسلام في نجد والحجاز لإثارة كوامن الحقد والبُغض في نفوسها ضد المسلمين، وإغرائها بغزو المدينة للسلب والنهب والتخلص من المسلمين.

٢- الاتصال بزعماء وقادة هذه القبائل القوية ودعوتهم وإغرائهم بالرشوة والوعود لإنشاء قومية عربية وثنية ضاربة من جميع هذه القبائل المختلفة تتحد في جيش واحد كبير تحت قيادة واحدة.

٣- على أن يكون الهدف الأساسي لهذه القوة الضاربة هو غزو المدينة واجتثاث جذور الإسلام ومحو كيان المسلمين فيها محوًا تامًا.

٤- الاتصال بزعماء يهود بني قريظة الباقين داخل (يثرب)، وكان عدد المقاتلين فيهم حوالي الألف، لإقناعهم بالموافقة على مشروع غزو المسلمين والانضمام إلى الجيوش الغازية إبان وصولها ضواحي المدينة، والتأكيد لزعماء القبائل العربية المعادية الغازية بأن بني قريظة سيكونون لهم عونًا على المسلمين ساعة شروعهم في غزوهم..[(١)].

وكان على رأس هذا المخطط الشرير العدو اللدود للمسلمين ولرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- حُيَيّ بن أخطب الذي خرج على رأس وفد من اليهود لتحريض القبائل العربية المعادية للإسلام لغزو المدينة، يقول ابن سعد: «لما أجلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بني النضير ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة فألبوا قريشًا ودعوهم إلى الخروج إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعدًا، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسُليمًا ففارقوهم على مثل ذلك.[(٢)] ثم كانت غزوة الخندق أو الأحزاب التي دعا فيها رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- على المشركين فقال: «اللهم مُنزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب! اللهم اهزمهم وزلزلهم»[(٣)] فهزمهم الله شرَّ هزيمة وفرَّق جمعهم، وكان يهود بني قريظة قد تحالفوا مع المسلمين في تلك الغزوة ثم نكثوا عهدهم ونقضوا تحالفهم- كعادة يهود-.

(١) غزوة بني قريظة لمحمد أحمد باشميل ص١٤٧، ١٤٨ (مصدر سابق).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٧٣).

(٣) متفق عليه رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه -.

أولاً: غدر وخيانة يهود بني قريظة ونقضهم العهد:

سبق وأشرنا إلى أن أول معاهدة أُبرمت بين المسلمين واليهود كانت وقت قدوم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى المدينة النبوية مع اليهود الذين لا يوفون بعهودهم كما تقول توراتهم: «.. لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف...» (سفر الملوك الأول: الاصحاح/١٩ - فقرة/ ١٤) [(١)]، وقد قال الله - عز وجل - في القرآن الكريم ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. (البقرة: ١٠٠).

وكان من بنود تلك الوثيقة - كما أوردناها آنفاً - «... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين... وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة (أي: وثيقة المعاهدة) وأبرَّه، وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دَهَم يثرب[(٢)]» أي: أن بين المسلمين واليهود محاربَة من هاجم المدينة وأراد الاعتداء على أهلها - حسب المعاهدة - حتى النصر على الأعداء، وكانت بداية تلك المعاهدة في السنة الأولى للهجرة النبوية، وكانت غزوة الخندق في شوال من سنة خمس من الهجرة، أي استمرت تلك المعاهدة قُرابة أربع سنوات فقط ثم غدر اليهود وخانوا العهد عندما حاولوا تأليب القبائل وخاصة قريش على مهاجمة المدينة المنورة تمامًا كما يفعلون في عصرنا الحاضر من خلال تأليب القوى الكبرى والمتمثلة في الولايات المتحدة ودول غرب أوربا على الإسلام والمسلمين، وبدأ يهود المدينة وعلى رأسهم حُيَيُّ بن أخطب النضري (أي: من بني النضير)، وسلاّم بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق في التحريض على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - فقَدِم هؤلاء القوم من اليهود على قريش - كما ذكرنا آنفا - فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ - وقالوا: «إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فرَحَّبَت قريش بمقدمهم، واستجابوا لدعوتهم،

(١) راجع كتابنا: (التوراة العدو اللدود للسامية ص٩٩) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ٢٠٠٨).

(٢) سبق الإشارة إلى نصِّ الصحيفة..

وحرّضوهم على مواصلة مسعاهم.. وانتهزت قريش وجود هذا الوفد الحانق المضلل فقالوا لهم: يامعشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينه؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه [1].

فسجل لهم القرآن الكريم هذه السقطة الشنيعة كما سجل سقطاتهم السابقة مع أنبيائهم بداية من موسى وحتى عيسى - على الجميع أفضل الصلاة وأتم التسليم - فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء/ ٥١ - ٥٢)[2].

قد سجَّل أحد اليهود المعاصرين هذه السقطة لبني جلدته على تحالفهم مع أهل الأوثان ضد أهل التوحيد فقال: «.. لكن الذي يُلامون عليه بحق، والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضَّل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية»[3].

وقد ذكرت كتب السير والمغازي قصة تحريض اليهودي الخبيث حُيَيٍّ بن أخطب ليهود بني قريظة وتأليبهم على رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-المسلمين، تقول القصة: «وخروج حُيَيٌّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عهدهم، فلما سمع به كعب أغلق بابه دونه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال: يا حييُّ إنك امرؤ مشئوم، وإني عاهدت محمدًا (ﷺ) عهدًا فلستُ بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقًا، وما زال به حتى فتح له. فقال:

---

(١) تمامًا كما قال زعيمهم الهالك كعب بن الأشرف. وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا.

(٢) راجع: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة (٢/٢٧٥) (مصدر سابق) وكذلك: سيرة ابن هشام (٣/٢٣٣).

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لليهودي: إسرائيل ولفنسون صـ ١٨٧.

ويحك يا كعب، لقد جئتك بعزِّ الدهر، قال: وماذاك؟ قال: لقد جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه، فقال كعب: دعني ياحُيَيّ، فإني لم أرَ من محمد إلا وفاءً وصدقًا!!

وتكلم عمرو بن سعد القرظي فذكر وفاء الرسول (ﷺ) ومعاهدتهم إيّاه وقال: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه، ولكن حُييًّا مازال بكعب يفتله في الذروة والغارب[1] حتى غلبت عليه يهوديته فاستجاب له، ونقض ما بينه وبين الرسول (ﷺ) من عهد، ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العهد.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بعث سعد بن معاذ، سيد الأوْس، وسعد بن عُبَادة، سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة (رضي الله عن الجميع) وقال: «انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم؟ فإن كان حقّاً فألحنوا لي لحنًا أعرفه[2]، ولا تفتّوا في أعضاد المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوا أن الخبر صحيح، ووقعوا في رسول الله (صلى الله عليه) ونالوا منه، فجعل سعد بن معاذ يشاتمهم فأغضبوه، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة، ثم أقبل السعدان ومن معهما فقالوا: عَضَل والقارة[3]، أي: غدر كغدرهم بأصحاب سرية الرجيع [4]، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين» ثم تقنّع بثوبه واضطجع، ومكث طويلاً، فعرفوا أنه لم يأته خير عن بني قريظة، ثم رفع رأسه وقال: «أبشروا بفتح الله ونصره»[5] فبالرغم من المعاهدة المعقودة بين المسلمين والتزام

---

(١) هذا مثال يُضرب في المراوغة والمخاتلة.

(٢) يعني أسلوب التعريض والتلويح، لا التصريح.

(٣) عَضَلٌ والقارَة: وهم من قبيلة الهَوْن بن خُزَيْمة بن مُدركة، أتى نفرٌ منهم إلى النبي - ﷺ - وقالوا: يارسول الله إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويُقرئوننا القرآن ويُعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- نفرًا في ستة من أصحابه.. فغدروا بهم.. (راجع الروض الأنف للسهيلي ٣/ ٢٦٠).

(٤) الرجيع: بئر ماء لهُذيل بناحية الحجاز، وهو المكان الذي غُدِر به بأصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في القصة التي ذكرناها عن غدر عَضَل والقارة.

(٥) راجع: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/ ٢٧٩) مصدر سابق.

اليهود بموجب هذه المعاهدة التي من بنودها: «عدم تأييد أو مدّ يد العون لقريش عدو المسلمين آنذاك، وبالرغم من أن اليهود لم يروا من المسلمين قبل بدرا أو بعدها وطيلة سنوات المعاهدة الأربع إلا الوفاء بالعهد وعدم إيصال أي أذى إلى اليهود وباعتراف سدنتهم. كما أشرنا إلى قول زعيم يهود بني قريظة (كعب بن أسد القرظي) إلا أن الغدر والخيانة المتأصلة في دماء اليهود أبت إلا أن تظهر مدى تغلغل العداوة والحقد والكراهية لزعيم المسلمين وقائدهم وقدوتهم ورسولهم - صلى الله عليه وآله - تمامًا كما يحدث في عصرنا الحاضر من نفث سموم وأحقاد اليهود الدفينة للمسلمين من خلال ما نشاهده من إفراط في القسوة والعدوانية والقتل لأشقائنا وإخواننا في فلسطين وقبله كان في مصر وسوريا ولبنان ولكن الله - عز وجل - ناصرهم ومؤيدهم بمدد من عنده وهذا مصداق قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «لا تزال من أمتي عصابة قوّامة على أمر الله - عز وجل - لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداءها، كلما ذهب حرب نشب حرب قوم آخرين، يزيغ الله قلوب قوم ليرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم، فيفزعون لذلك حتى يلبسوا له أبدان الدروع، وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم: هم أهل الشام، ونكت رسول الله صلى الله عليهوآله - بإصبعه يومئ بها إلى الشام حتى أوجعها [1].

وهذا الوعد من رسول الله صلى الله عليه وآله - قائم حتى يقاتل المسلمون اليهود وسيكون سبيهم الأخير على يدي أبناء إسماعيل -عليه السلام - من المسلمين الموحِّدين أصحاب الأيادي المتوضئة [2]، ولذلك يجب قراءة تاريخ اليهود مع المسلمين وخاصة في الصدر الأول للإسلام للعبرة والعظة والاستفادة من الدروس والتأسي برسول الله - ﷺ وآله - في تعامله معهم والذي لم يرض عن تلك الخيانة الشنيعة إلا غزوهم في عقر دارهم وإقامة حدّ الله عليهم نتيجة خيانتهم وغدرهم «فهاهم - وقبل أن يصل إليهم القائد الأعلى النبي - ﷺ بدقائق معدودات - يشتمون ويسبُّون ويهددون ويتوعدون، ظانين أنهم مانعتهم حصونهم،

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٣٤٢٥).

(٢) راجع كتابنا: بداية النهاية.. السبي الأخير لبني إسرائيل ص ٢٠١ (مصدر سابق).

ولكنهم ـ وبعد بُرهة مما فاهوا به في حق النبي الكريم (ﷺ) ـ إذا بهم يرون القائد الأعلى (الذي سلكوا معه كل درب من دروب الغدر والخيانة والنكث للقضاء عليه وعلى أمته) قد أحاطتهم كتائبه المظفرة من كل جانب، فلجأوا إلى المكر والخديعة، واندفعوا يُذكّرون القائد المنتصر عليهم بما يمتاز به من حلم وعلم في عبارات كلها مدح وإطراء وتودد طمعًا في التأثير عليه ليعفو عنهم.. ولكن هؤلاء اليهود الذين وقفوا (ساعتئذ) موقف الواعظ الوديع المستكين البرىء، ونسوا أو تناسوا أنهم ضربوا بكل القيم الإنسانية والمُثل الأخلاقية عُرض الحائط، وداسوا العهود والمواثيق بأرجلهم في خِسّة ونذالة عندما رأوا جيوش الأحزاب الجرارة تحيط القلة المسلمة إحاطة البحر الهائج بالجزيرة الصغيرة من كل جانب، فأعلنوا الترحيب بهذه الجيوش الغازية الباغية وأعلنوا الانضمام إليها ضد المسلمين الذين تربطهم بهم رابطة حلف عسكري متين، هي معاهدة الدفاع المشترك، نعم تناسى هؤلاء اليهود أنهم ـ عندما جاءهم الوفد النبوي في تلك الساعة الحاسمة يطلب منهم القيام بالتزاماتهم العسكرية مع المسلمين ضد الغُزاة، كما تلزمهم بذلك نصوص المعاهدة، ـ تناسوا أنهم لم يكتفوا (في تلك اللحظات الحرجة) بمخالفة نصوص المعاهدة بتوقفهم عن مساندة حلفائهم المسلمين، بل أنكروا (في وقاحة وصفاقة) أن يكون بينهم وبين النبي ـ صلى الله عليه ـ أيَّ حلف أو عهد.. نعم نَسِيَ هؤلاء اليهود الذين يطلبون الرأفة والرحمة ويُذكّرون بالحلم، أن جوابهم لرئيس الوفد النبوي الذي جاء إليهم يطلب تنفيذ المعاهدة، كان تجاهل وجود النبي ـ صلى الله عليه ـ ذاته حيث قالوا (وقد ظنوا أن المسلمين قد انتهي أمرهم).. ومن هو رسول الله؟؟ لا عهد بيننا وبين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا عقد.. هكذا قالت قريظة كلمتها، كلمة الغدر والخيانة عندما أحاطت بها خطيئتها وحاق بها مكرها السيئ فوجدت حصونها الشامخة غارقة في بحر متلاطم من جُند الإسلام الحانقين الذين بلغت في نفوسهم مشاعر الغيظ حدَّ الغليان على هؤلاء اليهود الذين ما كانوا ليترددوا لحظة في سحق المسلمين سحقًا كاملاً لو تمكنوا من ذلك، فقد كان هذا غاية مرادهم عندما نقضوا الحلف وخانوا العهد، ولكن الله غالب على أمره، فقد أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن ينصر عبده ويُعزَّ جُنده ويهزم الأحزاب وحده.

ـ موقف الإسلام من الملتزمين بعهودهم من غير المسلمين:

كان من بين يهود بني قريظة من العقلاء (عمرو بن سُعْدَى) الذي بلغه ما فعله اليهود من بني جلدته من خيانة وغدر مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعندما علم بانسحاب الأحزاب، جاء إلى قومه بني قريظة ودعاهم إلى اجتماع عاجل، وذلك قبل وصول جيش النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لضرب الحصار عليهم وقال لقومه (بعد أن أنّبهم ووبخهم على نقضهم العهد الذي بينهم وبين المسلمين) فدعا قومه إلى الدخول في الإسلام ليحقنوا دماءهم ويتبعوا الحق قائلاً لهم: ياقوم قد رأيتم ما رأيتم، فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدًا، فو الله إنكم لتعلمون أنه نبي، وقد بَشَّرنا به علماؤنا، ثم لازال ابن سُعدَى يُخوفهم بالحرب والسبي وأقبل على سيدهم (كعب بن أسد القرظي)، وقال له: والتوراة التي أُنزلت على موسى -عليه السلام ـ يوم طور سيناء إنه للعز والشرف في الدنيا (يعني الدخول في الإسلام) ومع ذلك رفض بنو قريظة الانصيَاع لنصائح عمرو بن سعدى.

فتقدم إليهم. (كمحاولة أخيرة باقتراح آخر ـ محاولاً إنقاذهم ـ فقال لهم.. لقد خالفتم محمدًا، ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه في دينه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية، فو الله ما أدري، أيقبلها منكم أم لا... ولكن بني قريظة رفضوا (أيضاً) حتى هذا الاقتراح، حيث كان جوابهم (والغرور لما يزل يشحن رؤوسهم) نحن لا نُقرّ للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه، القتل خير من ذلك.

وهنا أدرك هذا اليهودي (عمرو بن سعدى) أن عناد قومه الأغبياء سوف يقودهم إلى الفناء والهلاك دونما شك فأعلن براءته منهم وفارقهم إلى الأبد، فقد خرج هذا اليهودي من حصون قومه بني قريظة بعد أن طوّقها الجيش الإسلامي من كل مكان، وكان خروجه ليلاً، وعندما خرج هذا الزعيم اليهودي من حصون قومه مفارقًا لهم، التقى به رجال الحرس النبوي الذين كانوا يقومون بأعمال الدورية، فألقوا عليه القبض، ثم أتوا به إلى قائدهم الصحابي محمد بن مسلمة الأنصارى ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ. وعندما عرف قائد الحرس أنه عمرو بن سعدى (وكان موقفه النبيل قد بلغ المسلمين) أمر بإطلاق سراحه ليذهب حُرًا حيث شاء، لأنه لم يرتكب ما يوجب قتله أو حتى اعتقاله، حيث بقي على عهده ولم يدخل مع بني قريظة فيما دخلوا فيه من جريمة الغدر ونكث العهد.

وهكذا أطلق الحرس النبوى سراح الزعيم عمرو بن سعدى مع أنه خرج من حصون قومه بني قريظة وكان لايزال على يهوديته، وبدهي أن لا يتعرض المسلمون لعمرو بن سعدى اليهودي بأيّ أذى، لأن القصد من ضرب الحصار على يهود بني قريظة إعلان الحرب عليهم، لا لأنهم يهود لا يدينون بالإسلام أو لا يريدون الدخول فيه.. كلا.. وإنما لأنهم غدروا، وارتكبوا (في ظروف حربية دقيقة للغاية) الخيانة العظمى التي عقوبتها في كل قوانين الدنيا: الموت...

ومادام أن هذا اليهودي (ابن سعدى) لم يشترك مع قومه في جريمة الغدر ونقض العهد، فإن تركه وشأنه حرّاً، وعدم التعرض له بأي أذى إنما هو ترجمة فعلية لأحد مبادئ الإسلام العادلة المنبثقة من قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، قال أهل السير: «وخرج عمرو بن سعدى القرظي، فمرَّ بحرس رسول الله - ﷺ - وعليه محمد بن مسلمة الأنصارى - رضي الله عنه - تلك الليلة، فلما رآه ابن مَسْلَمة استوقفه قائلاً.. من هذا؟

فقال: أنا عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقال.. لا أغدر بمحمد أبدًا. فقال (ابن مسلمة) حين عرف ابن سُعدى.. اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلّى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات (مستأمنًا) في مسجد رسول الله ﷺ تلك الليلة بالمدينة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا [1].

ثم تأتي اللحظة الحاسمة في الحكم على خيانة يهود بني قريظة، فقد روى البخارى ومسلم، (وهذا لفظ البخارى) عن أبي سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال: لما نزلت بنو قريظة على حُكم سعد - وهو ابن معاذ - بعث رسول الله - ﷺ - وكان قريباً منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله - ﷺ -.

(قوموا إلى سيِّدكم)، فجاء فجلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له (إن هؤلاء نزلوا على حُكمك). قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى الذُّريَّة. قال: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك) [2]، وكانت هذه هي النتيجة

(١) سيرة ابن هشام: (٢٣٨/٢). وانظر (غزوة بني قريظة، لمحمد أحمد باشميل) (مصدر سابق).

(٢) رواه البخاري في الجهاد، باب: إذا نزل العدو على حكم رجل/٣٠٤٣، ومسلم في الجهاد والسير، باب (جواز قتال من نقض العهد/٤٦٩١).

الطبيعية التي استحقها اليهود جزّاء خيانتهم وغدرهم، وهذا هو حُكم الله ـ عز وجل ـ العادل الذي أجراه على لسان الصحابي الجليل سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ فتم على إثر تلك الخيانة الكبرى إعدام حوالى ثمانمائة مقاتل من هؤلاء اليهود، وسبي نسائهم وذراريهم، ومصادرة كل ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة.. إلا أن هناك من الطاعنين على هذا الحكم من المستشرقين اليهود والنصارى ومن المتعاطفين معهم من بني جلدتنا الذين تتلمذوا على أيدي هؤلاء المستشرقين وخاصة ممن حصلوا على شهاداتهم العلمية من الجامعات الغربية ممن أعلنوا استنكارهم للحكم النافذ في هؤلاء اليهود، واعتبروه بمثابة عمل اتسم بالوحشية والقسوة ـ من وجهة نظرهم ـ فيقول على سبيل المثال لا الحصر المستشرق الحاقد جدًا على الإسلام ورسوله الكريم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ المدعو (جورج بوش) المتوفي عام ١٨٥٩م وهو من أعلام المستشرقين الحاقدين [١] وكان يشغل منصب أستاذ في جامعة نيويورك سيتي؛ في اللغة العبرية، وله كتاب ينضح كراهية وحقدًا على الإسلام وأهله اسمه: (محمد ﷺ ـ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين) يقول في هذا الكتاب: «لقد عاقب محمد (ﷺ) قبائل بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير التي كانت تقيم بالقرب من المدينة (المنورة) فوقعوا ـ كذا ـ فريسة سهلة في يد جيوشه فتعرضوا للسلب والنهب والموت على وفق درجة رفضهم لنبوته وتصدٍّيهم لقواته [٢].

وهذا الكلام الذي تفوه به هذا الحاقد إنما محض افتراء وافتئات على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحبه الكرام ـ رضي الله عنهم. (ومع أننا لسنا بصدد الرد عن هذا الكلام المتهافت، فذلك له مجال آخر).

---

(١) يقول الباحث والناقد (منير العكش) في كتابه (حق التضحية بالآخر ـ أمريكا والإبادة الجماعية): إن هذا الـ جورج بوش هو الجد الأكبر للرئيس جورج بوش الأب وجورج بوش الابن (مقدمة كتاب محمد رسول ﷺ مؤسس الدين الإسلامي للمستشرق الأمريكي جورج بوش).

(٢) محمد رسول الله (ﷺ) ـ مؤسس الدين الإسلامى ومؤسس إمبراطورية المسلمين ص ٢١٧ لجورج بوش، ترجمه وحققه وعلّق عليه الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ (الناشر: دار المريخ ـ الرياض ـ السعودية ـ ط أولى/١٤٢٥هـ).

إلا أننى سأنقل شهادة من مستشرق أمريكى آخر ولكن ممن يُوصفون بالمعتدلين وهو (واشنجتون ايرفنج) حيث يقول: «برغم انتصارات الرسول (ﷺ) العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول (ﷺ) على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يُبالغوا في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وارثيًا لأسرته[1]، وقبل أن ندحض آراء هؤلاء الطاعنين أو المشككين في هذا الحكم العادل ضد يهود بني قريظة نقول... لابد لنا ولكل مسلم من الإقرار والتسليم (صيانة لديننا وحماية لإيماننا) بأنه ليس لنا الحق في أي تعقيب أو مناقشة (فضلاً عن الانتقاد) في أي حكم يصدر عن النبي الكريم - صلوات ربي وسلامه عليه - أو يُقرُّه أو يُمضيه، لأن النبي - ﷺ - لا يصدر في أي حكم إلا عن الله - عز وجل - إذ هو - كما قال عنه المولى جل وعلا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم٣: ٤)، ومع إيماننا الكامل بكل ذلك وتسليمنا المطلق بعدالة ذلك الحكم الذي صدر بحق يهود بني قريظة إلا أننا سنناقش هذه القضية بموضوعية وبما يتماشى مع واقعنا المعاصر لكي نُخرس الألسنة وندحض شبهات هؤلاء المستشرقين وأذنابهم.. فلقد أثبتت مجريات الأحاديث - منذ وصول النبي الكريم - ﷺ - إلى منطقة يثرب - أن هؤلاء اليهود بل كل يهود يثرب على أمر مُبيت للكيد للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ودعوته - كما سردنا ذلك آنفاً - بل والمحاولة تلو المحاولة التي صنعها وحاكها اليهود للقضاء عليه وعلى الإسلام - زعموا - بأية وسيلة مهما بلغت من الخِسّة والوضاعة، وأن الغدر والخيانة واستحلال دماء وأعراض وأموال كل من يخالف اليهود في دينهم ولا ينحدر من جنسهم، قاعدة عامة ثابتة لديهم، وطبيعة خبيثة متأصلة في نفوسهم وسابحة ومتغلغلة في دمائهم لا تلبث أن تظهر وتبرز وتتجلى عندما تسنح لهم الفرصة،

---

(١) حياة محمد لواشنجتون ايرفنج، ترجمة وتعليق د. على حسني الخربوطلي ص ٢٠٢، ٢٠٣ (الناشر: دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثانية/١٩٦٦.

والواقع الأليم الذي نعيشه الآن والحروب شبة الإبادية التي تشنها إسرائيل على أهلنا في فلسطين ولبنان خير شاهد على ما نقول.. ولقد عانى النبي - ﷺ - من هذا الخُلق الذميم الخبيث المتأصل لديهم متاعب كثيرة، فبالرغم من تمسك النبي - صلى الله عليه - بالمعاهدة المعقودة - التي ذكرناها آنفاً - بينه - صلوات الله وسلامه عليه - وبين اليهود، ورغبته الصادقة في تطبيقها حرفيّاً والوفاء بها إلى أبعد الحدود إلا أن هؤلاء اليهود (دونما استثناء) كانوا لا تسنح لهم فرصة يرون أنهم قادرون فيها على تسديد ضربة قاتلة إلى المسلمين إلا وحاولوا استغلالها وكأنْ لم يكن هناك بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق - كما يفعل - يهود اليوم - عندما يتنصلون من معاهدات السلام (المزعومة) وبرغم تنازلات العرب المهينة والتي تنم عن ضعف واستكانة إلا أن زعماء اليهود يضربون عُرْضَ الحائط بكل العهود والمواثيق على مدار تاريخهم الأسود، وها هو المدعو (ليبرمان) وزير خارجية إسرائيل المتطرف يتبرأ من اتفاقيات أوسلو وغيرها من الاتفاقيات التي عقدتها السلطة الفلسطينية (المنبطحة) مع إسرائيل، ولذلك نقول لهؤلاء المعترضين وغيرهم من المنافقين والموالين لليهود على الحكم الصادر والنافذ بحق يهود بني قريظة.. إن هذا الحكم ليس فيه (كما يتوهمون) أية قسوة أو وحشية.. وإنما هو عقاب عادل نزل بحق خونة ومجرمين يستحقونه، عقاب يطمئن إليه الضمير والوجدان، وتُقرّه جميع الأعراف والقوانين الدولية الحديثة - كما سنبين - بل والديانات الأخرى، ولكن قبل أن نبرهن على ذلك نقول ونذكر بأهم بنود المعاهدة التي عُقدت بين المسلمين واليهود:

(١) لقد كان اليهود من سكان يثرب، فكانوا هم والمسلمون - من الناحية القانونية في العُرف الحديث - يشكلون وحدة وطنية من حيث كونهم سكان بلد واحدقبل الإسلام وبعده.

(٢) لقد عقد النبي - صلى الله عليه - مع هؤلاء اليهود معاهدة مكتوبة وقّع عليها زعماء الفريقين: (المسلمون واليهود) التزم فيها الفريقان الدفاع

المشترك عن الوطن المشترك يثرب (يوم ذاك) ضد أي اعتداء يأتي من الخارج، سواء كان المقصود بهذا الاعتداء اليهود أو المسلمين، وقد ذكرنا بنود تلك المعاهدة أنفا.

(٣) لقد أكّد اليهود واعترفوا بتوقيعهم على هذه المعاهدة بأنهم والمسلمين أمة واحدة يجمعهم وطن واحد، يلزمهم ما يلزم كل مواطن إزاء وطنه، مع بقاء كل من المسلمين واليهود على دينهم.

(٤) وبالإضافة إلى أن تقديم اليهود أية تسهيلات (مهما كان نوعها) لأي عدو يريد احتلال المدينة (أو الهجوم عليها)، بعد توقيعهم على هذه المعاهدة، يجعلهم (من ناحية العُرف والقانون في جميع العصور) خونة يستحقون من العقوبة ما يستحق مرتكب الخيانة العظمى ضد وطنه في الظروف الحربية، فإن هؤلاء اليهود قد التزموا في هذه المعاهدة الامتناع عن تقديم أي عون لخصوم أي من الطائفتين (المسلمين واليهود)، وخاصة قريشًا (العدو رقم واحد للمسلمين) ومع ذلك أقدم يهود بني قريظة على تقديم العون والمدد لأعداء الإسلام عند قدومهم لغزو المدينة في غزوة الأحزاب. كما هو مُفصَّل في كتب التاريخ والسير.

(٥) بالإضافة إلى هذا كله اعترف يهود بني قريظة (في هذه المعاهدة) أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الحاكم الأعلى للبلاد وأن أي خلاف أو اشتجار فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأن الحكم للإسلام وقد أقرَّ اليهود بذلك.. ولذلك فقد ارتكب يهود بني قريظة ثلاث جرائم، تكفي واحدة منها لإدانتهم (قانونًا) بالخيانة العظمى التي تبرِّر (في جميع قوانين الدنيا حديثًا وقديمًا) الحكم عليهم بالموت، وهذه الجرائم هي:

١. اتصالهم بالعدو ونقلهم إليه أسرارًا عسكرية تُفيده وتُعرِّض سلامة جيش المدينة (وطن هؤلاء اليهود) لأشد الأخطار.

٢. مدّهم العدو الغازي بكل ما أمكنهم من عون مادي وتأييد أدبي ومعنوي يُيسِّر له مهمة احتلال وطنهم (يثرب) والقضاء على مواطنيهم.

٣. (وهو الأخطر) رفعهم السلاح ضد الجيش المتحالف معهم، وبالمصطلح الحديث (بني وطنهم) ونكثهم العهد وإعلانهم الاستعداد لضرب مواطنيهم وطعنهم من الخلف، في ظروف هي أشد وأدق ما شهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وجيشه في تاريخ حياته وذلك لاستئصال شأفة الإسلام تمامًا... والسؤال الذي ينبغي طرحه على هؤلاء المعترضين والمستهجنين للحكم الصادر والنافذ بحق يهود بني قريظة: ما هو حكم القانون الوضعي اليوم الذي يجب إنزاله (في جميع القوانين والدساتير العالمية) بمن خان وطنه وغدر بأمته وشرع (أثناء ظروف حربية قائمة) في الاتصال بالعدو الذي جاء غازيًا٢٠٤ لاحتلال وطنه وسحق مواطنيه وأخذ (بطريقة أو بأخرى) يُيسّر له سُبُل هذا الاحتلال والفتك بأبناء وطنه؟ وما حُكم من يُشهر السّلاح في وجه دولته ومواطنيه ويتحالف ويعلن انضمامه إلى العدو الغازي؟

. بنو قريظة في نظر القانون الدولي:

نعتقد جازمين أنه لا يوجد شخص يحترم عقله إلا الاعتراف بأن جميع قوانين ودساتير وأعراف الدنيا قديمًا وحديثًا إلا وتنص بالإجماع على أن الموت والمصادرة هي عقوبة كل من يقدم على هذه الجرائم الشنيعة التي ارتكبها يهود بني قريظة مع المسلمين، وحيث أن هذا الأمر متفق ومجمع عليه بين جميع الأمم، فإنه من التحامل والتعسف والافتراء القول بأن الحكم الصادر في حق بني قريظة هو حكم غير عادل أو به وحشية أو أنه مخالف لقواعد الإنسانية، لأن هؤلاء اليهود قد جمعوا في تصرفاتهم الخائنة الغادرة ضد المسلمين كل الجرائم التي عقوبة واحدة منها (فقط) هي: الموت في جميع قوانين ودساتير الدنيا في كل الأعصار والأزمنة.

فاليهود لم يكتفوا بالتجسس على مواطنيهم لحساب العدو في حالة الحرب، ولم يكتفوا بمدِّ هذا العدو بالمساعدات المادية والأدبية التي تُيسّر له مهمة احتلال المدينة (يثرب) وطن الجميع المشترك (يوم ذاك).. وهي أعمال تُصنَّف في باب

الخيانة العظمى التي عقوبتها الموت في جميع قوانين العالم.. نعم.. لم يكتفوا بهذه الأعمال فحسب، بل (بالإضافة إلى كل ذلك) شهروا السلاح في وجه الجيش الإسلامي المشغول بمواجهة الغزاة (أثناء غزو الكفار للمدينة في معركة الأحزاب) وأعلنوا قطع كل صلة تصلهم بحلفائهم ومواطنيهم المسلمين وانضموا في تلك الساعات المزلزلة، إلى قوات العدو الغازية مستهدفين سحق المسلمين (بسرعة) سحقًا كاملاً، مستغلين الموقف الدقيق المتأزم الذي بلغت فيه حالة المسلمين من الضيق والشدّة حدَّ الاختناق، ضاربين كل المُثُل والأعراف والقوانين والعهود والمواثيق عرض الحائط. وقد اعترف يهودي سبق وأشرنا إليه وهو إسرائيل ولفنسون بتلك الخيانة فقال: «نعم إن ضرورات الحروب أباحت للأمم استعمال الحيل والأكاذيب والتوسل بالخدع والأضاليل للتغلب على العدو، ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش[(١)].. فيهود بني قريظة - من وجهة نظر القانون الدولي العام - لا يمكن وضعهم في مكان العدو الذي استسلم وهو يخوض حربًا مشروعة (قانونًا)، كالحرب التي تقع (لسبب من الأسباب) بين دولة وأخرى..

وحتى لو استسلم عدو- مًا- فإننا لا ننسى ما فعله الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية حينما استسلمت ألمانيا واليابان من قتل آلاف المستسلمين بل وضرب هيروشيما ونجازاكى باليابان بالقنابل الذرية مما نتج عنه قتل مئات الآلاف من المدنيين العزل لا المحاربين أو المقاتلين، ولا الخونة ولا الناكثين أو الغادرين.

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل ولفنسون صـ١٨٨ (مصدر سابق) الأسطر يفوح من بين ثناياها رضا اليهودي إسرائيل ولفنسون تمام الرضا عن خيانة بني قريظة ولولا خوفه على حياته لأنه يناقش تلك الرسالة في بلد إسلامي لصرّح وأفصح عن مكنون ما بداخله ولكنهم اليهود الذين دائمًا يُبطنون البُغض والحقد ويظهرون عكس ذلك طالما أنهم في حالة ضعف أو خوف، فالتقية دائمًا هي دينهم في حالة عيشهم في مجتمعات أخرى غير مجتمعهم ولذلك فهم حريصون على العيش داخل (الجيتو) وهي الأحياء الخاصة باليهود..

ألا يخجل هؤلاء المتعصبون ضد الإسلام والباحثون له كل يوم عن مطعن يحطُّ من شأنه، ألا يخجل هؤلاء هم وفروخهم من المنتسبين إلى الإسلام والطاعنين باسم الإنسانية في الحكم الصادر والنافذ بحق هؤلاء اليهود الخونة.

ألا يخجل هؤلاء هم وفروخهم وأذنابهم من المحسوبين على الإسلام حينما يتشدقون بطعونهم في حكم الإعدام العادل الصادر بحق حوالي ثمانمائة يهودي ارتكبوا الخيانة العظمى، ويصفونه بأنه حكم وحشي لا يتفق مع روح العصر الحديث والحياة المتمدنة، وهم يعلمون أن أسيادهم قد حصدوا أرواح الآلاف من غير المحاربين من الشيوخ والنساء والأطفال عن قصد وتخطيط وسابق إصراره[1].

ثم ينقل الأستاذ محمد أحمد باشميل عن الأستاذ محمد رجب بيومي في معرض رده على المستشرقين في الحكم الذي أصدره الصحابي الجليل سعد بن معاذ- رضى الله عنه- ضد يهود بني قُريظة فيقول: «.. ليس من الغريب أن يندفع غُلاة المستشرقين في تجريد سيد الأوس، سعد بن معاذ (رضي الله عنه)، حين أصدر حكمه العادل باستئصال بني قريظة، إذ خانوا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتآمروا بالمسلمين، فحالفوا قريشا على حرب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ناقضين عهودهم الوثيقة، ومعلنين دفائن أحقادهم الثائرة. ويوم صدق الله وعده فردَّ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وحان أوان القصاص فارتضوا سعد بن معاذ (رضي الله عنه) حَكَمًا، فجزاهم بما اقترفوا من العقوق والغدر أعدل جزاء.. ليس من الغريب أن يندفع غلاة المستشرقين في ذلك عن غرض جائر وهوًى مريض.

إنما الغريب حقًا أن يستمع إليهم بعض عقلائنا المسلمين من كبار رجال القانون، فيروا في حكم سعد مغالاة كبيرة، ولا أدرى كيف يقولون ذلك وقد درسوا القوانين المعاصرة دراسة نافذة، وكان في مقدرتهم أن يطبقوها على قضية بني قريظة ليروا أن القوانين والدساتير المعاصرة لا تختلف في شيء عما أصدره سعد بن معاذ (رضي الله عنه).. وقانون العقوبات المصري- وهو أقرب قانون

(١) غزوة بني قريظة لمحمد أحمد باشميل صـ٢٦٣.

يعرفه من يؤاخذون سعدًا من رجالنا القانونيين- يجعل الإعدام عقوبة كل جريمة من الجرائم الثلاث- التي ارتكبها اليهود (وذكرناها آنفاً) وينص على ذلك في المواد: (٧٧، ٧٨، ٧٩) وهذه هي نصوصه على الترتيب: (المادة ٧٧): يعاقب بالإعدام كل مصري رفع السلاح على مصر أو التحق على وجه مَّا بعمل في القوات المسلحة لدولة تُحارب مصر.

(المادة ٧٨): كل من ألقى الدسائس إلى دولة أجنبية أو إلى أحد من مأموريها أو إلى أي شخص يعمل لمصلحتها أو تخابر معها أو معه بقصد استعدائه على مصر أو تمكينه من العدوان عليها يعاقب بالإعدام، سواء تحقق الغرض أم لم يتحقق.

(المادة ٧٩): يعاقب بالإعدام كل من سهَّل دخول العدو إلى البلاد أو سلَّمه مواقع أو سفناً أو طائرات مما يُستعمل في الدفاع عن البلاد، أو نقل إليه أخباراً أو أرشده أو حرَّض الجنود على الانضمام إليه أو أثار الفتن والشائعات أو نحو ذلك..

ثم يُعقِّب الأستاذ محمد رجب البيومي على تلك المواد من القانون المصري فيقول: «فقانون القرن العشرين صريح في إدانة بني قريظة حيث ارتكبوا جميع ما تستحق جريمة واحدة منها الإعدام.. وكم تنكَّب رجالنا من القانونيين سبيل الإنصاف حين زعموا أن حكمه القضائي لا يوائم أحكام القرن العشرين، وقد فاتهم أن يحيطوا بالقضية من أطرافها ليروا شططهم البعيد(١). فهذا هو الحكم العادل والطبيعي لقضية الخيانة العظمى التي ارتكبها يهود بني قريظة في حق وطنهم وهو القتل، ومن عجب أن هذا الحكم هو نفسه الذي أقرّته جميع الشرائع والدساتير والقوانين على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها، فالتوراة التي بين أيدينا والتي يدين بها يهود الأمس واليوم تقول: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك فكل الشعب الموجود

---

(١) غزوة بني قريظة نقلاً عن مجلة الحج الغراء الصادرة بمكة المكرمة في عددها الثاني عشر من سنتها الثامنة عشرة مقال بعنوان: (إنصاف سعد بن معاذ للأستاذ/ محمد رجب البيومي).

فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تُسالمك بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا» (سفر التثنية، الإصحاح/ ٢٠، الفقرة من ١٠:١٥).

وبذلك نكون قد ألقمنا اليهود وأذنابهم من المستشرقين ومن يدورون في فلكهم غير المنصفين من العرب والمسلمين الذين وافقوا كلام أهل الباطل الحجر تلو الحجر وأسكتناهم بالأدلة والبراهين، بالعقل والنقل على أن الحكم الذي صدر بحق يهود بني قريظة هو حكم عادل، وهو الحكم الذى رضي عنه الله -عز وجل- ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- والصحابة- رضي الله عنهم- سواء من المهاجرين أو الأنصار، ورضي عنه كذلك جميع من يقفون مع الحق وأهله.

وهكذا تُسدل الستار عن خيانة هذه الطُّغمة الفاسدة والحاقدة والغادرة من يهود بني قريظة «وكان جزاء بني قريظة من جنس عملهم حين عرَّضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم وذراريهم للسبي، فكان أن عوقبوا بذلك جزاءً وفاقًا[1].

ثم نختم هذا الفصل بآخر المعارك العسكرية التي وقعت بين النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ويهود خيبر والتي تم على إثرها إجلاء جميع اليهود من الجزيرة العربية- كما سنبين.

(١) المجتمع المدني للدكتور/ أكرم العمري صـ١٥٧.

ثانياً: غدر وخيانة يهود خيبر:

تقع مدينة خيبر شمال شرق المدينة المنورة وتبعد عنها- كما ذكرنا آنفاً- حوالى ١٦٥كم كطريق مُعبَّد، وهي عبارة عن واحة زراعية خضراء، وقد اشتهرت خيبر قديما بحصونها وقلاعها، ذلك أن خيبر وجمعها خيابر تعنى الحصن، وقيل إن خيبر نسبة إلى رجل من العماليق نزل بها وهو: خيبر بن قانية بن عبيل بن مهلان بن إرم بن عبيل وهو أخو عاد، وقال قوم: الخيبر بلسان اليهود: الحصن، ولذا سُميت خبائر[1].. وترتفع خيبر عن سطح البحر بنحو (٨٥٠م)، وهي من أعظم حِرار (جمع حرَّة)[2] بلاد العرب بعد حرَّة بني سليم، وتزخر مدينة خيبر بالنقوش والكتابات القديمة سواء الحصون أو المواقع المندثرة ولاسيما في القرى مثل: قرية العين، ومكيدة، والنطاة، وتوجد في خيبر جبال بركانية، وتُعدُّ خيبر أحد مناطق الجزيرة العربية التي تثور بها البراكين، حيث سالت الحمم البركانية في كل الاتجاهات وذلك عام (١٨٠٠م) حيث يُعد أحدث بركان ثار في الجزيرة العربية منذ قرون بعيدة..

وقد شاهدت عند زيارتي لمدينة خيبر تلك الحجارة السوداء نتيجة حمم البراكين مع ما شاهدته من أطلال حصون اليهود وعيون المياه وشجر الغرقد وكان ذلك إبان إقامتى في المدينة النبوية من عام ١٣٩٩هـ حتى عام ١٤١٣هـ، وتشتهر خيبر بكثرة النخيل وهي غنية بكنوزها الأثرية الثمينة من حصون وسدود ونقوش وكتابات أثرية، والحصون هي قلاع منيعة تاريخية تشتهر بها مدينة خيبر القديمة، وكم أتمنى أن تقوم إحدى القنوات الفضائية بعمل فيلم وثائقي يتم فيه تصوير مدينة خيبر القديمة مع بقايا تلك الحصون مع شرح كامل لغزوة خيبر وهذه الحصون[3] هي:

---

(١) راجع: تاج العروس للزبيدي (١/٢٧٤٤).

انظر: لسان العرب. مادة حرَّ، والحرَّة هي أرض ذات حجارة سوداء كأنها أُحرقت بالنار، والحرَّة هي الأرضين الصَّلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود (لسان العرب ٤/١٧٧).

(٣) ويمكن أن تُشاهد أطلال حصون يهود خيبر على كثير من المواقع الألكترونية..

- حصن القموص (مرحب اليهودي): وهو من أشهر الحصون ويشرف مباشرة على خيبر القديمة، ويوفر الحماية لها، فترة بنائه إلى العصر الغساني.
- حصن ناعم: من حصون النطاة (وهو أحد أودية خيبر الكثيرة) ويُعرف حاليًا بالعاصمية، وهي قرية مهجورة بُنيت على أنقاض هذا الحصن وحاليًا يُعد هذا الحصن مجموعة من الصخور المتناثرة.
- حصن الصعب بن معاذ: وهو الآن رُكامات لم يتم ترميمه واستخدامه.
- حصن أبي، وحصن السلالم، وحصن النزار وهو قرية متكاملة مهجورة، وحصن الوطيح وهو يقع على مساحة واسعة من الحرَّة وهو عبارة عن قرية متكاملة على آثار الحصن المعروف بالوطيح وتسمى حاليًا قريد مكيدة.

ومن آثار خيبر أيضًا:

السدود وأهمها: سد البنت الأثرى: ويقع جنوب شرق الثمد يبلغ طوله حوالى (٢٥م) وارتفاعه (٣ أمتار)، وقد تهدَّم جزء منه ويحتاج الآن إلى اهتمام وترميم، وهناك أيضًا سد الحصيد: يقع شرق الثمد على أحد روافد وادى الغرس طوله حوالى (٦٠ مترًا)، وارتفاعه (٦ أمتار)، وهناك سدود أخرى مثل سد المشقوق وسد الزايدية.

ومن الآثار: قصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وهو الموقع الذي عسكر فيه جيش المسلمين بعد وصوله خيبر وكان به مسجد أسسه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ومكان المسجد الآن محاط بمداميك (سور) من الأحجار السوداء[1].

---

(١) راجع: موقع ويكيبيديا: وبوابة خيبر، موقع يهتم بشؤون خيبر ومواقع أخرى.

• اليهود في خيبر:

إن تواجد اليهود في مدينة خيبر يرجع إلى ما ذكرناه آنفًا عن هجرة اليهود لجزيرة العرب بعد تدمير هيكلهم ومدينة أورشليم، وهناك اختلاف بين المؤرخين حول هجرة بني إسرائيل إلى خيبر، هل تمت من الشام وتحديدا من فلسطين أم أنهم نزحوا إليها عبر القبائل العربية اليمنية التي تهودت وذلك عقب سقوط سد مأرب.

وفي ذلك يقول الشيخ حمد الجاسر- رحمه الله-: «إن اليهودية جنس وإنما تعنى من اتصف بصفة أي إن اليهودية قد تُطلق على غير جنس اليهود، ويعنى بها من يدين بالدين اليهودي أيًا كان جنسه، ولعل مما يوضح ذلك معرفة أن قبائل يمنية هاجرت إلى شمال الجزيرة وسكنت في يثرب، وفدك، وخيبر، وهي قبائل عربية الأصل والمنشأ، أما الديانة فهي بالنسبة لهذه القبائل تعتبر أمرًا ثانويًا»[١].

وأما الدكتور جواد على فيقول: «والحديث عن اليهودية بين العرب، وعن وجود يهود في أنحاء من جزيرتهم، لا يمكن أن يكون حديثا تاريخيًا مبنيًا على العلم إذا ارتفعنا به إلى الميلاد وإلى ما قبل الميلاد، وهذا لا يعنى عدم وصول يهود إلى جزيرة العرب، وعدم إقامتهم في أماكن منها، فهذا كلام لا يمكن أن يُقال، وإنما أريد أن أقول إننا لا نملك نصوصًا تاريخية نستطيع أن نتحدث من خلالها عن تواجد اليهود في جزيرة العرب قبل الميلاد حديثا علميًا، ومعارفنا عن يهود جزيرة العرب مستمد من الموارد والمصادر الإسلامية، فاليهود لم يؤرخوا لفترة تواجدهم في جزيرة العرب[٢].. ولما كانت فلسطين امتدادًا طبيعيًا للحجاز، كان من الطبيعى اتصال سكانها بالحجاز، واتصال سكان الحجاز بفلسطين، وذهاب جاليات يهودية إلى الجزيرة العربية للاتجار وللإقامة هناك، خاصة بعد فتوح الدول الكبرى لفلسطين واستيلائها عليها، وهجرة اليهود إلى الخارج، فكانت الجزيرة العربية لاتصالها بفلسطين (جغرافيًا) من الأماكن الملائمة والمناسبة

---

(١) في شمال غرب الجزيرة لحمد الجاسر صـ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) وقد سبق وأشرنا إلى قول اليهودي إسرائيل ولفنسون في تاريخ اليهود في بلاد العرب عن ذلك.

لهجرة اليهود إليها، وإقامتهم فيها، ولاسيما عند مواضع المياه وفي الأراضى الخصبة العامرة (كيثرب وخيبر وفدك وتيماء)، ولم يترك يهود جزيرة العرب لهم أثرًا مكتوبًا يتحدث عن ماضيهم فيها، وكل ما عُثر عليه منهم، نصوص معدودة، وُجدت في اليمن، لا تفصح بشىء ذى بال عن اليهود وتواجدم تحديدا في جزيرة العرب.

.. ويرى بعض المؤرخين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز ونزولهم وادى القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام (بخت نصر)- وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا-.. وقد اشتهر يهود خيبر من بين سائر يهود الحجاز بشجاعتهم، وخيبر موضع غزير المياه، وقد عُرف واشتُهر بزراعته وبكثرة ما به من نخيل.

وتعتبر خيبر من أقدم المواضع في الجزيرة العربية التي لجأ إليها اليهود، ومن الصعب تعيين الزمن الذي هاجر فيه اليهود إلى هذا الموضع، لقد رجح بعض المؤرخين إلى هجرة اليهود لخيبر أيام هجوم الرومان على فلسطين، غير أن من الجائز أن تكون هجرتهم إليها قد وقعت قبل ذلك(١).

وقد عاش يهود خيبر بين القبائل العربية واختلطوا فيما بينهم من حيث الزواج والمصاهرة والمتاجرة إلا أن يهود خيبر عاشوا في قلاعهم وبنوا آطامهم وحصونهم واشتغلوا بالزراعة والإقراض بالربا الفاحش للأعراب وكانوا يحترفون بعض الصناعات الخفيفة كحرفة الصياغة التي اشتهروا بها منذ قديم الزمان، وكانوا يعقدون الأسواق كذلك في خيبر ليقصدها الأعراب وظل يهود خيبر يتعاونون مع القبائل العربية الوثنية في الأمور الحياتية دون تحيُّز لقبيلة على حساب أخرى، كما فعل يهود يثرب عندما تحالف يهود بني قينقاع مع قبيلة الخزرج، وقبيلتى بني قريظة وبني النضير مع قبيلة الأوس العربية، ورغم أن بعض المصادر التاريخية قد ذكرت شدَّة بأس يهود خيبر في الحروب والمعارك إلا أن تلك المصادر لم تذكر أن يهود خيبر قد خاضوا حروبًا، سواء ضد بني جنسهم أو ضد القبائل العربية، لذلك قيل إن يهود خيبر كانوا على الحياد سواء قبل

(١) بتصرف من المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي (١/٣٦٧٣).

الإسلام أو بعده، فلم تذكر المصادر التاريخية أن يهود خيبر هبوا لنجدة بني جنسهم من يهود يثرب عندما حاصرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأجلاهم عن المدينة لغدرهم وخيانتهم ونقدهم للعهد- كما ذكرنا- ، فلم يذكر أي مصدر تاريخى أن يهود خيبر ساعدوا يهود يثرب أو أمدوهم بسلاح وعتاد أو حتى رجال، ولم يهبُّوا لنجدة بني قومهم أو خفّوا لنجدتهم إبان حصار الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وهذا لا ينفي أن يهود خيبر كبني جلدتهم من يهود يثرب لم يكن موقفهم من الإسلام منذ ظهوره موقف التأييد أو الترحيب، إلا أنهم لم يظهروا العداء السافر والعلني- كما فعل يهود يثرب- وإنما ظلوا على الحياد ولم يرو - كما ذكرنا- أحد من المؤرخين أن يهود خيبر قاموا بأي عمل عدائي مسلح أو جهروا بعدائهم علانية ضد المسلمين حتى السنة الرابعة من الهجرة، وهي السنة التي أجلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يهود بني النضير عن المدينة، فمنهم من اختار الإقامة مع بني جلدتهم من يهود خيبر وكان على رأس هؤلاء- حُييّ بن أخطب، الذي قُتِل مع مَن قتل من يهود بني قريظة لأنه وقت حصار النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ليهود بني قريظة كان معهم ويقيم بين ظهرانيهم- كما ذكرنا آنفًا- وكان من هؤلاء أيضًا سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلاّم بن مشكم وهم زعماء ورؤساء بني النضير.

وبنزول زعماء بني النضير مع ما حملوه معهم من مال إلى منطقة خيبر الحصينة والغنية بالموارد الزراعية- كما شرحنا آنفًا- تعاظمت قوة اليهود وتلاحم هؤلاء الزعماء مع يهود خيبر وهم قوة حربية لا يُستهان بها، أصبحت تلك القوة خطرًا مدلهمًا وماحقًا يتهدد التواجد الإسلامى في المدينة النبوية وذلك لقُرب خيبر من المدينة.

ولذلك فكر القائد المحنّك والرسول العظيم- صلوات الله وسلامه عليه- في القضاء على هذا التواجد قضاءً مبرمًا، وخاصة بعدما أصبحت منطقة خيبر منطلقًا للتآمر والدسائس وتأليب القبائل العربية وتحريضها على الإسلام وقيادته الحكيمة المتمثلة في رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فبعد

استجابة الله- عز وجل- لرسوله الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- وانتصاره على الأحزاب وهزيمتهم ودحر مكر وكيد يهود بني قريظة وقتل الشيطان المحرِّض لغزوة الأحزاب وهو حُيَيٍّ بن أخطب النضرى وقد مكَّن الله- عز وجل- المسلمين من رقبته عندما تحصَّن مع من تحصَّن من يهود بني قريظة، وعندما أُتي به لضرب عنقه- كما روى ابن إسحاق «نظر إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ثم قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يَخذل الله يُخذل..»[1].

ثم كان الدور على المتآمر اليهودي الآخر الذي تحصَّن في حصن من حصون خيبر وهو سَلاَّم بن أبي الحقيق الذي ساعد حُيَيٍّ بن أخطب في تحريض قريش وبقية القبائل العربية وعلى رأسها غطفان لمهاجمة المسلمين في المدينة النبوية، لذلك ينبغي أن يكون لقائد المسلمين رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وقفة حازمة وصارمة معه كما فعل مع سلفه الطالح كعب بن الأشرف وحُيَيٍّ بن أخطب لذا ندب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- من يقتل هذا اليهودي الكافر ويُخلِّص الإسلام من شرِّه وخيانته.

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٤١).

● قصة اغتيال اليهودي سلاَّم بن أبي الحقيق (أبورافع):

روى البخارى عن البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال: بعث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى أبي رافع (سلاَّم بن أبي الحقيق) اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز(١)، فلما دنوا منه- وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم(٢)- فقال عبدالله (أي: ابن عتيك) لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإنى منطلق ومُتلطِّف للبواب لعلِّى أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنَّع بثوبه(٣) كأنه يقضى حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فأدخل، فإنى أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت(٤)، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علَّق الأغاليق على ود(٥)، قال: فقمت إلى الأقاليد (٦) فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبورافع يُسمر(٧) عنده، وكان في علالي له(٨)، فلما ذهب عنه أهل سمرة صَعِدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقتُ عليَّ من داخل، قلت إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت

---

(١) قال ابن كثير: «وكانت الأوس قبل أُحد قد قتلت كعب بن الأشرف (أي: محمد بن مسلمة ورفاقه - رضي الله عنهم - وهم من الأوس)، فاستأذن الخزرج (أي: عندما أمر بقتل سلام بن أبي الحقيق) في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم (راجع: السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٦١، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢/٦٥).

(٢) سَرْح: بفتح المهملة وسكون الراء بعدها مهملة هي: السائمة من إبل وبقر وغنم والمعنى أي: رجعوا بمواشيهم التي ترعَى.

(٣) تقنَّع بثوبه أي: أخفي وجهه لكي لا يُظهر شخصيته لئلا تُعرف.

(٤) أي: فاختبأت. (٥) وَدّ: بفتح الواو وتشديد الدال هو: الوتد، الأغاليق. جمع غَلَق بفتح أوله: ما يُغلق به الباب، والمراد بها: المفاتيح.

(٦) الأقاليد: جمع إقليد وهو: المفتاح.

(٧) يُسمر عنده أي: يتحدثون ليلا ويسمرون.

(٨) علالي له أي: غرفة بأعلى المنزل أو الحصن.

فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش[(١)] فما أغنت شيئًا، وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمِّك الويل[(٢)]، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته[(٣)] ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب[(٤)] السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مُقمرة[(٥)]، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعى[(٧)] على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابى فقلت النجاء[(٨)]، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فحدثته، فقال لى: أبسط رجلك، فبسطت رجلى فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط[(٩)].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصرَّ، وقتل من أعان على رسول الله ـ ﷺ وآله وسلم بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب، والأخذ بالشدَّة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين[(١٠)] إن التخلُّص من هذا المجرم الأشر الذي نقض العهد ـ كبقية قومه ـ وحرّض مع بقية زعماء يهود بني النضير الذين رحلوا إلى خيبر الأحزاب من

---

(١) دَهِش: بكسر الهاء بعدها شين معجمة أي: وأنا فزع، وقوله (فما أغنيت شيئًا) أي: لم أقتله.

(٢) دعاء على أمه بالويل والثبور. (٣) أثخنته أي: جرحته.

(٤) ضبيب السيف: بضاد معجمة مفتوحة وموحدتين أي: حدَّ السيف أو حرف السيف.

(٥) أي: ضوء القمر ساطع وواضح.

(٦) فعصبتها أي: ربطها بعمامته حتى يصل إلى المدينة.

(٧) الناعي: أي: الصائح الذي يصيح عند حادثة أو مُصيبة ليُعلن عنها.

(٨) النجاء أي: أسرعوا.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب، قتل أبي رافع (٤٠٣٨، ٤٠٣٩، ٤٠٤٠) - راجع فتح الباري (٧/ ٣٤٠) وشرح ابن بطال (٩/ ٢٤٢) الذي قال: «فيه الأخذ بالشدَّة في الحرب.

(١٠) انظر فتح الباري (٧/٣٤٥).

القبائل العربية ضد المسلمين وزعيمهم وقائدهم رسول الله - ﷺ وآله وسلم - كان بمثابة صدمة كبيرة ارتعدت منها فرائض يهود خيبر، «ولكن القضاء على بعض الزعماء لا يكفي لإزالة الخطر عن المسلمين.. وكانت معاهدة (صلح) الحديبية (مع قريش) وقعت سنة ست من الهجرة بين المسلمين وقريش، قد أتاحت الفرصة أمام المسلمين ليتفرغوا لفتح خيبر»(١).

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن الله تعالى وعد المسلمين بفتح خيبر وحيازة غنائمها في سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية، وذلك بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ «الفتح ١٨ : ٢١»، ولذلك قد قرر النبي - ﷺ وآله وسلم - غزو خيبر وإنهاء حالة العصيان والتمرد ضد المسلمين من قادة اليهود الجدد الذين نزلوا بخيبر وأثاروا القلاقل والفتن وكانوا مصدر إزعاج للمسلمين، ولم ينزجر هؤلاء اليهود ولم يتعظوا بما دان لبني جلدتهم ولقومهم من يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وسرعان ما رضخ يهود خيبر لقادتهم الجدد الذين نزحوا إليهم من يهود بني النضير الذين أرادوا الانتقام من المسلمين والثأر لقتلاهم اليهود، فقاموا بدافع الحقد بإنفاق الأموال للصد عن سبيل الله - تعالى - ودعوة الإسلام، وبذلك أصبحت خيبر مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم الفتية فكان القرار النبوي بالسير إلى خيبر في عقر دارهم للتخلُّص من شرّهم.

وفي شهر المحرم في السنة السابعة للهجرة النبوية خرج الرسول - ﷺ - في ألف وأربعمائة صحابي من المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله - تعالى، «فقد بعث رسول الله - ﷺ - مناديًا فنادى: لايخرجن معنا إلا راغب في الجهاد، فأما الغنيمة

(١) المجتمع المدني للدكتور أكرم ضياء العمري ص ١٦١.

فلا. أي: (فمن أراد الخروج للغنيمة فلا يخرج معنا) ثم أعطى النبي - ﷺ - الراية إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وكانت بيضاء، وكان من دعاء الرسول - ﷺ وآله وسلم - في تلك الغزوة عندما أشرف على خيبر أنه قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدموا باسم الله..»[١].

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله - ﷺ - يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات هيهات.. وكان من بقي من اليهود بالمدينة الذين سالموا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقولون حين تجهّز النبي - ﷺ - إلى خيبر: ما أمنع والله خيبر منكم لو رأيتم خيبر حصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم فحصونهم شامخات في ذُرى (أي: أعالي) الجبال والماء فيها واتن (أي: الماء المعين الدائم الذي لا يذهب)، فجعلوا (أي: يهود المدينة) يُوحون بذلك إلى أصحاب النبي - ﷺ وآله وسلم - فيقول أصحاب النبي - ﷺ وآله وسلم - قد وعدها الله نبيه أن يغنمه إياها، فخرج رسول الله - ﷺ وآله وسلم إليهم، فعمّى الله عليهم مخرجه[٢]، وعن أنس - رضي الله عنه -: «وكان رسول الله - ﷺ وآله وسلم - إذا غزا قومًا لم يُغر عليهم حتى يُصبح، فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار، حتى نزل رسول الله - ﷺ - بساحاتهم ليلاً، واستقبلنا عُمّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم[٣]، فلما رأوا رسول الله - ﷺ وآله - والجيش، قالوا: محمد والخميس[٤]، فلجؤوا إلى الحصن، فلما رآهم رسول الله - ﷺ -

(١) رواه ابن خُزيمة في صحيحه في كتاب المناسك/٢٥٦٥ وصححه الألباني في الكلم الطيب/١٤٧.

(٢) راجع: المغازي للواقدي (١/٦٣٨ - كتاب إلكتروني).

(٣) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد، والمكاتل: جمع مكتل وهي قُفّة كبيرة.

(٤) الخميس: الجيش

قال: الله أكبر الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين [١].

وحاصر رسول الله - ﷺ ومن معه من الصحابة - رضي الله عنهم - حصون خيبر فسقطت حصنًا حصنًا وانهارت سائر معاقل اليهود أمام المسلمين، وبذلك سقطت خيبر بكاملها بيد المسلمين، «وسارع أهل فدك في شمال خيبر من اليهود إلى طلب الصلح وأن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال، فوافق على طلبهم، فكانت - فدك - خالصة لرسول الله - ﷺ وآله وسلم ثم حاصر رسول الله -ﷺ - يهود وادي القرى، وهي مجموعة قرى بين خيبر وتيماء، فاستسلمت، ثم نزلوا على حكم رسول الله - ﷺ وآله وسلم وسألوا النبي - ﷺ - أن يحقن دماءهم ويتنازلوا عن أموالهم فوافق النبي - ﷺ[٢]، وكان فتحًا مبينًا حيث غنم المسلمون مغانم كثيرة - كما وعدهم الله - عز وجل - وقد أبقى اليهود في خيبر ولم يخرجهم منها كبقية يهود المدينة لمصلحة رآها النبي - ﷺ وآله - ستعود على المسلمين.

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أعطى النبي - ﷺ - خيبر أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها[٣].

وعند أبي داود عن عبد الله بن عمر قال: «لما افتتحت خيبر، سألت يهود رسول الله - ﷺ - أن يُقرّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها، فقال رسول الله - ﷺ: أقرّكم فيها على ذلك ما شئنا. فكانوا على ذلك، وكان التمر يُقسم على السُّهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله - ﷺ - الخُمس[٤].

ولا شك أن فتح خيبر عاد على المسلمين بالخير الكثير وعزّز إمكانياتهم الاقتصادية بدخل سنوي دائم حتى قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - مُعقبة

---

(١) متفق عليه.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣٣٠)، والمغازي للواقدي (١/٦٤٠)، وقصة فتح خيبر في صحيح البخارى - وبقية كتب الصحاح وكتب السير..

(٣) رواه البخاري في المغازي، باب: معاملة النبي - ﷺ وآله وسلم - أهل خيبر/٤٢٤٨، ومسلم في المساقاة/٤٠٤٤.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج، باب: ما جاء في حكم أرض خيبر (٣/٤١٢).

على فتح خيبر: (الآن نشبع من التمر) وقال ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ (ما شبعنا حتى فتحنا خيبر) [١]، وهذا فضل كبير من الله ـ عز وجل على المسلمين، وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حريصًا ـ كما ذكرنا آنفًا ـ على أن لا يخرج معه مقاتل إلا لنية الجهاد في سبيل الله ـ عز وجل ـ فقط، فلم تكن الغنائم هي الهدف المنشود كما يزعم ويفترى بعض المستشرقين الحاقدين، ولكن كان رغبة النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهمّه الأول هداية هؤلاء القوم ودعوتهم إلى الإسلام.

فقد روى البخارى عن أبي حازم قال: «أخبرني سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله: قال: فبات الناس يدوكون[٢] ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ـ ﷺ ـ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين على بن أبي طالب؟ فقيل: هو يارسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ـ ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يارسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ـ فقال: انْفُذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم[٣].

والشاهد من الحديث هو قول النبي ـ ﷺ ـ (ادعهم إلى الإسلام) (ووقع في حديث أبي هريرة عند مسلم: «فقال علي: يا رسول الله ﷺ علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله [٤]. فهذه هي الغاية التي ينشدها رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من غزواته وفتوحاته ـ بما فيها غزوة خيبر التي أفاء الله ـ عز وجل ـ فيها على رسوله ـ ﷺ

(١) انظر: فتح الباري كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر (٧/٤٩٥).

(٢) أي: باتوا في اختلاط واختلاف.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوج خيبر/٤٢١٠.

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ـ رضي الله عنه ـ ٦٢٧٥.

وعلى المسلمين بالخير الوفير والفتح المبين يقول الدكتور أكرم ضياء العمري - حفظه الله تعالى - «ومع شَدَّة حاجة المسلمين قبل خيبر، فقد كان رسول الله ﷺ يُفضّل إسلام يهود خيبر على كل غنيمة، ولم يكن راغبًا في إفناء يهود أو إجلائهم، لذلك قَبلَ الصلح لما عرض عليه يهود حصون القموص والوطيح والسلالم ذلك، كما قَبلَ بعد الصلح - الذي وافق بموجبه اليهود على إجلائهم من خيبر - أن يُبقيهم فيها بناءً على طلبهم، وكل ذلك يدل على الروح السمحة والعدالة السامية، كما أن ذلك حقق للدولة الإسلامية مصالح عُليا اقتصادية وعسكرية، حيث تمت المحافظة على طاقات المسلمين العسكرية ووجهوا إلى الجهاد الدائم من أجل توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام ولم يتحولوا إلى الفلاحة التي تحتاج إلى إدامة العمل في استصلاح الأرض ورعاية الزرع والنخل مما يستنفد طاقتهم [1]، وكذلك تمت الإفادة من خبرة وطاقة الفلاحين اليهود للحفاظ على مستوى الإنتاج الزراعي في خيبر لأنهم يمتلكون خبرة بالأرض وزراعتها، مما يوفّر للمسلمين حصة كبيرة يمكن الإفادة منها في تجهيز الجيوش والقيام بالنفقات الأخرى التي تحتاجها الدولة [2].

وبذلك ظل اليهود قابعين في خيبر يعملون لحساب المسلمين حتى كان عصر الفتوحات في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي أجلاهم وأخرجهم من جميع الجزيرة العربية بناءً على تعليمات وتوجيهات النبي - ﷺ - في الحديث المتفق عليه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول: «لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب [3].

---

(١) روى أبو داود عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم.. (رواه أبو داود في كتاب الإجارة، باب: في النهي عن العينة/٣٤٦٢، وصححه الألباني).

(٢) المجتمع المدني للدكتور أكرم العمري صـ١٧٢ (مصدر سابق).

(٣) متفق عليه.

وروى البيهقى عن أبي عبيدة بن الجراح ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: «كان آخر ما تكلم به (أي: رسول الله ـ ﷺ) أن قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب»[١].

أما عن أسباب إجلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ليهود عامة ويهود خيبر خاصة من جميع الجزيرة العربية فيرجع للآتى:

أولاً: أن عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سمع من رسول الله ـ ﷺ ـ يأمر بإخراج أهل الكتاب من جزيرة العرب ـ كما ذكرنا ذلك آنفًا.

ثانيًا: أن اتفاقية المساقاة والمزارعة التي عقدها النبي ـ ﷺ ـ تنص على أن من حق المسلمين إجلاء اليهود متى شاءوا.

ثالثًا: بعد فتح خيبر ونزول النبي الكريم الحليم ـ ﷺ ـ على رغبة اليهود في إبقائهم ومسالمتهم وتمتعهم بكامل الحرية (رغم أن خيبر فتحت عنوة ولم تفتح صُلحًا) والسماح لهم بالعمل بالشروط التي ارتضوها وأمَرّوها على أنفسهم إلا أن صفات الشر وروح التآمر والخيانة التي تسيطر على الشخصية اليهودية والعداء للمسلمين والكيد لهم كانت هي الغالبة عليهم..

فقد روى الواقدي أن الصحابى (مُظهّر بن رافع الحارثى) استقدم بعد نصارى الشام يعملون في أرضه بخيبر وكانوا عشرة رجال، فأقبل بهم حتى نزل خيبر فأقام ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود وقال لهم: أنتم نصارى ونحن يهود، وهؤلاء قوم قد قهرونا بالسيف، وأنتم عشرة رجال، أقبل رجل واحد (أي: مظهّر بن رافع) منهم (أي: من المسلمين) يسوقكم من أرض الخمر والخير (أي: أرض الشام قبل فتحها حيث كانت تحت قيادة الرومان) إلى الجهد والبؤس، وتكونون في رقٍّ شديد، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه، قالوا: ليس معنا سلاح، فدشوا (أي اليهود) إليهم سكينين أو ثلاثة، فخرجوا، (وقد اعتزموا تنفيذ ما أوحى إليهم به اليهود)، فلما وصلوا قُرب خيبر (موضع يقال ثِبَار[٢]) قال لأحدهم: ناولني كذا

(١-) السنن الكبرى للبيهقى، كتاب المزارعة/١٢٠٧٩، وصححه الألباني.

(٢) ثبار: بكسر أوله هو موضع على ستة أميال من خيبر (معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٤٥/١).

وكذا، فأقبلوا إليه جميعًا قد شَهّرُوا سكاكينهم، فخرج مُظهّر يعدوا إلى سيفه، وكان في قِراب راحلته، فلما انتهي إلى القِراب لم يفتحه حتى بعجوا بطنه، ثم انصرفوا سِراعًا حتى قدموا خيبر على اليهود فآووهم وزودوهم وأعطوهم قوّة، فلحِقوا بالشام.

وجاء عمر (رضي الله عنه) الخبر بمقتل مُظهّر بن رافع وما صنعت اليهود، فقام عمر خطيبًا بالناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن اليهود فعلوا بعبد الله ما فعلوا، وفعلوا بمظهر بن رافع مع عدوتهم على عبد الله بن سهل[1] في عهد الرسول ﷺ لا أشك أنهم أصحابه ليس لنا عدوٌّ هناك غيرهم، فمن كان له بها مال فليخرج فأنا خارج فقاسم ما كان بها من الأموال، وحادّ حدودها، ومُورِّف أُرفها[2] ومُجلّي اليهود منها، فإن رسول الله - ﷺ - قال لهم: أُمَرّكم ما أمَرّكم الله - وقد أذن الله في جلائهم إلا أنه يأتي رجل منهم بعهد أو بيِّنة من النبي - ﷺ - أن أقرّه فأقرّه، فقام طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) فقال: قد والله أجبت يا أمير المؤمنين ووُفّقت إن رسول الله -ﷺ- قال: أُمركم ما أمَرّكم الله، وقد فعلوا ما فعلوا بعبد الله بن سهل في زمن النبي - ﷺ- وما حرّضوا على مظهر ابن رافع حتى قتله أعْبُدُه[3] فهم أهل

---

(١) قام اليهود في عهد الرسول - ﷺ - وذلك بعد فتح خيبر باغتيال الصحابي عبد الله بن سهل - رضي الله عنه - وبالرغم أن الصحابي وُجِد مقتولاً في ديارهم وبين أظهرهم، إلا أن رسول الله - ﷺ - لم يعاقبهم بإجلائهم من خيبر لأنه لم تكن هناك بيّنة أو قرائن كافية تدل على أن القتلة هم اليهود لأنهم أنكروا علاقتهم بهذه الجريمة النكراء، لذا فقد أمر رسول الله - ﷺ- بدفع ديَّة القتيل من بيت مال المسلمين لأنه لم تكن هناك قرائن ولا دلائل كافية لإدانة اليهود، إلا أن تلك القصة ظلت عالقة في أذهان الصحابة - رضي الله عنهم - وقد استدعاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للأذهان واستشهد بها في تلك الخطبة التي أمر فيها بإجلاء اليهود وإخراجهم وطردهم من جزيرة العرب (راجع قصة اغتيال الصحابي عبد الله بن سهل في مغازي الواقدي (١/ ٧١٤).

(٢) الأرف: جمع أُرفة وهي الحدود والمعالم (راجع: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٨٢/١).

(٣) أي: عبيده.

تهمتنا وظنّتنا، فقال عمر (رضي الله عنه): من معك على مثل رأيك؟ قال: المهاجرون جميعًا والأنصار. فسُرَّ بذلك عمر[1].

وبإجلاء وطرد اليهود من خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى طهرت جزيرة العرب من رجس اليهود ونفّذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وصية الرسول - ﷺ - بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وبذلك تكون معركة خيبر هي المعركة الفاصلة والأخيرة بين المسلمين واليهود منذ العصر النبوي وحتى نهاية وسقوط الخلافة العثمانية في العصر الحديث والذي بدأت فيه المواجهة العسكرية بين المسلمين واليهود تعود مرة أخرى وذلك منذ عام ١٩٤٨م الذي اغتصب فيه الكيان الصهيوني أرض فلسطين وأقاموا دولتهم المزعومة ثم استمرت الحروب سجالا بين العرب ودولة الاغتصاب الصهيوني حتى أصبح لهم شوكة ومنعة الآن، وسوف تحسم المواجهة بين المسلمين واليهود في المعركة الأخيرة التي أخبرنا بها رسول الله - ﷺ- وسوف تنتهي لصالح المسلمين ولن يقوم لليهود بعدها قائمة وهي التي سيختبئ فيها اليهودي وراء الحجر والشجر، فيُنطق الله - عز وجل - الحجر والشجر وينادي على المسلم لقتل اليهودي وذلك في الحديث الصحيح الذي ذكرناه آنفًا، واليهود يعلمون تمامًا أن نهايتهم وسبيُهم الأخير سيكون على آيادي المسلمين المتوضئة، لأن مصادرهم وكتبهم قد ذكرت ذلك[2].

ومنذ غزوة خيبر وحتى سقوط الخلافة العثمانية لم يكفّ اليهود عن إثارة الفتن والقلاقل والكيد والطعن والوقيعة بين المسلمين.

فعندما لم يَقْوَ اليهود على المواجهة العسكرية وتقويض الإسلام عن طريق الحروب والمعارك بدأوا في تغيير وإبدال خططهم وأسلوبهم من المواجهة المباشرة إلى المواجهة غير المباشرة وذلك عن طريق اليهود المتخفين الذين أظهروا الإسلام

---

(١) المغازي للواقدي (٧١٧/١).

(٢) راجع بالتفصيل كتابنا: بداية النهاية. السبي الأخير لبني إسرائيل (الناشر: دار الكتاب العربي).

وأبطنوا يهوديتهم وكفرهم وأرادوا من خلال ذلك إثارة الفتن وإشعال الحروب بين المسلمين وكذلك الطعن والوقيعة وإثارة الوشايات وتحريف الكلم عن مواضعه. وعندما خاب أملهم وظنهم في النيل من القرآن الكريم الذي تكفل الله عز وجل بحفظه أرادوا الطعن والكذب على رسول الله - ﷺ - ودسَّ أحاديث وروايات موضوعة ومكذوبة.

وقد تصدى لهذه الهجمة الشرسة على سُنة رسول الله - ﷺ - العديد من علماء المسلمين الذين استطاعوا الدفاع عن السُّنّة فكانوا حاجز صد منيع أمام هجمات أعداء الإسلام التي استهدفت السنة النبوية والنيل منها..

وكان مما فعله اليهود إبان الخلافة الراشدة إثارة الفتن والقلاقل وإشعال الحروب بين المسلمين وهذا ما سنعرض له في الفصل القادم عند الحديث عن دور ابن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن اليهودية هو وزمرته وبث روح الفُرقة والخلاف بين المسلمين.

2

الفصل الثاني

اليهود المتخفون في عصر الخلافة الراشدة (السبئية)

وفيه:

مدخل

- المبحث الأول: السبئية ومؤسسها عند السنة والشيعة

- المبحث الثاني: أهم الأفكار ومعتقدات السبئية

- المبحث الثالث: دور السبئية في مقتل عثمان رضي الله عنه

- المبحث الرابع: دور السبئية في إشعال الفتن والحروب بين المسلمين

الفصل الثاني:

اليهود المتخفون في عصر الخلافة الراشدة

(السبئية)

مدخل

اتفق المسلمون، سُنَّة وشيعة على أن أيادى اليهود الخفية كانت لها أكبر الأثر في إثارة الفتن وإشعال الحروب فيما بين المسلمين وخاصة في عصر الخلافة الراشدة وتحديدًا كان لليهودى عبدالله بن سبأ اليمنى اليد الطولى في إشعال الفتن إبان خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كما سيأتى.

ويهود اليمن عمومًا الذين أظهروا الإسلام كان لهم أكبر الأثر في إثارة النعرات والفتن وذلك لقُرب اليمن من الجزيرة العربية، فعندما دخل الإسلام اليمن كانت اليهودية - كديانة - أكثر الديانات انتشارًا في البلاد، تليها المسيحة وبقية من الوثنيين، ولذلك حين بعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب.. الحديث» [1]، وبمجرد بدء الدعوة الإسلامية في بلاد اليمن أسلم أهلها دون حرب، وأسلم بعض يهود اليمن وكان ممن أسلم من هؤلاء اليهود:

● كعب الأحبار: وهو كعب بن ماتع الحميري، قال عنه الحافظ الذهبي: «العلاّمة الحبر، الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقَدِمَ المدينة في أيام عمر - رضي الله عنه - فجالس أصحاب النبي - صلى الله

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب: «لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة/ ١٤٥٨، ورواه مسلم في كتاب الإيمان/ ١٣٢».

عليه وآله وسلم -، فكان يُحدِّثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نُبلاء العلماء، وكان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة، وقع له رواية في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي [(١)]، سكن بالشام بآخره، وكان يغزو مع الصحابة، وتوفي بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فلقد كان من أوعية العلم» [(٢)].

وقد أثنى عليه كثير من علماء المسلمين وخاصة علماء الجرح والتعديل، وهم الذين لا تخفي عليهم حقيقة أي راو، مهما تستر، لم يتهموه بالوضع والاختلاق، والجمهور على توثيقه، ولم نجد له ذكرًا في كتب الضعفاء والمتروكين، وتكاد تتفق كلمة النقاد على توثيقه» [(٣)].

وقال عنه الإمام النووى:

«واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود، وكان يسكن اليمن.. ومناقبه وأحواله وحِكمه كثيرة مشهورة.» [(٤)].

ويقول الدكتور محمد أبوشهبة: « .. لم أعلم أحدًا طعن فيه، أو رماه بالكذب والاختلاق إلا ما كان من بعض المتأخرين».

ومهما يكن من شيء فإنه ما كان وضّاعًا يتعمد الكذب، وأن الإسرائيليات التي رواها، إن كان وقع فيها كذب، وأباطيل، فذلك يرجع إلى من نقل عنهم من أسلافه «أي: اليهود» الذين حرَّفوا، وبدَّلوا، وإلى بعض كتب اليهود التي حُشيت بالأكاذيب والخرافات، وإما إلى خطئه في التأويل.. ومع هذا: نرى أنه كان أولى به وأجمل وهو عالم مسلم، لو أنه تحرى الحق والصدق، وميّز في مروياته بين

(١) قلت: وله روايات أيضًا في موطأ مالك، وقد خطأ من زعم أن له رواية في الصحيحين، فإنهما لم يُسندا من طريقه شيئًا من الحديث، وإنما جرى ذكره عَرَضًا في الصحيحين البخاري ومسلم.

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى (٣/ ٤٨٩)

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبوشهبة ص١٠٢ نقلاً عن مقالات الكوثرى ص٣١.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووى (٢/ ٨٠).

الغث والسمين، وما يجوز نقله، وما لا يجوز، فإن ناشر مثل هذا «أي: الإكثار من النقل من كتب الإسرائيليات» لا يخلو من مؤاخذة وإثم، وصدق رسول الله - ﷺ- حيث يقول: «من حدَّث بحديث وهو يرى أنه كذبٌ فهو أحد الكذابين.»[1]، وكنا نحب: لو أنه أراحنا من كل هذا الركام المتهافت الذي سمَّم العقول، والأفكار وجرَّ على المسلمين البلاء.»[2].

وقد أثار نقل كعب الأحبار من الإسرائيليات حفيظة العديد من الباحثين المتأخرين الذين طعنوا فيه لكثرة نقله من التوراة أو من كتب الإسرائيليات، ولكن لا يُلتفت إلى أقوال هؤلاء ونقول فيه كما قال الدكتور محمد حسين الذهبي -رحمه الله تعالى-: «اللهم إن كعبًا مظلوم من متهميه، ولا أقول عنه إلا أنه ثقة مأمون، وعالم استُغل اسمه فنُسب إليه روايات معظمها خرافات وأباطيل، لتروج بذلك على العامة، ويتقبلها الأغمار من الجهلة.»[3].

هذه نبذة عن كعب الأحبار ذكرناها لكي لا يغترَّ أحد من الباحثين غير المدققين أن إسلام «كعب» كان كإسلام غيره من اليهود الذين أخفوا دينهم الحقيقي وأظهروا الإسلام للطعن فيه عن طريق الروايات الموضوعة والمتهافتة التي ألصقوا بعضها إن لم يكن جُلها ونسبوها إلى كعب الأحبار للتشكيك في إسلامه.

وكان على رأس هؤلاء اليهود الذين أسلموا تقيَّة وأخفوا يهوديتهم للنيل من الإسلام عبدالله بن سبأ وزُمرته، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل القادم..

---

(١) هذه الرواية بدون زيادة كلمة «غير» رواها الإمام أحمد في المسند/ ١٨٧٠٣ عن المغيرة بن شُعبة - رضي الله عنه -، وأما رواية «من حدَّث عني بحديث..» فقد رواه مسلم والترمذي.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد أبوشهبة ص١٠٤، ١٠٥ [الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة الرابعة/ ١٤٠٨هـ].

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ص٨٥ [الناشر: مكتبة وهبة - مصر، الطبعة الثالثة/ ١٩٨٦]

الفصل الثاني: اليهود المتخفون في عصر الخلافة الراشدة (السبئية)

كانت الخلافة الراشدة حتى عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خالية من الفتن التي وقعت بين المسلمين حيث كان عمر - رضي الله عنه - الحاجز المتين والصدّ المنيع عن ولوج تلك الفتن، فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- - قال: قال عمر أيُّكم يحفظ ما قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في الفتنة فقال حذيفة: أنا، قال حذيف: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يُكفِّرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال عمر لستُ عن هذا أسألك ولكن عن الفتنة التي تموج كموج البحر، قال يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابًا مُغلقًا، قال عمر: أيُفتح أم يُكسر؟ قال: بل يُكسر، قال: إذًا لا يُغلق إلى يوم القيامة». قال أبووائل في حديث حماد: فقلت لمسروق سل حذيفة عن الباب فسأله فقال: عمر.»[1].

وبموت عمر - رضي الله عنه - بدأت الفتن تطل برأسها حتى قبل نهاية خلافة الأمير المظلوم الشهيد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الذي كان لعبدالله بن سبأ اليهودي اليد الطولى في التحريض على قتله، ثم كانت الفتنة الكبرى التي أشعل نارها ابن سبأ وأتباعه وهى الحروب التي وقعت بين المسلمين في عهد الخليفة الرابع أمير المؤمنين الشهيد على بن أبى طالب - رضي الله عنه-.

ولأهمية تلك الفرقة التي ترأسها ذلك اليهودي اللعين أفردنا هذا الفصل لكشف عوار السبئية التي ثلمت في الإسلام ثلمة لم يندمل جرحها حتى الآن، والسُّنَّة والشيعة من تلك الفرقة بريئان - كما سيأتي-

---

(١) رواه الترمذي في الفتن/ ٢٤٢٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

المبحث الأول

السبئية ومؤسسها عند السنة والشيعة وأهم أفكارهم ومعتقداتهم

أولاً: السبئية عند أهل السُّنة:

قال البغدادي:

السبئية: أتباع عبدالله بن سبأ الذي غلا في علي - رضي الله عنه - وزعم أنه كان نبيًا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غُواة الكوفة، ورُفع خبرهم إلى على - رضي الله عنه - فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، ثم إن عليًا - رضي الله عنه - خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفي ابن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قُتل على - رضي الله عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًا، وإنما كان شيطانًا تصوّر للناس في صورة على - رضي الله عنه -، وأن عليًا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم - عليه السلام -، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج [1] في دعواها قتل على، وإنما رأت اليود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبَّهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل على - رضي الله عنه - رأوا قتيلا يُشبه عليًا فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبئية أن عليًا في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد رُوى عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن سبأ قيل له: إن عليًا قد قُتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صُرَّة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها..

(١) النواصب: فرقة تبغض أمير المؤمنين علي بن أبى طالب - رضي الله عنه - وناصبوه العداء لذلك أطلق عليهم النواصب.

أما الخوارج: فهى فرقة قاتلت الإمام عليا - رضي الله عنه - وخرجت عليه بعد قضية التحكيم ولذلك أطلق عليهم «خوارج».

وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي – رضي الله عنه – دون غيره.» [١].

وقال الشهرستاني:السبئية: أصحاب عبدالله بن سبأ الذي قال لعلى – كرم الله وجه–: أنت، أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، زعموا أنه كان يهوديا فأسلم، و كان في اليهودية يقول في ويوشع بن نون وصى موسى – عليهما السلام – مثل ما قال في على – رضي الله عنه – وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة على – رضي الله عنه – ومنه انشعبت أصناف الغلاة.

ثم قال: وهم – أي السبئية – أول فرقة قالت بالتوقف، والغَيْبَة، والرجعة، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي – رضي الله عنه» [٢].

وقال ابن حزم: «السبئية هم: أصحاب عبدالله بن سبأ الحميري اليهودي الذي قال حينما بلغه قتل علي – رضي الله عنه –: لو أتيتمونا بدماغه في سبعين صُرّة ما صدّقنا موته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا» [٣].

وقال السكسكي: «وأما السبئية فهم أصحاب عبدالله بن سبأ ابن السوداء كان يهوديًا من أهل صنعاء ثم أسلم لا رغبة في الإسلام ولكن ليغر المسلمين بإسلامه فيفسد أمورهم ويُغري بينهم إلى أن حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان – رضي الله عنه – وقصته مشهورة.

وكان هو وفرقته يقولون بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت وهو أول من قال بذلك وأبطل الآخرة وهو كاعتقاد الرافضة نعوذ بالله من اعتقاد أهل البدع» [٤].

(١) الفَرْق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادى ص٢٣٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١/ ٢٠٤.

(٣) الفصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٥/ ٣٦.

(٤) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور التربني السكسكي الحنبلي المتوفي سنة ٦٨٣هـ.

مؤسس الفرقة السبئية

هو عبدالله بن سبأ الحميري اليمني من يهود صنعاء، رأس الطائفة السبئية، أصله من اليمن، قيل كان يهوديًا وأظهر إسلامه، رحل إلى الحجاز فالبصرة، فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته، ومن مذهبه رجعة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان يقول: العجب ممن يزعمون أن عيسى يرجع، وتُكذّب برجوع محمد عليهما السلام، يقال له: ابن السوداء لسواد أمه، ويقال للسبئية الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون، وإنما موتهم طيران نفوسهم، ويقول بالتناسخ والرجعة(١).

قال العلامة ابن جرير الطبري:

«كان ابن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بُلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويُكذّب بأن محمدًا يرجع، وقد قال الله - عز وجل -﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (٢)، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى - قال: فقُبِلَ ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصيّ، وكان عليّ وصيّ محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ووثب على وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتناول أمر الأمة!! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم

(١) راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤٢٨.

(٢) سورة القصص/ ٨٥.

إلى هذا الأمر، فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السّر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [(١)]، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب وُلاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم. حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يُظهرون ، ويُسرون غير ما يبدون..» [(٢)].

وعبدالله بن سبأ هو الذي بدأ غرس بذرة التشيع في الإسلام وهو الذي قال بوصية الإمام علي - رضي الله عنه - وهو أول من طعن في صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«عبدالله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مُضل، أحسب أن عليًا حرَّقه بالنار»[(٣)].

وقال أبو زَهْرة: إن عبدالله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان على رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة على -رضي الله عنه - وأنه وصى محمد - صلى الله عليه وسلم - ودعا إلى ذلك..»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

«وكان عبدالله بن سبأ اليهودي لما أظهر الإسلام، أراد أن يُفسد الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصارى فأظهر النُسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «وهو في حقيقة الأمر أمر بالمنكر ونهي عن المعروف»، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدِم الكوفة أظهر الغلو في عليّ - رضي

(١) هو في حقيقته أمرٌ بالمنكر ونهي عن المعروف.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٧.

(٣) لسان الميزان ٣/ ٢٨٩.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة (١/ ٣١، ٣٣).

الله عنه - فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا، «وقيل إلى المدائن»، وخبره معروف وقد ذكره غير واحد من العلماء»[1].

وإمعانًا في زيادة الفائدة سنسرد ظهور ابن سبأ، والسبئية عند أهل السُّنَّة من القرون الأولى حتى الآن سردًا تاريخيًا حسب ما ورد ذكرهم في كتب التواريخ والسير:

(١) جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان (ت٨٤هـ)، وقد هجى المختار ابن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية   وإني بكم يا شُرطة الكفر عارف[2]

(٢) وجاء ذكر السبئية في كتاب الإرجاء للحسن بن محمد ابن الحنفية (ت٩٥هـ) راجع ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلام للدكتور سفر الحوالي (٢٤٥/١).

(٣) هناك رواية عن الشعبي (ت١٠٣هـ) ذكرها ابن عساكر في تاريخه (٧/٢٩) تفيد أن : أول من كذب عبدالله بن سبأ» وهناك روايات أخرى كثيرة عن الشعبي عن السبئية.

(٤) وهذا الفرزدق (ت١١٦هـ) وهو شيعي الولاء سني المذهب يهجو في ديوانه (ص٢٤٢) أشراف العراق ومن انضم إلى ثورة عبدالرحمن بن الأشعث في معركة دير الجماجم، ويصفهم بالسبئية، ويمكن الاستنتاج من هذا النص أن السبئية تعني فئة لها هوية سياسية معينة ومذهب عقائدي محدد بانتمائها إلى عبدالله بن سبأ اليهودي صاحب المذهب.

(٥) وقد نقل الإمام الطبرى رأيا لقتادة بن دعامة السدوسى البصرى (ت ١١٧هـ) في قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (آل عمران: ٧).

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٨/ ٤٧٩) بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ (/ ٢٧١).

وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية قال: «إن لم يكونوا الحرورية [1] والسبئية فلا أدري» [2].

(٦) وجاء في البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٠هـ) إشارة إلى عبدالله بن سبأ، وخبر إحراق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لطائفة من الزنادقة وهم السبئية وقد كشفت الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد عن هذه القصة. [3].

(٧) ذكر الجوزجاني (ت ٢٥٩هـ) في أحوال الرجال أن السبئية غلت في الكفر فزعمت أن عليًا إلهًا حتى حرّقهم - رضي الله عنه - بالنار إنكارًا عليهم واستبصاراً في أمرهم حين يقول:

لما رأيت الأمر أمرًا مُنْكرًا   أججت ناري ودعوت قنبرًا [4]

(٨) ذكر ابن قيبة (ت٢٧٦هـ) في المعارف أن: السبئية من الرافضة يُنسبون إلى عبدالله بن سبأ» [5].

وفي تأويل مختلف الحديث يقول: «إن عبدالله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي - رضي الله عنه - أصحابه بالنار» [6].

(٩) ذكر البلاذرى في أنساب الأشراف فقال: إن ابن سبأ كان من جملة من أتوا إلى على - رضي الله عنه - يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، فقال: أوَ تفرغتم لهذا؟!.

(١٠) ويعتبر الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) ممن أفاضوا في تاريخهم من ذكر أخبار ابن سبأ معتمدًا على الإخباري سيف بن عمر والإخباري ابن مُخْنَف.

(١) الحرورية: اسم من أسماء الخوارج لأنهم بعد رجوع الإمام علي - رضي الله عنه - من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهي قرية قريبة من الكوفة بالعراق.

(٢) تفسير الطبرى ٣/ ١١٩.

(٣) راجع سنن النسائي ٧/ ١٠٤ والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٣٨، وراجع الجاحظ في البيان والتبيين (٣/ ١٨).

(٤) أحوال الرجال ص٣٨.

(٥) كتاب المعارف لابن قُتَيْبَة: ص٢٦٧.

(٦) تأويل مختلف الحديث: ٧٣.

(١١) وأكد ابن عبدربه (٣٢٨هـ) في العقد الفريد أن ابن سبأ وطائفته السبئية قد غلو في علي - رضي الله عنه - حينما قالوا: هو الله خالصًا «تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم -عليهما السلام -(١).

(١٢) وذكره الأشعري (٣٢٠هـ) في مقالات الإسلاميين وقال: عبدالله بن سبأ وطائفته من ضمن أصناف الغلاة، إذ يزعمون أن عليّاً لم يمت، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا (٢).

(١٣) وذكر ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) أن الكلبي صاحب التفاسير كان سبئيًا من أصحاب ابن سبأ، من أولئك الذين يقولون إن عليًا - رضي الله عنه - لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة (٣).

(١٤) ويقول المقدسي (ت ٣٥٥هـ) في كتابه «البدء والتاريخ» : إن عبدالله بن سبأ قال للذي جاء ينعي إليه موت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «لو جئتنا بدماغه في صُرَّة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه»(٤).

(١٥) وذكر الملطي (ت/٣٧٧هـ) في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» فقال: «ففي عهد علي - رضي الله عنه - جاءت السبئية إليه وقالوا له: أنت.. أنت!!، قال: من أنا؟ قالوا: الخالق البارئ «تعالى الله عما قالوا علوًا كبيرًا»، فاستتابهم، فلم يرجعوا، فأوقد لهم نارًا عظيمة وأحرقهم.» (٥).

(١٦) وذكر أبو حفص بن شاهين (ت/٣٨٥هـ) أن عليًا حرّق جماعة من غلاة الشيعة ونفي بعضهم، ومن المنفيين عبدالله بن سبأ.

---

(١) أنساب الأشراف [٣/ ٣٨٢].

(٢) العقد الفريد [٢/ ٤٠٥].

(٣) مقالات الإسلاميين [١/ ٨٥].

(٤) كتاب المجروحين لابن حبان [٢/ ٢٥٣].

(٥) البدء والتاريخ [٥/ ٢١٩].

(٥) التنبيه والرد على أهل الأواء للملطى ص١٨.

(١٧) وذكر الخوارزمي (ت/٣٨٧هـ) في كتابه «مفاتيح العلوم» أن السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ. [١].

(١٨) ويرد ذكر ابن سبأ عند الهمذانى (ت/٤١٥هـ) في كتابه «تثبيت دلائل النبوة (٣/٥٤٨)».

(١٩) وذكر البغدادي (ت/٤٢٩هـ) في «الفَرْق بين الفِرق» أن السبئية أظهروا بدعتهم في زمان على - رضي الله عنه - فأحرق قومًا منهم ونفي ابن سبأ إلى سباط المدائن، إذ نهاه ابن عباس - رضي الله عنهما - عن قتله حينما بلغه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا تختلف عليه أصحابه، لا سيما وهو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام. [٢].

(٢٠) وقال ابن حزم (ت/٤٥٦هـ) في «الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل»:القسم الثانى من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله - عز وجل - فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ الحميري -لعنه الله-، أتوا إلى على ابن أبي طالب، فقالوا مشافهة: أنت هو، فقال لهم: ومن هو؟ فقالوا: أنت الله، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار»[٣].

(٢١) ويقول الإسفراييني (ت/٤٧١هـ): إن ابن سبأ قال بنبوة علي - رضي الله عنه - في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك»[٤].

(٢٢) ويتحدث الشهرستاني (ت/٥٤٨ هـ) في «الملل والنحل» عن ابن سبأ فيقول: «ومنه انشعبت أصناف الغلاة»، ويقول في موضع آخر: «إن ابن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي» [٥].

---

(١) مفاتيح العلوم ص٢٢.

(٢)الفرق بين الفرق ص١٥ وما بعدها.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل [٤/ ١٨٦].

(٤) التبصرة في الدين ص١٠٨.

(٥) الملل والنحل [٢/١١٦ ، ١٥٥].

(٢٣) وينسب السمعاني (ت/٥٦٢هـ) في كتاب الأنساب السبئية إلى عبدالله ابن سبأ (٧/٢٤).

(٢٤) وترجم ابن عساكر (ت/٥٧١هـ) في تاريخه لابن سبأ بقوله: «عبدالله بن سبأ الذي تُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، وكان يهوديًا وأظهر الإسلام» (١).

(٢٥) ويقول نشوان الحميري (ت/٥٧٣ هـ): «فقالت السبئية إن عليًا حي لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا ويرد الناس على دين واحد قبل يوم القيامة »(٢).

(٢٦) وذكر ابن الجوزي (٢٩٧هـ) ابن سبأ فقال: كان يهوديًا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم (المنتظم ٥/٤٩) وقال في تلبيس إبليس: «ومنهم من غلوا في حُب علي - رضي الله عنه - وقال هو الإله، ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء» ص٩٧.

(٢٧) ويؤكد فخر الدين الرازي (ت/٦٠٦هـ) كغيره من أصحاب المقالات والفرق خبر إحراق علي لطائفة من السبئية فقال: السبئية أتباع عبدالله ابن سبأ، وكان يزعم أن عليًا هو الله تعالى، وقد حرَّق علي - رضي الله عنه - منهم جماعة (٣).

(٢٨) ويذكر ابن الأثير (ت/٦٣٠هـ) في كتابه اللباب: ارتباط السبئية حيث النسبة بعبدالله بن سبأ. (٤).

كما أنه أورد روايات الطبري بعد حذف أسانيدها في كتابه الكامل (٥).

(٢٩) وذكر السكسكي (ت/٦٨٣هـ): «أن ابن سبأ وجماعته أول من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت»(٦).

---

(١) تاريخ دمشق [٢٩/٣].

(٢) الحور العين للحميرى ص١٥٤.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧١.

(٤) كتاب اللباب [٢/٩٨].

(٥) الكامل لابن الأثير [٣، ١١٤، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٤] إلى غيرها من الصفحات.

(٦)البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٥.

(٣٠) وذكر الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ابن سبأ فقال: «عبدالله بن سبأ رأس الطائفة السبئية.. قال لعلي - رضي الله عنه - أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي - رضي الله عنه - زعم ابن سبأ أنه لم يمت لأن فيه جزءًا إلهيًا وأن ابن ملجم - قاتل عليّ - إنما قتل شيطانًا تصوّر بصورة علي، وأن عليًا في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل إلى الأرض» (١).

(٣١) وذكر ابن كثير (٧٧٤هـ): «أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وصيرورته إلى مصر، وإذاعته على الملأ كلامًا اخترعه من عند نفسه» (٢).

(٣٢) وذكر الكرماني (ت/٧٨٦هـ) أن عليًا - رضي الله عنه - لما قُتل زعم عبدالله بن سبأ أنه لم يمت، وأن فيه الجزء الإلهى» (٣).

(٣٣) ويشير الشاطبي (ت/٧٩٠هـ) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله، وهى بدعة تختلف عن غيرها من المقالات»(٤).

(٣٤) وذكر ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) أن عبدالله بن سبأ أظهر الإسلام وأراد أن يفسد دين الإسلام كما فعل بولس بدين النصرانية(٥).

(٣٥) ويُعرِّف الجورجاني (ت/٨١٦هـ) عبدالله بن سبأ بأنه: «رأس الطائفة السبئية.. وأن أصحابه عندما يسمعون الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين» (٦).

(٣٦) ويقول المقريزي (ت/٨٤٥هـ): «إن عبدالله بن سبأ قام في زمن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مُحْدِثًا القول بالوصية والرجعة والتناسخ»(٧).

---

(١) الوافي بالوفيات [١٧/ ٢٠].
(٢) البداية والنهاية [٧/ ١٨٣].
(٣) الفرق الإسلامية للكرمانى ص٣٤.
(٤) الاعتصام للشاطبى [٢/ ١٩٧].
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٧٨.
(٦) التعريفات ص٧٩.
(٧) الخطط للمقريزى [٢/ ٣٥٦، ٣٥٧].

(٣٧) وقد سرد الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ) أخبار ابن سبأ من غير طريق سيف بن عمر، ثم قال: «وأخبار عبدالله بن سبأ كثيرة في التواريخ، وليس له رواية والحمدلله» [١].

(٣٨) وقال العيني « (ت/٨٥٥هـ): إن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كوره، وأظهر الأمر بالمعروف، وتكلم في الرجعة، وقررها في قلوب المصريين» [٢].

(٣٩) وأكد السيوطي (ت/٩١١هـ) نسبة السبئية إلى عبدالله بن سبأ [٣].

(٤٠) وذكر السفاريني (ت/١١٨٨هـ): «هم أتباع عبدالله بن سبأ الذي قال لأمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضي الله عنه -: أنت الإله حقًا، فأحرق من أصحاب هذه المقالة من قدر عليه منهم فخدَّ لهم أخاديد وأحرقهم بالنار» [٤].

(٤١) ويروى الزُّبَيْدِيُّ (ت/١٢٠٥هـ) أن سبأ الوارد ذكره في حديث فروة بن مُسَيْكٍ المرادى هو والد عبدالله بن سبأ صاحب السبئية من الغلاة» [٥].

وكلام الزبيدي هذا غير مقبول ويرده حديث فروة بن مُسَيْك، (راجع صحيح سنن أبي داود للألباني، وكذلك صحيح سنن الترمذي كتاب تفسير سورة سبأ) وفي الحديث زيادة تفصيل أن سبأ رجل من العرب وُلد له عشرة من الأبناء سكن منهم ستة في اليمن وأربعة في الشام، وهو «أي: سبأ» يعتبر من أصول القبائل العربية: لخم، وجذام، وغسان... إلخ، مما يدل على أن سبأ رجل متقدم جدًا على سبأ والد عبدالله صاحب السبئية وهذا يدل على الخطأ الفادح الذي وقع فيه الزبيدي.

(٤٢) وتحدث عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوى (ت ١٢٣٩هـ) عن ابن سبأ بقوله: «ومن أكبر المصائب في الإسلام - في ذلك الحين - تسليط إبليس من أبالسة اليهود على الطبقة الثانية من المسلمين، فتظاهر لهم بالإسلام وادعى الغيرة على الدين والمحبة لأهله.. وإن هذا الشيطان هو عبدالله بن

(١) لسان الميزان للحافظ ابن حجر [٣/ ٢٩٠]. (٢) عقد الجمان للعيني [٩/ ١٦٨].
(٣) لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي [١/ ١٣٢].
(٤) لوامع الأنوا ر[١/ ٨٠]. (٥) تاج العروس للزبيدى [١/ ٧٥، ٧٦].

سبأ من يهود صنعاء، وكان يسمى ابن السوداء، وكان يبث دعوته بخبث وتدرج ودهاء.» [١].

هذا ما تيسر جمعه من أقوال العلماء ومن كتب المتقدمين من أهل السُّنَّة عن عبدالله بن سبأ، ولا شك أن هناك من الكتب المفقودة التي تحدثت عن هذه الفرقة ومؤسسها الشيء الكثير.

وكل ما أثبتناه من استرسال عن تلك الفرقة من كتب المتقدمين لتدعيم وتثبيت وتأكيد حقيقة وجود هذا الأفاك والأفاق والكذاب الأشر وعصابته.

ولننسف وندحض شبهات بعض المتحذلقين الذين اعتبروا أن ابن سبأ ما هو إلا أسطورة أو خيال، وقد انبرى إلى هذا القول الذي ليس عليه دليل عدد من الكتّاب المعاصرين وسارعوا إلى نفي وجوده واعتباره شخصية وهمية، ومن عجب أن هؤلاء الذين قالوا بهذه الفرية كلهم - دون استثناء - من الباحثين المعاصرين ولم نسمع أو نقرأ عن أحد من المتقدمين قال بتلك الفرية التي لا تستند إلى أي دليل علمي أو مصدر تاريخي معتمد يُرجع إليه، بل هذا الاستنتاج الذي توصلوا إليه هو محض افتراء وضرب من الخيال الذي يقوم على آراء وتخمينات شخصية، تختلف الميول والاتجاهات والبواعث في حقيقته، وكل هذه الآراء والافتراضات هي من الضحالة العلمية والتخرصات التي ينفيها الواقع، وهؤلاء كالذين ينفون البروتوكولات اليهودية التي كتبتها وخطتها أصابع خبيثة والذي يقرأ بروتوكولات صهيون قراءة الفاحص والمدقق يجد أنها قد نُفذت بالحرف والواقع الذي نعيشه أكبر شاهد على صدق تلك البروتوكولات، فمثل هؤلاء كمثل أولئك الذين ينفون حقيقة عبدالله بن سبأ اليهودي والذي نجد تعاليمه ومخططه قد نُفذ بكل دقة - كما سنرى -.

وعليه يمكن القول إن معظم المنكرين والمشككين لشخصية عبدالله بن سبأ هم من المستشرقين اليهود الذين تسربلوا برداء البحث العلمي ومن ثمَّ كتبوا في أبحاثهم وكتبهم بوهمية شخصية ابن سبأ وذلك لينفوا عن أبناء جلدتهم حقيقة

(١) مختصر التحفة الأثنى عشرية ص٣١٧.

ما فعله سلفهم الطالح من اليهود المتخفين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا يهوديتهم.

ومن العجب العجاب أن ينقل بعض الباحثين من العرب والمسلمين ما كتبه هؤلاء اليهود من المستشرقين الذين تتلمذوا على أيديهم في الجامعات الغربية ثم عادوا إلى أوطانهم وجامعاتهم في البلدان العربية والإسلامية فرددوا ما سمعوه وما تعلموه من أساتذتهم المستشرقين دون روية ودون الرجوع إلى المصادر والمراجع العربية والإسلامية التي ذكرت هذه الشخصية ومن هؤلاء:

● **المنكرون لحقيقة وشخصية عبدالله بن سبأ من أهل السُّنّة:-**

(١) أول من أنكر وجود عبدالله بن سبأ من الباحثين والمنتسبين إلى أهل السنة هو الدكتور: طه حسين، وقد نقل ذلك عن أساتذته من المستشرقين - وللأسف فهم كُثْر - فيقول في الفتنة الكبرى:

«ويُخيَّل إليّ أن الذين يُكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يُسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافًا شديدًا، وأول ما نلاحظه أنَّا لا نجد لابن سبأ ذكرًا في المصادر المهمة - كذا - التي قصَّت أمر الخلاف على عثمان..» (١).

وقال في موضع آخر: «وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان مُتكلفًا منحولاً، قد اختُرع بآخره حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يُدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرًا يهوديًا -كذا - إمعانًا في الكيد لهم والنيل منهم، ولو قد كان أمر ابن السوداء مستندًا إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفين..» (٢).

وهكذا وبجرة قلم من الدكتور طه حسين التلميذ النجيب لكثير من المستشرقين اليهود والنصارى نفي ما ذكره وأكد عليه كثير من العلماء والمؤرخين الإسلاميين سواء من السُّنّة أو الشيعة - كما سيأتي - عن شخصية ابن سبأ ووجوده الحقيقي وأفكاره التي لازالت بعض الفرق الغالية تؤمن بها وتعتقدها.. وسوف يكون لنا وقفة مع الدكتور طه حسين عند تحقيقنا لكتاب اليهودى إسرائيل ولفنسون «تاريخ اليهود في بلاد العرب» الذي سبق وأشرنا إليه آنفًا.

(٢) ومن المنكرين أيضًا لشخصية عبدالله بن سبأ من الباحثين المعاصرين الدكتور علي سامي النشار فقال: «ومن المحتمل أن تكون شخصية عبدالله بن سبأ شخصية موضوعة» (٣).

---

(١) الفتنة الكبرى لطه حسين (١/ ١٣٢) [الناشر: دار المعارف - مصر].

(٢) عليّ وبنوه (٢/ ٩٠) من الفتنة الكبرى لطه حسين.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للدكتور علي سامي النشار (٢/ ٣٩) [دار المعارف - مصر - الطبعة الثامنة].

(٣) وممن أنكروا عبدالله بن سبأ الدكتور حامد حنفي داود، وهو من الذين تأثروا بكتابات المنكرين فقال عن رأيه في عبدالله بن سبأ: «ولعل من أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغُمَّ عليها أمرها فلم يفقهوها، ويفطنوا إليها هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفّقوا عليهم قصة عبدالله بن سبأ فيما لفّقوه من قصص»[1].

(٤) عبدالعزيز الهلابي، حيث حجب الغموض الذي أثاره غيره من المشككين في وجود ابن سبأ فلازم الإنكار[2].

(٥) الدكتور محمد عمارة في كتابه الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية قال: «وتنسب أغلب مصادر التاريخ والفكر الإسلامي إلى ابن السوداء هذا نشاطًا عظيمًا وجهدًا خرافيًا.» وقال أيضا: «فإن وجود ابن سبأ على فرض التسليم بوجوده..»[3].

(٦) الدكتور عبدالله السامرائي في كتابه: «الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية» إلا أنه يثبت وجود الأفكار التي تنسب إلى عبدالله بن سبأ، من غير جزم بوجود صاحبها[4].. هذا عن المنكرين أو المشككين في وجود عبدالله بن سبأ من الباحثين المعاصرين من أهل السنة.. أما عن الشيعة فهذا ما سنتحدث عنه في الفقرة القادمة..

---

(١) انظر: ابن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكرى- المقدمة (١/ ١٨- ٢١). وكذلك كتابه: «التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية» ص١٨.

(٢) عبدالله بن سبأ ٧٣.

(٣) الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص١٥٤، ١٥٥.

(٤) راجع: مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد السادس ص٨٤، ١٠٠، وكذلك مجلة الرسالة العدد ٧٧٨ ص٦٠٩، ٦١٠.

• ثانيا: السبئية عند الشيعة:

انقسمت الشيعة إلى فرقتين حول السبئية ومؤسسها ففرقة أثبتت وجود ابن سبأ وطائفته واعتبرته حقيقة واقعة وشخصية تاريخية مؤثرة.

وأخرى نفت وجود ابن سبأ من أساسه، بل اعتبرته شخصية وهمية وخيالية وضعها أعداء الشيعة للنيل منهم.

(١) الفرقة المؤيدة والمثبتة لشخصية ابن سبأ التاريخية:-

يقول العالم الشيعي النوبختي:

(أ) «السبئية: أصحاب عبدالله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال: إن عليًا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا، فأقرَّ به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن..

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب عليّ - عليه السلام - أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى - عليه السلام - بهذه المقالة، فقال بعد إسلامه في عليّ - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبدالله بن سبأ نعي عليّ بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صُرَّة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»(١).

(ب) ويذكر القمي شيخ الطائفة الشيعية وفقيهها ووجهها - كما ينعته النجاشي «المتوفي سنة/٢٢٩ - ٣٠١) في كتابه «المقالات والفرق» ابن سبأ ويذكر أسماء بعض أصحابه الذين تآمروا معه، ويرى أنها أول فرقة في الإسلام قالت بالغلو، ويعتبر ابن سبأ «أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمرو وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا - عليه السلام - أمره بذلك».

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤١، ٤٢، ورجال الكشي ص٤٨.

ويذكر القمي أن عليًا بلغه ذلك فأمر بقتله ثم ترك ذلك واكتفي بنفيه إلى المدائن، كما يُنقل عن جماعة من أهل العلم.

– كما يصفهم: «أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم، ووالى عليًا وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصيّ موسى بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عليّ بمثل ذلك وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه.. وأكفرهم.

فمن ها هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية».

هذا ما يقوله القمى عن ابن سبأ، والقمى عند الشيعة ثقة واسع المعرفة بالأخبار [٢]، ومعلوماته – عندهم – مهمة نظرًا لقدم فترتها الزمنية» [٣].

(ج) ويذكر أبو عمرو بن عبدالعزيز الكشي «من علماء القرن الرابع» في أقدم كتاب شيعي في الرجال عديدًا من الروايات عن عبدالله بن سبأ وعقائده وأفكاره فيقول: قال علي بن الحسين – صلوات الله عليهما –: لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعي أمرًا عظيمًا ماله لعنه الله[٤]، كان عليٌّ – عليه السلام – والله عبدًا لله صالحا أخا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكرامة من الله – عز وجل – إلا بطاعته لله – تعالى–» [٥].

(د) وقال الحلي الشيعي الحسن بن علي في كتابه الرجال:

«عبدالله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، كان يدعي النبوة، وأن عليًا

(١) رجال النجاشي ص١٢٦.
(٢) انظر على سبيل المثال: الطوسي/ الفهرست ص١٠٥، الأردبيلي/ جامع الرواة ١/ ٤٥٢.
(٣) انظر أصول مذهب الشيعة ١/ ٧٤.
(٤) أي: مقولة ابن سبأ بأنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين – عليه السلام –.
(٥) رجال الكشي صـ ١٠٠ – ١٠١.

-عليه السلام - هو الله، فاستتابه - عليه السلام - ثلاثة أيام فلم يرجع. فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً ادعو فيه ذلك» [1].

(هـ) وذكر مؤرخ شيعي إيراني في تاريخه:

«إن عبدالله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفيه كثيرون هناك «يقصد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه»، فتظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يُروِّج مذهبه ومسلكه، وإن لكل نبي وصيًا وخليفة، فوصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخليفته ليس إلا عليًا - عليه السلام - المتحلي بالعلم والفتوى، والمتزين بالكرم والشجاعة، والمتصف بالأمانة والتقى، وقال: إن الأمة ظلمت عليًا، وغصبت حقه، حق الخلافة والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته وخلع طاعة عثمان وبيعته، فتأثر كثير من المصريين بأقواله وآرائه، وخرجوا على الخليفة عثمان» [2].

(و) ومثل ذلك قال الشيعي الأسترابادي:

«إن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله تعالى، فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر، وقال نعم، أنت هو. فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك، فأبي، فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار» [3] هذا وقد أقَرَّ بحقيقة ابن سبأ ووجوده العديد من رجال الشيعة المتقدمين وسأسرد تاريخيًا من أثبتوه:

١- الناشيء الأكبر (ت٢٩٣ هـ) فقال: «وفرقة زعموا أن عليًا - عليه السلام - حيّ لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان عبدالله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهوديًا» [4].

---

(١) كتاب الرجال للحلي: ص٤٦٩ [طبعة طهران عام ١٣٨٣هـ].

(٢) تاريخ شيعي: روضة الصفا باللغة الفارسية ج٢/ ٢٩٢ - طهران، ونقله إحسان إلهي ظهير - رحمه الله تعالى - في كتابة الشيعة والتشيع ص٥٦

(٣) منهاج المقال ص٢٠٣ نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) مسائل الإمامة ص٢٢، ٢٣.

٢- القمي (ت٣٠١هـ) قال: «إن عبدالله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم» [١].

٣- النوبختي (٣١٠ هـ) ذكر أنه لما بلغ ابن سبأ نعى عليٍّ - عليه السلام - بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض [٢].

٤- أبو حاتم الرازي (الإسماعيلي) (ت٣٢٢ هـ) قال: إن عبدالله بن سبأ ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن عليًا - عليه السلام - هو الإله، وأنه يحيى الموتى، وادعو غيبته بعد موته [٣] فتعالى الله عما قال الكافرون علوًا كبيرًا.

٥- الكشي (ت٣٤٠ هـ) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قال: إن عبدالله ابن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وهناك أقوال مشابهة عن جعفر الصادق وعلى بن الحسين يلعنا فيها عبدالله بن سبأ [٤].

٦- ويذكر أبوجعفر الصدوق بن بابويه القمى (ت٣٨١ هـ) موقف ابن سبأ وهو يعترض على عليّ - عليه السلام - في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء[٥].

٧- وجاء عند الشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ) ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام -يقصد السبئية - الذين نسبوا أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار [٦].

٨- وقال أبوجعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) إن ابن سبأ رجع إلى الكفر، وأظهر الغلو [٧].

٩- ذكره ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ). [٨].

---

(١) المقالات والفرق ص٢٠.
(٢) فرق الشيعة ص٢٣.
(٣) الزينة في الكلمات الإسلامية ص٣٠٥.
(٤) رجال الكشى ص٩٨، ٩٩، ص٧٠، ١٠٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه [١/ ٢١٣].
(٦) شرح عقائد الصدور ص٢٥٧.
(٧) تهذيب الأحكام [٢/ ٣٢٢].
(٨) مناقب آل أبي طالب [١/ ٢٢٧، ٢٢٨].

١٠- وذكر ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) ما نصه: «فلما قُتل أمير المؤمنين - عليه السلام - أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه»[١].

١١- وأشار الحسن بن علي الحليّ (ت ٧٢٦ هـ) إلى ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء[٢].

١٢- ويرى ابن المرتضي (ت ٨٤٠ هـ) أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة[٣].

١٣- ويرى الأروبيلي (ت ١١٠٠هـ) أن ابن سبأ غال ملعون يزعم ألوهية علي ونبوته[٤].

١٤- المجلسي (ت ١١١٠هـ)[٥].

١٥- نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) ذكر: «قال عبدالله بن سبأ لعلي بن أبي طالب - عليه السلام - أنت الإله حقًا فنفاه علي - عليه السلام - إلى المدائن، وقيل إنه كان يهوديا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون، وفي موسى مثل ما قال في عليّ - عليه السلام -[٦].

١٦- طاهر العاملي (ت ١١٣٨هـ)[٧].

١٧- المامقاني (ت ١٣٢٣هـ)[٨].

١٨- محمد حسين المظفري (ت ١٣٦٩ هـ) وهو من الشيعة المعاصرين الذين لا ينكرون وجود ابن سبأ وإن كان ينفي أن يكون للشيعة به أي اتصال[٩].

---

(١) شرح نهج البلاغة [٢/ ٩٩]

(٢) كتاب الرجال [٢/ ٧١].

(٣) تاج العروس ص٦٢٥.

(٤) جامع الرواة [ص/ ٤٨٥].

(٥) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار [٢٥/ ٢٨٦].

(٦) الأنوار النعمانية [٢/ ٢٣٤].

(٧) مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن (ص٦٢).

(٨) تنقيح المقال في أحوال الرجال [٢/ ١٨٣].

(٩) تاريخ الشيعة ص١٠.

١٩- أما الخوانسارى فقد جاء ذكر ابن سبأ عنده على لسان جعفر الصادق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير(١).

هؤلاء علماء الشيعة الذين أثبتوا حقيقة وجود ابن سبأ.

أما عن المنكرين لحقيقته فهذا ما نثبته في الفقرة القادمة.

(١) روضات الجنات [٣/ ١٤١].

• المنكرون لحقيقة ابن سبأ من الشيعة:

مما سبق يتبين أنه لم يُنكر ابن سبأ من الشيعة المتقدمين أحد، وإنما بدأ الطعن في ابن سبأ من المتأخرين والمعاصرين بالضبط كالمنكرين لابن سبأ من المنتسبين لأهل السنة ومن أمثال الذين أنكروا ابن سبأ من الشيعة:

أ- محمد الحسين كاشف الغطاء، يقول: «على أنه لا يستبعد أن يكون ابن سبأ، ومجنون بني عامر «يقصد مجنون ليلى» وأبو هلال.. وأمثالهم أحاديث خرافية وضعها القصاص لتزجية الفراغ وشغل أوقات الناس»(١).

ب- مرتضى العسكري «من مواليد القرن الرابع عشر الهجرى»، وله كتابان في هذا الموضوع، ينفي فيهما وجود ابن سبأ من الأصل، ويعتبر مرتضى العسكري هذا من أكثر الشيعة المحدثين اهتمامًا بمسألة عبدالله بن سبأ، وكل من جاء بعده من الشيعة وأنكر حقيقة ابن سبأ فهم عيال عليه(٢).

ج- الدكتور على الوردي الذي يقول: «يُخيل إلىّ أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت حكاية مُتقنة الحبك رائعة التصوير كذلك يعتبر الوردى هو أول من قال بأن ابن السوداء هو عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - وهذه البدعة التي ليست لها أدنى صحة تناقلها بعض المنتسبين لأهل السنة أيضا وقد استدلوا على أقوالهم بهذه الترهات:

- كان ابن سبأ يُعرف بابن السوداء، وعمار كان يُكنى بابن السوداء أيضًا.

- كلاهما من أب يمانى وكلاهما كان شديد الحب لعلي - رضي الله عنه -.

- ذهاب عمار إلى مصر أيام عثمان، ومثل هذا يُنسب إلى ابن سبأ.

- ذكرت بعض كتب التاريخ أن عمارًا كان يُنسب إليه مقوله: إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وأن صاحبها الشرعي هو علي - رضي الله عنه - وهذا نفسه الذي كان يقول به ابن سبأ.

(١) أصل الشيعة وأصولها ص٦١.

(٢) الكتابان هما: عبد الله بن سبأ «بحث حول ما كتبه المؤرخون والمستشرقون ابتداء من القرن الثاني الهجرى» ورمز له بالجزء الأول، وأما الثاني فهو« عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى».

(٣) وعّاظ السلاطين ص٢٧٣ ، ٢٧٦.

والرد على هذه الترهات لا يأخذ كثير عناء لأن كتب الرجال عند الشيعة أنفسهم وكتب الجرح والتعديل تذكر عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - ضمن أصحاب علي - رضي الله عنه - والرواة عنه، وهو أحد الأركان الأربعة عندهم، ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة عبدالله بن سبأ في معرض السب واللعن، انظر على سبيل المثال:

- رجال الطوسى (ص٤٦، ٥١).

- ورجال الحلي (٢٥٥، ٤٦٩).

فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة بعد ذلك؟

وأما قولهم بأن عمارًا - رضي الله عنه - كان يقول بأن عثمان - رضي الله عنه - قد أخذ الخلافة بغير حق، وأن صاحبها الشرعي هو علي - رضي الله عنه - فإن هذه المقولة زعم باطل وافتراء محض على عمار - رضي الله عنه فالثابت أن عثمان رضي الله عنه كان يثق بعمار وهو الذي أرسله إلى مصر لضبط أمورها، وآخر ما يدحض هذه المقولة أن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قُتل يوم صفين، في حين بقي ابن سبأ بعد مقتل علي - رضي الله عنه- يُحرض ويؤلب المسلمين بعضهم على بعض - كما سنبين إن شاء الله تعالى.

فهل بعد هذا يتأول المتأولون بأن عمار بن ياسر هو عبدالله بن سبأ؟

سبحانك اللهم هذا لبهتان عظيم.

ومن المنكرين أيضا لشخصية ابن سبأ:

د- محمود جواد مُغنية، وقد ذكر ذلك في تقديمه لكتاب عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى لمرتضى العسكري وقد أيد كلام العسكري في كل ما قاله[(١)].

هـ- عبدالله الفياض الذي قال: «يبدو أن ابن سبأ كان شخصية إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة»[(٢)].

---

(١) مقدمة في كتاب «ابن سبأ وأساطير أخرى» [١/ ١٢]، وكتاب التشيع ص١٨.

(٢) تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ص٩٥.

و- الدكتور كامل مصطفي الشيبي، وقد تابع الدكتور على الوردى في كلامه حول كون عمار ياسر هو ابن السوداء[١].

ز- صالح الورداني الذي قال: «لقد طاردت السياسة حركة التشيع وحاصرتها وألصقت بها شتى الأسماء والمسميات فتارة يسمونها السبئية نسبة إلى عبدالله ابن سبأ اليهودي، وتارة يسمونها الرافضة وتارة يسمونها الجعفرية، وهي مسميات تفوح منها رائحة السياسة ثم يخرج بنتيجة مفادها أن عبدالله بن سبأ شخصية وهمية[٢].

ح- السيد أمير محمد القزويني الذي قال: «إن عبدالله بن سبأ من قبيل العنقاء والغيلان، لا وجود له إلا في مخيلة خصوم الشيعة، وهم الذين نحتوا هيكله ليبنوا عليه الطعن في الشيعة والنيل من كرامتهم، ليزعموا أن مُعتقداتهم على الإطلاق عبدالله بن سبأ، فإذا كان من الثابت المعلوم بداهة أن قصة السبئية وأسطورتها وبطلها عبدالله بن سبأ كلها مختلقة لا وجود لها إلا في مُخيلة قصاصيها ولو فرضنا جدلاً أن عبدالله بن سبأ قد تجسد في مُخيلتهم ثم صار شخصا مرئيا في الخارج فإن الشيعة قديمًا وحديثًا تتبرأ منه وتلعنه..»[٣].

وكما أثبتنا آنفًا فإنه من الواضح ومن خلال ما ذكرناه من نقولات عن المنكرين من السنة والشيعة أنهم من المعاصرين وأن المتقدمين من الفريقين قد أثبتوا شخصية عبدالله بن سبأ وأن أفكاره ومعتقداته حتى الآن لدى بعض الغلاة الذين يؤمنون كل الإيمان بتلك الترهات والخزعبلات التي اخترعها هذا اليهودي الضال المُضل ولكن قبل أن أنتقل لتلك الفقرة أنقل ما كتبه الشيعي المعاصر محمد حسين الزين عن شخصية عبدالله بن سبأ حيث يقول:

«وعلى كل حال فإن الرجل - أي: ابن سبأ - كان في عالم الوجود، وأظهر الغلو، وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصًا خياليّاً.. أما نحن - بحسب الاستقراء الأخير - فلا نشك بوجوده وغلوه..»[٤].

---

(١) الصلة بين التصوف والشيعة ص٨٨.

(٢) راجع: الشيعة في مصر من الإمام علي حتى الإمام الخميني ص١٤.

(٣) الآلوسى والتشيع للسيد أمير محمد القزوينى ص٢٣٩.

(٤) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص٢١٣.

ومع اعتراف رجال الشيعة بوجود شخصية ابن سبأ وأنه حقيقة واقعة وأن له أفكارًا ومعتقدات غالى فيها هو ومن اتبعه فقد آن أن نُزيح الستار عن أهم أفكاره ومعتقداته التي رفضها كل الرفض كل رجال السنة والشيعة العدول على حد سواء.

المبحث الثاني

أهم أفكار ومعتقدات السبئية

(١) القول بالرجعة:

لما رأى هذا اليهودي الخبيث عبدالله بن سبأ أن أمر الإسلام بدأ ينتشر بعد العصر الذهبي لخلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأى أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، وكان بمنتهى الخبث، فأول ما بدأ بالمدينة النبوية، وكانت المدينة يومئذ ملأى بالصحابة من العلماء الذين نهلوا من معين النبوة الصافي فأول بدعة ابتدعها هذا اليهودي وهي من صميم العقائد اليهودية القول بالرجعة: أي رجعة النبي - صلي الله عليه وسلم - واستدل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١)، وكان يقول: «عجبًا لمن يصدق برجعة عيسى ابن مريم - عليه السلام - ويكذب برجعة محمد - صلى الله عليه وسلم -».

وما كان قوله هذا إلا وسيلة للوصول إلى ما هو أكبر من ذلك حيث قال برجعة علي - رضي الله عنه - وأنه سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا..

وعندما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وجاء رجل ينعي أمير المؤمنين لابن سبأ فقال له: «كذبت يا عدو الله لو جئتنا - والله - بدماغه في صُرة فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض، ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب على - رضي الله عنه - فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه؛ فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله، أما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا: نعم إنا نعلم أنه لم يُقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه، وإنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الدثار «أي: الفراش» الثقيل ويلمع في ظلام الليل كما يلمع السيف الصقيل الحسام»(٢).

(١) [القصص- ٨٥]

(٢) المقالات والفرق للقمي [٢/ ٥٤٩]، وراجع الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل لابن حزم (٢/ ١٨).

وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية - كما هو ثابت في مصادرهم - فعندهم أن النبي إلياس - عليه السلام - صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة في النصرانية أيضًا في عصورها الأولى».

«وعندما قُتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًا، وإنما كان شيطانًا تصوَّر للناس في صورة على -رضي الله عنه - وأن عليًا صعد إلى السماء كما صعد عيسى ابن مريم - عليه السلام - إليها، وكان يقول: كما كذبت اليهود والنصاري في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل على - رضي الله عنه - وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبَّهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي، رأو قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه»[١].

ثم غالى السبئية في علي - رضي الله عنه - فزعموا أن عليًا في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين إلى آخر هذه الترهات والخزعبلات والكفريات التي ابتدعها ابن سبأ وفرقته..

وهكذا حاول هذا اليهودي وعصابته ممن تخفوا في زى الإسلام وأبطنوا الكفر أن يقلدوا ما فعله «شاؤل» بالنصرانية، ولكنهم خابوا وخسروا لأن رجال الإسلام البواسل وقفوا وقفة رجل واحد لصد هذه الهجمة الشرسة فكشفوا عوار تلك النحلة الفاسد وأبطلوا معتقداتهم وأفكارهم المتهالكة وحفظ الله - عز وجل - الإسلام مما وقعت فيه النصرانية من التحريف والتأويل..

(٢) القول بالوصية:-

وهذا القول هو أصل مذهب السبئية، وكان عبدالله بن سبأ في يهوديته يقول في يوشع بن نون أنه وصيّ موسى - عليه السلام - وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة عليّ - رضي الله عنه - وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف

(١) راجع الفَرْق بين الفِرَق لعبد القاهر البغدادي ص٢٣٤.

مخالفيه، ومن هنا قال كل من خالف الشيعة إن أصل السبئية مأخوذ من اليهودية، فكان ابن سبأ يقول:

«إن لكل نبي وصيًا وخليفة، فوصيّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخليفته من بعده ليس إلا عليًا – رضي الله عنه – المتحلى بالعلم والقوة، والمتزين بالكرم والشجاعة، والمتصف بالأمانة والتقى وكان يقول:–

«إن الأمة ظلمت عليًا – رضي الله عنه – وغصبت حقه، حق الخلافة والولاية، ويلزم الآن الجميع مناصرته ومعاضدته، وخلع طاعة عثمان وبيعته».

وذكر الشعبي أن عبدالله بن السوداء كان يقول لأتباعه إنه وجد في التوراة:–

أن لكل نبي وصيًا، وأن عليًا – رضي الله عنه – وصيّ محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه خير الأوصياء، كما أن محمدًا خير الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

وكان ابن سبأ يقول أيضًا: إنه لكل نبي وصيّ، وعلى وصيّ محمد – صلى الله عليه وسلم – فمن أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووثب على وصيته»(١).

وكان ابن سبأ أول من تجرأ على أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – وادعي أنهم اغتصبوا الخلافة من عليّ – رضي الله عنه – ومن ثمّ تجرأ هو وأتباعه على بقية صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفتح هو وأتباعه الباب على مصراعيه للولوج في أعراض الصحابة – رضي الله عنهم – وحتى وقتنا هذا فنجد ممن يزعم أنه من الباحثين من بعض الفرق الغالية من يتجرأ على أسياده من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكل الشيعة من المعتدلين يدينون مثل تلك الأقوال والأفعال على صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

قال البغدادي: قال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى

(١) راجع: فرق الشيعة للنوبختي الشيعى ص٤٤، وابن سبأ وأساطير أخرى للمرتضى العسكرى، والفَرق بين الفِرَق ص٢٣٢.

دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ - رضي الله عنه - وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى - عليه السلام-»[١].

بل وادعت هذه الفئة الضالة وهذه الفرقة المارقة عن الدين وعلى رأسهم عبدالله بن سبأ أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - هو الذي لقنهم هذه التعاليم - وحاشاه - ولكنه الكذب والافتراء.. فقد ذكر النوبختي الشيعي أن عبدالله بن سبأ كان يقول في حياة عليّ - رضي الله عنه - إن عليًا هو الذي أمره باللعن والطعن على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما السبَّابة الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإن عليًا لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه»[٣].

فكيف يُلقن الإمام علي - رضي الله عنه - «المفترى عليه» ابن سبأ وأتباعه بهذه الأكاذب والإفتراءات، وهو بريء من هذه التهم والأضاليل؟! ولكن هؤلاء هم السبئية أصحاب التحريض على الفتن وإشعال نار الفُرقة بين المسلمين.

(٣) الطعن في الصحابة - رضي الله عنهم:-

قال الآلوسي نقلاً عن ابن الحكيم الدهولي: «إن السبئية هم عبارة عن الذين يسبون الصحابة، إلا قليلاً منهم كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر - رضي الله عنهم - وعن بقية صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وينسبونهم - وحاشاهم - إلى الكفر والنفاق، ويتبرأون منهم، ومنهم من يزعم - والعياذ بالله تعالى - ارتداد جميع من حضر غديرهُم يوم قال - عليه الصلاة والسلام - «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٤] الحديث.

(١) الفَرق بين الفرَق ص٢٣٣.

(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٤.

(٣) منهاج السنة ١/٣٠٨.

(٤) أخرجه الترمذي في مناقب عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه / ٤٠٧٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى.

ولم يف بمقتضاه من بيعة الإمام عليّ - رضي الله عنه - بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - بل بايع غيره.

وقد روى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الزيدي في آخر كتابه «طوق الحمامة في مباحث الإمامة» عن سويد بن غفلة أنه قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فأخبرت عليًا - رضي الله عنه - وقلت: لولا أنهم يرون أنك تُضمر ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك، منهم عبدالله بن سبأ، فقال عليّ - رضي الله عنه - «نعوذ بالله، رحمنا الله» ثم نهض وأخذ بيدي وأدخلني المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب فقال: «ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووزيريه وصاحبيه وسيديْ قريش وأبوي المسلمين، وأنا بريء مما يذكرون، وعليه مُعاقِب.. لقد صحبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحب والوفاء والجد في أمر الله. يأمران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان، ولا يرى رسول الله كرأيهما رأيا، ولا يحب كحبهما حبًا، لما يرى من عزمهما في أمر الله، فقُبض وهو عنهما راض، والمسلمون راضون، فما تجاوزاني في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره في حياته بعد موته، فقُبضا على ذلك رحمهما الله تعالى، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما إلا شقيّ مارق، وحبهما قُربة، وبُغضهما مروق» وفي رواية: «لعبد الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل».

ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيّره إلى المدائن وقال: «لا تساكنى في بلدة أبدًا..»(١).

وقال النوبختى الشيعى:

«فلما قُتل عليّ - عليه السلام - افترقت التي ثبتت على إمامته إلى ثلاث فرق: فرقة منهم قالت إن عليًا لم يُقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق

(١) مختصر التحفة الإثنى عشرية للآلوسي ص٦، ٧.

العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذه الأمة، وأول من قال بالغلو، وهذه الفرقة تُسمى السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال: إن عليًا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه عليّ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيّره إلى المدائن، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية...»(١).

وبهذا يتبين أن أول من طعن في صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا اليهودي الخبيث وفرقته الضالة، ثم تبعهم بعد ذلك حثالة من بعض الفرق المنحرفة والغالية الذين سطروا بأيديهم النجسة الطعن والسب على زوجات رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وصاحبيه الكرام، ثم جعلوا بقية الصحابة من المرتدين إلا ثُلة منهم - كبرت كلمة خرجت من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

وقد تبرأ علماء الشيعة من هذه الأقوال التي نسبها البعض من أتباع السبئية ودسوها في بعض مصادرهم، والشيعة من هذه الأقوال برءاء ومن سَبِّ الصحابة - رضي الله عنهم - أطهار وسوف نُفصل ذلك في الفقرة القادمة..

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٣، ٤٤.

• أقوال أئمة الشيعة وعلماء آل البيت في الصحابة - رضي الله عنهم -:

يقول الإمام علي - رضي الله عنه - في خطبة له في نهج البلاغة عن الصحابة - رضي الله عنهم -: «لقد رأيت أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فما رأيت أحدًا يشبههم منكم « يقصد من عسكره وشيعته»، لقد كانوا يصبحون شُعثًا غُبرًا، وقد باتوا سُجَّدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كان بين أعينهم من طول سجودهم[1]، إذا ذُكر الله هملت[2] أعينهم حتي تبتل جيوبهم[3]، ومادوا[4] كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب، ورجاءً للثواب[5]».

روى الحافظ الذهبي عن علي بن الحسين بن علي الملقب بزين العابدين -رضي الله عن الجميع - أنه سُئل: «كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة.»[6].

أما ولده أبو جعفر محمد الباقر فعندما سُئل عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال: «والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما.» (٧).

أما ولده جعفر بن محمد الباقر المعروف بالإمام جعفر الصادق فقد روى الذهبي أن جعفر بن محمد كان له جار يزعم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال جعفر: برئ الله من هذا الجار، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، فهو جدي «أي: من والدته»، لا نالتني شفاعة محمد

---

(١) كناية عن علامة الصلاة في وجوههم، كما وصفهم الله - عز وجل - بقوله «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» [الفتح : ٢٩].

(٢) أي: دمعت.

(٣) أي: صدورهم.

(٤) أي: مالوا.

(٥) نهج البلاغة ص١٤٣، ١٧٧، ١٧٨ [الناشر: دار الكتاب اللبناني].

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٣٩٤).

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٢١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٣٥٥).

-صلى الله عليه وآله وسلم - يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما»[1].

فهؤلاء أئمة الشيعة وأئمة آل البيت - رضي الله عنهم - وهذه أقوالهم في الصحابة - رضي الله عنهم -

(٤) الغلو في عليّ - رضي الله عنه -

أدى تتبع عبدالله بن سبأ لخطوات الشيطان أنه ادعى لنفسه النبوة وادعى في عليّ - رضي الله عنه - الربوبية، قال الإسترابازي الشيعي:

«إن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليًا - عليه السلام - هو الله تعالى، فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقرَّ، وقال: نعم، أنت هو، فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك، فأبي، فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب فأحرق أتباعه ونفاه إلى المدائن»[2].

وقال البغدادي:

«زعم عبدالله بن سبأ أنه كان نبيا، ثم غلا في عليّ - رضي الله عنه - حتى زعم فيه أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى عليّ - رضي الله عنه - فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين.. ثم إن عليًا - رضي الله عنه - خاف من إحراق الباقين منهم، شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفي ابن سبأ إلى سباط المدائن.

ثم قال البغدادي: كيف يكون من فِرَق الإسلام قوم يزعمون إن عليّاً كان إلها أو نبيًا؟ ولئن جاز إدخال هؤلاء في جُملة فِرق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مُسيلمة الكذاب في فرق الإسلام»[3] الا لعنة الله على الكاذبين.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٦٥٨).

(٢) منهج المقال ص٢٠٣.

(٣) الفَرق بين الفِرق ص٢٣٥، ٢٣٦.

وكان ابن سبأ يقول - عليه من الله ما يستحق:-

«والله لينبعن لعليّ في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمنًا، ويغترف منهما شيعته.

وكان السبئية يقولون إن عليًا - رضي الله عنه - في السحاب - كما ذكرنا - فقال ابن حزم: «فليت شعري في أي سحابة هو من السحاب، والسحاب كثير في أقطار الهواء مُسخر بين السماء والأرض كما قال الله تعالى[1] يشير إلى قوله تعالى:﴿والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤).

ومن غلوهم في الإمام عليّ - رضي الله عنه - هذه الرواية التي وضعوها على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - زورًا وكذبًا وبهتانًا - وهي من الإسرائيليات التي وضعها أعداء الله من اليهود ليُدّلسوا بها على عوام المسلمين، ولكن الله قيض لعلم السنّة النبوية من يدافع عنه ويُبين الصحيح من الضعيف والموضوع من علماء الجرح والتعديل الجهابذة العدول، وهذه الرواية التي وضعها السبئية أرادوا تسمية عليّ - رضي الله عنه - بأسماء الله الحسنى وكيف لا؟ وهم الذين غالوا في عليٍّ - رضي الله عنه - وادعوا ألوهيته - تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا - تقول الرواية: «إن رسول الله - صلي الله عليه وآله وسلم - قال لعليّ - رضي الله عنه - إذا كان غدًا اقصد إلى جبال البقيع وقف على نشز من الأرض فإذا بزغت الشمس فسلم عليها، فإن الله تعالى قد أمرها أن تُجيبك بما فيك، فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين، ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار، حتى وافي البقيع ووقف على نشز «أي: مرتفع» من الأرض، فلما اطلعت الشمس قرنيها قال: السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له، فسمعوا دويًا من السماء وجواب قائل يقول: وعليك السلام يا أول ، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم..»[2]، وبمثل تلك الروايات استطاع اليهود الذين تخفوا في زي الإسلام أن يضعوا مثل هذه الترهات والأكاذيب على

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ١٨)

(٢) راجع كتب الموضوعات في الحديث، وكتاب سليم بن قيس بتحقيق محمد الأنصاري ص٤٥٣، ٤٥٤.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -الذي قال في الحديث الصحيح: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»(١).

ومن خلال تلك الروايات المكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تتضح الأيادي الخفية وأصابع اليهود الواضحة والجلية على فرقة السبئية وغلوهم في الإمام عليّ - رضي الله عنه - والذي لا يرضى مطلقًا بمثل تلك الروايات التي وُضعت على لسانه وهو منها براء والتي ساوته برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- ومنها تلك الرواية الموضوعة أيضا: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرَّت لي جميع الملائكة والروح والرُّسل بمثل ما أقرّوا به لمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - يُدعى فيُكسي، وأُدعى فأُكسى، ويُستنطق فينطق وأُستنطق فأنطق على حد منطقه، ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، فلم يفتنى ما سبقنى، ولم يعزب عَني ما غاب عني، وأُبشر بإذن الله، وأؤدي عنه، كل ذلك من الله مكنني منه بعلمه»(٢).

وهكذا وضع السبئية مثل تلك الروايات للطعن في الإسلام والتشكيك فيه، وقد رفض علماء الإسلام من السنة والشيعة مثل تلك الروايات الموضوعة والمكذوبة على لسان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولذلك قال العلامة ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في باب فضائل عليّ - رضي الله عنه - «فضائله الصحيحة كثيرة، ولكن السبئية وضعت له ما يضع ولا يرفع، وحوشيت حاشيته من الاحتجاج إلى الباطل»(٣).

وقد قال السيد على الشهرستاني عن السبئية وابن سبأ: «.. إذ أن قائدهم «أي: السبئية» رجل يهودي جاء من صنعاء اليمن وأظهر الإسلام في عصر عثمان - رضي الله عنه -، واندس بين صفوف المسلمين، وأخذ يتنقل في بلادهم:

---

(١) متفق عليه.

(٢) الرواية رفضها العديد من علماء السنة والشيعة والرواية موجودة في كتاب الكافي للكليني (١/ ١٩٦، ١٩٧).

(٣)كتاب الموضوعات لابن الجوزى (١/ ٣٣٨).

الشام، والكوفة، والبصرة، ومصر، مُبشرًا بأن للنبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – رجعة كما لعيسى ابن مريم – عليه السلام – وأن جبرائيل أخطأ بنزوله على محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –، حيث كان مأمورًا بالنزول على عليٍّ – رضي الله عنه – وإلى غيرها الكثير، وقد نسبوا إلى عبدالله بن سبأ – ذلك الرجل اليهودي – آراء كثيرة واعتبروه داعية الإلحاد والشرك، والناشر للمبادئ اليهودية والعقائد الزرادشتية... »[1].

وهكذا كان الغلو في عليّ – رضي الله عنه – من فرقة السبئية، حتى قال جعفر الصادق – رضي الله عنه – «لعن الله عبدالله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين – رضي الله عنه – وكان والله أمير المؤمنين – عليه السلام – عبدًا طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم...»[2].

وقال على بن الحسين: «لعن الله من كذب علينا، إنى ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرًا عظيمًا ما له لعنه الله، كان عليّ –عليه السلام – والله عبدًا صالحًا آخا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – الكرامة من الله إلا بطاعته..»[3].

هذه ردود من كتب الشيعة على ابن سبأ وفرقته عن أفكار ومعتقدات هذه الفرقة الضالة التي ما فتئت على إشعال نار الفتنة في مقتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وكذلك إشعال الفتن في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين بعضهم ضد بعض، بل ثبت بالدليل الصحيح الصريح أن اليد الخفية التي كانت تدير المؤامرة وتحرك الفتنة، هي يد ذلك اليهودي الخبيث عبدالله بن سبأ وفرقته أو من تأثروا بأفكاره من الهمج والرعاة والسذج والغلاة

(١) كتاب وضوء النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – (١/ ١٢٩) [الناشر: مطبعة ستارة قم].

(٢) خلاصة عبقات الأنوار للسيد حامد الحسينى (٨/ ٢٦) [الناشر: مؤسسة البعثة، قم للدراسات الإسلامية].

(٣) (٤) رجال الكشي ص١٠٠، ١٠١، وهو من مصادر الشيعة المعتمدة.

وأصحب الأهواء الفاسدة من الناس، يقول عبدالعزيز ولي الله الدهلوى عن ابن سبأ والسبئية: «إن هذا الشيطان هو عبدالله بن سبأ من يهود صنعاء، وكان يُسمى ابن السوداء، وكان يبث دعوته بخبث وتدرج ودهاء، واستجاب له ناس من مختلف الطبقات، فاتخذ من بعضهم دُعاة فهموا أغراضه وعوّلوا على تحقيقها، واستكثر أتباعه بآخرين من البُلهاء الصالحين المتشددين في الدين المتطّعين في العبادة ممن يظلنون الغلوَّ فضيلة والاعتدال تقصيرًا، فلما انتهى ابن سبأ من تربية نفر من الدعاة الذين يُحسنون الخداع ويتقنون تزوير الرسائل واختراع الأكاذيب ومخاطبة الناس من ناحية أهوائهم، بثَّ هؤلاء الدعاة في الأمصار لنشر الفوضى وزعزعة الاستقرار في البلدان الإسلامية..»(١).

ويقول النوبختي من علماء الشيعة: «وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب على - عليه السلام - أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصيٍّ بعد موسى على نبينا وآله وعليهما السلام بالغلو، فقال في عليّ - عليه السلام - بعد إسلامه بمثل ذلك بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو أول من شهَّر القول بفرض إمامة عليّ - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه..(٢).

وهكذا غالى السبئية في الإمام على - رضي الله عنه - واعتبرته وصيًا بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كما غالت اليهود في يوشع بن نون - كما ذكرنا - بل قال السبئية بعصمة الإمام عليّ - رضي الله عنه - كما قالت اليهود تمامًا في حاخاماتهم، وقد حكى الدكتور «روهلنج» في كتابه «الكنز المرصود» أنه قد حصلت مشاحنة يومًا - ما - بين حاخامين من اليهود أحدهما يُدعى «شايا»، والثانى «باركبارة» ، وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال: كيت وكيت مما ادعوه، ولم يُفصل في الخلاف الواقع بينهما، فجاء الحاخام «روسكي» وقال: إن الحاخامين المذكورين قالا الحق لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ،

(١) بتصرف من التحفة للدهلوى ص٣١٨.

(٢)فرق الشيعة للوبختى ص٤٤ [المطبعة الحيدرية - النجف - العراق ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م].

ثم قال د. «روهلنج: وهذه العصمة لا تختص فقط بالحاخامات، بل لكل ما يتعلق بهم أيضا، فقيل: إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئا مُحرمًا.»[١].

ثم انتقلت هذه العصمة إلى النصارى أيضًا، فيقول معجم اللاهوت الكاثوليكي: «تعني هذه الكلمة أن تعاليم الكنيسة عندما تعرض عقيدة إيمانية، وبصورة نهائية وموجبة، وهو معصوم بالنعمة من كل ضلال كعصمة مريم العذراء.. إذن فعصمة البابا مستمدة من عصمة مريم العذراء..[٢]» وهكذا حاول ابن سبأ اليهودى أن ينقل هذه الأفكار والاعتقادات الباطلة للإسلام وعندما خاب وخسر حاول إشعال نار الفتن كعادة اليهود في كل زمان ومكان.

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور «روهلنج» القسم الأول عن عقائد اليهود بحسب التلمود.

(٢) معجم اللاهوت الكاثوليكى، مادة عصمة.

المبحث الثالث:

دور السبئية في مقتل عثمان بن عفان
- رضي الله عنه -

من المعلوم أن اليهود هم أهل شقاق وعناد وفتن على مدار التاريخ الإنساني وقد صدق فيهم قول المولى - عز وجل -: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة : ٦٤).

ومن المعلوم أيضًا أن أول فتنة وقعت في الإسلام هي فتنة المسلمين بمقتل خليفتهم وصهر نبيهم - صلى الله عليه وآله وسلم - الإمام العادل الكريم الشهيد ذى النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنهم - وقد تولى إشعال نار تلك الفتنة اليهودي عبدالله بن سبأ وزمرته الضالة، والذي ثبت بالدليل الصحيح والصريح أن اليد الخفية التي كانت تُدير المؤامرة وتشعل فتيل نار تلك الفتنية هي يد ذلك اليهودي الخبيث: «فلما رأي هذا الرجل أن أمر الإسلام بدأ ينتشر في الأمصار وأخذت الفتوحات الإسلامية تتوالى ، رأي أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، وكان بمنتهى الخبث، فأول ما بدأ، بدأ بالمدينة، وكانت المدينة يومها ملأي بالعلماء «من الصحابة - رضي الله عنهم»، فدُحر بالعلم، فكلما رمى شبهة رُدَّ عليها، فمن شبهه «كما ذكرنا» أنه أظهر بعض العقائد اليهودية، مثل القول بالرجعة، أي: رجعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلما دُحضت تلك الشبهة أخذ بقول رجعة علي - رضي الله عنه - «كما فصلنا ذلك آنفًا» وأنه سيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا»[1] فلما أُسقط في يده ولم تفلح تلك الشبهة أيضًا أخذ في التأليب والتحريض - كعادة اليهود - على الخليفة الثالث عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - وقد حدث في النصف الثاني من خلافة عثمان - رضي الله عنه - اختلاف وشقاق كبير، إذ نقم البعض على عثمان - رضي الله عنه -

(١) بتصرف من عبدالله بن سبأ ودوره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام لسلمان العودة ص٢٠٨.

فاشتعلت الفتنة التي وقدها عبدالله بن سبأ حيث أخذ «يطعن على عثمان - رضي الله عنه - ويدعو في السِّر لأهل البيت، وأن عليًا - رضي الله عنه - وصيٌ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، وأن عثمان - رضي الله عنه- أخذ الأمر بغير حق، وأخذ يُحرِّض الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضًا[1]» حتى اشتعلت الفتنة وأسفرت عن مقتل الخليفة الشهيد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، ولكن ما أحدثته تلك الفتنة من تصدع في المجتمع الإسلامى ظل أثره باقيًا فقد ولَّدت الأحقاد والضغائن وأزالت الصفاء من نفوس البعض، «فبدأ وضع الأحاديث في ذم أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقد وضعت فرقة السبئية أحاديث في فضل أمير المؤمنين أيضًا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - وقد أكثر السبئية من وضع هذه الأحاديث مما دعا بعض العلماء إلى التحذير منهم.. وكانت العراق وخاصة الكوفة ميدانًا لوضع الحديث وتناقل الموضوعات، ولقد أدت كثرة الوضع للحديث في الكوفة إلى إعطاء فكرة سيئة عن العراق كمركز مهم من مراكز العلم والرواية في العالم الإسلامى آنذاك..[2]».

لذا نجد أن السبئيين قسَّموا أنفسهم إلى فريقين مهمين:

الفريق الأول: «الذين قاموا بوضع الأحاديث والروايات المكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلى آل بيته الأطهار، كما أوضحنا ذلك آنفًا- وقد فنَّد علماء الجرح والتعديل مثل تلك الروايات وكشفوا عوارها وغربلوا الصحيح من الفاسد وقد ذكرنا نُتفًا من تلك الروايات الفاسدة..

أما الفريق الثانى: فهم الذين قاموا بإشعال نار الفتنة وعلى رأسهم ابن سبأ الذي استخدم الأعراب ممن كانوا ارتدوا من العرب ثم رجعوا بعد الحروب التي خاضها الخليفة الأول - رضي الله عنه - ممن لا يفقهون في دين الله شيئًا، حيث ذهب إليهم فكان من مكره ودهائه أنه كان يبث في جماعة الفسطاط

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٣٩).

(٢) بتصرف من تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمرى ص٢٤.

«مصر» الدعوة لعلي «وعليّ - رضي الله عنه - لا يعلم عن ذلك»، وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة - رضي الله عنه - وفي جماعة البصرة الدعوة للزبير -رضي الله عنه - ويستدل على قوله بكتب مزيفة كتبها هو وأعوانه ليشل بذلك التذمر على سياسة عثمان - رضي الله عنه - في الحكم، فصار أتباعه من الأعراب يتأثرون بهذه الأكاذيب ويصدقونها فملئت قلوبهم على عثمان - رضي الله عنه - وبعد ذلك اتجه ابن سبأ إلى هدفه المرسوم وهو خروج الناس على الخليفة عثمان - رضي الله عنه - فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم فقال لهم: إن عثمان أخذ الأمر بغير حق وهذا وصيُّ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن إلى هذا الأمر.. وأخذ يُحرّض أتباعه على الخروج على حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه - ويُحضّهم على إرسال الكتب المكذوبة لجميع الأمصار، فأخذ أهل الفتنة يتراسلون فيما بينهم، وعندما علم الخليفة بتلك الرسائل حاول الرد عليها.. فقال الطبري في تاريخه:

«كتب عثمان - رضي الله عنه - إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتى في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالى حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقوامًا يُشتمون وآخرون يُضربون، فيا من ضُرب سرًا، وشُتم سرًا، من ادعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، منى أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر، وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه: عبدالله بن عامر، ومعاوية، وعبدالله بن سعد، وأُدخل معهم المشورة سعيدًا «سعيد بن العاص»، وعَمْرًا «عمرو بن العاص» فقال: ويحكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقًا عليكم، وما يُعصب هذا إلا بى، فقالوا له: ألم تبعث! ألم نرجع إليك الخبر عن القوم! ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء! لا

والله ما صدقوا وما برّوا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحدًا فيقيمك على شيء، وما هى إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا عليَّ؛ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع في السر «يشير إلى دور ابن سبأ وجماعته»، فيُلقى به غير ذى المعرفة، فيُخبر به، فيُحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبدالله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

قال معاوية: قد وليتني فَوَلّيت قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما؛ قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لِنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين، إن الشددة تنبغى لمن لا يألوا الناس شرًا، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعا باللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه، وقال: كل ما أشرتم به علىّ قد سمعتُ، ولكل أمر باب يؤتى منه: إن هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يُغلق عليه فيكفكف به اللين، والمؤاتاة والمتاحة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادى بعيب أحدهما، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليُفتحن، وليست لأحد على حجة حق، وقد علم الله إنى لم آل الناس خيرًا، ولا نفسى، ووالله إن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها .كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تُعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها..»[1].

أما المزاعم التي طعنوا بها على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - والادعاءات التي افتروها عليه فقد ذكرها وفنّدها لهم في عرض رائع فقال

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٧.

رضي الله عنه: «إن هؤلاء (أي: الطاعنون عليه) ذكروا أمورًا قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها عليّ عدن من لا يعلم:

(١) قالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تُتَمُّ، إلا وإنى قدمتُ بلدا فيه أهلي، فأتمَّمت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا: اللّهم نعم.

(٢) وقالوا: وحميت حمًى ، وإنى والله ما حميتُ، جمًى قبلى، والله، حموا شيئا لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعيه أحدًا، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحوا منها أحدًا إلا من ساق درهما، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لى ثاغية ولا راغية، وإنى قد وُليت ، وإنى أكثر العرب بعيرًا وشاءً، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

(٣) وقالوا: كان القرآن كُتُبًا، فتركتها إلا واحدًا، ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد؛ وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء؛ أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم.

(٤) وقالوا: إنى رددت الحَكَمَ [٢]، وقد سيره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والحَكَم مكيّ، سيّره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيَّره، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - رده، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

(٥) وقالوا: استعملت الأحداث، فلم أستعمل إلا مجتمعًا محتملاً مرضيًا، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولّي من قبلى أحدث منهم؛ وقيل في ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشدُّ مما قيل لي في استعماله أسامة؛ أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون.

---

(١) الثاغية: الشاة، والراغية: الناقة. أي: ما له شاة ولا بعير، لسان العرب [١٤/ ١١٣].

(٢) هو الحكم بن أبى العاص.

(٦) وقالوا: إنى أعطيت ابن أبي السرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفلته خُمس ما أفاء الله عليه من الخُمس، فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبوبكر وعمر - رضي الله عنهما - فزعم الجُند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟ قالوا: نعم.

(٧) وقالوا: إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم؛ فأما حبى فإنه لم يَمِلْ معهم على جوْر، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنى ما أعطيهم من مالى، ولا أستحلّ أموال المسلمين لنفسى، ولا لأحد من الناس و لقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صُلب مالى أزمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى، وفنى عمرى، ودّعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا! وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم عليّ إلا الأخماس، ولا يحل لي منها شيء؛ فولى المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا يُتلفت من مال الله بفلس فما فوقه، وما أُتبلغ منه ما آكل إلا مالي.

(٨) وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتُتحت ، فمن أقام بمكان م هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت في الذين يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعتُه لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دونى»[١].

فهل شفع لأهل الفتنة والبغي ما فنّده عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لمزاعمهم وافتراءاتهم التي افتروها عليه؟

وهل اقتنعوا بما برّأ به نفسه من أكاذيبهم وأضاليلهم؟ لعن الله الفتنة ومن أيقظها..

فبعد ما أظهروا أنهم قد اقتنعوا وأقلوا راجعين، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أيامًا راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فماكان غير قليل

(١) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٦٥١.

حتى سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وقالوا للناس: من كفّ يده فو آمن، فكفّ الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أيامًا، هذا كله ولا يدرى الناس ما القوم صانعون، ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يخرج من داره فيصلى بالناس، فيصلى وراءه أهل المدينة، وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعزلونهم على رجوعهم، حتى قال على - رضي الله عنه - لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا، وكذلك قال البصريون لطلحة بن عُبَيْد الله، والكوفيون للزبير بن العوام، وقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننصر أصحابنا، فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله - يعنون إنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا -[(١)] وكان بين المصريين عبدالله بن سبأ يؤجج نار الفتنة هو وأتباعه[(٢)].

«قال الإمام أحمد: حدثنا بهز حدثنا أبو عوانة ثنا حصين بن عمرو بن جاوان قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجًا فمررنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا، إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبى، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا على بن أبى طالب، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبى وقاص، قال: فلم يكن ذلك أسرع من أن جاء عثمان يمشى، فقال: ههنا على؟ قالوا: نعم! قال: ههنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: ههنا طلحة؟ قالوا: نعم! قال: ههنا سعد بن أبى وقاص؟ قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من يبتاع مربد بنى فلان. غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقلت: إنى قد ابتعته، فقال: «اجعله في مسجدناوأجره لك» قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٧٤.

(٢) بتصرف من تاريخ الطبرى ٢. ٦٥٢.

وسلم - قال:« من يبتاع بئر رومة» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال: «اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجره»، قالوا: نعم! قال: أنشدكم باله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له» فجهزتهم حتي ما يفقدون خطامًا ولا عقالاً؟ قالوا: اللهم نعم! فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف»[(١)].

وروى الإمام أحمد عن سهل بن حُنَيْف قال: كنت مع عثمان في الدار وهو محصور، قال: وكنا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط، قال: فدخل عثمان يومًا لحاجته فخرج إلينا منتقعًا لونه، فقال: إنهم ليتواعدونى بالقتل آنفًا.. قال: قلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولمَ يقتلونى؟ فإنى سمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس»، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلا بدينى منذ هداني الله له، ولا قتلت نفسًا، فبم يقتلوننى؟»[(٢)].

فهل شفع كل هذا عند من حاصروه من أهل الفتنة والزيغ والضلال الذين خرجوا عليه وحاصروه من السبئية ومن تأثروا من الرعاع بدعوتهم؟ اللهم لا...

قال خليفة بن خياط: «قَدِمَ أهل مصر عليهم عبدالرحمن بن عُدَيْس البلوى، وأهل البصرة عليهم حُكيم بن جبلة العبدى، وأهل الكوفة فيهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي، المدينة في أمر عثمان، فكان مقدم المصريين ليلة الأربعاء هلال ذى القعدة، فلما سمع عثمان - رضي الله عنه - أن وفد أهل مصر قد أقبلوا! فاستقبلهم، فقالوا: ادعُ بالمصحف، فدعا به، فقالوا: افتح السابعة - وكانوا يسمون سورة يونس السابعة - فقرأ حتى أتى هذه الآية: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ على

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٧٧) وقال: ورواه النسائي من حديث حصين، وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاءة صفراء.

(٢) المصدر السابق، وقال الحافظ ابن كثير: زاد النسائي وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا: كنا مع عثمان فذكره، وقال الترمذي: حسن.

الله تَفْتَرُونَ﴾[1]، فقالوا: له: قف أرأيت ما حميت من الحمى؟ آلله أذنَ لك أم على الله تفترى! فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى فإن عمر حماه قبلى لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة، امضه، قال فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول: إمضه نزلت في كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطًا، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصًا ولا يفارقوا جماعة ماأقام لهم شرطهم.

ثم رجعوا راضين

فبينا هم بالطريق إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم قالوا: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يُقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتي قدموا المدينة، فأتوا عليًا فقالوا: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا كذا وكذا، وإن الله قد أحلَّ دمه فقُم معنا إليه.

قال: والله لا أقوم معكم، قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبت إليكم كتابًا، فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج على - رضي الله عنه - من المدينة.. فانطلقوا إلى عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا. فقال: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت، وقد يُكتب الكتاب على لسان الرجل ويُنقش الخاتم على الخاتم، قالوا: قد أحل الله دمك، ونقضت العهد، والميثاق وحصروه في القصر - رضي الله عنه-»[2].

وهكذا كان دور الجماعة السبئية من تأليب الرعاع على سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حتى وصلوا إلى مآربهم من تفكيك أوصال الدولة الإسلامية وإشعال نار الفتنة وحصار أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ومحاولته التي باءت بالفشل في رد هؤلاء الذين أثاروا الفتنة وقد روى ابن خياط بعض تلك المحاولات فقال:

(١) سورة يونس : ٥٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط/١٦٨.

«أنبأني وثاب قال: بعثني عثمان فدعون له الأشتر . فقال: ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثا ليس من إحداهن بُدٌّ. قال: ما هنَّ؟ قال: يُخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت فالقوم قاتلوك. قال: ما من إحداهن بُدٌّ؟ قالوا: ما من إحداهن بُدٌّ. قال: إما أه أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله»[1].

وقال أيضا: عن يعلى بن حكيم عن نافع قال: دخل ابن عمر - رضي الله عنهما - على عثمان - رضي الله عنه - وعنده المغيرة بن الأخنس فقال: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر: إذا خلعتها أمُخلَّدٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا، قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو نارًا؟ قال: لا، قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصًا قمَّصكه الله فتكون سُنَّة كلما كَرِه قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه»[2] «أو خلعوه».

وهكذا حاول أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إثناء المتمردين والخارجين عليه عن غيهم وردهم بالحُسنى إلا أنهم رفضوا وقد كان للسبئيين دور كبير في التغرير بقتله فهيجوا الهمج والرعاع حتى كان ما كان من أمر الخليفة الثالث.

فعن عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما - قال: قلت لعثمان: إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم فأذن لنا فقال: أذكِّر الله رجلاً أهراق فيَّ دمه، أو قال دمًا»[3].

قال الحافظ ابن كثير: قال أبو يعلى الموصلي وعبدالله ابن الإمام أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبية ثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكا ودعا بسراويل فشدها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام، وأبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين بيديه فقتل وهو بين يديه. قلت: إنما

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط/ ١٧٠.

(٢) (٣) المصدر السابق/ ١٧٠/ ١٧٣.

لبس السراويل - رضي الله عنه - في هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل فإنه كان شديد الحياء - رضي الله عنه -، فكانت تستحى منه ملائكة السماء، كما نطق بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله عز وجل، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدروًا(١).

وقال أيضا: وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه: قال: لما قُتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقا مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حقا فيها ورقة مكتوب فيها «هذه وصية عثمان. بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يُخلف الميعاد، عليها يحيا وعليها يموت، وعليها يُبعث إن شاءالله تعالى»(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران، ضربه بحربة وبيده سيف صلتا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتي أفعصه، ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكأ عليه وتحامل حتى قتله، وقامت نائلة «زوجة عثمان» دونه فقطع السيف أصابعها - رضي الله عنها -»(٣).

ألا لعنة الله على الظالمين الخارجين على الإسلام ورموزه فعثمان - رضي الله عنه - الخليفة الثالث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمير المؤمنين وجد فيه عبدالله بن سبأ وجماعته الوداعة واللين والحياء فطمعوا فيه وألبوا عليه الرعاع والهمج فقتلوه شهيدًا - رضي الله عنه وأرضاه - وكان ممن قتلوه من السبئية الغافقى بن حرب العكى وكنانة بن بشر التُّجيبى ، وسودان بن حمران، وثلاثتهم ممن نزلوا بأرض مصر، فالغافقى من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عند الفتح، فلما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعليّ - رضي الله عنه -

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٨٥.

ولم يجد مرتعًا لفساده في الحجاز ولا في الشام - وذلك لكثرة الصحابة - رضوان الله عليهم - بهما اكتفي باصطناع بعض الأعوان في البصرة والكوفة، واختار الإقامة في الفسطاط، فكان الغافقى من الذين استمالهم ابن سبأ إليه وذلك لتهافته على الرئاسة والجاه، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة الأموى ربيب عثمان الآبق من نعمته هو اليد اليمني لتنفيذ خطط السبئيين في مصر، والغافقى للتصدر والظهور، وعندما أعدوا العُدّة للزحف إلى المدينة من مصر تحت دعوى الحج وتظاهرهم بذلك كان هذا الغافقى هو رئيسهم العام، وفي المدينة تطورت حركاتهم واستولوا عليها، وكان الغافقى أحد المجترئين على عثمان - رضي الله عنه - وضربه بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار، وبعد قتل عثمان - رضي الله عنه - بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي.[(١)].

وأما كنانة بن بشر التجيبى أحد نزلاء مصر وقد استماله عبدالله بن سبأ، ولما أرسل عثمان عمارًا إلى مصر ليكتشف له أمر الإشاعات وحقيقة الحال، استماله السبئيون، وكان كنانة بن بشر هذا واحدًا منهم، وكان في طليعة من اقتحم الدار على عثمان وبيده شعلة من نار تنضح بالنفط، وهو أحد الذين طعنوا عثمان - رضي الله عنه - بمشقص «أي نصلا طويلاً عريضًا» فانتضح الدم على آية «فسيكفيكهم الله» وهو الذي قطع يد نائلة زوجة عثمان؛ واتكأ على صدر عثمان بالسيف فقتله.

وكان سودان بن حمران من أتباع ابن سبأ وممن تأثروا بدعوته قال الطبري: ولما وصل متطوعة الفتنة إلى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - ليعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون إلى أربعة هذا السودان واحد منهم: وهو ممن تسور الحائط من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان فلما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادى: قد قتلنا عثمان بن عفان[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٦٧.

(٢) بتصرف أيضا من تاريخ الطبرى ٢/ ٦٦٩، وراجع العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى ص١١٩.

وخلاصة ما جاء به ابن سبأ، أنه أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج والرعاع وأصحاب الأهواء من الناس، وقد طرق باب القرآن الكريم يتأوله على زعمه الفاسد، كما سلك طريق القياس الفاسد في ادعاء إثبات الوصية لعليّ - رضي الله عنه - بقول: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصى، وكان على وصى محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء[1].

فلم يستطع كما ذكرنا أن يخترق الشام أو يجمع حوله من رجالها أحدا، فلما توجه إلى الكوفة، إذ هي تموج بالفتن، ووجدها مكانًا خصبًا لبث شبهاته، وذلك بعد عزل المغيرة بن شعبة وتولية سعيد بن العاص من قِبَل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على ما بيناه - فاعتبر أهل الكوفة ذلك استغلالاً للمنصب فكثرت الفتن فيها، فاستطاع أن يجمع ابن سبأ حوله جماعة من الذين استمالهم بأفكاره المنحرفة، كذلك فعل في البصرة ومصر، كما استخدم الأعراب، فذهب إلى القرى والصحراء وبدأ يثير عندهم الأكاذيب حول عثمان -رضي الله عنه - ويستدل على قوله بكتب مزيفة كتبها هو وأعوانه على ألسنة طلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - فيها التذمر على سياسة عثمان - رضي الله عنه - في الحكم، فصار الأعراب وهم الذين لا يفقهون من دين الله الشيء الكثير، يتأثرون بهذه الأكاذيب ويصدقونها، فنجح في استمالة قلوبهم وتأليبهم على عثمان - رضي الله عنه - بعد ذلك اتجه ابن سبأ إلى هدفه المرسوم، خروج الناس على الخليفة عثمان - رضي الله عنه -، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم ممن استمالهم وكان يقول لهم: إن عثمان أخذ الأمر بغير حق وهذا وصي الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن في أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر.

ويظهر من هذا النص الأسلوب الذي اتبعه هذا الخبيث فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من جلة الصحابة حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي بن أبى طالب - رضي الله عنه - وجعل الثاني مغتصبًا وهو عثمان بن عفان

(١) تاريخ الطبرى [٤/ ٣٤٠].

- رضي الله عنه - ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مِصرهم إلى بقية الأمصار، فيتخيل أهل البصرة مثلاً أن حال أهل مصر أسوأ ما يكون من قبل واليهم، ويتخيل أهل لمصر أن حال أهل الكوفة أسوأ ما يكون من قِبَل واليهم، وكان أهل المدينة يتلقون الكتب من الأمصار بحالها وسوئها من أتباع ابن سبأ، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحالة هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع المسلم، وهكذا حتى تجمع أهل الفتنة في المدينة وكان لهم ما أرادوا من قتل عثمان - رضي الله عنه - وإشعال الفتنة على ما ذكرناه فهل وقفت فتنة السبأية عند مقتل الخليفة المظلوم عثمان ابن عفان - رضي الله عنه -؟ لا فقد فازوا في المرحلة الأولى.

ثم تخطوا بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهى الإيقاع بين المسلمين وإشعال نيران الحرب بينهم وإثارة الفتن والبغضاء، وكثرة الهرج والمرج حتي ينفلتوا عن الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الإسلام ويرجعوا ليضرب بعضهم رقاب بعض، وينحصر القتال فيما بينهم ويدور بين فئاتهم وأحزابهم بعد كانت تدور رحا الحرب على ثغور بلاد الكفر والإلحاد.

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب يقول: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنها خير ما تواصَى به العباد وخيرعواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة..»[١].

---

(١) نهج البلاغة ص٣٦٧.

المبحث الرابع:

دور السبئية في إشعال الحروب بين المسلمين

بعد مقتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب - أحد السبئيين - قال الإمام الطبري:

«بقيت المدينة بعد قتل عثمان - رضي الله عنه - خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدون، يأتي المصريون عليًا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان «حدائق» المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرَّة بعد مرَّة.

ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً، فباعدهم وتبرأ من مقالتهم.

ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهوون، فلما لم يجدوا ممالئًا ولا مُجيبًا جمعهم الشرّ على أول من أجابهم، وقالوا: لا نولي أحدًا من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص ، وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا منك مجتمع، فأقدم نبايعك، فبعث إليهم: إنى وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على كل حال.

ثم إنهم أتوا ابن عمر، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيرى، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم..

ثم قال بعضهم لبعض: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة..

وفي رواية أخرى: فلما اجتمع لهم - أي لأهل الفتنة - أهل المدينة قال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى أنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبّونه ونحن لكم تبع.. فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا

لنقتلن غدًا عليًا وطلحة والزبير وأناسًا كثيرين، ففشى الناس عليًا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتُلينا به من ذي القربى»[١].

فرد عليه عليّ -رضي الله عنه- بقوله:

«دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القبائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا»[٢].

وهكذا انعقدت البيعة للإمام علي -رضي الله عنه- واستتر السبئيون والمخدوعون بهم من قتلة عثمان وراء المبايعين لعلي -رضي الله عنه- واختفوا خلف المشايعين له وأحاطوه من كل جانب.

قال الطبري: «واجتمع إلى عليٍّ بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة في بيعة عليّ -رضي الله عنه- فقالوا: يا عليّ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدًا، إن الناس من هذا الأمر إن حرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لاترى ذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا.

(١) بتصرف من تاريخ الطبري.

(٢) المصدر السابق.

وبدأ السبئيون يتقوون ويجمعون حولهم الموالي والأعراب إلى أن استفحل أمرهم، فأراد عليٌّ -رضي الله عنه- أن يُضعف قوتهم ويكسر شوكتهم بالحيلولة بين السبئية والعبيد والأعراب والتفريق بينهم، فنادى في الناس:

«برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه ، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا : لنا غدًا مثلها »(١).

ولما رأي الناس وفي مقدمتهم رؤوس الصحابة وأكابرهم أن السبئية يزدادون يومًا فيوم في غلوائهم وطغيانهم، وأيديهم متلطخة بدم الإمام المظلوم ، وهم زيادة على ذلك يريدون أن يلفوا حولهم أوباش الناس والفسقة والفجرة ، كما أنهم بدءوا يبثون العقائد الأجنبية بينهم ، طالبوا عليًا - رضي الله عنه - أن يقتص منهم لعثمان - رضي الله عنه - بأن يحكم فيهم بالسيف، ولكن أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه-هاب من نفودهم ، وخاف من سلطتهم فطلب منهم المهلة لازدياد نفوذ السبئية وقوتهم ، وكان يرد عليهم قائلا:

«مَهلاً عليَّ حتى أنظر في هذا الأمر»(٢).

«كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم»(٣).

«لا قدرة لي علي شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق»(٤).

ووجدت السبئية الفرصة سانحة أمامهم لإثارة الفتن لقتال معاوية إشعال نار الفتنة، فبدأوا يثيرون الفتن والقلاقل ويسعون فسادًا، ويثيرون الأحقاد والضغائن وينفخون في الرماد، ويحاولون إزكاء الحرب بين المسلمين ويحرضون شيعة علي ضد كل من يطالب بثأر عثمان وقصاصه، وخاصة معاوية الذي بدأ المطالبة بالثأر من قتلة عثمان -رضي الله عنه-.

وعندما أرسل معاوية رسوله إلى أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - فقال

---

(١) بتصرف من تاريخ الطبري [٢/ ٧٠٢].

(٢) البداية والنهاية [٧/ ٢٢٧].

(٣) ابن الأثير [٣/ ١٠٠].

(٤) ابن خلدون [٢/ ١٠٤].

الرسول: هل أنا آمن ؟ قال علي - رضي الله عنه-: نعم فإن الرسول لا يُقتل فقال: إني تركت قومًا لا يرضون إلا بالقود . ثم بلغ الرسالة ، فاستأذن بالخروج، فقال له عليّ : أخرج ، قال : وإني آمن ؟ قال: وأنت آمن.

فصاح من اندس من السبئية في صفوف الإمام علي - رضي الله عنه -: هذا الكلب رسول اللكلاب ، اقتلوه «فنادى يا لمضر ، يا لقيس الخيل والنبل ، إني أحلف بالله جل أسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصيّ فانظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ، ومنعته مضر وجعلوا يقولون له : اسكت ، فيقول :لا والله لا يفلح هؤلاء أبدًا فلقد أتاهم ما يوعدون ، فيقولون له : اسكت ، فيقول : لقد حل بهم ما يحذرون ، انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم ، فوالله ما أسوا حتى عرف الذل فيهم »[1].

وهذه العبارة وهذه الألفاظ الصادرة عن السبئية تدل وتنبئ صريحًا عما كانوا يسعون لأجله، فبدءوا ينشرون الأراجيف ويشيعون الأكاذيب حتى تستل سيوف المسلمين فيما بينهم ويقع الاصطدام وتشتعل الحروب ويشتغلون بها ويضرب بعضهم رقاب بعض ، وينسى هؤلاء ويحرض عنهم وعن فعلتهم، ويكثر الشقاق والاختلاف ، ويزداد الابتعاد ويمتد بينهم الجدال والقتال.

ولما سمعوا باجتماع طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهم - في مكة بدءوا يحرّضون شيعة عليّ - رضي الله عنه - وعليًا نفسه على محاربة أهل الشام ، قبل أن يعظم الأمر ويفحل الخطر ويستتب الأمر لأمير المؤمنين فيقتص منهم ، فاجتمع الفريقان بعدد خروج أمير المؤمنيين - رضي الله عنه - إلى البصرة لملاقاة طلحة والزبير .. هذا والسبئية وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ وقتلة عثمان - رضي الله عنه- مترقبون كل صغيرة كبييرة بكل دقة وما يجرى بين الفريقين من السعي إلى الصلح الإصلاح والوفاق وينظرون كيف تفشل خطتهم ومؤمراتهم للفتنة ، والفساد وإقامة الحروب بين المسلمين إلى أن وصل الأمر حدًا لم يكن في تصورهم أن يصل إليه ، وخاصة عندما قام أمير المؤمنين

(١) الكامل لابن الأثير [٣/ ١٠٤]، والطبري [٣/ ٣٢، ٣٣].

عليّ - رضي الله عنه - خطيبًا في معسكره وقال « ألا اني مرتحل غدًا فارتحلوا ، ولا يرتحلنّ أحد معى أعان على قتل عثمان بشيء من أمر الناس(١).

فما أن سمعت السبئية إلا وعرفوا مصيرهم.

فلما قال الإمام علي رضي اله عنه هذا اجتمع من رؤوس السبئية - أي قتلة عثمان - جماعة منهم حرقوص بن زهير السعدى وشريح ابن أوفي، وعبد الله ابن سبأ المعروف بابن السوداء ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي واحد ولله الحمد ، فقالوا : ما هذا والرأي وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان -وأقرب العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم ، غدًا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي عليّ فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليًا بعثمان، فرضي القوم منا بالسكوت، فقال ابن السواء «أي ابن سبأ»: بئس ما رأيت، لو قتلناه قُتلنا، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال غلاب بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها، فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذًا والله يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء: قبحه الله، يا قومس إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس، ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بُدًّا من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير من معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، وأصبح عليّ مرتحلاً ومُرّ بعبد القيس فسار ومن معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة، من قتلة عثمان، فقالا: إن عليًا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك، وقام علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الناس خطيبًا، فقام إليه الأعور بن نيار المنقرى، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء الثائرة

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٨)، والطبري (٣/ ١٣).

ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم! وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال: هل هؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حُجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا بهم غدًا؟ قال: إني لأرجو أن لا يُقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه الله»(١).

فهكذا جرت الأمور، وهكذا تقدم كل من الطرفين إلى الإصلاح وتخطى إلى الصلح بخطوات سريعة، وكذلك بدأ عبد الله بن سبأ وأعوانه يخططون للمؤامرة، ويحكمون نسيجها وأن المؤمنين المخلصين من شيعة عثمان، ومن شيعة عليّ كانوا في الخفاء عما يجري وراء الأستار، وكان المتآمرون في يقظة تامة عما يجرى أمامهم مكشوفًا ظاهرًا.

وبعث علي إلى طلحة والزبير -رضي الله عن الجميع- يقول لهم: إن كنتم على ما رفقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيش»(٢).

«وبات الناس على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها»(٣).

فهل سكت عبد الله بن سبأ وأعوانه؟

قالوا المؤرخون:

«باتوا -أي: السبئية- يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٨)، وتاريخ الطبري (٣/ ٣٢)، وابن الأثير (٣/ ١٣٠)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير [٧/ ٢٤١].

(٣) الطبري (٣/ ٤٤)، والكامل لابن الأثير (٣/ ١٢٣).

قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وبيوتنا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب عليّ -رضي الله عنه- فبلغ الأمر عليًا فقال: ما للناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه، ولبسوا لأمة الحرب، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمرا وقدرًا مقدورًا، وقامت الحروب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عليّ -رضي الله عنه- عشرون ألفًا، والتف على عائشة -رضي الله عنها- ومن معها نحو من ثلاثين ألفا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسبئية أصحاب ابن السوداء قبحهم الله يفترون عن القتل، ومُنادى عليٍّ ينادى: ألا كفوا.. ألا كفوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سوار قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله يصلح بك بين الناس، فجلس في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركتهم، فتصاولوا وتجاولوا وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قُتل مع هذا خلق كثير جدًا..»(1).

قال الإمام الطبري: «وقد وضع السبئية رجلاً قريبًا من عليّ -رضي الله عنه- يخبرهم بما يريد، فقال علي: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فوجئنا إلا قوم منهم بيّتونا، فرددناهم فركبونا وثار الناس..»(2) كذب عليه.. ألا لعنة الله على الكاذبين.

وهكذا وقعت تلك الكارثة التي ذهب ضحيتها آلاف من الناس حتى جعل علي -رضي الله عنه- يقول لابنه الحسن: «يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما، فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال سعد بن أبي عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة قال: قال عليّ -رضي الله عنه- يوم الجمل: يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال يا بني إني لم أرَ أن الأمر يبلغ هذا»(3).

---

(1) ابن كثير (٧/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن الأثير (٣/ ١٢٣).

(2) الطبري (٣/ ٣٩).

(3) البداية والنهاية [٧/ ٢٤٠].

هذا ما كان من مؤامرات السبئية ومن مخططاتهم، ولأجل ذلك دخل اليهودي الملعون في الإسلام، وتستر بالكفر، وتظاهر بالحب لعليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وآل بيته، وفعل هو وجماعته من السبئيين هذه الشناعات المنكرة التي جرّت على المسلمين كل هذه الويلات، وخلفت الفُرقة والاختلاف بين المسلمين وهكذا تعتبر السبئية أول نبتة فاسدة نبتت في ظل الدولة الإسلامية فكانت بمثابة شجرة خبيثة تفرعّت عنها فرق ضالة وأكثر انحرافًا قد سقاها ماء آسن من الحقد اليهودي فخرج من بين هؤلاء أُناس يحملون في قلوبهم المريضة كل بُغض وحقد على الإسلام والمسلمين ونشأت مذاهب هدّامة للنيل من عقيدة الإسلام والمسلمين وزغزعة استقرارهم..

وهكذا حاول اليهود الذين تخفوا واندسوا وسط أهل الإسلام ممن أظهروا إسلامهم وأبطنوا كفرهم ويهوديتهم أن ينالوا من الإسلام ويفعلوا به ما فعلوه بالديانة المسيحية ألا وهو هدمه وزعزعة بنيابه وتقويض دعائمه من الداخل فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى مآربهم وخابوا وخسروا واندحروا ونكصوا على أعقابهم خائبين، ولم يقدرا أن يحققوا ما صبوا إليه عن طريق عبد الله بن سبأ كما فعل اليهودي «شاؤل» بالديانة المسيحية -كما ذكرنا ذلك في الباب الأول-، ولكن كل ما استطاعت فعله السبئية بزعامة اليهودي الخبيث«ابن السوداء عبد الله بن سبأ» وزمرته من الدهماء والغوغاء هو إشعال نار الفتنة بين المسلمين التي وصلت مداها بمقتل الخليفة المظلوم والشهيد عثمان بن عفان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، واستمرت تلك الطائفة في غيَّها تشعل نار الفُرقة والخلاف بين المسلمين في عهد أمير المؤمنين الشهيد الثالث من شهداء الخلافة الراشدة على بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ولكن سرعان ما انطفأت نار الفُرقة والخلاف التي انتهت على يد إمام المسلمين وقائدهم الخليفة الحسن بن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ووأد فتنة السبئية وجمع أهل الإسلام على كلمة سواء وأصلح الله -عز وجل- به بين الطائفتين التي أشعل فتيلها طائفة السبئية، الأمير والإمام الذي لا يُذكر في المجامع وعلى المنابر إلا قليلاً ولكن شأنه عند الله عظيم وأشهد الله -عز وجل- أني وجميع المسلمين يحبونه حبًا جمًا ألا هو الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- سيد

شباب أهل الجنة هو وأخوه الحسين بن علي -رضي الله عنهما- كما روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: رسول الله -ﷺ-: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»(١).

هذا الإمام والأمير والخليفة الحسن بن عليٍّ -رضي الله عنهما- قال عنه رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال سمعت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة ويقول: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٢).

وقد صدقت نبوءة الصادق المصدوق -صلوات ربي وسلامه عليه- وأصلح الله -سبحانه وتعالى- بالحسن بن علي -رضي الله عنهما- بين المسلمين المتحاربين والمتقاتلين وأطفأ الله -عز وجل- به نار الفتنة التي أشعلها عبد الله بن سبأ اليهودي وزُمرته الضالة، وقد روى ابن الأثير أن الحسن بن عليّ -رضي الله عنه- سُئل عن الخلافة والإمامة» فقال: «كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قومًا لا يثق بهم أحد أبدًا إلا غُلب، ليس منهم أحد يوافق الآخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شرك، لقد ألقى أبي (أي: علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-) منهم أمورًا عظامًا، فليت شعري لمن يصلح بعدي، وهي أسرع البلاد خرابًا»(٣).

وقال الحافظ ابن كثير عندما تنازل الحسن بن علي -رضي الله عنهما- لمعاوية عن الخلافة «سُمِّي ذلك العام بعام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد»(٤).

(١) رواه الحاكم في المستدرك / ٤٧٧٨، وقال: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة وأنا أتعجب أنهما لم يخرجاه، ورواه الطبراني في المعجم الكبير/ ٢٥٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع/٣١٨١.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب/ مناقب الحسن والحسين - رضي الله عنهما-/ ٣٧٤٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ١٠٨).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٤٦).

وبذلك اجتمعت كلمة الأمة الإسلامية على أمير واحد وهو: معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- فكانت للإسلام شوكة ومنعة وبدأت تتوسع الدولة الإسلامية وانطفأت النار التي أشعلها اليهودي ابن سبأ واستكان اليهود وأذعنوا وعاشوا في ظل الحكم الإسلامي يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون، ولم يستطع اليهود عن طريق السبئية أن يشعلوا نار الفتنة بين المسلمين عن طريق الحروب ولذلك سلكوا مسلكًا آخر.. ألا وهو محاولة هدم تراثنا الإسلامي عن طريق وضع قصص وحكايات وأساطير من كتبهم المحرّفة، عندما لم يستطيعوا الطعن والنيل من القرآن الكريم وضعوا تلك الحكايات والأساطير عن طريق أذنابهم من السبئية في كتب تفسير القرآن العظيم وهو ما يُطلق عليه «الإسرائيليات» فما هي حكاية رواية تلك الأساطير الإسرائيلية في كتب التفسير وما هو موقف علماء الإسلام منهم، وما مدى عبث أيادي يهود الخفية في تراثنا الإسلامي؟ هذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم..

3

الفصل الثالث

اليهود المتخفون وأثرهم في التراث الإسلامي

(الإسرائيليات في كتب التراث الإسلامي)

وفيه:

مدخل

المبحث الأول: معنى الإسرائيليات وأنواعها في كتب التراث

المبحث الثاني: الإسرائيليات في كتب التفسير

المبحث الثالث: أقوال علماء الإسلام في حكم رواية الإسرائيليات

مدخل
إلى الإسرائيلات في كتب التراث

إن الأديان السماوية التي فرضها الله - عز وجل - على عباده من لدن آدم - عليه السلام - حتى آخر الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه -تدعو إلى توحيد الخالق جل وعلا، وكلها جاءت بالمفهوم الشامل والعام لمعنى كلمة «إسلام» والتي تعني: التسليم المطلق والإذعان والانقياد لله الواحد القهار.

وقد اختلفت الشرائع من دين لآخر، قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة :٤٨)

وفي رواية أخرى: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، الأنبياء إخوة من عَلاَّت [١] وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبي.. [٢]».

والكتب السماوية التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - على أنبيائه - عليهم السلام - قبل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد طواها الزمن ولم يبق منها إلا التوراة والإنجيل، وقد أخبرنا الله - عز وجل - في كتابنا وقرآننا الكريم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت : ٤٢)

---

(١) العَلاَّت: الإخوة لأب واحد ومن أمهات شتى.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٨/ ٢).

أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد حرفهما فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ٧٥) وقال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء ٤٦) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾المائدة : ٤١)، فالتوراة والإنجيل كلاهما قد تطرّق إليه التبديل والتحريف، «وتناول ذلك منها جانب العقيدة وجانب الشريعة على حدٍّ سواء، وما في أيدى الناس منهما اليوم ليس هو التوراة التي أنزل الله – سبحانه وتعالى – على موسى – عليه السلام –، وليس هو الإنجيل الذي نزل على عيسى – عليه السلام –»[(١)].

ومع ذلك فقد يكون في التوراة والإنجيل مما في أيدى الناس اليوم ما يوافق شريعتنا في بعض الجوانب ، وحول هذا المعنى روى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله – صلي الله عليه وآله وسلم – لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و(قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا.. الآية» [(٢)].

وسوف نُفصّل ذلك عند حديثنا عن أنواع الإسرائيليات، إذن فالحديث عن اليهود والنقل عنهم لا ينبغي لأي أحد، ولكن فقط لمن له دراية وعلم عن هؤلاء القوم لماتحمله تلك النقولات من طعن وتشويه وتشكيك في الإسلام ولذلك قام العديد من علماء الإسلام بالكتابة عن الإسرائيليات وأيادي يهود الخفية التي

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ص٩ «مصدر سابق».

(٢) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها/ ٢٩.

عبثت في تراثنا الإسلامي وقد قام البعض منهم أيضًا بتنقية بعض كتب التراث مما لحقها من ذلك الركام من الموضوعات والإسرائيليات التي تسللت خلسة إلى الثقافة العربية والإسلامية، وقد حوت كتب التفاسير والحديث والتاريخ العديد من تلك الروايات والموضوعات الإسرائيلية التي تسربت عبر إسلام بعض اليهود الذين ذكروا الكثير من الروايات التي نقلوها من كتبهم فتناقلتها بعض الأيادي الإسلامية دون تمحيص أو رويّة ممن كانوا يتجاوزون ويتساهلون في النقل والرواية عن أهل الكتاب، وقد اعتبر الشيخ عطية صقر - رحمه الله - أن الإسرائيليات هي إحدى مكائد اليهود للإسلام والمسلمين، وقد لبس بعض من أسلموا من اليهود مسوح المسلمين ومارسوا نشاطهم الكيدي كعبدالله بن سبأ وأقرانه - وسوف نذكر ذلك تباعًا - وانخدع بعض المسلمين فساروا في هذا الطريق.

ولخطورة هذا الموضوع سوف نُفرد هذا الفصل والذي سنستهله بالتعريف العام لمعنى الإسرائيليات وأنواعها في كتب التراث.

المبحث الأول:

معنى الإسرائيليات وأنواعها في كتب التراث الإسلامي

أولاً: معنى الإسرائيليات:

هي جمع لكلمة: إسرائيلية وهي تعني قصة أو حكاية أو حادثة تُنسب إلى مرجع أو مصدر من المصادر اليهودية، وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - قال الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران : ٩٣)، وفي التوراة المُحرّفة التي بين أيدينا الآن تقول: «ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر.. وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذِه، فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أُطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمُك؟ فقال يعقوب. فقال: لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال: لماذا تسألني عن اسمى، وباركه هناك، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. قائلاً: لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونُجيّت نفسي» (سفر التكوين، الإصحاح الثانى والثلاثون، من الفقرة ٢٢ إلى الفقرة ٣٠) وحاشا لله - عز وجل - أن يتمثل في صورة إنسان ليصارع نبيًا من أنبيائه على ما ذكرته التوراة المُحرَّفة، ولكن الشاهد من تلك الفقرات التي نقلناها من التوراة هو أن يعقوب - عليه السلام - اسمه: إسرائيل، وهذا الشاهد لم نذكره على وجه الاعتماد فيكفينا ما أثبتناه آنفًا كدليل قطعي من خلال النص القرآني أن يعقوب - عليه السلام - اسمه إسرائيل، وإنما ذكرناه على وجه المتابعة وأن ذُريّة إسرائيل يُنسبون إليه فيقال: بنو إسرائيل الذين تناسلوا فيما بعد حتى عُرفوا بهذه النسبة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في

أكثـر مـن موضـع منهـا قـول الله تعـالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة : ٧٨)، ومنهـا قوله تعالـى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسـراء : ٤) ومن أسـماء هؤلاء القـوم:اليهـود، وهذا اللفظ لم يرد ذكره في القرآن الكريم وإنماورد لفظ «الذين هـادوا» أكثر من مرة منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقـرة : ٦٢) وقـولـه تعـالـى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة : ٦)، وقد أجمع أهل التفاسير على أن «الذين هادوا» هم: اليهود، وقد ورد هذا اللفظ كثيرًا في السُّنَّة النبوية الصحيحة ومنها ما رواه البخاري في حديث تحويل القبلة أن البراء - رضي الله عنه - قال: «أشهد بالله لقد صلَّيت مع رسول الله - صلي الله عليه وآله وسلم - قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك..» [1]، وكذلك قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [2]، والأحاديث النبوية الصحيحة التي ورد فيها لفظ اليهود كثيرة.

«ولفظ الإسـرائيليات - وإن كان يدل بظاهره على القَصص الذي يُروى أصلاً عن مصادر يهودية - يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث، ليفسدوا بها

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان/ ٤٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب: هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية/ ٤٨.

عقائد المسلمين.. وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودى على غيره، لأن غالب ما يُروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي، واليهود قوم بهت، وهم أشد الناس عداوة وبُغضًا للإسلام والمسلمين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة : ٨٢).

واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ماكرة خادعة، وعبدالله بن سبأ رأس الفتنة والضلال، ومن ورائه سبئيون كثير، تظاهروا بالإسلام، ليعيثوا بين المسلمين فسادًا وفي عقائدهم ومقدساتهم إفسادًا، كان لهم نصيب كبير من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب الله - تعالى - وسُنَّة رسوله - صلي الله عليه وآله وسلم - ومن أجل هذا كله غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث، فأُطلق عليه كله لفظ الإسرائيليات..» (١).

والإسرائيليات - كما ذكرنا - هي عبارة عن القصص والروايات والحكايات والأساطير التي ذُكِرت في كتب اليهود ومنها:

- التوراة التي دخل عليها التحريف والتبديل بعد نبي الله موسى - عليه السلام- التي أُنزلت عليه التوراة الحقيقية بيضاء نقية وهادية لبني قومه الذين أبوا الهداية والنور الإلهي المتمثل في التعاليم التوراتية الربانية وأصروا على غيهم وعنادهم ورفضوا التحاكم إليها وقاموا بتحريفها وتبديلها، فقال الله - عز وجل - عن التوراة الحقيقية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة : ٤٤) ثم قاموا بتحريف الكلم عن مواضعه كما ذكرنا آنفًا عن

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ص١٥ «مصدر سابق».

تحريفهم قصة يعقوب - عليه السلام - وتقوُّلهم زورًا وكذبًا وبهتانًا على الله - عز وجل - ووصفه بصفات لا تليق بجلاله وعظمته وقدرته - سبحانه وتعالى - والتوراة المُحرَّفة مليئة بمثل هذه الروايات والقصص التي وضعها كتبة التوراة فشابها التناقض والنقص وذلك لعبث الأيادى البشرية الآثمة ولذلك قال الله - عز وجل - عنهم -: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة : ١٣)، إذن فالتوراة التي بين أيدينا الآن قد اعتراها كثير من التحريف والتبديل.

- ومن كتبهم الزبور، وهو الكتاب الذي أُنزل على نبي الله داود -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (الإسراء : ٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠٥)، وروى الطبراني عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان وأُنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان وأُنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[١].

ولفظ «الزبور» الذي نعنيه هنا هو الكتاب الذي أنزله الله - عز وجل - على نبي الله داود - عليه السلام - والكتاب مفقود ولا يوجد له أثر أو ذكر في عصرنا الحاضر إلا أن هناك بعض الروايات التي نُسبت إليه وذُكرت كإسرائيليات في كتب التفاسير والحديث وسوف نتناول بعض تلك الروايات في المباحث القادمة إن شاءالله تعالى..

- ومن كتبهم التي ينقلون عنها: التلمود، وهو عبارة عن مصنف كبير للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية للديانة اليهودية، قام بوضع هذه الأحكام

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير «١٥/ ٤٥٠ حديث رقم/ ١٧٦٤٦» وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة «٤/ ١٠٤ حديث رقم/ ١٥٧٥».

والقوانين مجموعة من الأحبار والحاخامات وفقهاء اليهود على مر الأزمنة والعصور، وأسفار التلمود في الأصل روايات شفهية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، ويُعرِّف أحد اليهود التلمود بقوله: «... هو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم، في امتدادها عبر ألف سنة من الزمن، محتوياته متعددة الجوانب كالحياة نفسها، ولا يوجد شيء في السماء وعلى الأرض مما جال بخاطر الناس في ذلك الزمان دون أن يؤتى على ذكره في صفحات التلمود» [١].

وهذا الكتاب ملىء بالأساطير والخرافات التي سطَّرها حاخامات يهود عبر تاريخ اليهود، وهو مادة خصبة للإسرائيليات التي تذخر بها كتب التراث الإسلامى.

- ومن كتبهم أيضًا «الزوهار»: وهي كلمة عبرية تعنى «الإشراق» أو «الضياء»، وكتاب الزوهار أهم كتب التراث القبالى «نسبة إلى القبالاة وهي فرقة تنتسب إلى الصوفية وهي نظرية السر والمستور في إسرائيل». فالكتاب عبارة عن تعليق صوفي مكتوب بالآرامية ثم تُرجم إلى العبرية على المعنى الباطني للعهد القديم «التوراة»، ويعود تاريخه الافتراضي حسب بعض الروايات إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وهو مليء بالمواعظ والحِكَم وقد ظهر هذا الكتاب في القرن الثالث عشر الميلادى، وقيل إنه كُتب بين عامي ١٢٨٠، ١٢٨٥م مع بدايات أزمة يهود أسبانيا، والزوهار أصبح بالنسبة إلى المتصوفة اليهود في منزلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين، وقد شاع بعد ذلك بين اليهود، حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود.. [٢].

تلكم هي الكتب التي يمكن القول بإن الأخبار والحكايات المذكورة في التراث الإسلامي منقولة عنها وخاصة العهد القديم والتلمود، وأما ما ذُكر من أساطير وحكايات وقصص عن مصادر مسيحية ونصرانية أو غيرها في كتب التراث

(١) راجع كتابنا: «التوراة العدو اللدود للسامية» ص٦٧ [الناشر: دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة].

(٢) بتصرف من موقع الدكتور فؤاد عبدالواحد الإلكتروني، وكتاب فضائح التلمود للأب: آي. بي. برانايست ص٤٥.

الإسـلامى فـلا تكاد تذكر وهي قليلة ونادرة جدًا، وليس لها من الآثار السيئة ما لليهوديات، فمعظم ما يُروى من الأساطير يرجع مصدره إلى أصل يهودي، كما يمكن أن يقال إن أول من نشر تلك الإسرائيليات أو اليهوديات بين المسلمين كان من اليهود الذين عاشوا إلى جوار المسلمين في المدينة النبوية ومن دخل منهم إلى الإسلام بهدف الدس والتشويه كما فعل عبدالله بن سبأ وزمرته الضالة -، لذا فقد اعتبر العديد من المستشرقين النصارى الذين اقتبسوا ونقلوا عن أساتذتهم من أبالسة المستشرقين اليهود أمثال «جولد تسهير» وغيره أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد اقتبس كثيرًا من شريعته من هؤلاءاليهود الذين جاوروه في المدينة حتى قيل إن فواتح السور في القرآن الكريم هي تأثير يهودي، وقال جولد تسهير: «إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا.. وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرًا وصل إلى أعماق نفسه،وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهيًا..» [1]، الا كبرت كلمة تخرج من فم هذا اليهودي الحاقد على الإسلام ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - إن يقول إلا الكذب الصُّراح والبهتان المبين[2].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسهير ترجمة يوسف موسى (ط. مصر عام ١٩٤٨).

(٢) سوف تكون لنا جولة وصولة مع المستشرقين اليهود قديمًا وحديثًا ودورهم في التحريض والتأليب على الإسلام والمسلمين في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ثانيا: أنواع الإسرائيليات في التراث الإسلامي:

بعد أن ذكرنا المقصود من معنى الإسرائيليات باختصار غير مُخلّ نتطرق في هذه الفقرة للحديث عن أنواع الإسرائيليات في المصادر الإسلامية وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

ما أقرَّته الشريعة الإسلامية ووافق القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة من كتب اليهود وخاصة التوراة مما لم يعتريه التحريف والتأويل والتبديل ومن ذلك:

- أسماء الأنبياء - عليهم السلام - دون الخوض في قصصهم التي شابها كثير من التحريف والتبديل - كما ذكرنا آنفًا - ما اخترعوه في قصة يعقوب- عليه السلام - وسوف نذكر المزيد عن قصص وخرافات أنبيائهم التي ذكروها في كتبهم ونقلها بعض الرواة إلى مصادرنا الإسلامية.

- ورود بعض التشريعات في التوراة أقرَّتها شريعتنا الإسلامية ومن ذلك الختان، فقد جاء في سفر التكوين: «وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتِنَ في لحم غُرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن في لحم غُرلته، في ذلك اليوم عينه خُتِن إبراهيم وإسماعيل ابنه، وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب خُتِنوا معه» (التكوين: ١٧ ٢٤: ٢٦).

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -: «اختَتَن إبراهيم النبي - عليه السلام - وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم» (١)، ومع اختلاف سِنّ إبراهيم - عليه السلام - في التوراة والحديث النبوي إلا أن نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الأصدق في تحديد سن إبراهيم - عليه السلام - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣، ٤) هذا إلى جانب إننا كمسلمين نأخذ أحاديث البخاري ومسلم كأنها خرجت توًا من فيِّ النبي الكريم - صلوات ربي وسلامه عليه -

(١) متفق عليه.

الذي أمرنا بالاختتان، وقال إنه من الفطرة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقصّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط» [١].

وبما إننا كمسلمين أولى بسيدنا إبراهيم - عليه السلام - من الأمم الأخرى كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران : ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل : ١٢٣).

ولذلك فقد أوجب فقهاء المسلمين الختان على الرجال.

ومن نالتشريعات التي جاءت في التوراة وأقرتها شريعتنا الإسلامية أيضًا الرجم للزاني المحصن «أي: المتزوج» وللزانية مع أن اليهود على عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنكروا ذلك وفضحهم عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - فقد أخرج البخاري في باب قوله - تعالى - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ١٤٦) فعن عبدالله ابن عمر - رضي الله عنهما - أن اليهود جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زَنَيَا فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم» فقالوا: نفضحهم ويُجلدون، فقال عبدالله بن سلام كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوْا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهمارسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فرُجما، قال عبدالله: فرأيت الرجل يجنأ [١] على المرأة يقيها الحجارة» [٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) يجنأ أي: يميل عليها ليقيها الحجارة.

(٣) متفق عليه.

وأما الفقرة التي ذكرت الرجم في التوراة فهي في سِفر اللاويين «وإذا زنى الرجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يُقتل الزاني والزانية» (اللاويين، الإصحاح: ٢٠، ١٠) وفي سفر العدد: «وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعته ذَكر اقتلوها» (العدد: ٣١ - ١٧) وفي سفر التثنية أيضًا: «ولكن إذا كان هذا الأمر صحيحًا لم تُوجد عُذرة للفتاة، يُخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها» (سفر التثنية، الإصحاح ٢٢. ٢٠).

فهذه بعض فقرات من نصوص التوراة في حكم الزنى وقد أخفى يهود المدينة في عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا التشريع الذي أكدته توراتهم - كماذكرنا - ولكنهم اليهود أهل الزيغ والبهتان والكذب والضلال في كل زمان ومكان أما في شريعتنا الإسلامية الغراء فإن حدّ الرجم على الزاني والزانية ثابت بنصوص صحيحة منها ما رواه البخارى ومسلم أن رجلين اختصما إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال أحدهما: اقض بيننا بكتاب الله، وقال الآخر: وهو أفقههما أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا - «قال مالك: والعسيف الأجير» - زنى بامرأته، فأخبرونى أن على ابنى الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني: جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فردٌّ عليك، وجلد ابنه مائة وغرّبه عامًا، وأمر أُنيس الأسلمى أن يأتى امرأة الآخر، فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها» [(١)].

قال العلماء: إن ابن الرجل كان بكرًا أي: لم يسبق له الزواج ولذلك أقيم عليه حد الزاني كما جاء في القرآن الكريم: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور: ٢) وأما المرأة فكانت ثيبًا لذا أُقيم عليها حدّ

(١) متفق عليه.

الرجم بعد اعترافها، فهذه هي شريعة الإسلام في الرجم، فما أقرته شريعتنا الإسلامية ووافق ما جاء في أسفار موسى - عليه السلام - التي لم تتطرق إليها أيادي التحريف والتبديل، ويندرج تحت باب الأحكام والتشريعات فيدخل في القسم الأول الذي منه أيضا ما يتعلق بالعقيدة مما ورد في عقيدة موسى - عليه السلام - وأقرّته عقيدتنا الإسلامية، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء حبْرٌ إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم: إن الله تعالى يُمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأراضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهُزُّهُن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تعجُّبًا مما قال الحبر تصديقًا له ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر : ٦٧) [(١)] غير أنا كمسلمين نُنزه الله - سبحانه وتعالى - عن التشبيه والتجسيم الذي وقع فيه اليهود، وأما عن ضحك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من كلام هذا الحَبْر اليهودي فقال النووي: «وظاهر السياق أنه ضحِكَ تصديقًا له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر، والأوْلى في هذه الأشياء الكفُّ عن التأويل مع اعتقاد التنزيه» [(٢)].

القسم الثاني:

فهو ما خالف شرعنا الإسلامي الحنيف وهو كثير وغزير ومن أمثلة ذلك تطاولهم على أنبياء الله - عليهم السلام - والانتقاص والحطّ من قدرهم وهم عندنا - كمسلمين - أصحاب منزلة رفيعة سامقة بحسب درجاتهم ومنزلتهم عند الله - عز وجل - وهم عندنا من المعصومين من الكبائر التي قذفتهم بها التوراة المحرَّفة ومن ذلك قولهم عن نبي الله لوط عليه السلام: «وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم بشرح النووي (١٣/ ٣٦٤).

كعادة كل الأرض، هلمّ نسقى أبانا خمرًا ونضطجع معه فنُحيى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر وأضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلى اضطجعى معه لنستبقى منه نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها وبقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما..» (سفر التكوين: الإصحاج التاسع عشر - ٣٠ - ٣٦)، ألا لعنة الله على واضع هذا الكذب الصراح والبهتان العظيم على نبي جليل من أنبياء الله الصالحين ألا هو سيدنا لوط - عليه السلام - وهذا غيض من فيض مما ذكرته التوراة المحرّفة عن أنبياء الله - عليهم السلام - وقد فصَّلنا ذلك في أكثر من موضع من أبحاثنا عن هذه الشرذمة الشريرة (١) والتي تأنفه شريعتنا وتمجه وترفضه رفضًا قاطعًا وقد سبق وأشرنا إلى أنهم قد تقوَّلوا على الله - عز وجل - وادعو أنه تمثّل في صورة إنسان ليصارع نبي الله يعقوب - عليه السلام - واتهموا هارون - عليه السلام- ظلمًا وزورًا أنه هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل (الخروج الإصحاح الثاني والثلاثون ١/٦) وما ألصقوه بنبي الله سليمان - عليه السلام - ظلمًا وبهتانًا بأنه عبد غير الله - عز وجل - وأن قلبه كان معلقًا بالنساء (سفر الملوك الأول: الإصحاح الحادى عشر ١/١١)، إلى غير ذلك من الاتهامات التي ألصقوها بأنبيائهم الذين اصطفاهم الله - عز وجل - على جميع خلقه، وهذا نزر يسير مما حوته توراتهم المحرَّفة.

أما عقيدتهم الفاسدة في ذات الله - سبحانه وتعالى - فقد وصفوه - عز وجل - بصفات لا تليق بجلاله وعظمته وبهائه وقدسيته، فالتوراة تشبهه بالبشر فهو في عيونهم إله يُصاب بالتعب والنصب لذلك فهو يحتاج إلى الاستراحة - تعالى عما وصفه به الأفاكون علوًا كبيرا - فتقول التوراة: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع وكان يوم السبت..» (التكوين:

(١) راجع على سبيل المثال كتابنا: «التوراة العدو اللدود للسامية» [الناشر: دار الكتاب العربى - دمشق - القاهرة].

الإصحاح الثانى/١)، و«سفر الخروج: الإصحاح الحادى والثلاثون /١٨)، وأما قرآننا فيدحض تلكم الفرية ويخالفها تمام المخالفة فيقول - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق : ٣٨)، واللغوب: التعب والنَّصَب [1]، وعلى هذا فيمكن القول إن هذا القسم وهو ما جاء مخالفًا لشريعتنا الإسلامية أكثر بكثير من القسم الأول، وذلك لأن مخالفتهم لنا شملت جميع أوجه الدين سواء كان في الاعتقاد أم في الأحكام أو فيما يتعلق بالمواعظ والحِكم، وفي النوع الأخير سنجد الكم الغزير من القصص والحكايات التي تحمل بين طياتها كل غريب وعجيب وشاذ كصناعة سفينة نوح - عليه السلام - أو ما يسمى بتابوت العهد وقد أتت التوراة بتفاصيل ودقائق لا طائل منها، وكذلك ما تذخر به التوراة من حكايات وقصص لا أصل لها في ديننا الإسلامى الحنيف، كقصة الحيَّة (سفر التكوين: الإصحاح/٣)، وغيرها من القصص والأساطير التي انتقل بعضها لتراثنا الإسلامى مما أفسد على بعض المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه هذه الإسرائيليات المخالفة لشرعنا من تشبيه وتجسيم ووصف الله - عز وجل - بما لا يليق - كما ذكرنا آنفًا - كما أن هذه الأساطير والحكايات التي اندست في تراثنا الإسلامى كانت بمثابة مادة خصبة للمستشرقين للادعاء بأن الإسلام، قد اقتبس عقائده وشرائعه من الأديان الأخرى وخاصة من اليهودية - كما سبق وأشرنا - هذا إلى جانب ما تصوره تلك الحكايات الغريبة والعجيبة التي اندست في مصادرنا الإسلامية في صورة دين خرافي يعنى بالترهات والأباطيل التي لا أصل لها، لذلك كله كان هذا الصنف أو القسم الذي يخالف اعتقادنا وشريعتنا كمسلمين من الخطورة بمكان بحيث أصبح هذا الموضوع كالسرطان الذي يسري بين كيان مصادرنا وتراثنا وخاصة كتب التفاسير وقصص الأنبياء وكتب الرقائق مما اخترقته تلكم الإسرائيليات التي ينبغي تطهير وتعقيم تراثنا منها.

---

(١) راجع كتابنا :«التوراة العدواللدود للسامية»ص٢٨،٢٩ (مصدر سابق)

القسم الثالث من أنواع الإسرائيليات وهو:

ما لم يُقرُّه الإسلام ولم يُنكره وما سَكَتَ عنه شرعنا، فهذا النوع لا نُصدقه ولا نكذّبه، وقد روى البخاري حديثًا عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا المعنى، وقد ذكرناه آنفًا - وهو: «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أُنزل إلينا.. الآية» وأمثلة هذا النوع كثيرة وهو مما لا فائدة منه ولا طائل يُرجى من روايات تلك الحكايات والقصص والأساطير، ومن ذلك وصف تابوت العهد الذي ذكره الله - عز وجل -في سورة البقرة بقوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : ٢٤٨)، فلم يذكر القرآن الكريم وصف التابوت ولكن التوراة ذكرت تفاصيل التفاصيل لهذا التابوت فقال في سفر الخروج: «فيصنعون تابوتًا من خشب السَّنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف، وتُغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج تُغشّيه، وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه.. »(سفر الخروج: الإصحاح الخامس والعشرون، ١٠/١١) وقد أسهبت التوراة في وصف ذلك التابوت مما لا يعود بنفع على القارئ، وكذلك ما ورد في أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم، ونوع عصا موسى - عليه السلام - إلى غير ذلك من الحشو أو الذي اقتبسه البعض من كتب اليهود وذكره في كتب التفاسير، ومثال ذلك ما رواه الطبرى عن ابن عباس -رضي الله عنهما - في شأن البقرة: «وذلك أن شيخًا من بنى إسرائيل على عهد موسى - عليه السلام - كان مُكثرًا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشيخ لا ولد له، وكان بنو أخيه ورثته، فقالوا: ليت عمنا قد مات فورثنا ماله!! وإنه لما تطاول عليهم أن لا يموت عمهم، أتاهم الشيطان فقال: هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم، فترثوا ماله، وتغرما أهل المدينة التي لستم بها ديته؟ وذلك أنهما كانتا مدينتين، كانوا في إحداهما، فكان القتيل إذا قُتِلَ

وطُرِح بين المدينتين، قيس ما بين القتيل وما بين المدينتين، فأيهما كانت أقرب إليه غرمت الدية، وأنهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك، وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم. عمدوا إليه فقتلوه، ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها. فلما أصبح أهل المدينة، جاء بنو أخي الشيخ، فقالوا: عمنا قُتِلَ على باب مدينتكم، فوالله لتغرمن لنا دية عمنا. قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أُغلق حتى أصبحنا، وأنهم عمدوا إلى موسى - عليه السلام -، فلما أتوا قال بنو أخي الشيخ: عمنا وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم، وقال أهل المدينة: نُقسم بالله ما قتلناه، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا، فجاء المَلَك إلى موسى - عليه السلام - يقول لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها[1]» وقد رُويت تلك الرواية بألفاظ مُغايرة في العديد من كتب التفاسير، وسوف نأتي بمزيد من التفاصيل عند حديثنا في مبحث الإسرائيليات في كتب التفاسير، وأما قصة البقرة فقد جاءت في التوراة على النحو التالى: «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً،: كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير. [2] فتعطونها لألعازار الكاهن فتُخرج إلى خارج المحِلّة وتُذبح قُدّامه.. وتُحرق البقرة أمام عينيه.. » (سفر العدد: الإصحاح ١٩/١ -٥) وتُسمى هذه البقرة عندهم وعند النصارى «ذبيحة خطّية»، ويُعدّ الكاهن الرماد من حرق البقرة ويستخدم الرماد في إعداد مياه التقديس أو الماء الذي يُطهر من النجاسة فينقل الإنسان ويُرش به ليطهر من خطيته حتى ولو كانت القتل تقول التوراة: «وكل من مسّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتًا أو عظم إنسان أو قبرًا يكون نجسًا سبعة أيام، فيأخذون للنجس من غُبار حريق

(١) راجع تفسير الطبرى (٢/ ٢٢٦)وتفسير ابن كثير(١٠٩/ ١) في تفسير الآية / ٧٢.

(٢) النِّير: الخشبة المعترضة فوق عنق الثّوْر أو على الثورين المقرونين لجر المحراث أوغيره يقصد أنها لم تتعب من العمل مثل جر المحراث أو غيره .

ذبيحة الخطيّة ويجعل عليه ماءً حيًا في إناء.. وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتُباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجس مُقدس الرب، ماء النجاسة لم يُرش عليه، إنه نجس» (سفر العدد: الإصحاح ١٩/ ١٦-٢١).

ولم يُذكر البقرة في أسفار موسى «التوراة» إلا في هذا الموضع فقط من سِفر «العدد».. وهذه القصة التي ذُكرت عن بقرة بني إسرائيل ذكرها القرآن الكريم وقد روى ابن جرير الطبري رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدّد الله عليهم.» [(١)]، أما الخوض في تفاصيل قصة القتيل فلم يتطرق إليها القرآن الكريم ولم تتناولها السنة النبوية الصحيحة ولذلك فعلينا كمسلمين عدم ذكر مثل تلك الروايات الإسرائيلية حتى ولو سكت شرعنا الحنيف عنها وتنقية كتب التراث من تلك القصص والحكايات لأن إثمها - في غالب الأحيان - أكبر من نفعها ولسنا في حاجة إليها.. فهذه هي أنواع الإسرائيليات التي ذُكرت في مصادرنا الإسلامية وسوف نذكر في المبحث القادم بعض الروايات الإسرائيلية التي وردت في كتب التفاسير.

(١) رواه الطبرى (٢٠٤/٢)، ابن كثير (٢٩٨/١)، وقال: إسناده صحيح.

المبحث الثاني

أيادي يهود الخفية في كتب التفاسير الإسلامية

إن كتب التفاسير تزخر بالعديد من الروايات الإسرائيلية على اختلاف مشاربها وتنوع مناهجها، ونحن في هذا المبحث لسنا بصدد تتبع كتب التفاسير واستخراج هذه الروايات منها ونقضها وتفنيدها، فهذا له مجال آخر وإن كان قد تناول هذا الموضوع بعض علماء المسلمين بالشرح والتحليل إلا أنه يحتاج إلى مزيد جهد لاستخلاص تلك الروايات الإسرائيلية من كتب التفاسير الإسلامية، وأنه يجب على علماء المسلمين غربلة وتنقية تلك الكتب التي نقلت بغزارة عن الكتب اليهودية دون تمحيص أو تدقيق، وقد ذكر العديد من المفسرين في مقدمة كتبهم أن منهجهم عدم الخوض في ذِكر الإسرائيليات إلا أننا نجد أن معظمهم قد وقع في المحظور، «نرى غالب هؤلاء الذين وعدوا بنبذ الإسرائيليات وعدم إقحامها في تفاسيرهم يتورطون في ذكرها، لا ليُحذّروا منها، ولا ليُنبهوا على كذبها، وإنما يذكرونها - وكأنها وقائع صادقة وحقائق مُسلّمة - بلا نقد لها، وبغير أسانيدها التي يُيسّر لمن ينظر فيها معرفة صدقها من كذبها..» (١)

إلا أننا في هذه الفقرة سوف نتناول بعض الروايات الإسرائيلية في كتب التفاسير وبيان أثر الأيادى اليهودية الخفية حيال تلك الروايات والقصص التي غزت مصادرنا الإسلامية، ومع أن علماء الجرح والتعديل قد تناولوا العديد من هؤلاء الذين قاموا بوضع تلك الروايات الإسرائيلية في كتب التفاسير إلا أن تلك الروايات لازالت موجودة في كثير من تلك الكتب الإسلامية حتى الآن.

وقبل سرد بعض نماذج من الروايات الإسرائيلية في كتب التفاسير نذكر أشهر من قاموا بوضع تلك الروايات على لسان الصحابة - رضي الله عنهم - في تفاسيرنا الإسلامية وعلى رأس هؤلاء يهودى النزعة:

١- محمد بن السائب الكلبي:: وهو من أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذي

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص٩٦ للدكتور محمد حسين الذهبي.

تحدثنا عنه - آنفًا - قال عنه الحافظ الذهبي: «كان الكلبي سبئيًا من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما مُلئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها..» (١).

وقال سفيان الثورى: قال الكلبي: قال لى أبوصالح: انظر كل شيء رويت عنى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فلا ترووه.» (٢) وأبوصالح مولى أم هانئ - رضي الله عنها - ليس به بأس، فإذا روى عنه الكلبي فليس بشىء، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس، لأن الكلبي يُحدِّث به مرة من رأيه، ومرة عن أبي صالح، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.» (٣)، ولذلك قال السيوطى: «الكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شىء حدثتكم عن أبى صالح كذب..» (٤).

فهذا الكلبي السبئي الذي تعمد الكذب في روايته عن الصحابي حَبْر الأمة الإسلامية عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - الذي كان من أشدّ الناس نكيرًا عن الحديث عن كتب اليهود أو النقل عنهم أو سؤالهم، فقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أُنزل على نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يُشَب، وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيَّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أُنزل عليكم» (٥).

فكيف يُعقل لمن يقول هذا الكلام أن ينقل عن اليهود أو يسألهم عن شىء يتعلق بديننا الحنيف؟ ألا لعنة الله على الكاذبين الذين يكذبون على الله - عز وجل - وعلى رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلى الصحابة الكرام -

(١) ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي عن ابن حبان (٣/ ٥٥٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٥٥٦)

(٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (١/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٤) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى (١٠/ ٤٠٧- الطبعة الإلكترونية).

(٥) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة / ٢٦٨٥.

رضي الله عنهم - أمثال العالم الجليل والصحابي - حبر الأمة - عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -.

... ومن الرواة الذين على شاكلة «الكلبي» تلميذه:

٢- محمد بن مروان السُّدى: فهذا كذاب تتلمذ على السبئى: الكلبي وقالوا عنه: متروك الحديث، وكذاب، وليس بثقة، وضعيف، ومتروك الحديث، ولا يُكتب حديثه البتة، وقال البخاري: سكتوا عنه، وقال الإمام أحمد بن حنبل: أدركته وقد كبر فتركته، وقال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه وقال الطبري: لا يُحتج بحديثه، وكان يضع الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة - رضي الله عنهم -.

وقد قال السيوطى إن أوهي وأضعف الطرق عن الصحابي ابن عباس - رضي الله عنهما - في التفسير: «طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مران السُّدى الصغير فهي سلسلة الكذب..» (١).

وأما ثالث الرواة الذين أكثروا من رواية الإسرائيليات في كتب التفاسير:

٣- مقاتل بن سليمان البَلْخى: قال الحافظ الذهبي: «قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، (٢)» وقال عمرو بن على الفلاس: «مقاتل بن سليمان: كذاب متروك الحديث، وقال البخاري: سكتوا عنه، وقال في موضع آخر: لا شىء البتة، وقال ذكريا بن يحيى الساجى: مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا: كان كذابًا متروك الحديث، وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستى: مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم، وكان مُشبِّهًا، يُشبِّه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث.. » (٣).

وقد نقل عن مقاتل بن سليمان العديد ممن تأثروا بالخرافات والحكايات والأساطير التي ذكرها عن أهل الكتاب، والخلاصة أن هذا الرجل متهم ومجروح

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطى (١/ ٤٥٤)، وراجع: الكامل في الضعفاء لابن عدى (٦/ ٢٦٣)، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٩/ ٣٨٧).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٠١) [مؤسسة الرسالة - بيروت].

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ٢٥٧).

في علم الرجال، وعلم هذا الرجل شره أكثرمن خيره لأنه يحوى من الإسرائيليات والخرافات، وضلالات المشبهة والمجسمة وهو قول اليهود في صفات الله - عز وجل - وأما ما نُسب إلى الإمام الشافعى أنه قال: الناس عيال في التفسير على مقاتل فقد قال الدكتور الذهبي - رحمه الله - في ذلك: «فلست ألمح في قوله هذا استحسانًا لتفسيره ولا ثناء عليه، ولا أعقل من هذه العبارة «وقد بلوت تفسير مقاتل» إلا أن الشافعي - رحمه الله - أراد أنه كان مرجعًا للمفسرين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم.. ولكن وجدنا من اتهمه في علمه، وعاب تفسيره، ومن رماه بالكذب والوضع في حديثه، ومن قال عنه: إنه دجال، جسور، فاسد العقيدة، والحق أن علم مقاتل بن سليمان ضره أكبر من نفعه، وما وجدنا أحدًا من العلماء أثنى على تفسير مقاتل.. »(١).

فهذه أمثلة ونماذج عن الرواة الذين تأثروا باليهوديات والإسرائيليات فنقلوا الكثير من روايات تلك الإسرائيليات إلى كتب التفسير ومن تلك الروايات التي تأثر بها علماء التفسير ونقلوها في كتبهم دون تمحيص وتدقيق:

قصة الذبيح وأنه نبي الله إسحاق - عليه السلام -

وهذا خطأ فادح وقع فيه بعض العلماء - سامحهم الله - نقلوه عمن نقلوه من التوراة، وأما الأحاديث التي ذكرت أن «الذبيح إسحاق» فهي أحاديث كلها ضعيفة وموضوعة ولا تصح وباطلة، لأن الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم البكر - عليهما السلام - كما سيأتى - من التوراة نفسها ولكن ننقل بعض الروايات من كتب التفسير التي ذكرت أن الذبيح هو إسحاق - عليه السلام - ثم نقوم بنسف تلك الفرية ونذرها قاعًا صفصفًا بإذن الله تعالى، فقد روى الطبري عن السدّى «الكذاب»، قال: قال جبرائيل لسارة: أبشرى بولد اسمه إسحق، ومن وراء إسحق يعقوب، قالت سارة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عودًا يابسًا، فلواه بين أصابعه، فهتز أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذبيح، فلما كبر إسحاق أُتي إبراهيم في النوم، فقيل له: أوف بنذرك الذي نذرت، إن الله رزقك غلامًا من سارة أن تذبحه، فقال لإسحاق: انطلق نُقرِّب قربانًا إلى الله، وأخذ سكينا وحبلاً

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص٢٩ (مصدر سابق).

ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات : ١٠٢)، فقال له إسحاق: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أَضطرب، واكفف عني ثيابى حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فتراه سارة فتحزن، وأسرع مرّ السكين على حلقي؛ ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيت سارة فاقرأ عليها مني السلام، فأقبل عليه إبراهيم - عليه السلام - يُقبِّله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق، ثم إنه جرّ السكين على حلقه، فلم تَحِكِ السكين، وضرب الله صفيحة من النحاس على حلق إسحاق...» [1] إلى آخر ما نقله الطبري - سامحه الله - عن السُّدى الكاذب، وللأسف فقد نقل هذه القصة المتهالكة كثير من المفسرين [2]، ثم تبع طائفة من علماء المسلمين - للأسف الشديد - قول إن الذبيح هو إسحق ولكن قبل تفنيد تلك الرواية نذكر ما قالته التوراة عن هذا الموضوع، وقد ذكرنا في كتابنا السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادى أبناء إسماعيل - عليه السلام -: «أن المصادر اليهودية نظرت إلى سيدنا إسماعيل - عليه السلام - ابن خليل الله إبراهيم - عليه السلام - نظرة دونية ونظرة استعلاء وازدراء، وهي عادة اليهود مع أنبياء الله - عليهم السلام -، وكان إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم - عليهما السلام - من هاجرالمصرية جارية زوجته سارة - رضي الله عنهما -، وكان إسماعيل - عليه السلام - أول من ذُكر في التوراة من أبناء إبراهيم - عليه السلام - ففي سِفر التكوين: «فولدت هاجر لإبرام ابنًا ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر: إسماعيل، كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام» (التكوين: الإصحاح/١٦ - ١٦).

ومع أن التوراة قد اعترفت أن سيدنا إسماعيل - عليه السلام - هو أكبر أبناء

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٧٤، ٧٥ ، الطبعة الألكترونية).

(٢) راجع على سبيل المثال: تفسير البغوى (٧/ ٤٧، ٤٨)، والدر المنثور للسيوطى (٥/ من ٢٧٩ : ٢٨٤)، والخازن (٥/ ٢٦٨).

سيدنا إبراهيم - عليه السلام - ومع ذلك تعترف التوراة أيضا أن الله - عز وجل قد بارك إسماعيل - عليه السلام - وذريته، كما بارك إسحق وذريته، فتقول التوراة: وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأُثمّره وأكثّره كثيرًا جدًا ..» (التكوين - الإصحاح : ١٧ - ١٨ -٢٠).

وكان إسماعيل - عليه السلام - بنص التوراة هو الابن البكر والوحيد لإبراهيم - عليه السلام - قبل إسحق، وسيدنا إبراهيم - عليه السلام - كان يبلغ من العمر ست وثمانين عامًا وعندما بشّر الله - عز وجل - الخليل إبراهيم بولادة سارة كان إبراهيم - عليه السلام - يبلغ من العمر مائة سنة - حسب النص التوراتي - « .. وقال في قلبه: هل يُولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة» (التكوين : ١٧ -١٧).

ثم تعترف التوراة فتقول: « .. فقال خذ ابنك الوحيد ..» وفي موضع آخر تقول: «... إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تُمسك ابنك الوحيد ..» (النصّان من سِفر التكوين: الإصحاح: ٢٢ - ٢/ ١٦)..

ولكن إمعانًا في التحريف والتأويل من كتبة التوراة رفعوا اسم إسماعيل - عليه السلام - أثناء حادثة الذبح ووضعوا اسم «إسحق» - عليه السلام - التي نقلها السُّدى «الكذاب»، من التوراة ثم تناقلتها كتب التفاسير دون تمحيص أو تدقيق وتقول الرواية التوراتية: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن فقال له يا إبراهيم، فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المُريّا [١]صعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك.. إلى أن تقول التوراة: « .. فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله: بَنى هناك إبراهيم المذبح

(١) وقد تناقضوا في تفسير (أرض المُريا»: فقالوا: : «إنه المكان الذي بُنى فيه الهيكل حيث كانت تُقدَّم الذبائح، ويرى البعض أنه الموقع الذي صُلب فيه المسيح - عليه السلام -، المهم أن المكانين متجاوران [نقلاًعن تفسير الكتاب المقدس، لأنطونيوس فكرى، عن شبكة الكنيسة] وهذا هو التحريف والتأويل الفاسد، لأن الهيكل لم يُبن إلا في عهد سليمان - عليه السلام -.

ورتّب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مدّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء وقال: إبراهيم.. إبراهيم. فقال: هأنذا، فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تُمسك ابنك وحيدك عني..» (سفر التكوين: الإصحاح الثاني والعشرون - ١ : ١٤)، فهذه القصة التي ذكرتها التوراة هي التي نقلها السُّدي «الكذاب» ليؤكد على أن الذبيح هو إسحق - عليه السلام - وفي نسخة التوراة السامرية المُعرّبة: «فقال: خذ ابنك (خصيصك) الذي أحببت إسحق وسر ذاهبًا إلى (الأرض المرشدة) وأصعده هناك صعيدة..» (التوراة السامرية: الإصحاح الثاني والعشرون - ٢/١) [(١)]، وهكذا نجد التناقض الواضح بين التوراتين:

التوراة العبرانية والتوراة السامرية، هذا زيادة تأكيد وبرهان واضح ودليل دامغ على التحريف المتعمد من كتبة اليهود عليهم من الله - سبحانه وتعالى - ما يستحقون.

ففي التوراة العبرانية «خذ ابنك وحيدك»، وفي التوراة السامرية «خذ ابنك خصيصك»، وفي التوراة العبرانية «واذهب إلى أرض المُريا» وفي التوراة السامرية «وسر ذاهبًا إلى الأرض المرشدة»، هكذا نجد التحريف في قضية الذبيح من خلال نصين مختلفين في مسألة واحدة من كتاب واحد يعتبرونه «مقدسًا».. فهذه هي قصة الذبيح كما سطّرتها التوراة المتناقضة!!

هذا وقد استدل الحافظ ابن كثير وغيره من علماء المسلمين على أن الذبيح هو إسماعيل - عليه السلام - لأنه أول ولده وبكره، فقال عليه رحمة الله: «وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه السلام - فإنه أول وُلد بُشّر به إبراهيم - عليه السلام - وهو أكبر من إسحاق - عليه السلام - باتفاق المسلمين وأهل الكتاب،

---

(١) التوراة السامرية: النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية مع مقدمة تحليلية ودراسة مقارنة بين التوراة السامرية والعبرانية، ترجمة الكاهن السامرى: أبو الحسن إسحق السورى نشرها وعرّف بها الدكتور أحمد حجازى السقا [الناشر: دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الأولى بمصر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م لصاحبها ومديرها: أسعد سيد أحمد].

بل في نص كتابهم - كما ذكرنا آنفًا - أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم - عليه السلام - ست وثمانون سنة، وُولد إسحق وعُمر إبراهيم - عليه السلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله - تعالى - أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة بكْره، فأقحموا ها هنا كذبا وبهتانا «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا «وحيدك».. وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو «إسحاق»، وحُكى ذلك عن طائفة من السلف، حتى نُقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتاب ولا سُنّة، وما أظن ذلك تُلقيَ إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأُخِذَ ذلك مُسلَّمًا من غير حُجة، وهذا كتاب الله «أي: القرآن الكريم» شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل - عليه السلام - فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وما أحسن ما استدل به ابن كعب القُرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله تعالى من قوله تعالي: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١)، قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحق وهو صغير قبل أن يُولد له؟ هذا لا يكون، لأنه يُناقض البشارة المتقدمة.. والله أعلم»، ثم نقل اعتراض السهيلي على استدلال كعب القُرظى الذي رجّح أنه إسحق، ثم نقل بعض كلام أهل العلم على أنه إسحق أيضًا، ثم قال: ولكن الصحيح عنه «أي: عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -» وعن أكثر هؤلاء أنه «أي: الذبيح» هو إسماعيل - عليه السلام -.

فعن ابن عباس أنه قال: المَفْديُّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود، وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه: هو إسماعيل. وقال ابن أبى حاتم: سألت أبي عن الذبيح فقال: الصحيح أنه إسماعيل - عليه السلام -[1].

---

(١) راجع: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦، ٢٧)، وقصص الأنبياء أيضًا (١/ ١٩٦).

وهذا هو الحق بإذن الله، تعالى، ومعذرة لهذه الاستطرادة التي ذكرناها عن قصة الذبيح لأن الأمر جد خطير، لأن هذه القصة التي ذكرناها هي أحد آثار النقل عن الروايات الإسرائيلية التي أثّرت تأثيرًا بالغًا في بعض أهل العلم من المسلمين، ولكن الحمد لله الذي قيّض لهذا الدين الحنيف علماء ربانيين يدافعون عنه، «وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين..» [1]، ولننتقل إلى رواية أخرى من الروايات الإسرائيلية التي تناقلتها كتب التفسير وخاصة ممن أكثرت من ذكر الروايات الإسرائيلية، ومن تلك الروايات،رواية ذكرها السيوطي في كتابه «الدر المنثور» عن الكلبي «السبئي» ومن عجبٍ أن هذا «الكلبي» من رواة السلسلة التي أسماها السيوطي بـ «سلسلة الكذب» - كما ذكرنا آنفًا - والأعجب أنه لم يتناول مثل تلك الروايات - التي أكثر من ذكرها - في كتابه بالنقد الذي يكشف عن حقيقتها وقيمتها العلمية، فقد قال السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة :٢٤٨)،: «وأخرج إسحق بن بشر - في المبتدأ - وابن عساكر من طريق الكلبي (السبئي) عن أبي صالح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: البقية: رضاض [2] الألواح، وعصا موسى، وعمامة هارون، وقباء هارون الذي كان فيه علامات الأسباط، وكان فيه طست من ذهب فيه صاع منّ الجنة،وكان يفطر عليه يعقوب، أما (السكينة» فكانت مثل رأسً « هرّة منْ زبرجدة خضراء» [3]، ثم روى روايات أخرى على نفس الشاكلة وكلها مأخوذة من كتب اليهود وخاصة التوراة التي ذكرت قصة التابوت في سِفر الخروج (الإصحاح: ٢٥، والإصحاح: ٣٧)، واستمرت قصة تابوت العهد تُذكر في العهد القديم بعد أسفار موسى - عليه السلام - حتى استولى عليه الفلسطينيون (سفر صموئيل الأول: ٦) ثم استرده اليهود وكان يتقدم تابوت العهد أمام اليهود عند قتالهم بقيادة «طالوت» الذي هو «شاؤل» في التوراة للفلسطينيين بقيادة «جالوت» الذي هو «جُليات» -

---

(١) عن حديث للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رواه البيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٩) وصححه الألباني.

(٢) الرضاضة: القطعة من الحجر . والمقصود: الأحجار التي كُتبت عليها التوراة.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ١٣٩).

حسب النص التوراتي -، ثم استمر ذكر التابوت حتى عصر نبي الله سليمان - عليه السلام - ولنقتطع بعض فقرات من التوراة التي ذكرت قصة التابوت لنؤكد على أن الرواية التي ذكرها السيوطي مستمدة من التوراة نفسها، فيقول سِفر الخروج: «فيصنعون تابوتًا من خشب السَّنط.. وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك» (الإصحاح ٢٥: ١، ١٦) وفي سِفر صموئيل الأول: «فأنزل اللاويون تابوت الرب والصندوق الذي معه الذي فيه أمتعة الذهب» (الإصحاح ٦ : ١٥)، وفي سفر الملوك الأول: «لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر» (الإصحاح ٨ : ٩).

هذه هي قصة التابوت التي ذكرتها بعض كتب التفسير الإسلامية من التوراة اليهودية دون أن يتناولها أصحاب كتب التفسير بنقد أو تعقيب إلا النزر اليسير من رجال وعلماء الإسلام ممن خاضوا في مضمار التفسير وعلى رأسهم الحافظ ابن كثير الذي قام بنقد الروايات الإسرائيلية في كثير من مواضع كتابه القيم «تفسير القرآن العظيم» حتى أن الشيخ محمد أبو شهبة أطلق عليه لقب «فارس الحلبة» فقال - رحمه الله -: «ولكن فارس هذه الحلبة (أي: نقد الإسرائيليات) هو:الإمام ابن كثير، فقد نقد المرويات نقدًا علميًا أصيلاً، على مناهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة وبيَّن أصل هذه المرويات، وأن مرجعها إلى الإسرائيليات.. »(١).

أما عن السيوطي - عفا الله عنه - فقال عنه الشيخ محمد أبوشهبة بعد أن ذكر بعض الروايات الإسرائيلية التي أكثر من ذكرها السيوطي في كتابه الموسوم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور): «ومما لا يقضي منه العجب أن السيوطي ذكر هذا الهُراء من غير سند، ولم يعقب عليه بكلمة استنكار، ومثل هذا: لا يشك طالب علم في بطلانه، فضلاً عن عالم كبير..» (٢).

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٢١١، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة [الناشر: مكتبة السُنّة - الطبعة الرابعة / ١٤٠٨هـ].

(٢) المرجع السابق ص١٦٧.

ولا شك أن هذا النوع من كتب التفسير التي أكثرت من ذكر الإسرائيليات تدخل في النوع الذي قال عنه الشيخ الدكتور الذهبي - رحمه الله -: «ومنها (أي: من كتب التفسير) كتب تذكر من الإسرائيليات كل شاردة وواردة، ولا تُسند شيئًا من ذلك مُطلقًا، ولا تُعقّب عليه بنقده وبيان ما فيه من حق وباطل، كأنما كل ما يُذكر فيها من ذلك مُسلَّم لدى أصحابها رغم ما في بعضها من سخف ظاهر، يصل أحيانًا إلى درجة الهذيان، وأحيانًا أخرى يصل إلى خطل الرأي وفساد العقيدة.» [1].

ومن ذلك ما ذكره السيوطى أيضا في تفسيره في سورة الكهف عن الخضر نقلاً عن مقاتل بن سليمان «الكذاب» فقال: «ومن طريق مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: الخضر ابن آدم لصلبه ونُسئ له في أجله حتى يُكذِّب الدجال. [2]، ومن عجب أن هذه الرواية الموضوعة والمكذوبة على حبر الأمة عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -، كم هي الروايات التي وُضعت على لسان هذا الصحابي الجليل وهو منها براء، تُخالف منطوق القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء : ٣٤)، والأعجب من ذلك أيضا أن السيوطي قال في نفس تفسيره عن مقاتل بن سليمان أنه كذاب فقال: «ومنها تفسير مقاتل بن سليمان وقد نسبوه إلى الكذب، وقال الشافعي - رضي الله عنه -: مقاتل قاتله الله تعالى، وإنما قال الشافعى - رضي الله عنه - فيه ذلك لأنه اشتُهر عنه القول بالتجسيم» [3].

ومن الإسرائيليات التي نقلها مقاتل بن سليمان من التوراة قصة نبي الله داود - عليه السلام - وقد تناقل العديد من المفسرين للأسف - هذه القصة الواهية فقد ذكرها أيضًا ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي، وهاكم القصة

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٢١١، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة [الناشر: مكتبة السُنّة - الطبعة الرابعة / ١٤٠٨هـ].

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٣٨٧)، ونُسئ له أي: مُدّ له في أجله.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٠/ ٤٠٨).

كما ذكرها هؤلاء عن التوراة - كما سنبين - ومحصلها: «أن طيرًا وقع في المحراب الذي يُصلى فيه داود - عليه السلام، فصار إلى الكوة، فقام ليأخذه، فوقع الطير في بستان، فأشرف داود فرأي امرأة تغتسل فتعجب من حسنها، وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها، فزاده بها عُجبًا ودخلت المرأة منزلها، وبعث داود غلامًا في إثرها، وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغُزاة أن اجعله في حملة التابوت، إما أن يفتح عليهم وإما أن يُقتلوا، فقدّمه في حملة التابوت فقُتل، فلما انقضت عدَّتها خطبها داود - عليه السلام - فاشترطت عليه إن ولدت غلامًا أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمسًا من بني إسرائيل[1]..

وهذه القصة الموضوعة والمكذوبة رُويت بألفاظ متقاربة في كتب التفسير وهي منقولة بالنص من التوراة إلا أن كتبة اليهود عليهم من الله اللعائن المتتابعة إلى يوم الدين ذكروا أن داود - عليه السلام - وحاشاه - أنه زنى بالمرأة، وتلكم القصة من سفر (صموئيل الثاني): «.. وأما داودفأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشي على سطح بيت الملك فرأي من على السطح امرأة تستحم، وكانت امرأة جميلة المنظر جدًا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدٌ أليست هذه بتشع بنت أليعام امرأة أوريا الحِثى، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مُطَهَّرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حُبلى، فأرسل داود إلى يوآب (رئيس الجند).. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا.. فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عينى الرب..» (انتهي بتصرف من سفر صموئيل الإصحاح الحادى عشر من فقرة ٢ : ٢٧)، قاتل الله كتبة التوراة من اليهود الذين لعنهم داود على

(١) راجع تفسير الطبري (١٢/ ١٨١، ١٨٢)، وتفسير البغوى (٧/ ٨١، ٨٢)، وتفسير ابن أبى حاتم (١٢/ ١٣٢، ١٣٣)، والدر المنثور للسيوطى (٨/ ٣٨٤)، وتفسير مقاتل (٣/ ١٥٤).

لسانه كما أخبرنا كتابنا الكريم الذي قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة : ٧٨)، فقد اعتدوا على أنبيائهم - عليهم السلام - وافتروا وكذبوا عليهم بل وألصقوا بهم كل نقيصة فمنهم من وصفوه بالخائن وآخر بزانى وثالث لعابد للأوثان [١] وأخيرًا حاولوا قتل المسيح ابن مريم - عليه السلام - فأنقذه الله - تعالى منهم - ورفعه إليه، بل وحاولوا قتل نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بالشاة المسمومة [٢]، ومع أن قصة داود التي تناقلتها كتب التفسير قد رفعها البعض إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد ردّ عليهم «فارس الحلبة» الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقال: «وقد ذكر المفسرون ههنا قصة «أي: تفسير قوله تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص : ٢٥)، أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم - صلى الله عليه وآله وسلم - حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - ويزيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عن الأئمة، فالأولى أن يُقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُردَّ علمها إلى الله - عز وجل - فإن القرآن حق وما تضمَّن فهو حق أيضا..» [٣] وهكذا يُعتبر تفسير الحافظ ابن كثير من أفضل كتب التفاسير التي تُنبه على منكرات الإسرائيليات والتحذير منها، وهذا الذي نقلناه من روايات اليهود في كتب التفسير غيض من فيض ولكن أردنا في هذه العُجالة أن نُبين مدى خطر تلك الروايات التي خطتها الأيادى اليهودية الخفية والتي لا زالت تزخر بها كتب التفسير التي تحتاج إلى تنقيتها وغربلتها من تلك الروايات والحكايات والقصص الغريبة والعجيبة التي تحتاج إلى تضافر جهود العلماء من المسلمين المتخصصين في هذا المجال حرصًا على تراثنا الإسلامى.

ثم لنختم هذا الفصل بمبحث أقوال علماء الإسلام في حكم رواية الإسرائيليات..

---

(١) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية ص٣٨ (مصدر سابق).

(٢) الحديث رواه أبوداود في كتاب الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سُمًّا/ ٤٥١٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٧ , ٦٠).

المبحث الثالث

حكم رواية الإسرائيليات وفتاوى علماء المسلمين في ذلك

قبل الخوض في مسألة حكم رواية الإسرائيليات وأقوال وفتاوى علماء الإسلام حول هذ الموضوع واختلافهم فيه وذلك استنادًا لنصوص شرعية وآثار عن الصحابة - رضي الله عنه - وردت في الرواية عن أهل الكتاب سواء بالمنع أو الجواز وقد وجدت أن أفضل من تكلم عن ذلك هو فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله تعالى - فذكر أدلة المانعين وأدلة المُبيحين لرواية الإسرائيليات، ثم عقد فقرة عن التوفيق بين أدلة المنع وأدلة الإباحة وسوف نذكر ذلك بشيء من التفصيل - فقال رحمه الله -:

أولاً: أدلة المنع:

١- ما جاء في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن اليهود والنصارى بدّلوا كتبهم، وحرّفوها ، وأخفوا الكثير منها، مما أذهب الثقة فيها وفيما يحدثون به منها، وبدهي أن ما لا يوثق به لا تجوز روايته ومن أمثلة تلك الآيات القرآنية التي ذكرت تحريف وتبديل أهل الكتاب قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام : ١٩).

- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة : ٤١).

- ويقول سبحانه عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة : ١٣).

- ثم خاطب الله - عز وجل - أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقال: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ »(المائدة : ١٥).

والآيات القرآنية الدالة على تحريف وتبديل أهل الكتاب لكتبهم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على أنبيائهم - عليهم السلام - كثيرة حول هذا الموضوع..

٢- ما رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا على بن المبارك، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكذّبوهم، وقولوا: (آمنا بالله وما أنزل إلينا).. الآية [(١)] ومعنى هذا عدم الثقة بما يُحدِّث به أهل الكتاب عن التوراة، وكذا عن غيرها من باب أولى، وما لا يوثق به لا تجوز روايته.

٣- ماأخرجه الإمام أحمد وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر بن عبدالله.. أن عمر بن الخطاب أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فغضب فقال: «أمتهوكون [(٢)] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى - صلى الله عليه وسلم - كان حيًا ما وسعه إلا ن يتبعنى»[(٣)].

٤- ما رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المتهوك: المتحير الشاك.

(٣) مسند الإمام أحمد ج٣ ص٣٨٧ - والحديث جاء من طرق متعددة في إسناد بعضها - عند عبدالرزاق - جابر الجعفي، وهو ضعيف، وفي إسناد آخر - عند أحمد - مجالد بن سعيد، وهو لين. وفي إسناد ثالث - عند الطبراني - مجهول، وفي إسناد رابع - عند الطبراني - أيضا - عبدالرحمن بن إسحاق الواسطى، هو ضعيف، قال ابن حجر - بعد ما ساق طرق الحديث - «وهذه جميع طرق الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضى أن لها أصلاً» - انظر بقية كلام ابن حجر في فتح الباري ج٣ ص٤٠٤.

يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبدالله ابن عتبة، عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هذا من عند الله ليشروا به ثمنا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم» (١).

٥- ما أخرجه عبدالرزاق في مسنده من طريق حريث بن ظهير قال: قال عبدالله - يعنى بن مسعود - «لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تُصدقوا بباطل»،وأخرجه سفيان الثورى من هذا الوجه بلفظ قريب من لفظ رواية عبدالرزاق، قال ابن حجر: وسنده حسن (٢).

(ثانيا) أدلة الجواز:

١- ما ورد في القرآن من الآيات الدالة على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما في أيديهم، فمن ذلك:

قوله تعالى مُخاطبًا نبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم -:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٣) (يونس : ٩٤).

---

(١) صحيح البخاري «كتاب الشهادات - باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، ج٣ ص١٨١ - ط:الخيرية.

(٢) انظر فتح الباري ج١٣ ص٢٥٩.

(٣) في الآية (٩٤) من سورة يونس - عليه السلام - ، والمراد «إن كنت في شك» على سبيل الفرض والتقدير، إذ الشك لا يتصور منه أصلا، ولذا قال عليه الصلاة والسام - كما جاء في مسند عبدالرزاق - «لا أشك ولا أسأل»، ومن هنا جاء التعبير بـ «إن» التي تستعمل - غالبا - فيما لا تحقق له، بل وتستعمل فيما يستحيل عادة وعقلاً، كما في قوله تعالي: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف : ٨١].

وقيل: الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والمراد به أمته، على حد قولهم «إياك أعني واسمعى يا جارة» والمعنى من كان في شك مما أنزلنا إليك فليسأل عن ذلك علماء أهل الكتب السابقة، ففيها ما يشهد بصدق المنزل عليك وحقيته.

فقد أباح الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم - أن يسأل أهل الكتاب، وكذلك أباح لأمته أن يسألوهم، لما هو مقرر شرعًا من أن أمر الله لنبيه - عليه الصلاة والسلام - أمر له ولأمته ما لم يقم دليل على الخصوصية - والأمر هنا للإباحة كما هو ظاهر.

وقوله تعالى - مخاطبًا نبيه أيضًا -: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران : ٩٣).

وقوله تعالي: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد : ٤٣)، والمراد بمن عنده علم الكتاب - على ما هو الراجح من أقوال المفسرين - عبدالله بن سلام، أو كل من كان عالمًا بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب، وفي ذلك إباحة الرجوع إليهم، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف :١٠).

٢- ما رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، أخبرنا الأوزاعى، حدثنا حسان بن عطية، عن أبى كبشة السلولى، عن عبدالله بن عمرو، أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (١).

٣- ما ثبت من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة، ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبدالله بن مسعود قال: «إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة، فدخل الكنيسة فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - أمسكوا - وفي ناحيتها رجل مريض - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ما لكم

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - ج٦ ص٣١٩ - ٣٢٠.

أمسكتم؟ فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمته، فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله» (١).

فقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- لهم: «ما لكم أمسكتم؟» ثم استماعه للرجل المريض وهو يقرأ التوراة في رضا وعدم إنكار عليه دليل على إباحة الأخذ عن كتب أهل الكتاب.

٤- ما ثبت من رجوع بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عن بعض ما جاء في كتبهم، كأبى هريرة، وابن عباس، وابن مسعود - رضي الله عنهم - وغيرهم.. وما ثبت من أن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - أصاب يوم اليرموك زاملتين من كُتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما (٢).

التوفيق بن أدلة المنع وأدلة الإباحة:

وللتوفيق بين ما سقناه من أدلة ظاهرها المنع من الرواية عن أهل الكتاب وأدلة أخرى ظاهرها الإباحة نقول:

١- الحق أن دين الإسلام دين معرفة واسعة، ومعارفه ليست مقصورة على ما يدور في فلك المسلمين وحدهم من تشريعات خاصة ووقائع تتصل بتاريخ حياتهم وجهادهم الطويل، وإنما تمتد معارفه إلى معارف أمم سالفة، وديانات سابقة، تأخذ منها الحق لتؤيد به حقها، وتلفظ منها الباطل الذي لا يتفق وهديها.

وإذا نحن نظرنا في القرآن الكريم، وجدنا من آياته البينات ما يدعو بني الإسلام وجماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ليسألوهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم، وجاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقيم عليهم الحجة ولعلهم يهتدون.

ومن هذه الآيات الدالة على إباحة رجوع النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن

---

(١) مسند الإمام أحمد ج١ ص٤١٦.

(٢) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص٢٦.

تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن بعض ما عندهم من الحقائق:

قوله تعالي: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (يونس : ٩٤).

وقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء : ٧)، يريد أهل الكتب السابقة.. اسألوهم: أبشرًا كان الرسل إليهم أم ملائكة؟.

وقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝٤٤ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف : ٤٥)، ومعناه: واسأل أممهم وعلماء دينهم، كقوله تعالى: «فاسألوا الذين يقرأون الكتاب من قبلك». قال الفراء - مبينًا وجه المجاز في الآية - هم إما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء - عليهم السلام -.

وقوله: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف - ١٦٣). والمعنى : واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم، لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم (١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسراء : ١٠١)، والخطاب في الآية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي: فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا، أو ليظهر صدقك (٢).

(١) قاله ابن كثير في تفسيره ج٢ ص٢٥٧.

(٢) قاله أبوالسعود في تفسيره ج٣ ص٢٣٥.

وقوله: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة : ٢١١)، والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك، وتقرير لمجيء البينات.

٢- قص علينا القرآن الكريم كثيرا من أخبار بني إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة، ومن ذلك:

قصة قتيل بني إسرائيل الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ٦٧ - ٧٢).

وقصة أمرموسى لقومه أن يدخلوا الأرض المقدسة، وما كان من هلعهم وجبنهم، ثم دخولهم أرض التيه، في قوله تعالى: «وإذ قال مسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدً من العالمين» .. إلى قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة : ٢٠ - ٢٦).

وقصة ابني آدم - هابيل وقابيل - الواردة في قوله تعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق» .. إلى قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة : ٢٧ - ٣١).

وقصة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة : ١١٢ - ١١٥).

وقصة أصحاب الأخدود في سورة البروج:

كذلك قص علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرًا من أخبار بني إسرائيل فمن ذلك:

حديث الأبرص، والأعمى، والأقرع عند البخاري عن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأعمى، وأقرع، بدا لله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا»... إلى آخر الحديث [1].

ومن ذلك أيضا: حديث الغار عند البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما -

---

(١) صحيح البخاري (نسخة على هامش فتح (الباري) -كتاب الأنبياء- باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل (٦/ ٣٢٥- ٣٢٨).

أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - قـال: «بينـمـاثـلاثة نفـر ممن كـان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فآووا إلى غار فانطبق عليهم» إلى آخر الحديث (١).

ومن ذلك أيضًا قصة جريج العابد عند البخخارى عن أبى هـريرة عـن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسـرائيل رجل يقـال له جـريج، كان يصلى، جاءته أمه فدعـتـه، فقـال: أجيبها أو أصلي - فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه الموسات..» إلى آخر الحديث (٢).

٣ - كل ما تقدم من أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسام بسؤال أهل الكتاب يدل على جواز الرجوع إليهم، ولكن لا في كل شيء، بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التي تصدق القرآن وتلزم المعاندين منهم ومن غيرهم الحجة، فإن هم أبرزوا ما عندهم على نحو ما جاء عن الله تعالى قامت الحجة، وإن هم حاولوا إخفاءه وكتمانه نبَّه الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - إلي صنيعهم فحال بينهم وبين ما يقصدون، كما كان من شأنه عليه الصلاة والسام معهم حينما أرادوا أن يخفوا عنه ما في التوراة من رجم الزانى المحصن - كما ذكرنا آنفًا -.

وكل ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف من قصص عن أهل الكتاب وعن غيرهم من الغابرين لم يكن إلا حقًا وصدقًا، ووحيًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم هو بعد ذلك لم يذكر لمجرد اللهو والعبث كما يفعل القصاص العابثون، وإنما ذكر عبرة وعظة لسامعيه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف : ١١١).

ومفاد هذا أنه يجوز أن نحدث عنهم بما نقطع بصدقه ومن أجل أن نأخذ منه العظة والعبرة.

---

(١) المرجع السابق ج٦ ص٣٢٥ - ٣٢٨ .

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٣٠٥-٣٠٧).

٤- ما في كتب أهل الكتاب بعد تحريفها وتبديلها، وما يحدث به علماؤهم - وهم يخطئون ويصيبون، ويكذبون ويصدقون - لا يمكن أن يخدع به النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما يمكن أن يخدع به غيره من جماعة المسلمين، فلهذا لا يجوز لمسلم أن يقبل ما يحدثون به على إطلاقه، ولا أن يرده على إطلاقه، بل يقبل منه ما جاء موافقًا لما في القرآن أو السنة الصحيحة لأن هذه الموافقة دليل على أنه مُسلَّم من التحريف والتبديل، ويرد منه ما جاء مخالفًا لما في القرآن والسنة، أو كان لا يتفق مع العقل، لأن هذه المخالفة دليل على أنه مما تطرق إليه التحريف والتبديل.

وعلى هذا فما جاء موافقًا لما في شرعنا تجوز روايته، وعليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب، وعليه أيضا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» إذ المعنى: حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

وأما ما جاء مخالفًا لما في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل، فلا تجوز روايته لأن إباحة الله الرجوع إلى أهل الكتاب، وإباحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للحديث عنهم، لا تتناول ما كان كذبًا، إذا لا يعقل أن يبيح الله ولا رسوله رواية المكذوب أبدًا.

وأما ما سكت عنه شرعنا ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، وعلى هذا يحمل قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، أما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم، لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة من قوله عليه الصلاة والسلام: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

٥- ثم إذا جاء شيء من هذا القسم الثالث - وهو ماسكت عنه شرعنا ولم يكن فيه ما يؤيده ولا ما يفنده - عن أحد الصحابة - رضي الله عنهم - غير من أسلم من أهل الكتاب وغير ما اشتهروا بالأخذ عنهم، وكان ذلك بطريق صحيح، فإن كان قد جزم به فو كالقسم الأول: يقبل ولا يرد، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب ثم يجزم بصدقه بعد ما علم من نهى رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - عن تصديقهم في مثل ذلك بقوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم».

وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله، لأن احتمال أن يكون الصحابى الذي لم يشتهر بالأخذ عن أهل الكتاب قد سمعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - أقوى من احتمال سماعه له من أهل الكتاب، ولا سيما بعد ما تقرر من أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً بالنسبة لغيرهم من التابعين ومن يليهم.

أما إن جاء شيء من هذا الذي سكت عنه شرعنا وكان محتملاً للصدق والكذب عن بعض التابعين، فحكمه أن يتوقف فيه، فلا يحكم عليه بصدق ولا بكذب، وذلك لقوة احتمال سماعه من أهل الكتاب، لما عرفوا به من كثرة الأخذ عنهم، وبُعد احتمال كونه مما سمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماءالتفسير على ذلك، أماإن اتفقوا عليه فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعًا من هل الكتاب، وحينئذ تسكن النفس إلى قبوله [1].

٦- ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس - رضي الله عنهما - كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عما في كتبهم، وما روى من أن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخارى عن ابن عباس من إنكاره على من يسألون أهل الكتاب بقوله: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - أحدث الأخبار بالله..» إلخ، ولا ما رواه عبدالرزاق في مسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - من نهيه عن سؤال أهل الكتاب بقوله: «لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم» إلخ، ولا ما رواه الإمام أحمد من إنكار الرسول - صلى الله عليه وسلم - على عمر - رضي الله عنه - لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب»؟.

(١) انظر مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص١٣، ١٤، ٢٦، ٢٧ وانظر التفسير والمفسرون ج١ ص١٧٩ للذهبي.

نعم لا تعارض بين هذا وذاك،لأن صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كانوا أعرف الناس بأمور دينهم، وأبو هريرة وابن عباس – رضي الله عنهم -وغيرهما ممن كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب كان لهم منهج سديد ، ومعيار دقيق في قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات، فما وافق شرعنا صدقوه، وما خالفه كذبوه، وما كان مسكوتًا عنه توقفوا فيه.

ثم إنهم ماكانوا يرجعون إليهم في كل شيء، وإنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار، ولم يعرف عنهم أنهم رجعوا إليهم في العقائد ولا في الأحكام، لثقتهم بأن ما عندهم يكفيهم عن سؤالهم، وإذا ثبت أنهم سألوا أهل الكتاب عن شيء من العقائد فما كان ذلك عن تهوك وارتياب منهم، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم، وإقناعهم بصدق ما عندنا بتصديق ما عندهم له، وما كان يخشى من سؤالهم خطر على عقائد الصحابة ولا على أفكارهم بعد ما استقرت أصول الشريعة ورست قواعدها.

أما إنكار الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإنكار الصحابة – رضي الله عنهم – على من كانوا يرجعون إلى هل الكتاب، فقد كان في مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم وأفكارهم، قال الحافظ ابن حجر: «وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار» (١).

أقول: وما دام المنع من الأخذ من أهل الكتاب – أول الأمر – كان علّته خوف الفتنة، والعلة – كما هو مقرر شرعًا – تدور مع المعلول وجودًا وعدمًا، فلا يجوز لمن يخشى عليه غائلة الإسرائيليات اليوم أن يأخذ عن مصادر كتابية أو يروى عنها، أما من كان له في العلم قدم راسخة، وبصيرة نيرة، يستشف بها الحق من الباطل، ويميز بها الخبيث من الطيب، فلا عليه أن يأخذ منها أو يروى عنها في حدود المنهج الشرعى الذي ذكرناه، كما كان يفعل من يرجع إلى أهل الكتاب من الصحابة – رضي الله عنهم –، وكما كان ينهج عبدالله بن عمرو بن العاص وهو

---

(١) فتح البارى ج٦ ص٣٢٠.

يحدث من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك - «وهذا هو الحق الذي ندين لله - عز وجل - به في موضوع الاطلاع على كتب اليهود والأخذ عنهم».

وخلاصة القول في حكم رواية الإسرائيليات:

أن ما جاء موافقًا في شرعنا صدَّقناه، وجازت روايته، وما جاء مخالفًا لما في شرعنا كذَّبناه وحَرُمت روايته إلا لبيان بطلانه، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب، وتجوز روايته، لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار، لا إلى العقائد والأحكام، وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو في كتبهم أو كما يحدثون به بصرف النظر عن كونه حقًا أو غير حق» (١).

وأخيرًا أختتم هذا الفصل بأقوال وفتاوى علماء الإسلام في مسألة حكم رواية الإسرائيليات وبذلك نُسدل الستار عن أيادي اليهود الخفية التي عبثت بتراثنا الإسلامي.

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الإسرائيليات:

وقد أجاز شيخ الإسلام ابن تيمية الرواية عن الإسرائيليات ما لم يُعلم أنه كذب، فقال في فتوى له وردت حول هذا الموضوع:

«يجوز أن يُروى منها (أي: من الإسرائيليات) ما لم يُعلم أنه كذب للترغيب والترهيب فيها عُلِمَ أن الله - تعالى - أمر به في شرعنا ونهى عنه في شرعنا، فأما أن يُثبت شرعًا لنا بمجرد الإسرائيليات التي لم تثبت فهذا لا يقوله عالم، ولا كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث (أي: الإسرائيليات في الشريعة).

وقال في موضع آخر» .. لكن الإسرائيليات إنما تُذكر على وجه المتابعة لا على على وجه الاعتماد عليها وحدها ..» وقال أيضًا: «ولا يجوز الاحتجاج في الدين بالإسرائيليات إلا ما ثبت نقله بكتاب الله أو سُنَّة رسوله».

---

(١) بتصرف من (الإسرائيليات في التفسير والحديث) للدكتور الذهبي (٤٢ -٥٣).

وقال في موضع آخر: «ومعلوم أن هذه الإسرائيليات ليس لها إسناد ولا يقوم بها حُجَّة في شيء من الدين إلا إذا كانت منقولة لنا نقلاً صحيحًا مثل ما ثبت عن نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه حدَّثنا به عن بني إسرائيل..»

وقال أيضًا:

«ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيءمن الإسرائيليات المخالفة لشرعنا.. ففي مراسيل أبي داود: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رأي مع بعض أصحابه شيئًا من كتب أهل الكتاب فقال: كفي بقوم ضلالة أن يتبعو كتبًا غير كتابهم أُنزل إلى نبي غير نبيهم، وأنزل الله تعالي: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت : ٥١)، فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى - عليهما السلام - فيما علمنا أنه أُنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا، وإنما علينا أن نتبع ما أُنزل علينا من ربنا ونتبع الشّرعة والمنهاج الذي بعث الله - عز وجل - به إلينا رسولنا..»».

وقال أيضا:

«.. ولكن الإسرائيليات إذا ذُكرت على طريق الاستشهاد بها لما عُرف صحته لم يكن بذكرها بأس؛ وإذ لم تُنقل عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يُعرف صدقها ولهذا لا يجوز تصديقها ولا تكذيبها إلا بدليل..» [(١)].

قول الحافظ ابن كثير - رحمه الله-:

قال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره بعد أن سرد بعض الأحاديث التي تبيح الرواية عن أهل الكتاب: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثانى: ما علمنا كذبه بماعندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١/ ٧٦، ٤٧٧)، (٢/ ٤٣٣)، (٣/ ٢٤، ٩٠، ٤٧٧).

به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، يأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف. ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله - عز وجل - لنبيه وخليله إبراهيم - عليه السلام -، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلّم الله - سبحانه وتعالى - منها نبيه موسى - عليه السلام - إلى غير ذلك مما أبهمه الله - تعالى - في القرآن الكريم، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم.. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز» (1).

وقال - رحمه الله - في مقدمة كتابه «البداية والنهاية»:

«ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو القسم الذي لا يُصدق ولا يُكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسميه لمُبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما صح نقله أو حَسُن وما كان فيه ضعف نُبيّنه.» (2).

فتوى الأزهر في موضوع الإسرائيليات:

ورد للجنة الفتوى بالأزهر هذا السؤال: ما هي الإسرائيليات التي وُضعت في الكتب الدينية، وهل يجوز الاستشهاد بها، وهل هناك كتب مليئة بها يجب تجنب الاطلاع عليها؟

- فأجاب عن هذا السؤال رئيس لجنة الفتوي في الأزهر فضيلة الشيخ عطية صقر - رحمه الله تعالى - وكان ذلك عام ١٩٩٧م فقال:

الإسرائيليات منسوبة إلى بني إسرائيل، وهم اليهود، وكانت لهم مكائدهم

(١) بتصرف من تفسير القرآن العظيم (١/ ٩).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٧).

وطرقهم في معارضة الإسلام، ولبس بعضهم مسوح المسلمين ومارسوا نشاطهم الكيدى كعبدالله بن سبأ، وانخدع بهم بعض المسلمين فساروا في هذا الطريق، ومنهم أبوعصمة نوح بن مريم الذي وضع أحاديث في فضل سور القرآن لا أصل لها بالمرة، وبرَّر عمله هذا بأنه رأي الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازى ابن إسحاق، فوضع الأحاديث حسبة لترغيب الناس في القرآن..

واقترح مجمع البحوث الإسلامية في يناير عام ١٩٦٨م تقديم بحوث تُسهم في إحياء ذكرى مرور أربعة عشر قرنًا على القرآن، فوضع المرحوم الشيخ محمد الذهبى كتابًا عن الإسرائيليات في التفسير والحديث، وذكر حكم روايتها وأشهر رواتها، وذكر أن لليهود ضلعًا كبيرًا فيها، لأنهم حرّفوا التوراة وحاولوا أن يُحرِّفوا القرآن في لفظه ومعناه، وأن العرب تأثروا بثقافة أهل الكتاب، ودخلت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث عندما بدئ تدوينه، فمُلئت الكتب بالغرائب والأكاذيب.

وقد حذرنا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -من الاعتماد على أكاذيبهم، وروى البخاري نهى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن سؤال أهل الكتاب فالقرآن فيه الكافية، ولا يجوز أخذ شيء عنهم إلا ما كان موافقًا للدين.. والوصية قوية بالحذر عن الرواية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ومحمد بن السائب الكلبى، ومقاتل بن سليمان، وغيرهم، وكذلك الكتب التي تنقل الإسرائيليات ولا تُبيِّن صدقها أو كذبها، كتفسير الثعلبى، وكتابه «العرائس»، وتفسير الخازن..» [(١)].

فتوى الشبكة الإسلامية الإلكترونية حول موضوع الإسرائيليات:-

ورد سؤال إلى الشبكة الإسلامية حول موضوع الإسرائيليات هذا نصه:

ما معنى أن هذه القصة من الإسرائيليات؟ وهل هناك حديث شريف من الإسرائيليات، وهل نأخذ بها أم لا؟

---

(١) عن فتاوى الأزهر: من أحكام الكتب السماوية، فصل: الإسرائيليات في الكتب الدينية والفتوى صدرت في شهر مايو من عام ١٩٩٧م.

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فلفظ الإسرائيليات نسبة إلى إسرائيل وهو نبي الله يعقوب - عليه السلام -، وقد أصبح لفظ الإسرائيليات علمًا على ما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أخذوا ذلك عنهم مشافهة أو من كتبهم، وقد أخذ المسلمون عنهم ذلك ونقلوا أخبارهم للعبرة والاتعاظ انطلاقًا من قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..» هذا يما لم نعلم كذبه أو مخالفته لما أخبر به الكتاب والسنة، وإلا فلا تجوز روايته والاعتبار به. قال صاحب «عون المعبود شرح سنن أبي داود» قال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلِمَ كذبه فلا..

وأما الأحاديث التي جاءت على لسان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فليست من الإسرائيليات، وما كان منها أخبارًا عن بني إسرائيل، فإنه من الأخبار التي جاء بها الإسلام، وما ثبت منها عن المعصوم - صلي الله عليه وآله وسلم - فهو حق لأنه - صلي الله عليه وآله وسلم - قد قال عنه ربه - سبحانه وتعالي -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم : ٣- ٤) (١).

فهذه فتاوى بعض علماء المسلمين حول موضوع الإسرائيليات ذكرناها وسردناها للاستفادة منها، وإتمامًا للفائدة نختتم هذا الفصل بكلام فضيلة الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - الذي قال: «إن إباحة التحدث عنهم (أي: عن أهل الكتاب فيما يسمى بالإسرائيليات) فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه، شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعيَّن، أو في تفصيل ما أُجمل فيها - شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يُوهم أن هذا الذي لا يُعرف صدقه ولا كذبه مُبيّن لمعنى قول الله - سبحانه - ومُفصّل لما أُجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من

---

(١) المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه ورقم الفتوى: ١٧٥٧٥، وتاريخ الفتوى: ٣٠ ربيع الأول ١٤٢٣هـ.

ذلك، وإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ أذن بالتحدث عنهم - أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأيُّ تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله - عز وجل - ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرًا..

ثم نقل كلام الحافظ ابن كثير في تفسير (الآية ٥٠ - من سورة الكهف) - بعد أن ذكر أقوالاً في «إبليس» واسمه ومن أيِّ قبيل هو؟ ثم قال ابن كثير: «وقد رُوى في هذا آثار كثيرة عن السلفٌ، وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل ليُنظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يُقطع بكذبه، لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غُنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفّاظ الجياد، الذين دوَّنوا الحديث وحرَّروه، وبينوا صحيحه من حسنة من ضعيفة، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرَّفوا الوضّاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كلُّ ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدى، خاتم الرسل وسيد البشر، -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يُنسب إليه كذب، أو يُحدَّث عنه، بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم.. اللهم آمين..» [١].

هذه بعض أقوال وفتاوى علماء الإسلام في مسألة حكم روايات الإسرائيليات في كتب ا لتراث الإسلامى وخاصةكتب التفسير التي تزخر - كما أسلفنا - بمثل تلك القصص والحكايات والروايات الغريبة والعجيبة والشاذة التي روتها كتب اليهود ثم دسَّها إلى تراثنا بعض أذناب اليهود من الفرق والطوائف الحاقدة على الإسلام والمسلمين وعلى رأس تلك الفرق والطوائف «السبئية» التي تحدثنا عنها في الفصل السابق، وقد ظلت تلك الروايات والأساطير عالقة في كتب التراث وخاصة التفسير منها حتى الآن، ولذلك نناشد كل الغيورين على تراثنا الإسلامى من العلماء وطلبة العلم أن تتضافر الجهود لتنقية وغربلة تلك الكتب من أساطير وروايات الإسرائيليات وخرافاتهم السمجة، وتدعيم وبذل مزيد من الجهد

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر (١/ ١٤ - ١٥).

لدحض شبهات وأباطيل خصوم الإسلام وخاصة من المستشرقين الذين وجدوا في هذه الإسرائيليات بابًا للولوج إلى التشكيك والطعن في الإسلام وسوف نفرد بعون الله - تعالى بحثًا مستقلاً عن المستشرقين اليهود ودورهم في التحريض على الإسلام والمسلمين..

أما عن بقية دور يهود الخفي إبان الخلافة العثمانية التي عاش اليهود في كنفها وعلى أرض عاصمة تلك الخلافة - تركيا - منذ هجرتهم وهروبهم من اضطهاد أسبانيا المسيحية فاستوطنوا في مدينة «أزمير» بتركيا، فتحينوا فرصة ضعف الخلافة فأظهروا طائفة تسمى «الدونمة» أظهرت الإسلام وأبطنوا يهوديتهم ليفتكوا على ما تبقى من كيان الخلاف العثمانية ويقضوا عليها تمامًا.. فهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم بعون الله تعالى..

الفصل الثالث

اليهود المتخفون في الخلافة العثمانية

(يهود الدونمة)

- مدخل
- المبحث الأول: يهود الدونمة: التعريف، المؤسس، والنشأة
- المبحث الثاني: سبتاي زفي: من اليهودية إلى الإسلام: أهم أفكار ومعتقدات يهود الدونمة
- المبحث الثالث: فرق الدونمة وجماعاتهم وأثرهم في المجتمع التركي
- خاتمة الكتاب

مدخل

ولا يزال مسلسل اليهود المتخفين الذين أظهروا الإسلام تقية وأبطنوا يهوديتهم مستمرًا، حيث تطل اليهودية الخبيثة برأسها هذه المرة من تركيا وتظهر هناك فرقة وطائفة يهودية مارست التقية بمهارة فائقة، بل وأوجبت في بعض مراحلها إشهار الإسلام وإخفاء اليهودية وممارسة شعائرهم في أماكن سرية، هذه الفرقة تدعي «الدونمة»، وقد عاشت تلك الفرقة وساهم أعضاؤها في صناعة التاريخ التركى الحديث بعدما ساهمت بشكل بارز وأساسى في إسقاط الخلافة العثمانية، وقد أثّرت تلك الطائفة ولا تزال حتى يومنا هذا في رسم الأحداث المتعاقبة سواء في تركيا أو في المنطقة بأسرها.

«فقد صرّح وزير خارجية الدولة المغتصبة (إسرائيل) لأرض فلسطين السابق (أبا إيبان) [١] بكلام عن يهود تركيا إبان الدولة العثمانية، يُفهم منه أنهم تعرَّضوا لصنوف من الضغوط والاضطهاد، جعلتهم يتخلون عن دينهم ويعتنقون الإسلام[٢].. وهذا الكلام غير صحيح من هذا اليهودي الأشر وباطل، ولا ينم عن الحقيقة، لأن يهود تركيا كانوا يعيشون في ظل سماحة الإسلام وعظمة مبادئه لأنهم وجدوا في الخلافة العثمانية الأمن والأمان الذي كانوا قد عايشوه وعاصروه إبان الخلافة الإسلامية في الأندلس، فعندما هاجروا من بلاد الأندلس بأسبانيا لم يجدوا بلادًا يعيشون فيها بحرية واطمئنان غير البلاد التي

(١) أبا إيبان (١٩١٥م - ٢٠٠٢م) تولى وزارة الخارجية الإسرائيلية في الفترة ما بين أعوام: (١٩٦٦م - ١٩٨٣م)،وُلِدَ في جنوب إفريقيا وتلقى دراسته الجامعية في جامعة «كمبردج» وكان يجيد اللغة العربية.

(٢) عن مقال بعنوان: الفكر الديني اليهودي للدكتور حسن ظاظا ص١٤٥،١٤٦ [الناشر: معهد البحوث- قسم البحوث والدراسات الفلسطينية- ١٩٧١].

يحكمها الإسلام وكانت تركيا هي مهد الخلافة الإسلامية إبان الحكم العثماني، كما أن يهود تركيا من أسلم منهم فقد أسلم عن طواعية ورضا ولم يكن قط عن إجبار أو قسر كما ادعى هذا الأفاق، وإنما كان إسلامهم تقية - كما سيأتي - وهذا الإسلام الذي أظهروه وأعلنوه إنما كان لحاجة في نفوسهم، هذه الحاجة تمثلت في إسقاط الخلافة العثمانية ومن ثَمَّ التغلغل وسط المجتمع التركى المسلم والتأثير عليه من خلال العادات والتقاليد الفاسدة التي اخترعوها وذلك لبث روح الانحلال الخلقى وإشاعة الفاحشة بين أوساط الشباب التركى المسلم وذلك ليسهل قيادته من قِبَل أذنابهم وشياطينهم الذين تأثروا بهم وبأفكارهم.. وقد تم لهم ما أرادوا حتى قيضّ اللله - عز وجل - للدولة التركية من يكشف عوار تلك النِّحلة الضالة والفرقة المنحرفة التي ادعت الإسلام زورًا وبهتانًا، ولكن للأسف بعد أن تغلغلوا تمامًا وسط المجتمع التركى، فنجدهم الآن هم من أشد المعارضين للحكومة التركية لأنها سمحت بارتداء الحجاب في الجامعات التركية، فكان ليهود الدونمة الدور الرئيسى في تحريك المظاهرات للتنديد بارتداء الحجاب كما كان لهؤلاء اليهود الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا يهوديتهم في نشر الأفكار والمعتقدات التالية:

(١) نشر الفكر الماسوني - اليهودي - وتأييد وتشجيع الشباب التركي على التقلد بالعادات الغربية، واعتبارهم الإلحاد «موضة» عصرية.

(٢) الهجوم الشرس على حجاب المرأة المسلمة - كما أسلفنا - والدعوة إلى السفور والانحلال والتبرج من خلال الصحف والمجلات التي كانت ولا زال بعضها يُمول من يهود العالم ويهود الدونمة في الداخل.

(٣) السخرية العارمة والاستهزاء في وسائل الإعلام التي يسيطرون على معظمها بكل ما يتعلق بالعادات والتقاليد الإسلامية الأصيلة.

(٤) النشر والدعاية في الصحف والمجلات من خلال الأقلام اليهودية والماسونية للدعوة إلى القومية التركية و«أتركة» المجتمع بدلاً من أسلمته، والبعد عن كل ما يمت للإسلام بصلة جملة وتفصيلاً.

(٥) الدعوة من خلال الصحف والمجلات وبقية وسائل الإعلام للاستهزاء بكل قيم الدين الإسلامي والهجوم الشرس على كل من تسوّل له نفسه للاستشهاد بالقرآن أو السنة أو بأصول الشرائع الإسلامية، واتهامه بالرجعية والتخلف.

(٦) وأخيرًا: الدعوة إلى تغريب المجتمع التركي وسلخه تمامًا من هويته الإسلامية والتمسك بالارتماء في أحضان المعسكر الغربي أو ما يسمى بـ«الاتحاد الأوروبى» أو «الإمبراطورية الرومانية الحديثة».

لأجل كل هذه الأسباب كان ينبغي الكشف عن هذه الطائفة وإلقاء الضوء عليها عن كثب وذلك لفضح تلك الفرقة الضالة من اليهود المتخفين والتي يُطلق عليها «يهود الدونمة» أو «الطائفة الشبتائية» وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل بإذن الله تعالى.

المبحث الأول

يهود الدونمة

• التعريف • المؤسس • النشأة

تعريف معنى كلمة الدونمة:

الدونمة: كلمة تركية وهي صفة مشتقة من المصدر التركي (Donmek) ويعني العودة أو الرجوع أو الارتداد.. أي: العائد الذي أسلم بعد أن كان يهوديًا وتعني اصطلاحًا: المسلم الذي أظهر الإسلام بين الناس وأبطن يهوديته.

يقول الدكتور حسن ظاظا - رحمه الله -:

«والدونمة هي: كلمة مركبة تتكون من شقين (دو) بمعنى اثنين، و(نمة) بمعنى الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي، والنوع الإسلامي[1]».

والدونمة في المعنى العام تعني: عودتي، وتُستخدم لمن يترك دينه ويدخل في الإسلام، وهي تعني أيضا: الرجوع، والتراجع، والتغير، والعودة من مكن إلى آخر، وبمعنى الراجع الذي يُغيِّر فكره واعتقاده وتعني أيضا: الخائن والمنافق.

والخلاصة أن كلمة دونمة أطلقها الأتراك من المسلمين على اليهود المهاجرين من أسبانيا إلى تركيا، بعد اضطهادهم وطردهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية في بلاد الأندلس - كما سبق وأشرنا - ففتحت تركيا الإسلامية أمام طلائعهم أبوابها لكي يستقروا فيها فاتخذوا مدن سالونيك وأزمير والأستانة أماكن لسكناهم وعاشوا في ظل الخلافة العثمانية ينعمون بالأمن والأمان حتى ظهر مؤسس تلك الطائفة..

ويُعرِّف الدكتور عبدالوهاب المسيري الدونمة على أنها كلمة تركية تعني «المرتدين»، «وقد أُطلق هذا الاسم على جماعة يهودية تركية شبتائية من اليهود المتخفين استقرت في سالونيكا وأشهرت إسلامها تشبها «بشبتاي تسى»، أو

---

(١) الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه للدكتور حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٥م ص٢١٠.

«الماشيخ الدجال»، فقد اعتقد كثيرون من أتباعه المؤمنين به أن ارتداده عن دينه واعتناقه الإسلام هو تلبية لأمر خفي من الرب وتنفيذ للإرادة الإلهية، فحذوا حذوه، ولكنهم ظلوا متمسكين سرًا بتقاليد اليهود، وهم يختلفون عن يهود المارانو، أو المارانوس «الذين تحدثنا عنهم في الباب الأول» في أنهم اعتنقوا الإسلام طواعية دون قسر، فلم تكن الدولة العثمانية تُكره أحدًا على اعتناق الإسلام، ويحمل كل عضو من أعضاء الدونمة اسمين: اسم تركي مسلم، وآخر عبري يُعرف به بين أعضاء مجتمعه السرى، وكانوا يعتبرون أنفسهم يهودًا، فكانوا يتدارسون التلمود مع بقية اليهود ويستفتون الحاخامات فيما يقابلهم من مشاكل، كما كانوا يحتفلون بجميع الأعياد اليهودية ويُقيمون شعائرهم فيما عدا شعيرة الكفّ عن العمل يوم السبت حتى لا يلفتوا النظر إلى حقيقتهم، وقد أضافوا إلى الأعياد عيدًا آخر اعتبروه أقدس الأعياد على الإطلاق وهو عيد ميلاد «شبتاي»، وكانت صلواتهم وشعائرهم تُكتب في كتب صغيرة الحجم حتى يسهل عليهم إخفاؤها، ولهذا لم يطلع عليها أحد حتى عام ١٩٣٥م..»(١).

وقد ظهرت طائفة الدونمة كطائفة دينية في مدينة أزمير بتركيا في القرن السادس عشر الميلادى «اشتهرت هذه الجماعة باتخاذها شخصيتين مزدوجتين، الشخصية الإسلامية الشكلية، والشخصية اليهودية الأصلية، حيث أعلنت إسلامها ظاهرًا وفي الوقت نفسه ظلت محتفظة بأسمائها وألقابها اليهودية، فكانت تمارس الشعائر الإسلامية ظاهريًا مع أدائها جميع طقوسها اليهودية داخل المعابد اليهودية سرًا.

وقد أدت هذه الطائفة دورًا مؤثرًا وملموسًا في المجتمع التركي في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الرغم من حرصها الشديد على أخذ أسلوب السرية والحيطة في عملها.. وفي نفس الوقت حرص الأتراك واليهود في آن واحد على إخفاء نشاط هذه الجماعة وعدم الاعتراف بهم، فقد أخفي الأتراك «من المسلمين» نشاط تلك الجماعة نظرًا لتأثيرهم على المجتمع

(١) اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرّية للدكتور عبدالوهاب المسيري ص١٠٠، ١٠١ [الناشر: دار الشروق الطبعة الثانية - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ - القاهرة].

التركي وتسللهم إلى مختلف أوجه الحياة التركية، وأما اليهود فقد أنكروا وجودهم وحقيقتهم نتيجة لاتخاذهم من التوراة مبادئ فلسفية منحرفة عن الشريعة اليهودية، بالإضافةإلى تحليلهم المحرمات التي تضمنتها التوراة..» [1].

إذن يمكن تعريف هذه الطائفة كالتالي:

«هم جماعة من اليهود، أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى، وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي، ولا يزالون إلى الآن يكيدون للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام، لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات..» [2].

ويُطلق أفراد الدونمة على أنفسهم أسماء ضخمة مثل «المؤمنين»، و«المجاهدين»، ويتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها في حياتهم العامة، أما أسماؤهم اليهودية فكانوا يستخدمونها داخل بيوتهم وأثناء أدائهم مناسكهم اليهودية، وهؤلاء اليهود لم يرتبطوا بنسب لا باليهود أبناء دينهم وجنسهم، ولا بالأتراك المسلمين السكان الأصليين لمدينة سالونيك - التركية - فعاشوا منعزلين عن المجتمع.

«واليهود يطلقون على الدونمة (مينيم) وهى كلمة عبرية تعني: (منشقين) عن طائفة ما- بينما يطلق الدونمة على أنفسهم (مئامنيم) وهي أيضًا كلمة عبرية وتعني (المؤمنين) أو (المصدقين) أي نبيهم ومؤسس طائفتهم (شبتاي بن زفي أو صبي - كما سيأتى).

ويعتبر الدونمة أنفسهم مجموعة مختارة متميزة لأنهم تابعوا شبتاي في تظاهره بالإسلام وقبلوه، بينما لم يفعل ذلك البقية من أتباعه ولم يتشرفوا به كما يقولون» [3].

---

(١) حقيقة يهود الدونمة في تركيا للدكتورة هدى درويش ص٧ [الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م].

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٥٩.

(٣) بتصرف من فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص٨١ [الناشر: مؤسسة الفجر للنشر والتوزيع - بيروت - لندن - الطبعة الثانية -١٤٠٩هـ].

ويُطلق على يهود الدونمة اسم السبتائية أو الشبتائية نسبة إلى مؤسس تلك الطائفة التي ارتبطت به ارتباطًا وثيقًا ولذلك فالحديث عن مؤسس طائفة الدونمة مرتبط بالحديث عن تواجد اليهود في تركيا وقد احتفل يهود تركيا عام ١٩٩٢م بمناسبةمرور خمسمائة عام على استقبال تركيا لهم، التي فتحت أبوابها ومنحتهم كافة الحقوق والامتيازات ومنها بناء المعابد اليهودية في ظل التسامح الإسلامى مع الديانات الأخرى..

المؤسس والنشأة:

ذكرنا آنفًا أن اليهود بعد أن تم طردهم من بلاد الأندلس تشتتوا في البلاد القريبة من دولة أسبانيا فمنهم من ذهب إلى بلاد أوروبا الشرقية ومنهم من ذهب إلى بلاد أوروبا الغربية، ومنهم من وجد في الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية الملاذ والملجأ وذلك لأنهم خبروا وعاينوا العيش في ظل الأمن والأمان إبان تواجدهم في كنف الخلافة الإسلامية في الأندلس فآثروا أن يعيشوا في ظل دولة العدل التي تمنحهم حقوقهم غير منقوصة مع إقامة شعائرهم الدينية دون التعرض لهم بأذى كما تفعل معهم بقية الدول المسيحية الأخرى، وذلك باعتراف سدنتهم وكُتّابهم بذلك. فكانت الدولة العثمانية بمثابة طوق النجاة لليهود الذين فرُّوا من نير الظلم الأسباني وكذلك من الاضطهاد الأوروبي المسيحي ضد اليهود في - ذلك الوقت - «وعلى الرغم من التسامح العثمانى الذي وجده اليهود بين ربوع الدولة العثمانية، إلا أن اليهود لم يندمجوا داخل المجتمعات وتكتلوا في أحياء معينة خاصة بهم وعاشوا حياة انعزالية - كعادتهم - مُغلقة حتى يستطيعوا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم، فكوّنوا ما يُعرف بالأحياء اليهودية أو الجيتو يعيشون فيه ويمارسون طقوسهم الخاصة ويهربون من العالم الخارجى، وقد جاءت حياة العزلة لديهم نتيجة لظروفهم وأحقادهم السابقة التي عاشوا فيها في ظل الاضطهاد الأوروبى والمسيحى لهم فتبعوا نفس الأساليب التي تعاملوا بها في تلك الدول مع الدولة العثمانية.» [1].

(١) السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين لرفيق شاكر النتشة ص٢٠ [الناشر مكتبة مدبولى الطبعة الخامسة ١٩٩٠م القاهرة] نقلاً عن حقيقة اليهود في تركيا ص١٢].

وللأسف فإن الدولة العثمانية لم تعتبر ولم تستفد من تاريخ اليهود مع المسلمين عبر التاريخ وخاصة مع ما فعلوه بالمسلمين إبان العصور المتقدمة كالعصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة، ففتحت الدولة العثمانية الأبواب على مصراعيها لليهود وتساهلت وتسامحت، وأعطتهم ما كانوا يحلمون به، فعاشوا بحرية كاملة داخل الدولة العثمانية، فاستغلوا هذا الكرم والتسامح التركى وأخذوا يتسللون إلى أعلى المناصب ويبسطون نفوذهم من خلال سيطرتهم المالية وخاصة في المدن والمناطق التي كانوا يعيشون بها، «وكان يهود استانبول ينافسون الصدر الأعظم والوزراء الأتراك في فخامة منازلهم إلى جانب إدارتهم العديد من الأنشطة وشغلهم الوظائف المهمة في الدولة..» [1].

وأصبح الكثير منهم أصحاب محلات تجارية ونفوذ واسع في العديد من المدن التركية وخاصة أزمير وسالونيك واستانبول «وكان والد سبتاى زفي أو (شبتاي صُبِّى) يشتغل بتجارة الدجاج والبيض وأصبح تاجرًا معروفًا، وكان أيضًا وكيلاً لبعض الشركات الإنجليزية والهولندية، وكان من أصل يهود أسبانيا الذين هاجروا من الاضطهاد المسيحى الأسبانى إلى البلاد العثمانية لينعموا فيها بالأمن والأمان، وكان والد (سبتاى) يُدعى مردخاى وله من الأولاد ثلاثة، وقد توسم في ولده «سبتاى» ملامح الذكاء فأراد أن يحقق رغبة في نفسه في أن يصبح أحد أبنائه حاخامًا» [2].

وكان يُعرف والد «سبتاى» بين الأتراك باسم «قرامنتشة» كانت تلك الفترة من تاريخ الدولة العثمانية وتحديدا منذ عهد السلطان محمد الرابع «١٦٤٨ - ١٦٨٧م» أو محمد الصياد كما كان يُطلق عليه لولعه الشديد بالصيد [3]، تخطو خطوات حثيثة نحو الانهيار والهاوية، وقد كان ليهود الدونمة الدور الأكبر في سقوط الخلافة العثمانية وذلك منذ نشأة مؤسسها الذي عهد به والده من صغره

---

(١) بتصرف من: «تركيا في الزمن المتحول لمحمد نورالدين ص١٧٨ [الناشر: دار رياض الريس، بيروت، ١٩٩٧م].

(٢) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص٣٣.

(٣) ويهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص١٤.

إلى حاخام يهودي يُدعى «إسحق دالبا» ليعلمه ويكون نصيرًا لليهود فمن هو هذا الشبتاي زفي..

المسيح الكذاب شبتاي بن زفي:

وُلِدَ سبتاى زفي أو شبتاي صُبِّي [(١)] في أغسطس من عام ١٦٢٦م في مدينة أزمير التركية لأبوين يهوديين، وقد أرسله والده من صغره إلى المدارس الدينية اليهودية وقد تحقق حلم والده فما أن بلغ «سبتاى» سن الثمانية عشر عامًا حتى أصبح حاخامًا، فتعلم التوراة والتلمود، ثم حُبب إليه الكشف عن المعانى المجازية والتصوفية في الكتب الدينية، يقول الدكتور محمد حرب رائد الدراسات العثمانية والتركية في العالم العربى والإسلامى عن هذا السبتاى: «عاش صباه في عُزلة وتأمل، وكان يقوم بطقوس خاصة ليس لها علاقة بالتقاليد الدينية اليهودية وكان يقوم بتحريف الكتب المقدسة ويواصل الصوم ويُكثر من الاستحمام والتطهر حتى يُضفي على نفسه قُدسية خاصة،وكانت تنتابه حالات غياب عن الوعى، وكان مُعتل الصحة والمزاج.» [(٢)].

وهكذا أعد «سبتاي» نفسه ليصبح حاخاما فتعلم - كما ذكرنا - التوراة ودرس التلمود وأقبل على «القبالا» وهى عبارة عن كتب التصوف اليهودية فاكتسب ملكة ومقدرة على تفسير الدلالات الرمزية الصوفية الواردة في الكتب الدينية القديمة، وقد اشتُهر بطلاقة لسانه وجمال حديثه فأصبح حاخامًا كبيرًا بين الطائفة اليهودية «واعتُرف له بالأستاذية وتصدى للتدريس، وتحلّق حوله طلاب يدرسون على يديه ويتأثرون به، وكان من عادة شبتاي أن يذهب مع طلابه في الأسبوع مرة أو مرتين إلى البحر للاغتسال فيه، وكذلك كانوا يذهبون إلى البساتين القريبة من المدينة لمناقشة بعض الآراء والمسائل الدينية والفلسفية..» [(٣)] .

(١) وسُمِّى سبتاى أو «شبتاي» نسبة إلى ولادته يوم السبت وهو يوم مُقدَّس عند اليهود ، وكل مولود يولد يوم سبت يسمى عندهم «سبتاى» حسب تقاليدهم.

(٢) العثمانيون في التاريخ والحضارة للدكتور محمد حرب ص١٢ [الناشر: الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص٣٤ (مصدر سابق).

وفي سن الثانية والعشرين من عمره تزوَّج سبتاى من امرأة ولكنه لم يمسها وطلقها بعد بضعة أشهر من زواجه منها، ثم بعد فترة قصيرة تزوج بامرأة أخرى ولم يقربها أيضًا، فطلقها، وكان أصحابه والمقربون منه يُفسرون ذلك على أنه نوع من الطهارة والتبتل، وأما هو فكان يدعي ويقول بأن الروح القدس قد أوحى له بأن زواجه من المرأة المناسبة لم يحن بعد..

وبسبب هذا وأمثاله من الأعمال التي كان يقوم بها سبتاى والتي كانت غير متفقة والسلوك العام للناس اتُّهم بأنه رجل غير طبيعى.. وبدأ سبتاى يُلمح إلى تلاميذه وطلابه وأصدقائه بأنه سيحقق أشياء عظيمة في المستقبل وفي نفس الوقت كان يتحدث عن ظهور المسيح المخلِّص [1] ووقت ظهوره ولم يكن هذا ليجلب انتباه اليهود لولا أنه أخذ يقوم بأعمال مخالفة للتعاليم والطقوس والتقاليد اليهودية..» «ثم تزوج بعد ذلك من امرأة بولونية تدعى سارة كانت صاحبة ذكاء شديد وقد أرادت هذه الفتاة أن تكتسب شهرة، فحينما سمعت بادعاء سبتاى أنه المسيح المنتظر اختلقت «رؤيا» نشرتها بين اليهود تقول فيها إنها رأت نورًا سيسطع عام ١٦٦٦م وأنها سوف تتزوج من المسيح الذي سيظهر في هذا العام، فانتهز سبتاى هذه الفرصة وأعلن أنه قد أوحى إليه بالزواج من فتاة بولوينة وتزوجها عام ١٦٦٤م إلا أنه لم يمسسها أيضًا، وبعد وفاة سارة تزوج من

---

(١) وهى تعنى بالعبرية: «ماشيح» أي: المسيح المخلِّص، وهي عقيدة يهودية، وهي عبارة عن كلمة تشير إلى كل ملوك اليود وأنبيائهم، أو إلى أي فرد يقوم بتنفيذ مهمة خاصة يوكلها الإله له، وهذا الشخص ينبغي أن يتمتع بقداسة خاصة، وهو عندهم إنسان سماوى، وكائن مُعجز، خلقه الإله قبل الدهور ، و يُسمى عندهم «ابن الإنسان» لأنه سوف يظهر في صورة إنسان وسيكون مَلَكًا من نسل داود، وعندما سيخرج يُنهى عذاب يهود، ويأتيهم - حسب زعمهم - بالخلاص ويجمع شتات المنفيين، ويعود بهم إلي صهيون، ويُحطم أعداء جماعة إسرائيل ويتخذ من أورشليم «القدس» عاصمة له، «لذا فدولة إسرائيل المغتصبة لأرض فلسطين لن تتنازل عن القدس كعاصمة لهم لأن حاخاماتهم يُهيئون ويُمهدون أورشليم لتكون عاصمة لمسيحهم الدجال»، ومن الأعمال التي سيقوم بها هذا المسيح حسب المعتقد اليهودي أنه سيُعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية «أي: التوراة والتلمود» ويُعيد كل مؤسسات اليهود القديمة ويقوم بذبح البقرة على مذبح الهيكل وكل هذه الأعمال هي من صميم الاعتقاد اليهودي بالمسيحانية، وقد حاول المسيح الكذاب المدعو «سبتاى زفي» أن ينشر بين أتباعه هذه الخزعبلات والترهات..

امرأة من سالونيك تدعى «يوهيفيد» وأسماها عائشة ثم طلقها وأعلن أنه لن يتزوج مرأة أخرى زاعمًا أنه تزوج التوراة.

ففي أحد الأيام أولم وليمة للحاخاميين في مدينة سالونيك وعندما التأم جمع هؤلاء جاء بمظلة زواج ثم جاء بنسخة من التوراة وأخذ يقوم بمراسيم عقد الزواج بينه وبين التوراة إذ تعتبر بنت الإله عند القباليين (أي: من المتصوفة اليهود - تعالى الله عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا) وقد ثار هذا العمل غضب الحاخاميين، وقد برَّر شبتاي عمله هذا لهم بأن كل من يؤمن بالتوراة ويلتزم بها فهو زوج لها وذكر لهم بأن هناك إشارات في العهد القديم لذلك ولكن ذلك لم يقنعهم، من أجل ذلك أمر الحاخامون بإخراجه من سالونيك، وترك شبتاي سالونيك وذهب إلى أثينا وبعض المدن اليونانية يلتقي بالجاليات اليهودية هناك، ثم رجع إلى تركيا عام ١٦٥٨م واستقر في مدينة القسطنطينية (استانبول)، وفي هذه المدينة استقبله العلماء اليهود استقبالاً حسنًا، ولكن نظرتهم له تغيرت بعد أن رأوا الغريب من سلوكه، فاحتفل بأعياد يهودية ثلاثة في أسبوع واحد، وهذا غير جائز عند اليهود، ثم إنه أيضًا أعلن عن تغيير بعض أحكام التوراة لأن المسيح المخلص سيأتى - حسب اعتقادهم - بأحكام جديدة، وكان يستشهد بالنص التوراتي من سفر أشعياء: «انصتوا إلىَّ يا شعبي ويا أمتي، اصغوا إلىَّ، لأن شريعة من عندى تخرج، وحقى أُثبِّته نورًا للشعوب.» (إشعياء : ٥١/٤)، وقد خشي وهو أخوف ما يخافونه فأصدروا حكمًا آخر عليه بالطرد من اليهودية وحرَّموا على اليهود الاتصال به، وطردوه فرحل من بلدته إلى الشرق فتنقل من جزيرة رودس باليونان ومنها إلى سوريا ثم إلى مصر، وفي مصر بقى بضعة أشهر تعرف خلالها على رئيس الجالية اليهودية ومسئول الخزانة المالية في مصر، «وعلى الرغم من ادعاء سبتاى بالطهارة وأنه لم يمس زوجاته إلا أنه أُشيع عنه أنه لم يعرف الاعتدال الجنسى، وقيل إنه زنى بزوجة صديقه في مصر ورئيس الجالية اليهودية (رفائيل يوسف)، وأنه أقام في مصر فترة من الوقت عاش فيها حياة خليعة»[1].

(١) يهود الدونمة لأحمد نورى النعيمى ص١٤ [الناشر: دار البشير، ومؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م نقلاًعن حقيقة يهود الدونمة ص١٤].

ومن مصر توجه «شبتاي» إلى فلسطين ووصل إلى مدينة القدس «أورشليم» في صيف عام ١٦٦٢م وبقى فيها لمدة عام، وقد ذُكر عنه بأنه كان يبقى في غرفته وحيدًا معتكفًا لفترات طويلة يطبق القضايا القبالية «أي: الصوفية» على نفسه، وقد التف حول «سبتاى» خلال إقامته في أورشليم مجموعة من اليهود الذين تأثروا به وبدعوته..

وأثناء وجود شبتاي في أورشليم أصابت الجالية اليهودية فيها ضائقة مالية فأرادت أن ترسل شخصًا إلى مصر لجمع المال لها وطلبت من شبتاي أو طلب هو منها أن يقوم بهذه المهمة لعلاقته برفائيل يوسف، فذهب إلى مصر عام ١٦٦٣م، وظل فيها ما يقرب من السنتين أقنع أثناء إقامته هذا الرفائيل بأنه المسيح المنتظر الذي سيعلن عن ظهوره، وبدأ يعلن عن نفسه أنه المسيح، وقد كان ادعاؤه في البداية محصورًا بين عدد قليل من الناس، ولو لم يكن شبتاي قد أعلن للعالم ذلك لم تصبح حركته كما أصبحت ولم يكن لها مثل التأثير الذي أثرت، بل من الممكن أن لا تكون فرقة الدونمة قد وُجدت أصلاً، فعندما رجع مرة أخرى إلى غزة في فلسطين التقى فيها بيهودي يدعى «ناثان هاليف» ويُعرف باسم «ناثان الغزاوى» وهو من أصل إشكنازى – ألمانى، آمن به «وبشر به عام ١٦٦٤م، على أنه الماشيح (أي: المسيح المخلِّص) الصادق الموعود، وأنه من نسل داود، وأعلن ناثان أنه هو نفسه النبي المرسل من قِبَل هذا الماشيح، وكتب عدَّة رسائل لأعضاء الجماعات اليهودية يخبرهم فيها بمقدم (الماشيح) الذي سيجمع الشرارات الإلهية التي تعثرت، والذي سيستولى على العرش العثمانى ويخلع السلطان.

ودخل (شبتاي) القدس في مايو عام ١٦٦٥م وأعلن أنه المتصرف الوحيد في مصير العالم، وركب فرسًا (كما هو متوقع من الماشيح) وطاف مدينة القدس سبع مرات وهو وأتباعه، وقد عارضه حاخامات مدينة القدس وأخرجوه منها» (١)، فعاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه في أزمير: «وفي عيد رأس السنة اليهودية الموافق يوم ١٠ سبتمبر عام ١٦٦٥م، سارت المواكب من أتباعه تهلل وتنفخ في الأبواق وتعلن التجلى الأعظم للمسيح المنتظر، فاشتد غضب رؤساء اليهود

---

(١) اليد الخفية للدكتور عبدالوهاب المسيرى ص٩٩ «مصدر سابق».

وأعلنوا الفتوى الشرعية بإهدار دمه، ولكن أحدًا لم يجرؤ - من اليهود - على المساس به لكثرة أتباعه.

وبدأت مع ذلك فترة صعبة من المناوشات والمعارك بين أتباعه وبين اليهود التقليديين، وفي تلك الفترة أباح شبتاي صبي أو (سبتاى زفي) لأتباعه أن ينطقوا اسم الله الأعظم (يهوه) الذي كان مُحرمًا على اليهود النطق به - وما يزال - بسبب الغضب الإلهى الذي أقروا بأنه حل عليهم، والذي انتهى بالسبى البابلى على يد بختنصر، فمنذ هذا الوقت كانوا إذا وصلوا إلى قراءتهم إلى هذه الحروف الأربعة (يهوه) نطقوها (أدوناى) أي: مولانا، وكان شبتاي يزعم أن غضب الله ارتفع عن الأمة ببعثته وأن الاسم الممنوع أصبح مباحًا»[(١)].

وقد كان في صحبة شبتاي عندما عاد إلى تركيا مجموعة من المؤمنين به منهم شخص يدعى (صموئيل فريمو)، وكان هذا الرجل لا يقل عن المدعو (ناثان الغزاوى) قدرة على الدعاية لشبتاي ولدعوته بأنه المسيح المخلِّص لليهود، فكان ذا تأثير بالغ على اليهود اتسم بمسحة من المبالغة والعاطفة الجيَّاشة نحو (شبتاي) وبسبب ذلك اتخذه شبتاي مستشارًا وكاتبًا له.

أما (ناثان) فقد بَقيَ في غزة يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح المخلِّص، وعندما وصل شبتاي إلى تركيا قرر (ناثان) الالتحاق به والانضمام إليه وهو في أثناء ذلك كان يبعث بالرسائل إلى الجاليات اليهودية يحثهم على الإيمان بشبتاي ومن الرسائل التي أرسلها إلى الجاليات اليهودية الرسالة التالية:

«إلى البقية الباقية من أبناء إسرائيل سلام بلا انقطاع، أبعث لكم بكتابى هذا من أجل إعلامكم بأننى قد وصلت بسلام إلى دمشق وإنى سوف أذهب لرؤية وجه سيدنا الذي عظم مقامه لأنه هو ملك الملوك الذي ستعظم مملكته، ولقد انتخبنا اثنى عشر رجلاً يمثلون قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة، كما أمرنا، والآن نحن ذاهبون إلى الإسكندرونة إطاعة لأمره من أجل أن نجتمع في المكان الذي أجاز لنا الاجتماع فيه..»

(١) الفكر الدينى اليهودي للدكتور حسن ظاظا ص١٤٥، ١٤٦ [الناشر: معهد البحوث العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية - ١٩٧١].

وفي رسالة أخرى بعث بها هذا المخبول المدعو ناثان تُنبئ عن مدى تعاظم شبتاي بين يهود تركيا والتأييد العام الذي لاقاه هذا الشبتاي بين بقية رعاع اليهود يقول هذا الناثان في رسالته التي يفوح منها الكفر البواح: «إلى ملك ملكنا سيد السادة الذي سيجمع شتات إسرائيل، والذي سينقذنا من أسرنا، الإنسان الذي ارتفع إلى أعلى منزلة مسيح رب يعقوب، المسيح الحق، الأسد السماوى، شبتاي صُبّيّ، الذي سيرتفع مقامه ويعم حكمه إلى الأبد.. آمين. بعد تقبيل يديكم وإزالة التراب عن قدميكم الذي هو واجبى نحو ملك الملوك الذي سيعلو جلاله وتعظم مملكته أود أن أخبر مقامكم الذي زُيّن بجمال قدسكم أن كلمة الملك وتوراته قد أنارت وجوهنا وهذا اليوم هو يوم قدس لإسرائيل وهو يوم نور لحكامنا ونحن سوف نقوم بتطبيق أوامركم كواجب علينا.. ومع أننا سمعنا عن أشياء غريبة فإننا ثابتون، وقلوبنا لا تتزعزع وليس من حقنا أن نبحث عن أسباب أعمالكم التي تقومون بها لأنها أعمال خارقة، ونحن بلا استثناء وبكل إخلاص نسلّم أنفسنا لاسمكم المقدس» (١).

وهكذا كان حال هذا المنافق الأفاق الذي أخذ يدعو لشبتاي بكل إخلاص وإيمان وذلك لأن شبتاي أنعم عليه بلقب المتنبئ «أي: المتنبي بشبتاي» ولذلك كان يُرسل الرسائل ليهود العالم لدعوتهم بالإيمان بالمسيح المخلّص حتى وصلت دعواه إلى مداها بين الرعاع والدهماء من اليهود وخاصة من المقيمين في البلاد الأوروبية التي كانت تضطهدهم أشد الاضطهاد وكانوا يُعاملون فيها بكل ازدراء واحتقار حتى إن أحد حاخامات اليهود بهولندا عندما كانت تصلهم رسالة من شبتاي أو من أحد أتباعه فإنهم كانوا يعتبرون ذلك اليوم الذي تصل فيه الرسالة يوم عيد، ويقول هذا الحاخام «كان الناس يرقصون على ضرب الدفوف، وكانت نسخ التوراة قد جُددت أغطيتها ويحملها اليهود ويطوفون بها في الشوارع، وكانت أخبار المسيح تقرأ على الناس دون خوف من المسيحيين»، وفي بولندا خرج اليهود في مظاهرات فرح يحملون صور شبتاي، وكانت هذه المظاهرات قد أثارت غضب

---

(١) يهود الدونمة بين الإسلام واليهودية للدكتور جعفر هادى حسن ص٤٨ «مصدر سابق.

المسيحيين، فأوذى اليهود، فاشتكى هؤلاء إلى الملك «جان كسيمير» فأصدر هذا مرسومًا حول هذه الحوادث ومنع اليهود من حمل صورة شبتاي، وقد ذكر «جاليوتوفسكى» وقد كان معاصرًا لهذه الفترة في كتابه «المسيح الحق» المطبوع عام ١٦٦٩م ما نصه: «لقد ترك اليهود بيوتهم وأموالهم ورفضوا أن يقوموا بأي أعمال وادعوا بأن المسيح (أي: شبتاي) سوف يأخذهم إلى أورشليم على السحاب».

وبدأت دعوته تنتشر انتشار النار في الهشيم بين يهود العالم، «ففي إيران خرج اليهود إلى الحقول وتركوا أعمالهم ينتظرون الذهاب إلى أورشليم مع مسيحهم المنتظر، وعندما طولبوا من قبل الدولة أن يدفعوا ما عليهم من حقوق قالوا بأنهم سيعطونها إلى مُخلصهم المسيح».

وفي تركيا كان اليهود يخرجون أثناء الليل حاملين الشموع ينادون باسم شبتاي، وكانوا يقرأون المزمور الواحد والعشرين في المعبد ثلاث مرات في اليوم صباحًا وعصرًا وليلاً، وقد حفر هذا المزمور في أحد المعابد على الخشب وأُحيط بتاج كتب عليه (تاج شبتاي صَبى) ويقول المزمور: «يارب بقوتك يفرح الملك وبخلاصك كيف لا يبتهج جدًا، شهوة قلبه أعطيته ومُلتمس شفتيه لم تمنعه،/.. وضعت على رأسه تاجًا من إبريز.. عظيم مجده بخلاصك جلالاً وبهاءً تضع عليه، لأنك جعلته بركات إلى الأبد ، تُفرحه ابتهاجًا أمامك.. لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العليّ لا يتزعزع.. تُصيب يدك جميع أعدائك يمينك تصيب كل مُبغضيك، تجعلهم مثل تنّورنا في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار تُبيد ثمرهم من الأرض وذريتهم من بين بني آدم» (سِفر المزامير : ٢١/١-١٠).

وقدأصبح هذا المزمور ذا معنى خاص عند أتباع شبتاي، وهكذا تأثرت الجاليات اليهودية في أوروبا التي كانت تعاني من الاضطهاد بدعوة شبتاي التي وجدت فيها خلاصهم من نير المعاناة والشقاء والذلة والصغار التي كان يُعامل بها اليهود في أوروبا الغربية والشرقية - على حد سواء - في ذاك القوت.» ولم يكن اليهود وحدهم قد وقعوا تحت تأثير دعوة المسيح المخلّص شبتاي بل إن بعض

المسيحيين أصابهم شيء من ذلك أيضًا، وخاصة من البروتستانت.

فقد ذُكر أن المسيحيين في «همبورغ» في ألمانيا سألوا أحد القساوسة ويدعى «استرداس أدزردوس» عما يجب أن يعملوه وهم يسمعون أخبارًا مؤكدة من أزمير ليس من اليهود فقط، بل من المسيحيين أيضا بأن شبتاي صبى يُرِى الناس معجزات كثيرة وقد اجتمع حوله يهود العالم وتساءلوا فيما إذا كان معتقدهم صحيحًا أم لا.» (١).

وهكذا أصبحت دعوة شبتاي تمثل خطرًا مُحْدَقًا على الدولة العثمانية، وخاصة أن دعوته كانت تنتشر بسرعة بالغة في الأفاق وذلك يرجع لعدة أسباب منها:

(١) حالة الضعف التي كانت تعيشها الدولة العثمانية وذلك نتيجة الحروب الطاحنة بين أوروبا والدولة العثمانية، فأخذ شبتاي ينشر دعوته هو وأتباعه في ظل انشغال الدولة وأوروبا بالحروب.

(٢) الجهل المدقع التي كانت تيعشه أوروبا - في ذاك الوقت - بمن فيهم اليهود أنفسهم الذين كانوا يعيشون كأقليات بين الشعوب الأوروبية.

(٣) الاستعداد النفسي عند هؤلاء الدهماء والعوام لتقبل مثل هذه الدعوة التي وجدوا فيها طوق النجاة لخلاصهم من ظلم الاضطهاد والمعاناة الذي كانت تعيشه الأقليات والجاليات اليهودية في البلاد الأوروبية.

(٤) وأخيرًا: المساعدات المالية التي كانت تصل لشبتاي وزمرته عن طريق عوام اليهود والتي كانت تعتبر بمثابة عامل اقتصادى مهم ساعد على نشر الدعوة من خلال شراء النفوس الضعيفة التي كانت بمثابة بوق دعاية بين العوام والجهلة..

ولذلك عارض كثير من حاخامات يهود العالم دعوة شبتاي واعتبروه من المُسحاء الكذبة وخاصة أنه قد أدخل بعض التعديلات على الشريعة اليهودية.

(١) يهود الدونمة بين الإسلام واليهودية ص٥٥ «مصدر سابق».

«وقام الحاخام (نحميا كوهين) وهو حاخام بولندى كان مطلعًا على كتب استحضار الأرواح بإبلاغ السلطان العثمانى أن شبتاي رجل فاجر منغمس في الملذات، وأنه يقلب الشعب على السلطان ويغير من طاعتهم له، ويشجعهم على الثورة ضد الدولة، واتهمه بالقيام بمحاولة التمرد على الدولة العثمانية، وإقامة دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية، وأخبره عن تاريخ حياة شبتاي، وأنه يجب التخلص منه ومن شروره، وكان السلطان على علم قليل بشبتاي وما قام به، وما أن علم بهذه الأخبار حتى أمر أن يؤتى بشبتاي إلى أدرنة في أسرع وقت» (١).

فسيق شبتاي بأمر من السلطان العثماني محمد الرابع ليمثل أمامه ولجنة علمية شكلها السلطان لاستجواب هذا المسيح الكذاب..

(١) يهود الدونمة للدكتور محمد حرب ص٢٦، ٢٨، ويهود الدونمة بين الإسلام واليهودية للدكتور جعفر هادي حسن ص٦٢.

المبحث الثاني

شبتاي بن صبّي من اليهودية إلى التظاهر بالإسلام.. وأهم أفكار ومعتقدات يهود الدونمة

في سبتمبر عام ١٦٦٦م تم تشكيل لجنة علمية شكلها السلطان لمحاكمة «شبتاي» وكانت تتكون من:

١- مصطفى باشا: نائب الصدر الأعظم.

٢- منقاري زاده يحيي أفندي: شيخ الإسلام - في ذاك الوقت -.

٣- واني أفندى: إمام السلطان الواعظ.

٤- طبيب السلطان «جدعون» الذي كان يهوديًا ثم أظهر إسلامه وكان يسمى «مصطفى حياتي» الذي قام بدور المترجم من الإسبانية إلي التركية.. ودارت المناقشة في هذه الغرفة بين الهيئة وبين «شبتاي» وبدأت بسؤال الهيئة وكان كالتالى:

«إنك تدّعى أنك المسيح، نريد أن تظهر لنا معجزة، ولذلك سنخلع عنك ملابسك ونجعلك هدفًا، وعندنا أمهر رُماة السهام سيوجهون إليك سهامهم فإذا لم تؤثر السهام في جسدك فسيُعترف بك..».

ارتجف «شبتاي» وقال: إنه لم يدّع هذا أبدًا، وإنما هى أقوال أشاعها الناس عنه وأنه منها براء، وقال عن نفسه بأنه مجرد حاخام يهودي فقير وليس له مزايا على غيره ولا فضائل له أكثر من الآخرين، ولكن السلطان لم يُصدّقه، ولم يقبل ذلك منه، وقال له بأنه قد أثار القلاقل والاضطرابات في الدولة العثمانية، وأنه كان يريد أن ينتزع جزءًا منها وهو أرض فلسطين، ولذلك فإنه يجب أن يعاقب على ذلك.. ثم نقلت الهيئة المحققة عن السلطان اقتراحًا بأن يدخل «شبتاي» في الإسلام.

ويقال بأن طبيب السلطان الخاص هو الذي دبّر هذا الأمر، وكان جواب «شبتاي» بأنه يسعده أن يكون مسلمًا اختيارًا ودون إكراه من أحد وقال بأن له

رغبة في هذا الأمر منذ زمن وأنه يتشرف أن يُشهر إسلامه أمام السلطان، ثم أظهر «شبتاي» إسلامه أمام الحاضرين وقَبل منه السلطان ذلك، فأدخل الحمام وأُبدلت ثيابه ولبس العمامة وأعطى اسمًا إسلاميًا وهو «محمد عزيز أفندى» وأُعطى لقبًا تشريفيًا وهو «قابجى باشى أي: حارس أبواب القصر»، وخُصِّص له راتب شهرى، وعُيِّن له أستاذ يدرسه اللغة العربية وأصول الإسلام.. »[١]، وهكذا تحوَّل «شبتاي صبِّي» أو «سبتاى زفي» من مسيح مزيف إلى مسلم مزيف، والدليل تلك الرسالة التي بعثها لأتباعه بعد إشهار إسلامه بتسعة أيام فقط إذ تقول الرسالة: الآن ألحقوني بنسل إسماعيل - عليه السلام - العرب، ومع ذلك فأنا أخوكم محمد قابوجى باشى..» وكان كلما قابل بعض أتباعه القدماء أنكر الإسلام، وأفهمهم أنه مجرد ستار يحتمي به ويتخفي وراءه، فإذا التقى بالأتراك راح يتهم اليهود بالسخرة من الإسلام والدس على المسلمين، محاولاً بذلك استمرار الفتن في: أدرنة والقسطنطينية، وكان تابعه ومتبنئه المدعو ناثان الغزاوى يقول: إن شبتاي دخل عالم الجوييم (أي: الأمم غير اليهودية) لا من أجل أن يخلّصهم بل من جل أن يحطمهم تمامًا ..» أما تابعه الثانى المدعو «فريمو» فقد قال: «إن كل شيء حدث كما يجب أن يحدث وكما هو مقدر له، فإن تظاهر شبتاي بالإسلام يثبت بأنه هو المسيح المخلّص، كما أن موسى المخلّص الأول قد عاش في قصر فرعون، فكذلك شبتاي تحوّل في الظاهر إلى الإسلام وباطنًا هو طاهر نقى (أي: على يهوديته)، وقد أصبح هذا التفسير والتأويل ذا أثر فعَّال بين مؤيدى شبتاي ومناصريه..» [٢].

لقد هزَّت حادثة إسلام «شبتاي» أتباعه من اليهود، فلم يعد اليهود يخرجون من منازلهم خجلاً، وسُرَّ الحاخامات المناوئون لشبتاي بذلك، وأصبح أتباعه عامة أضحوكة عند غيرهم، وكان ما حدث صدمة كبيرة وهزة عميقة لأتباعه، لأنهم كانوا يتوقعون أحدثًا غير طبيعية عندما ذهب شبتاي إلى السلطان، وقد كانوا ينتظرون ذلك بفارغ الصبر وذلك لاستعدادهم النفسى من خلال الشحنات

(١) انظر الفكر الدينى اليهودى للدكتور حسن ظاظا ص١٤٩ «مصدر سابق، يهود الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص٦٤ «مصدر سابق».

(٢) المصدر السابق.

والضغط الإعلامى الرهيب الذي قام به أتباع شبتاي على خير وجه ولكنهم عندما أسقط في أيديهم اخترعوا للعوام والدهماء ما ذكروه عن سيدهم ومخلصهم، فتخبطوا خبط عشواء في تفسير ما فعله شبتاي، ولذلك فكان من أتباع شبتاي لعمى بصيرتهم من قال: «إن ما فعله شبتاي إنما هو خاص به ولا يجوز أن يسأله أحد عنه»، «ومنهم من رأي بأن شبتاي قد أخفي نفسه في تلك اللحظة إلى أن تأتي الظروف الملائمة لتحقيق مهمته العظيمة»، وبعضهم قال بأن شبتاي كان قادرًا على صنع المعجزات إلا أن الشر كان من القوة بحيث لم يتمكن من التغلب عليه فأظهر الإسلام» (١).

وكل هذه التفسيرات والتأويلات إنما تدل على مدى قوة الصدمة التي لاقاها أتباعه ومريدوه، لذا فإنهم كانوا على استعداد لتقبل ما سيمليه عليهم سيدهم ومخلصهم، ولذلك عندما أمرهم بالتمسك الظاهرى والشكلى، والتظاهر والالتزام بالشعائر والتعاليم الإسلامية ولبس الملابس الإسلامية كالعمم، والجبب، لبوا دعوته على الفور ورضخوا لأوامره والتزموا بتعاليمه، كما أمر أتباعه بتقليده فيما سيفعله، وقد ذكر أحد المعاصرين لشبتاي أن سلوكه كان سلوكًا مضطربًا ومزدوجًا في نفس الوقت فقال: «كان شبتاي يسلك بشكل طبيعى سلوك الحاخام اليهودى، ولكن في أحيان أخرى كان يسلك سلوك المسلم مع القيام بأعمال غريبة...».

وذُكر عنه أيضا بأنه كان يضع التوراة في يد، والقرآن في اليد الأخرى، ولكنه عندما كان يؤدي الصلاة كان يتهيأ لها بطريقة يهودية..

ومن غريب ما تتحدث عنه المصادر حول سلوكه في هذه الفترة بأنه كان يذهب إلى المعبد اليهودي ويطلب من اليهود أن يتحولوا إلى الإسلام، وقد أخذ مرة مجموعة من اليهود الذين أظهروا الإسلام وذهب إلى المعبد اليهودى وقال لليهود: «إنهم إذا لم يتبعوا الإسلام فإنه سوف لا يتمكن من خلاصهم وقيادتهم إلى أورشليم (القدس)، وقد قاد الصلاة بنفسه مرة وقرأ من التوراة ثم خطب خطبة طويلة ذكر فيها أن المتناقضات في التوراة والتلمود يمكن إيضاحها من

(١) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص٦٥ «مصدر سابق.

خلال فكرة المسيح، وفي نهاية خطبته أبرز نسخة من القرآن وقرأ بعض الآيات منه..» [١].

وقد بقى أتباع شبتاي لا يظهرون إسلامهم في البداية أمام الأتراك المسلمين حتى لا يثيروا غضبهم ولا أمام اليهود حتى لا يطردهم اليهود من اليهودية، ولما زال خوفهم بعد ذلك بسنوات أخذوا يتظاهرون بالإسلام أمام الناس..

ومع ذلك سمحت السلطات العثمانية لشبتاي بحرية الحركة في البلاد، ووجد شبتاي ذلك فرصة سانحة للعمل بحرية أكثر لنشر مذهبه، فأعد قائمة بأوامر فرضها وقدَّم من خلال ذلك عقيدته وأفكاره وقد لخصها في عدَّة أوامر وتضمنت تلك النصوص والمواد ثمانية عشر أمرًا، وهي ما سنتعرض له في الفقرة القادمة عند حديثنا عن أهم أفكار ومعتقدات طائفة يهود الدونمة..

(١) يهود الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص٦٨ «مصدر سابق».

أهم أفكار ومعتقدات طائفة الدونمة

لقد ظلت عقائد وأفكار طائفة الدونمة ردحًا من الزمن طويلاً سراً من الأسرار لا يطّلع عليها إلا هم ولا يعرفها أو يقربها غريب، وبقى الناس لا يميزون بين الدونمة وغيرهم من المسلمين، وكيف يميزونهم وهم يؤدون ما يؤديه المسلمون من شعائر ويتسمون بما يتسمون به من أسماء..

وعقيدة الدونمة تتركز في الواقع حول مؤسس تلك الفرقة نفسه «شبتاي» ولا يجوز أن تفصل هذه العقيدة عنه بأية حال من الأحوال، بل إنه من الممكن أن نقول إن عقيدة الدونمة لا تعني شيئًا بدون «شبتاي»، فهو المسيح وهو المخلّص وهو المنتظر والمؤمل والمنقذ - حسب تعاليم تلك الطائفة الشاذة - حتى إن تقاليد تلك الفرقة وتعاليمها تتركز أيضًا حوله وكذلك أعيادهم، وبما أن نشأة «شبتاي» وتعليمه مستمداً من التعاليم التوراتية، والتلمودية، فليس بغريب أن تكون عقيدة وتعاليم الدونمة أصلاً نشأت وتطورت من الديانة اليهودية التي استمد منها شبتاي أصول تعاليمه الحاخامية التي وضعها بنفسه وتسمى تلك العقيدة التي وضعها شبتاي لمؤيديه ومريديه بـ «وصايا سيدنا شبتاي صبّى» وقد وضعت في البداية تلك الوصايا بصيغة المفرد المتكلم مثل: أؤمن، أُقسم، أطبق.. إلخ»[1] ثم تطورت لتكون عبارة عن وصايا لأتباع تلك الطائفة؛ وسوف نتعرض أولاً بشكل مُجمل لأهم تلك التعاليم والوصايا ثم نتكلم عن الصيغة الأولية بالتفصيل التي وضعها هذا المأفون الهالك «شبتاي»، وهذه المواد أو النصوص تتخلص في البنود التالية:-

(١) الإيمان بأن مسيح الله و المسيح الحق ولا مُخلّص غيره هو سيدنا وملكنا «شبتاي زفي » وأنه من نسل داود فليزدد شرفه.

(٢) عدم القسم بالله أو القسم بالمسيح الذي هو «شبتاي» كذبًا لأن اسم الله مندمج فيه أيضًا، ويجب أن لا نعمل على تحقيره.

---

(١) بتصرف من فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص٨٦ «مصدر سابق».

(٣) بما أن اسم الله يُعظَّم عند ذكره، لابد من تعظيم المسيح عند ذكره أيضًا، كما يجب أن يعظم اسم كل شخص ممتاز بين أقرانه بعلمه.

(٤) يجب تناقل وشرح ودراسة سر المسيح من مجتمع لآخر.

(٥) يجب الاحتفال بالعيد الواقع في السادس عشر من شهر «كيسلف الذي يوافق «السادس عشر من شهر ربيع الأول» بسرور بالغ وهو اليوم الذي أسلم فيه «شبتاي».

(٦) يجب اجتماع الأتباع في بيت من البيوت في اليوم السادس عشر من شهر «كيسلف»، وهو الشهر التاسع من شهور السنة اليهودية، وهو نفسه يوم السادس عشر من ربيع الأول، وذلك ليتداولوا فيما بينهم ما سمعوه عن المسيح وعن سر الإيمان بالمسيح المخلِّص.

(٧) قراءة مزامير داود سرًا كل يوم..

(٨) يجب مراعاة عادات الأتراك المسلمين ذرًا للرماد في عيونهم ويجب عدم إظهار الضيق من صوم شهر رمضان أو عند تقديم الأضحية، ويجب المحافظة على جميع المظاهر الإسلامية.

(٩) يُمنع الزواج من المسلمين.

(١٠) تكفين الموتى في مدافن خاصة بهم.

(١١) تعدد الزوجات محرَّم عليهم.

(١٢) شريعة الختان فرض عليهم وكان الختان يتم في اليوم الثامن من مولد الطفل، إلا أنهم بعد إعلان إسلامهم «ظاهرًا» أصبحوا ينفذون الختان في موعد أقصاه العام الثالث من مولد الطفل وبعضهم ينفذونه حتى العام الثامن حتى لا يلفتوا أنظار المسلمين[١].

---

(١) بتصرف من يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٢٩، ٣٠ [الناشر: دار الوثائق، الكويت، الطبعة الثالثة/ ١٤١٠هـ -١٩٨٩م]، وكذلك: يهود الدونمة.. أصلهم ونشأتهم ص٢٥ لمحمد علي قطب [الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٧٨].

هذه هي البنود التي استخلصها أتباع «شبتاي» من وصاياه التي وضعها بصيغة المفرد المتكلم والتي تختلف كثيرًا عن المواد التي استخلصها خلف شبتاي ووضعوها على صيغة بنود وقوانين، وقد ذكر هذه الأصول الدكتور جعفر هادى حسن أستاذ اليهوديات في جامعة مانشستر بانجلترا، فتقول تلك الأصول:

«أومن بإله واحد، وأومن بمسيحه المخلِّص الحق «شبتاي صبِّي» حفيد الملك داود، وأقسم بأنني لا أذكر اسمهما بالباطل ولا أقسم بهما كذلك.

- وأقسم بأنني سأنقل أصول عقيدة مسيحنا من جالية إلى جالية وأجتمع بإخوانى في العقيدة لأناقش معهم أسرار عقيدة مسيحنا.

- وأقسم بأننى سوف لا أعرض عقيدة العمامة التي تسمي بالإسلام على أحد من الناس وأقرأ مزامير داود كل يوم بسرّية.

- وأطبق دين الأتراك بحذافيره أمام الناس حتى لا أثير شكوكهم، ليس بصيام شهر رمضان فقط، بل بكل العبادات الأخرى الظاهرة للعيان، ولا تزوج من عائلة مسلمة ولا أصادق أحدًا من المسلمين لأننا نمقتهم خصوصًا نساؤهم.

- وأنى أتعهد ختان أولادى الذكور وأومن إيمانًا مطلقًا بأن التوراة التي أُنزلت على معلمنا موسى هي توراة الحق كما هو مكتوب، وهي التوراة التي وضعها موسى أمام إسرائيل بأمر الإله والتي هي شجرة الحيا فمن يتمسك بها وبالمؤمنين بها يكون سعيدًا.

- وأومن إيمانًا مطلقًا بأن هذه التوراة لا تبدل ولا تكون هناك توراة أخرى سوى أن الوصايا هي التي أُلغيت ولكن يجب التمسك بالتوراة الأبدية.

- وأومن إيمانا مطلقًا بأن «شبتاي صبِّي» هو الذي سيجمع شتات إسرائيل من أطراف الأرض الأربعة.

- وأومن إيمانًا مطلقًا بأن الأموات سيُبعثون من تراب الأرض وأنهم سيعيشون.

- وأومن إيمانًا مطلقًا بأن إله الحق إله إسرائيل سيرسل لنا من السماء إلى الأرض معبدًا بني من جديد، كما ذُكر في التوراة: «إن الله وحده هو الذي يبني الهيكل وكل الذين يحاولون بناءه عملهم هباء، فلعل عيوننا ترى «ذلك»، وقلوبنا تفرح به ونفوسنا تغني سرورًا له وليكن ذلك في أيامنا.. آمين.

- وأومن إيمانًا مطلقًا بأن إله الحق إله إسرائيل سوف يكشف عن نفسه في هذا العالم الذي يسمى «تبل» [(١)]، كما ذكر: إنهم سوف يرون رؤيا العين رجوع الرب إلى صهيون، وكما هو مكتوب فإن مجد الإله سيُكشف عنه وسوف يراه كل البشر لأن الرب وعد بذلك.

ثم يختم ذلك بالدعاء التالي:

«اللهم، إله الحق، إله إسرائيل، الذي يسكن مجد إسرائيل، أرسل لنا المخلّص العادل منقذنا شبتاي صبّى وعجّل لنا ظهوره في أيامنا هذه.. آمين..»

ومن الوصايا التي تنظم علاقتهم بالمصدقين بـ «شبتاي» من غير الدونمة مانصه:

«أعلنوا لإخوانكم المصدقين، الذين لم يعرفوا سرَّ (لبس) العمامة بعد، الذي هو عبارة عن حرب ضد الشر، بأن يحفظوا كلا التوراتين: التوراة الحالية، والتوراة الروحية [(٢)] الخالصة التي يجب أن ينقصوا منها شيئًا إلى أن يظهر المخلّص وعندئذ تضمهم شجرة الحياة ويصبحون ملائكة» [(٣)].

وبعد أن وضع «شبتاي» وصاياه وبدأ يقيم طقوسه وشعائره التي اخترعها بين مريديه وقد وجد أن الطرق الصوفية هي أفضل الجماعات التي من خلالها ينفث سموم دعوته وقد استمرت العلاقة بين الشبتائيين وتلك الطرق حتى عام

(١) كلمة عبرية تعني: الكون أو العالم..

(٢) التوراة الروحية هي تلك التي تظهر بظهور المسيح حسب عقيدة الدونمة، وقد ظهر بعضها بظهور «شبتاي» الأول وستحل التوراة الروحية محل التوراة الحالية عندما يظهر المسيح «شبتاي» مرة أخرى «المؤلف».

(٣) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص٩٠ «مصدر سابق».

١٩٢٤م ثم قلَّ نشاطهم وعددهم وذلك بسبب قرار الحكومة التركية بإغلاق التكايا والزوايا الخاصة بالمتصوفين» وفي ذلك الوقت اتجه «شبتاي» وأتباعه إلى الماسونية اليهودية، واستمر «شبتاي» في دعوته المزدوجة بين الإسلام وطقوسه الشكلية واليهودية السرية حتى تم القبض عليه من قِبَل السلطات العثمانية داخل أحد المعابد اليهودية، وكان يرتدى زيًا يهوديًا وكان هو ومريدوه محاطين بالنساء يحتسون الخمر، وينشدون الأناشيد الدينية اليهودية، ويقرأون المزامير، وقد اتهمه السلطان العثمانى بمحاولته دعوة المسلمين إلى ترك دينهم وخيانة الإسلام.. وتم الحكم بإعدامه إلا أن شيخ الإسلام اعترض على إعدامه حتى لا يدعى مريدوه بعروجه إلى السماء مثل - عيسى عليه السلام - فقرر نفيه إلى مدينة «دولسجنو» في ألبانيا وذلك عام ١٦٧٢م وعاش شبتاي بقية حياته في ألبانيا حت يتوفي في الثلاثين من سبتمبر عام ١٦٧٥م وكان في التاسعة والأربعين من عمره، ودُفن على ضفة أحد الأنهار، ومازال أتباعه إلى اليوم يقفون عند ضفاف الأنهار ويدعون قائلين: «ساباتاى زفي!! إننا نتظرك»، وعندما مرض شبتاي مرض الموت زاره أخو زوجته يوهاواد «عائشة» عبدالله يعقوب جلبى واسمه الأصلي: جوزيف كريدو، وكان في سلانيك، فتوجه إلى شبتاي وطلب منه أن يكون خليفته فوافق، وعند عودته بأخته إلى سلانيك تجمع حولهما مائتا عائلة من العائلات اليهودية.» (١).

وهكذا كان إسلام شبتاي وزمرته نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصارًا لليهودية العالمية، فإسلامه كان مجرد كلمة فاه بها لينجو برأسه وليخلق سرطانًا رهيبًا في جسد الخلافة العثمانية استفحل وانتشر وانتقل بالوراثة من جيل لآخر، محافظًا على نشاطه الهدام، إذ ما لبث هذا المسيح الكذاب والمسلم المزيف أن طلب إذنا من القصر العثمانى ليقوم بنشاط جَدِّى للدعوة إلى الإسلام - حسب زعمه - ليدعو ذويه وأقاربه ومعارفه ومن يثق به

---

(١) بتصرف من يهود الدونمة لأحمد نورى النعيمى ص٤٢، ٤٣، ويهود الدونمة - أيضا - للدكتور محمد عمر ص٣١ «مصدر سابق.

إلى الإسلام، وقد استجاب القصر لذلك، وسرعان ما تحولت تلك الدعوة للإسلام إلى الدعوة للنيل من الإسلام، فقد أخذ هذا المسيح الكذاب والمسلم المزيف يدعو كل من يجتمع إليه ويلتف حوله من يهود تركيا إلى أن يشهروا إسلامهم بأفواههم ويمارسون نشاطهم الهدّام من داخل المجتمع الإسلامي لإفساد الأمة التركية ولإسقاط الخلافة العثمانية - كما سيأتي - وهكذا أصبح هؤلاء اليهود المتخفون في لباس الإسلام يتحكمون في مقدرات الأمور في الدولة التركية، ولكن الله - سبحانه وتعالى - قيَّض من يكشفهم ويفضح مخططاتهم -كما سيأتي -

تعاليم ومعتقدات الدونمة بعد «شبتاي»

يقول الدكتور جعفر هادي: «ومن معتقداتهم التي هي غير موجودة ضمن أصول عقيدتهم وربما تكون أُضيفت بعد وفاة شبتاي هو أن الكون قد خُلق من أجل الدونمة، والمسلمون في هذا العالم مخلوقون لأجل حفظهم، تمامًا مثل البيضة التي يحفظها قشرها، هم يعتقدون بأن البشر من غير اليهود (الجوييم) عبارة عن (قلنًا) (وهي: كلمة عبرية تعني قشرة، وكذلك تعنى شر وشياطين) وأن أرواحهم مثل أجسادهم ستذهب إلى العوالم السفلى.. والدونمة بعد شبتاي رسَّخوا مبدأ التقيَّة أي: إظهار الإسلام وإبطان اليهودية، ففي المجتمع الإسلامى يذهبون إلى المساجد ويؤدون الصلوات ويصومون ويحيون بعض الشعائر الأخري إلا أن العبادة الحقيقية تكون في معابدهم التي لا يدخلها غيرهم.. وهم يُطلقون على معبدهم اسم: (قهل)، وهي كلمة عبرية تعني تجمع (دينى)، ولكل فرد من أفراد الدونمة اسمان: أحدهما إسلامى يعرف به في المجتمع الإسلامى، والآخر خاص يعرف به بين أبناء فرقته وهو اسم يهودى، وهم يعتقدون بأنهم سينادون في الجنة بالأسماء اليهودية، والدونمة لا يتزوجون إلا فيما بينهم، وهذا أحد التعاليم المهمة عندهم، فهم لايتزوجون من غير اليهود، ولا يتزوجون من اليهود إذا لم يعتقدوا بشبتاي، لأنهم يعتقدون بأن المرأة إذا تزوجت من غير الدونمة فإنها تذهب إلى النار، وبعض الدونمة يقول إن سبب عدم الزواج من غير الدونمة هو من أجل حفظ الثروة بينهم..

وعقد الزواج يتم بحضور رجل دين منهم ويسمى (آب بيت دين) وعند بعض فروعهم يذهب الزوج والزوجة ورجل الدين إلى قبر أحد أئمتهم ويركع أمامه ويقبله، وبد فترة طويلة من الصلوات والأدعية يترك الزوج والزوجة وحدهما ثم يقرأ الزوج صلاة طويلة تُسمى صلاة الوصال، وعندما ينتهون من مراسيم العقد على طريقتهم الخاصة يذهبون في اليوم التالي إلى قاضى المسلمين لإجراء العقد طبقًا للشريعة الإسلامية.

والختان واجب عندهم - كما ذكرنا سابقًا - وكان يتم في اليوم الثامن كما هو عند اليهود ولكنه الآن يتم بعد ثلاث سنوات وأحيانا أكثر من ذلك.. وللدونمة

مدافنهم الخاصة بهم وعندما يكون الإنسان منهم على فراش الموت فإنهم يجلسون حوله مع رجل دين منهم يصلون ويقرأون والميت منهم يُغسَّل من قِبَل الرجال فقط مع غض النظر عن جنس الميت ووجود الورد ضروري في مراسيم الجنازة وفي الإرث يكون للمرأة ما للرجل.. وهم يعتقدون - كذلك - بأنهم وحدهم الذين يبعثون من قبورهم ويكون ذلك يوم السبت يقودهم رجال دينهم يحملون أعلامًا خضراء والبقية منهم يحملون أعلامًا ذات ألوان مختلفة وأما البقية من البشر فإنهم لا يبعثون من قبورهم، وهم وحدهم الذين يدخلون الجنة، وأ ما المسلم فإنه يجب أن يتناسخ أربعين مرة ولا يذنب حتى يستحق دخول الجنة.

- وللدونمة يوم في السنة يعترفون فيه بذنوبهم يلبسون له ملابس خاصة به.

- ومن اعتقادهم أن ابتداء الدونمى لغيره بالتحية ذنب.

- والسبت لا يعتبر عطلة عندهم ولكنهم يتفادون العمل فيه.

- ومن اعتقاد الدونمة أن من بينهم أشخاصًا أولياء لا تقربهم النار في هذه الدنيا ولذلك يضعون في بيوت هؤلاء ممتلكاتهم الثمينة، وكتب صلواتهم صغيرة الحجم جدًا وذلك لسهولة إخفائها..

وللسمكة أهمية خاصة عندهم (وقد يكون ذلك بسبب ما قام به شبتاي من وضع سمكة في المهد) ولذلك يضعون مجسمًا أو شكلاً لها في بيوتهم، وإذا أباح الدونمى بأسرار فرقته فإنه يستحق الموت لخيانته ولا يجوز للدونمى أن يتقاضى في محاكم المسلمين بل يجب أن تكون التوراة هي الحكم له وهم يختارون من بينهم.رؤساءهم ويبقى المنتخب رئيسا طول حياته.» [1].

هذه هي أهم أفكار واعتقادات طائفة الدونمة سواء الأصول التي وضعها الكذاب الأشر والمسلم المزيف شبتاي أو تعاليمهم وتقاليدهم التي انتهجوها بعد هلكه والتي استمدوها من أوامره وتعاليمه والتي منها تلك الخطبة التي كانت سببًا لانكشاف أمره وذلك بعد اجتماعه بأتباعه في إحدى ضواحي استانبول

(١) بتصرف من فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص٩٤، ٩٥.

على البوسفور وتدعى «كورجشمة» حيث ضُبط وهو يخطب فيهم بالعبرية ويقول: «الآن وقد أصبحتم مسلمين، اعملوا بكل حرية، عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والروحية والحيوية للأتراك، واستنفروا في سبيل ذلك كل إمكاناتكم، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم السيطرة الشاملة عليهم.» (١).

وهكذا تغلغلت طائفة الدونمة بين المسلمين في المجتمع التركي وبدأت تنفث سمومها عن طريق هؤلاء اليهود المتخفين الذين وصلوا إلى أعلى المناصب في الحكومات التركية المتعاقبة - كما سيأتي - ولكن قبل ذلك نلقى الضوء على أهم الفرق التي انبثقت عن تلكم الطائفة الملعونة..

(١) الدونمة.. يهود تركيا: أشهروا إسلامهم وأضمروا كيدهم مقال على الإنترنت لعبدالله حكواتي..

المبحث الثالث

فرق الدونمة وجماعاتهم وأثرهم في المجتمع التركي

ذكرنا آنفًا أن «شبتاي» قبل أن يهلك استخلف أخا زوجته «يوهيفيد» المدعو يعقوب جلبى الذي أراد تنظيم أمور الدونمة وذلك بأن يقوموا بمراسيمهم الدينية، ولزيادة الحيطة أراد اتباع العادات الإسلامية الواضحة للعيان، «لكن قسمًا من الدونمة احتج على هذا الأسلوب لا لزوم له وهذا القسم تجمع تحت قيادة شخص يدعى (مصطفى جلبي)، ثم بعد سنوات من ذلك انشق على (مصطفي جلبي) واحد من الذين كانوا قد آمنوا به وصدّقوه وأصبح هذا يدعو لنفسه ويؤكد لأعضاء الدونمة بأنه الخليفة الحقيقى لـ (شبتاي)، فآمنت به طائفة وكفر به غيرها، فصار هذا وأتباعه فرعا ثالثًا - كماسنبين -، وعلى الرغم من أن الاختلاف حول شرعية التمثيل قد أحدث بعض الخلافات بين الفروع في مسائل معينة إلا أن المعتقد الأساسي لتلك الفروع والفرق بقى كما هو و كذلك السلوك العام للطائفة، وهذه المجموعات الثلاثة تتزاوج فيما بينها على الرغم أن كل مجموعة تعيش بمعزل عن الأخرى» (1)، كما أن تلك الفروع أو المجموعات تتفق على المحافظة على تعاليم وأصول مسيحهم الكذاب ومسلمهم المزيف شبتاي وعلى وصاياه وهم كذلك يتفقون فيما بينهم عن التستر عن الناس فيما يثبت أو يؤكد على تمسكهم بيهوديتهم أي: أنهم يستعملون التقية مع المجتمع التركى المسلم وذلك لكي لا ينكشف أمرهم بين المسلمين واختلاف تلك المجموعات فيما بينهم لا يعدو عن كونه اختلافا في الرأي على كيفية تطبيق بعض الأحكام الإسلامية.

ولنبدأ بالتعريف بتلك الفرق أو المجموعات التي انبثقت عن طائفة الدونمة..

---

(1) بتصرف من: يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٣١، وفرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص١٠٣.

أولا: اليعقوبيون:-

وهم أتباع يعقوب جلبىأو «يعقوب قوريدو»، و هو صهر «شبتاي» -كما ذكرنا- مؤسس الفرقة، وقد رجع يعقوب من ألبانيا إلى سالونيك بعد وفاة شبتاي هو وأخته «يخوبد»،وهو اسمها العبرى، أما اسمها الإسلامى فهو - كما ذكرنا - «عائشة»، وهي زوجة «شبتاي» التي توفي عنها، ورجع مع «يعقوب» بعض أتباع «شبتاي»، وقد أعلن بعد رجوعه أنه الممثل الشرعى والوحيد لمؤسس الفرقة، وادعت عائشة بأن روح شبتاي قد حلّت في أخيها، وأن «شبتاي» تجسّد مرة خرى من خلاله، ويقال إنه كان قد اعتكف مع أخته ولم يظهرا للناس لمدة ثلاثة أيام، ثم ظهرت أخته عائشة وأعلنت لأتباع شبتاي بأنه كان قد تراءى لها قال بأنه تبني يعقوب فأعطى له الاسم «يعقوب صبِّي»، و«كان يعقوب هذا يسافر بين أتباع شبتاي يدعوهم إلى إظهار الإسلام، وعلى إثر دعوته أعلنت ما يقرب من ثلاثمائة عائلة إسلامها في مسجد سالونيك».

ولما شكّت الحكومة العثمانية في إسلام يعقوب وأتباعه ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج عام ١٦٩٠م ومات في أثناء عوته بالإسكندرية..» (١).

وقد قسّم يعقوب جماعته إلى قسمين: قسم للأغنياء، وآخر للفقراء، وكان لكل منهم زيٌّ خاص، ورجالهم يتيمزون بحلق شعورهم بالموسى تمامًا ويُرسلون لحاهم، وكان الأتراك من المسلمين يسمونهم «لابسى الطرابيش» لأنهم تبنوا لبسها، وكان هذا قبل إلغاء لبس الطربوش بفرمان من قِبَل حكومة أتاتورك، وكانت نساء تلك المجموعة أو الفرقة يُضفّرون شعورهن، وكان الرجال يتميزون بنحافة أجسامهم ودقة أنوفهم وطولها، وهذا من سمات أشكال اليهود التي يتميزون بها..

«ولليعاقبة مزار خاص بهم، ولهم نظام في البيع والشراء حيث أنهم حصروا كل معاملاتهم في أماكن خاصة بهم، وأسسوا مدرسة خاصة بهم باسم مدرسة «فيزى بك»».

ومذهب اليعاقبة الدونمة يتبع مذهب «القبالا» اليهودي أي: التصوف ، أما عقائدهم الأساسية فتمثلت في التحذير على النساء التبرج للغرباء واتباع الأوامر

---

(١) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص١٠٤.

الإسلامية ظاهريًا وارتداء النساء ملابس بيضاء وإجراء الختان طبقًا للعادات الإسلامية، وفي الوقت نفسه فعليهم قراءة الأدعية العبرية والأسبانية والإخلاص للعبادات اليهودية إلى جانب إيقاد النار يوم السبت «وهو عيد عند كل الطوائف اليهودية ويحرم فيه الإتيان بأي عمل من الأعمال» حتى لا ينشكف أمرهم إضافة إلى مناصرة الطلاق، وبذلك يكون اليعاقبة قد خرجوا عن تعاليم شبتاي في أمر تحريم الطلاق لجماعته بينما سمح اليعقوبيون بالطلاق» (١).

واليعاقبة يعرفون أيضًا باسم مجموعة «حمدى بيلر أو حمدى بك» وهو رجل منهم عمل رئيسًا للبلدية، وقد ظهرت من هذه الجماعة شخصيات تولت مناصب هامة في الدولة العثمانية مثل: أمين الترسانة، وكتخدا القصر العثمانى، وكتخدا المدينة، وأمين الصُّرَّة.

ومن أشهر شخصيات هذه الجماعة الكاتب والصحفي أحمد مين يلمان، كما أن تلك الجماعة تضم بين أفرادها من الطبقات الوسطى، أو الدنيا من الموظفين الأتراك، وهم مندمجون في المجتمع التركى تمامًا، على الأقل من الناحية الشكلية (٢).

ثانيا: القره قاشيون أو «كاركاشلر»:

وهم أتباع المدعو «مصطفى جلبي» واسمه الحقيقي «باروخياروسو»، كما كان يُعرف باسم: الحاخام «بروخ فونيو» فقد قام بتعليم التوراة «المشيحانية» الخفية، أو توراة التجليات التي تطالب بقلب القيم والأعراف، فطالب على سبيل المثال بإيقاف العمل بالستة وثلاثين حظرًا التي وردت في التوراة والتي تُعرف باسم «القاطعة»، و«بالعبرية: كيريتوت»، وقد كانت عقوبة من يخالفها اجتثاث الروح من جذورها وإبادتها تمامًا، بل وحوّلها إلى أوامر واجبة الطاعة، وقد كان ذلك يتضمن الإباحية الجنسية والعلاقات بين المحارم، وقد ظهرت هذه الفرقة أو المجموعة عام ١٧٠٠م، «وقد ادعت هذه الجماعة أن روح شبتاي قد حلّت بجسد

(١) حقيقة يهود الدونمة في تركيا للدكتورة هدى درويش ص٢٨ نقلاً عن: يهود الدونمة لأحمد نورى النعيمى ص٥٤ -٦٢.

(٢) راجع: يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٣٢، ٣٣، اليد الخفية للدكتور المسيرى ص١٠٢.

طفل يسمى عثمان وهو ابن رجل من الدونمة يُدعى عبدالرحمن أفندى، وعندما وصل عثمان إلى سن التاسعة والعشرين أعلن مصطفي جلبى زعيم الطائفة أن عثمان هذا ممثل ووكيل لشبتاي، وظل عثمان هذا لعبة وأداة بيد مصطفي جلبى وعندما وصل عثمان إلى سن الأربعين تم إعلانه مسيحًا، وأوصلوه إلى مرتبة الألوهية» (١).

ثم توفي بروخيا أو مصطفي جلبي - هذا - عام ١٧٢٠م وأصبح قبره مزارًا لأتباعه يأتون له ويقدسونه.

وفي تراث «القره قاش» أو الـ «قراقاس والتي تعني: الحاجب الأسود» أن بروخيا كان عالمًا متميزًا، وقد عثر على مخطوط يتضمن كثيرًا من أقوال بروخيا إلا أنها أقوال تتسم بالغرابة والضعف، وأصبح اسم «بروخيا» يُقرن باسم «شبتاي» في صلوات تلك الجماعة، وتتميز تلك المجمعة عن غيرها من طائفة الدونمة بأنهم يرسلون لحاهم ولا يحلقون شعر رؤوسهم ويطلق عليهم خصومهم اسم: Onyolov أي: أصحاب الحيل العشر أو الطُرق العشر، إذ اتهموا بإضافة أشياء غريبة من عقائد أخرى إلى عقائدهم فأصبحت عقيدتهم وكأنها مأخوذة من عشر عقائد.

«ويطلق لقب خليفة أو صاحب على خلفاء بروخيا ويحمل رجال دينهم علامة خضراء على ملابسهم، وقد نشط أتباع بروخيا بعد وفاته، فذهبوا مرة أخرى إلى أوروبا وأثروا على مجموعة من أتباع شبتاي من غير الدونمة وجعلوهم من أفراد تلك المجموعة، وقد عُرفت هذه المجموعة فيما بعد بالفرانكية نسبة لاسم رئيسها «يعقوب فرانك» وقد تميزت تلك المجموعة بالإباحية الجنسية فطاردتها الحكومات فتشتت وتفرّق شملها وأصبح لا وجود لها.

وقد كان أفراد هذا الفرع من الدونمة من أفقر المجموعات إذ كان يعمل أفرادها كحرفيين، مثل: الحمالين، والإسكافيين، والجزارين، ويقال إن كافة الحلاقين في سالونيكا كانوا من أتباع تلك المجموعة، إلا أن وضعهم تحسَّن فيما

(١) يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٣٣ «مصدر سابق».

بعد وأصبح منهم تجارًا بل وصل منهم إلى مراتب وظيفية عالية في الدولة العثمانية فمنهم «جاويدبك الذي عمل ناظرًا للمالية، وكان له تأثيره الكبير على اقتصاد الدولة، بالإضافة إلى «فائق نزهت» أحد وزراء المالية في الدولة العثمانية، وقد قام هذا الفريق من الدونمة بنشاط تبشيري كثيف بين أعضاء الجماعات اليهودية في تركيا، وأسست جماعات تابعة لها في أماكن عديدة.» [1].

وقد اعترض كثير من أتباع هذه المجموعة على القول بألوهية المدعو عثمان، بل وحتى القول بأنه المسيح ثم انفصل عن تلك المجموعة أحد أتباعهم ويدعى «إبراهيم أغا» وأعلن تكوين مجموعة تُسمى باسمه.. وهي المجموعة الثالثة والأخيرة من الدونمة..

ثالثا: مجموعة إبراهيم أغا أو القابندجي:-

ويطلق عليهم أيضًا اسم: «الأزميريون» وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين لعقيدة شبتاي، ولذلك أطلقوا على أنفسهم الأزميريين تأكيدًا على ارتباطهم بشبتاي الذي كان قد وُلِدَ في مدينة أزمير بتركيا، - كما أسلفنا -.

وكلمة «قابندجى أو قبانجى» تركية تعني: «القدماء» أو «القائمون على حراسة الأبواب»، وكانت هذه الفرقة أو المجموعة «يطبقون مبادئ شبتاي كما هي، وكانوا لا يعترفون بالفرقتين أو المجموعتين الأُخريين» وكان لهذه المجموعة نشاط ملحوظ في المراكز الأوروبية في مختلف النواحي الصناعية والتجارية وأعمال الصرافة إلى جانب اهتمامهم بالجانب التعليمى وكانت تضم هذه الفرقة المهنيين من أطباء ومهندسين وأصحاب المهن الحرة وأثرياء اليهود فكان لهم تأثيرهم المباشر على أنظمة الدولة في مختلف المجالات، كما كان لهم تأثيرهم أيضًا في عهد أتاتورك» [2].

---

(١) راجع: اليد الخفية للمسيرى ص١٠٢، ١٠٣، فرق الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى ص١٠٦، ١٠٧.

(٢) بتصرف من حقيقة يهود الدونمة للدكتورة هدى درويش ص٢٩، واليد الخفية للدكتور المسيرى ص١٠٣.

وقد نشرت مجلة «محراب» التركية معلومات عن هذه الجماعة في عددها الخامس الصادر عام ١٩٢٤م جاء فيه: «إأن جماعة القبانجى هم أكثر أهل سالونيك ذكاءً، فقد اندسوا في خلايا حزب الاتحاد والترقي وأدوا دورًا كبيرًا في انقلاب تركيا الفتاة الذي أسقط السلطان عبدالحميد من عرشه، وهم معادون للإسلام، وكل صلتهم بالإسلام ظاهرية..» (١).

وهم من بين الفروع الثلاثة الذين يحلقون لحاهم ويرسلون شعر رؤوسهم، ونساؤهم يضفرون شعورهن ضفائر رفيعة جدا، وقد كانت هناك محاولات لتوطيد العلاقة بينهم وبين اليعقوبيين إلا أنها باءت بالفشل»، وقد ظلت هذه الفرقة تعيش في أحياء خاصة بها، وتقول رواياتهم بأن الحكومة التركية كانت قد منحت لهم هذه الأماكن المخصصة بهم جزاء على اعتناقهم الإسلام، وفي نهاية القرن الماضى طالب شباب تلك الفرق زعماءهم بالانفتاح على الشعب التركي، والاختلاط به، وطالبوا أيضًا بتطوير تعليمهم، وعلى الرغم من هذا الانقسام في هذه الفرقة إلا أن فروعها تعمل وتخطط سوية، ولها مجلس أعلى يمثل مصالحها العامة..» (٢).

وهذه المجموعة من طائفة الدونمة من أشد المجموعات إباحية والدليل على ذلك تلك الرواية التي يتناقلها الدونمة فيما بينهم والتي تقول بأن رئيس فرع الأزميريين المدعو «درويش أفندى»، وذلك عام ١٨٠٠م لم يكن قباليًا فحسب (أي: من فرقة القبالا اليهودية» وإنما كان يدعو بشكل صريح إلى الالتزام بمبدأ طقس الإباحية الجنسية وكان يستدل على صحة هذا المبدأ بأدلة من كتاب «الزوهار» وتراث القبالا اليهودى، ولقد تأكدت هذه الرواية عندما عُثر على مخطوط دونمى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وبداية التاسع عشر وطُبع عام ١٩٦٠م، ففي هذا المخطوط أفكار وأقوال تتفق تمامًا مع تلك التي كان يدعو لها «درويش أفندي»، ومن هذه الأدلة أن بروخيا كان قد أحلَّ الزواج بالمحارم التي

---

(١) يهود الدونمة للدكتور محمد حرب ص٤٢، ٤٣ نقلاً عن حقيقة يهود الدونمة للدكتورة هدى درويش ص٢٩ «مصدر سابق».

(٢) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص١٠٨ «مصدر سابق».

نصَّت التوراة على تحريمه، وأباح ما كان مُحرَّمًا فيها، بل وأوجب العمل به، ومن ذلك أيضًا ما ذكره أحد الطلاب من الدونمة عام ١٩١٠م إلى زملاء له من اليهود بأن طقس تبادل الزوجات كان يمارس في فرقته، وقال طبيب دونمى عام ١٩٢٤م بأن جده كان يشارك في عملية تبادل الزوجات في مدينة سالونيك» [١]، فما هو موضوع تبادل الزوجات عند الدونمة؟..

عيد الخروف أو إطفاء الشمعة عند الدونمة:

للدونمة ما يقرب من عشرين عيدًا ذكر معظمها الدكتور جعفر هادى حسن في كتابه «فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام» وأغلب هذه الأعياد تتعلق بأحداث لها علاقة بمؤسس تلك الطائفة الضالة والمنحرفة «الدونمة»، ولكن الذي يهمنا من تلك الأعياد التي يحتفل بها أتباع شبتاي صبِّي مؤسس تلك الطائفة عيد يُدعى «الخروف» أو «عيد إطفاء الشمعة» وهو يوافق يومى ٢١، ٢٢ من شهر مارس «آذار» من كل عام ، «ويُحتفل به في المساء، يُذبح فيه خروف ويؤكل الخروف المذبوح لهذا العيد في مراسم خاصة، ويشترط للاحتفال بهذا العيد أن يكون عدد المجتمعين أربعة على الأقل، رجلان مع زوجتيهما، ويمكن زيادة هذا العدد بشرط أن يتساوى فيه عدد الرجال والنساء، وأن تكون النساء في أبهي زينتهن ومتحليات بأثمن ما عندهن من مجوهرات ويقمن بالخدمة على المائدة.

وبعد تناول الطعام يقوم الجميع بأخذ حظهم من السرور في تلك الليلة التي تطفأ في ساعة معينة فيها الأنوار ويبقى الجميع في الظلام، والأولاد الذين يولدون بمناسبة هذا العيد يكتسبون نوعًا من القدسية بين أفراد الدونمة» [٢] ولذلك يطلقون على هذا العيد أيضًا اسم «عيد الجمل»، ولا يُسمح لغير المتزوجين الاشتراك في هذا العيد، ويذكر شاب دونمى من مجموعة «القبانجى» عن هذا العيد في مقال نشر عام ١٩٢٥م في مجلة «الدنيا المصورة» التركية ما نصه: إن الاحتفال بإطفاء الأنوار لا يزال من العادات المتبعة لدى القبانجيين، وقد مُنعت من المشاركة في هذا الاحتفال بسبب كونى عازبًا» [٣].

(١) المرجع السابق ص١١١.

(٢) يهود الدونمة لمحمد حرب ص٣٥، ٣٦، نقلاً عن جريدة اقتسام التركية في عددها الصادر في ٤ مايو ١٩٣٥م.

(٣) يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٣٦.

«وكان هذا الاحتفال قد ذُكر منذ عام ١٧٥٠م وأنه أحد احتفالات أتباع بروخيا إلا أن هذا الاحتفال هو بمثابة عيد لعامة طائفة الدونمة لأنهم يعتقدون أن شبتاي مؤسس الفرقة يحضر هذا الاحتفال بنفسه.. » ويرى إسحق بن صبّي بأن هناك أسبابًا للتصديق بأن هذا الأمر مازال معمولاً به إلى الوقت الحاضر «أي: عام ١٩٥٨م وهو عام نشر كتابه عن يهود الدونمة، خصوصًا بين فرعي: الأزميريين والقرهقاش من فرع الدونمة، وقد ذكر أحد الأشخاص المهمين منهم ويدعى صموئل أسل بأن مجموعته كانت قد أُمرت بتطبيق هذا الطقس إلى جانب وجود حالات من الإباحية الجنسية، ويُعلق الكاتب على ذلك بأنه يجب أن يكون هناك شيئان هما: تبادل الزوجات والإباحية الجنسية» (١).

وفي خبر عن جريدة «أقسام» التركية الصادرة عام ١٩٣٥م جاء فيه: «ألقت سلطات الأمن القبض على جماعة من الرجال والنساء يمارسون عادة إطفاء الشموع وتم ضبطهم بالجُرم المشهود وعُثر في الغرفة المجاورة لصالة الاحتفال على بعض الآلات الموسيقية وعلى دجاجة سوداء قُطع رأسها» (٢) والظاهر أنهم استعاضوا عن الخروف لضيق ذات اليد بالدجاجة..

فهذه هي خلاصة طقوس واحتفالات هذه الفرقة الضالة والمنحرفة بما يسمى بعيد الحَمَل أو عيد الخروف - عندهم - وهو كما واضح يدل على مدى فسادهم الخلقي وانحلالهم وانحطاطهم وإشاعتهم للرذيلة والفاحشة تحت ستار إظهارهم للإسلام، وهذا لا يخفي على لبيب حاذق أو أريب فاهم وعالم ببواطن اليهود الذين يريدون أن يُشيعوا الفاحشة في أوساط المجتمعات الإسلامية بكل الوسائل والسُّبُل، وقد أكدت على ذلك بروتوكولاتهم في أكثر من موضع - كما ذكر آنفًا -.

وهكذا استطاع يهود الدونمة أن يُشيعوا الفاحشة والانحلال والفساد الخلقي من خلال نشر عاداتهم السيئة التي اخترعوها وسط المجتمع التركي، ومن ثَمَّ نسبوها إلى الإسلام تحت زعم أنهم من أهله، والإسلام منهم ومن أفعالهم وأقوالهم براء، بل من اليهود من اعتبر أن طائفة الدونمة هم يهود خُلَّص.

---

(١) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص١١٣ «مصدر سابق».

(٢) يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٣٦.

فقد صرح رئيس الكيان الصهيوني المغتصب «السابق: إسحق بن زفي» [1] في كتابه «الدونمة» الذي صدر عام ١٩٥٧م بقوله: إن يهودًا كثيرين جدًا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين: إحداهما ظاهرة وهي اعتناق دين الشعب الذين يعيشون بينه جماعيًا وظاهريًا، والثانية: باطنة، وهي إخلاصهم العميق لليهودية..» [2]..

هذا هو دور يهود الخفي ا لذى أداه عن جدارة وبراعة واقتدار هؤلاتد الذين قاموا بالتخفي باسم الإسلام في الدولة العثمانية لتقويضها من الداخل..

فأول ما وضعوا عليه نصب أعينهم إسقاط الخلافة ونفي السلطان عبدالحميد ثم عملوا بعد ذلك على كيفية الوصول إلى سدة الحكم ومن ثَمَّ التحكم التام في مصائر الشعب التركى على جميع الأصعدة سواء الصعيد السياسى أو العسكرى أو الاقتصادى أو الثقافي أو الإعلامى، وقد استطاع يهود الدونمة بمساعدة ومشاركة الحركة الماسونية العالمية أن يسيطروا تمامًا على مقاليد الأمور في تركيا، حيث تقول إحدى وثائق تلك الحركة الماسونية: « يجب ألا تقتصر الماسونية[3] على شعب دون غيره، ولتحقيق حلم الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو (الدين) مع إزالة رجاله..» فيا ترى ما هي العلاقة الوثيقة التي ربطت يهود الدونمة بالماسونية؟ هذا ما سنتعرض له في الفقرة القادمة..

---

(١) إسحق بن زفي (٢٤ نوفمبر ١٨٨٤م - ٢٣ أبريل ١٩٦٣م» مؤرخ وزعيم عمالى صهيونى، وهو ثاني رؤساء إسرائيل بعد حاييم فايتسمان، ويعتبر إسحق بن زفي صاحب أطول فترة رئاسة يقضيها رئيس إسرائيلى «١٩٥٢م - ١٩٦٣م».

(٢) نقلاً عن حقيقة يهود الدونمة في تركيا للدكتور هدى درويش ص٤٤ «مصدر سابق».

(٣) أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان، ترجمه عن التركية، نور الدين رضا الواعظ المحامي، وسليمان محمد مين القابلى ص٢١ [الناشر: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع - الدوحة - قطر].

علاقة يهود الدونمة بالحركة الماسونية:

والماسونية منظمة يهودية سرِّية كُتب عنها العديد من المؤلفات وانبثق عنها أندية تنتشر في أوساط المجتمعات الراقية في جميع بلدان العالم بـ «أندية الروتارى، والليونز، البناى برث أو بناء العهد، أو الكيوانى، وأصل هذه التسمية مأخوذة من الكلمة الهندية «كى - وانى» أى: اعرف نفسك، كيف تجعل صوتك مسموعًا»، وكثير من هذه التسميات وهي إن كثرت وتعددت وإنما هدفها واحد، كالحية الرقطاء التي تُبدل جلدهات كل حين، و كلهاتتصب في رافد الماسونية ذات الجذور اليهودية سواء من الناحية الفكرية، أو من حيث الأهداف والوسائل.. أما عن تعريف الماسونية فهي كما تقول وثائقهم:

١- إن عقائدنا ورموزنا وإشاراتنا ودرجاتنا هي مصرية فرعونية «لاحظ الإشارات والرموز المطبوعة على الدولار الأمريكى»، ولكنها انتقلت إلينا بواسطة بني إسرائيل.

٢- إن الماسونية مذهب سرّى لم تُدون معالمها جميعًا، وأكثر أمورها تجرى على نهج شفوى.

٣- يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره.

٤- إن رجال الدين - عن طريقه «أى الدين» يحاولون السيطرة على أمور الدنيا، وعلينا أن لا نألوا جهدًا في التمسك بفكرة «حرية العقيدة»، وألا نتردد في شن الحرب على كافة الأديان لأنها العدو الحقيقى للبشرية، ولأنها السبب في التطاحن بين الأفراد والأمم عبر التاريخ.

٥- لابد لنا أن نكافح بجهد أكبر لإدامة القوانين والنظم اللادينية، لأن السلطة المطلقة التي صنعها رجال الدين[1]، على وجه المعمورة قد قاربت النهاية، لا بل آلت إلى الزوال،. وإن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعا[2].

---

(١) يقصد سلطة رجال الكنيسة إبان العصور الوسطى.

(٢)وهذا يتفق كثيراً مع ما جاء في بروتوكولاتهم.

٦- لقد اتخذت الماسونية منذ القديم حفظ الأسرار عادة لها.

٧- الماسونية هي اتفاقية تفوق كل الأفكار والفرق والأديان علوًا وقوة[١].

ودستور الماسونية الأساسي هو: الحرية، والمساواة، والإخاء، ولذلك تقول بروتوكولاتهم:

«إن المحافل الماسونية المنتشرة في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا.. إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسونى هي:الحرية والمساواة والإخاء، وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول: حق الحرية، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء، وبها سنمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا..» [٢].

وللأسف فإن المحافل الماسونية منتشرة عن طريق أنديتها انتشار النار في الهشيم في معظم البلدان العربية والإسلامية، وكان لتركيا النصيب الأوفر والتركيز الخاص من قِبَل اليهود لانتشار الماسونية وسط أبنائها عن طريق يهود الدونمة وبمساعدتهم.

وكانت العلاقة بين الماسونية ويهود الدونمة علاقة وطيدة، واستطاعوا أن يتغلغلوا في أوساط المجتمع التركى حتى وصلوا إلى سدة الحكم، وقد كان لهم الدور الفعَّال والبارز في الإطاحة بالخلافة العثمانية وبحكم السلطان عبدالحميد، وكان رؤوس الماسون ويهود الدونمة أعضاء في جمعية الاتحاد والترقى، كما سنذكر ذلك في الفقرة القادمة والتي سنتحدث فيها عن أثر يهود الدونمة في المجتمع التركي..

---

(١) هذه البنود السبعة مأخوذة من محاضر ومضابط مؤتمرات المحافل الماسونية وخطبهم راجع: الأسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان ص٢١، ٢٢ «مصدر سابق».

(٢) بتصرف من بروتوكولات صهيون.. البروتوكول الثالث ص١١٩، والبروتوكول التاسع ١٣٠ «مصدر سابق»..

أثر يهود الدونمة في المجتمع التركي:-

لقد لعبت المحافل الماسونية مع يهود الدونمة دورًا مؤثرًا في التخطيط لإسقاط الخلافة العثمانية وخلع السلطات عبدالحميد الثاني - آخر سلاطين وخلفاء الدولة العثمانية في السابع والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٠٩م، وكان رؤوس الماسونية ويهود الدونمة هم الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقى[1] الذي قامت بالانقلاب على الإمبراطورية العثمانية، ولقد استعملوا كالعادة شعارات براقة مثل: الحرية والديمقراطية وإزاحة المستبد «يقصدون السلطان عبدالحميد الثاني» مع أن العمل الوحيد الذي نذروا أنفسهم له هو نشر الشقاق والتمرد في تركيا وبين صفوف رجال الجيش.

وعلى هذا النحو استطاعات الحركة الصهيونية مع المحافل الماسونية متابعة النشاط السياسى لتحقيق المشروع الصهيونى باستيطان فلسطين، وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولي لتنفيذ المخططات الصهيونية الدولية والماسونية العالمية.

وقد كشف الجنرال جواد رفعت أتلخان - القائد التركى المعاصر للسلطان عبدالحميد - أنه في القرار المرقم (٧٠) للجمعية الماسونية الفرنسية جاء فيه أنه تم تأسيس جمعية سرية في تركيا باسم «جون تورك» فباشرت نشاطها من سالونيك «التي تضم اليهود الأكثر نفوذًا في أوروبا بمن فيهم يهود الدونمة».

«وقد كشف السلطان عبدالحميد - رحمه الله - في مذكراته عن الكوارث

---

(١) هي حركة معارضة للخلافة الإسلامية العثمانية هدفها الإطاحة بالإمبراطورية العثمانية، تأسست عام ١٨٩٤م، ثم وصلت إلي سدَّة الحكم في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩م، ومن ثمَّ ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى مما أدى إلي سقوطها وتقاسم الدول الأجنبية لأرضيها، ومن المعلوم أن قادة الاتحاد والترقى لم يكن بينهم عضو واحد من أصل تركي خالص، فأنور باشا هو ابن رجل بولندى، وكان جاويد بك الذي كان يشغل منصب وزير المالية في الدولة العثمانية من يهود الدونمة، وكان عمانوئيل قره صو يهودى دونمى أيضًا، كما أن اليهوديين «نسم روسو» و«نسيم مازلياح» كانا من العناصر المؤسسة والفعالة في حركة تركيا الفتاة، وكانت لجماعة البكتاشية من يهود الدونمة الدور الهام في مساعدة الاتحاديين ضد الدولة العثمانية [راجع: الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا لمصطفى محمد ص٧٠ «طُبع بالمانيا الغربية عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م»].

التي حلَّت بالدولة نتيجة المكائد التي كانت تدبرها الدول الأوروبية بالتعاون مع يهود الدونمة» [١]، وكان اليهودي السلانيكي عمانويل قره صو أو «قارصوه» هو المؤسس لهذا المحفل الماسونى وهو أيضًا من المؤسسين - كما ذكرنا آنفًا - لجمعية الاتحاد والترقى، هناك وثيقة بريطانية تثبت ذلك حيث تقول تلك الوثيقة:

«ويبدو أن عنصر التخطيط الأساسي لهذه الحركة (أي: جمعية الاتحاد والترقى - في سالونيك كان يهوديا.. وبعد فترة قصيرة من الثورة في عام ١٩٠٨م عندما أنشأت الجمعية مركزها في القسطنطينية «استانبول» تبين بعد وقت قصير من ذلك أن أعضاءها القادة كانوا ماسونيين.

وقد بدأ «عمانؤيل قره صو» - اليهودي - يقوم بدور خطير، ومن ذلك نجاحه في السيطرة على الجمعية في البلقان، وتبين أيضًا أن اليهود الأجانب والأتراك على اختلاف اتجاهاتهم كانوا مؤيدين ومتحمسين للوضع «أى: للقيام بالثورة ضد السلطان عبدالحميد» حتى إن الأتراك أخذوا يقولون إن الحركة هي حركة يهودية أكثر مما هي ثورة تركية..» وجاء في الوثيقة أيضًا: «إن اليهود قد زودوا هذه الحركة بالأموال ولذلك أحكموا السيطرة عليها تمامًا، ومن جل أن تبقى هذه السيطرة يجب أن يظهر اليهود على الأقل بأنهم إنما يدعمون الحركة من أجل تحقيق أحلامها القومية.. وإن اليهود الشرقيين المتمرسين على استعمال القوة الخفية والسياسية العالمية قد اختيروا من أجل أن يكونوا الرابطة الفعَّالة والغطاء الذي يخفي تحته الأعمال السرية للحركة..» [٢]، وتأكيدا على أن هذه الوثيقة حقيقية نشرت مجلة المشرق التي كانت تصدر في تلك الفترة ما يلى:

«لكن الماسونية الشرقية حتى هذه الأزمنة الأخيرة كانت بأيد أجنبية، لا يكاد يلوح فيها عمل اليهود، فلما أُعلن الدستور وتم الانقلاب على الدولة العثمانية ظهرت اليهودية في أتم صورها وأجلاها والكل يعلم أن مركز هذا الانقلاب كان في مدينة «سالونيك» واليهود نيف وسبعون ألفًا، فلما أُنشئت جميعة الاتحاد

(١) حقيقة يهود الدونمة في تركيا للدكتورة هدى دريش ص٤٥ «مصدر سابق».

(٢) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام للدكتور جعفر هادى حسن ص١٢٢ «مصدر سابق».

والترقى تحت سيطرة الماسونية كان للضباط وجنودهم القوة العاملة، أما التدبير لتنفيذ العمل وإخراجه إلى حيز الوجود فكان في أيدى الماسونيين الذين تعهدوا بدفع المبالغ المالية اللازمة لذلك المشروع ثم نُفِّذ بالفعل وأسرع هؤلاد الماسون مع الضباط وتربعوا على دستة السلطة وقاسموهم الغنائم السلطانية، ولما أراد السلطان عبدالحميد أن يتخلص من ربقة الدستور وجرى من الحوادث ما جرى في أواخر نيسان «أبريل» من عام ١٩٠٩م أُرسل إليه وفد يؤذنه بالخلع وكان من جملة الساعين بالأمر رئيس محفل الماسون في سالونيك وهو يهودي مع أحد المسلمين اليهود «أى: من الدونمة» »[١].

أما بالنسبة إلى تأثير الدونمة على هذه الجمعية «أي: الاتحاد والترقى» فهو لا يقل عن تأثير اليهود والماسون، وقد لاحظ ذلك وشخّصه قسم من الباحثين في تاريخ الجمعية وتاريخ فرقة الدونمة، وكان أكثر الدونمة المشتركين في هذه الجمعية ينتمون إلى فرعى اليعقوبيين والأزميريين، فقد ذكر Lukack ما نصه:

«بعد أن بقيت فرقة الدونمة لأكثر من قرنين من الزمن مجهولة عند الناس أصبح لها بروز سياسي مهم في تركيا في العصر الحديث وذلك للدور البارز الذي لعبه بعض أعضائها في لجنة الاتحاد والترقي..»[٢].

وقال السيد محمد رشيد رضا عن دور الماسونية ويهود الدونمة في السيطرة التامة على جمعية الاتحاد والترقي: «إن بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون أن تبقى الدولة في أيديهم يديرونها كما يقررون فيما بينهم بزمامي حزبهم في مجلس الأمة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح يؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش.. وإن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش، وقد يكون هذا تمهيدًا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية.. وإن من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود

---

(١) مجلة المشرق العدد الثامن آب «أغسطس» ١٩١١م ص٦١٧، ٦١٨.

(٢) راجع: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص١٢٤ «مصدر سابق».

فيهم وفي الدولة، وذلك يُفضى إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليود لكثير من خيرات البلاد..»[١].

وهناك وثائق ودراسات تؤكد ضلوع اليهود ودورهم الخفي في السيطرة على جمعية الاتحاد والترقى التي أسقطت الخلافة العثمانية وأجبرت السلطان عبدالحميد الثانى - رحمه الله - عن التنازل عن العرش ومن ثمَّ نفيه إلى «سالونيك» موئل يهود الدونمة ومركز يهود الماسون الدولى.. «وما أن زال السلطان عبدالحميد.. حتى بدأ اليهود يقطفون الثمار.. فاشتروا معظم الصحف التركية.. وعينوا العديد من شخصياتهم في حكومة الاتحاديين وخاصة جاويد بك الذي عُيّن وزيرًا للمالية، والذي استطاع تأمين بعض القروض المالية.. مما سهل أمامه مهمة التعاون مع جمعية الاتحاد الإسرائيلية في نيويورك لشراء الأرض في فلسطين، واستطاع اليهود كذلك إلغاءمعظم القوانين التي وضعت أساسًا للحيلوية دون هجرة اليهود إلى فلسطين، وكذلك تم نقل بعض الموظفين العثمانيين المعارضين لاستيطان اليهود في فلسطين من القدس، وباختصار فيمكننا وبكل تأكيد أن نقول إن تاريخ إنشاء دولة إسرائيل «اللقيطة» لم يكن عام ١٩٤٨م.. بل كان عام ١٩٠٩م،عندما سقط السلطان عبدالحميد الثاني عن العرش»[٢].

وللتدليل على صحة الكلام السابق ننقل تصريح «طلعت باشا» وهو أحد أقطاب لجنة الاتحاد والترقى إلى مراسل صحيفة ألمانية صهيونية - كما ذكرت دائرة المعارف اليهودية - حيث قال: «إن تركيا تؤيد توطين اليهود في فلسطين وأن القيود الحالية سترفع وستكون الهجرة دون قيد أو شرط في حدود استيعاب البلد للمجموعة المهاجرة وسيكون لليهود حكومتهم ونظامهم الاقتصادى وثقافتهم الخاصة بهم ضمن الإطار العام للقانون العثماني»[٣].

(١) فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام نقلاً عن مجلة «المشرق» العدد الثامن «آب - أغسطس/ ١٩١١م» ص٦١٠.

(٢) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا لـ مصطفى محمد ص٧١، ٧٢ «مصدر سابق».

(٣) دائرة المعارف اليهودية. مادة: Zionism.

ولذلك ففور استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على السلطة بمساندة المثلث المشئوم - يهود الدونمة[١]، والماسون من اليهود، وبتدعيم من الاستعمار الأوروبي وخاصة إنجلترا، كان أول شيء فعلوه أن فتحوا أبواب إسطنبول وبقية المدن التركية الكبرى لليهود، بل فتحو باب الهجرة إلى فلسطين على مصراعيه بعد أن كان مغلقًا تمامًا من قِبَل السلطان عبدالحميد الثاني، وفي اسطنبول التي أصبحت العاصمة المهمة ليهود تركيا، وجماعة الدونمة بدأت بالسيطرة على مقدرات البلاد، بدءًا بالحكام والعسكريين ومرورًا برجال الاقتصاد والإعلام ونهاية برجال الدين الذين كانوا أبواق السلطة وأذنابها، حتى أن أول شيخ للإسلام عُيِّن في بدء عصر نفوذهم وفي أوائل عهد الاتحاديين، وأخذت تصدر عنه تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبرر تصرفاتهم، كبعض رجال الدين الذين يخدمون السلطة في كل عصر ومصر..

(١) بتصرف من يهود الدونمة لأحمد نورى النعيمى ص٤٢، ٤٣، ويهود الدونمة - أيضا - للدكتور محمد عمر ص٣١ «مصدر سابق.

الزعيم التركي مصطفى أتاتورك ويهود الدونمة:

تؤكد كثير من المصادر الغربية والتركية وكذلك اليهود أن مصطفى كمال أتاتورك الذي وُلِدَ في مدينة سالونيك «معقل يهود الدونمة» في التاسع عشر من شهر مايو عام ١٨٨١م وتوفي في العاشر من نوفمبر عام ١٩٣٨م؛ ترجع أصوله إلى يهود الدونمة، وكان يُطلق عليه اسم الذئب الأغبر، واسم أتاتورك يعني «أبو الأتراك»، تقول دائرة المعارف اليهودية:

لقد أكد الكثير من يهود سالونيك أن كمال أتاتورك كان أصله من الدونمة، وهذا هو أيضًا رأى الإسلاميين المعارضين لكمال أتاتورك ولكن الحكومة تُنكر ذلك..»، وهناك نص آخر يقول:

«كان محمد جاويد بك وكمال أتاتورك من عضاء الدونمة المتحمسين والنشيطين، وإن بعض الأتراك كانوا يعرفون أن كمال أتاتورك كان منهم فحاولوا استعمال هذا الانتماء ضده من أجل القضاء عليه سياسيًا ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، وإن مجموعة من قادة حزب تركيا الفتاة عبدوا الله في الظاهر ولكنهم في الحقيقة كانوا يؤمنون في دخيلة أنفسهم بأن «شبتاي صبّي» هو نبيهم الحقيقى..» (١)، يعزو يهود الدونمة قولهم بانتساب أتاتورك لهم هو محل ميلاده في مدينة سالونيك وقضاؤه سنوات دراسته في مدرسة «شمس أفندى» السبتائى، وكانت أول مدرسة تُدرِّس العلوم الغربية، وكان يدرس فيها السبتائيون، وكان شمس أفندى هو أول مُدرِّس لأتاتورك وهو أحد كبار الفلاسفة اليهود السبتائيين في القرن التاسع عشر، وقد ذكره مصطفى أتاتورك في خطاباته واحتل مكانة كبيرة في كتاباته..» (٢)، وتخرّج عام ١٩٠٥م من الكلية العسكرية في أسطنبول برتبة نقيب أركان حرب، ثم عُين رئيس الأركان برتبة مارشال عام ١٩٢٢م نتيجة قيادته للحروب التي خاضها ضد أعداء تركيا في تلك الفترة، وفي يوليو عام ١٩٢٣م وقعت الحكومة الوطنية التركية معاهدة لوزان مع كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وآخرين، ولقد تضمنت تلك المعاهدة عدة شروط وهي:

---

(١) دائرة المعارف اليهودية [مادة: Doenmeh] نقلاً عن فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ص١٣٤.

(٢) حقيقة يهود الدونمة للدكتورة هدى درويش ص٤٦ «مصدر سابق».

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة.

٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم.

ومع شرط إلغاء الخلافة اشترطوا أيضا إبعاد أسرة آل عثمان عن تركيا..

هذه الشروط كانت تلقى رغبة وحبًا وهوى من نفس مصطفى كمال الذي نفذها بحذافيرها هو وزمرته، وتعتبر معاهدة لوزان التي اعتبرها الكماليون نصرًا سياسيًا بنوا عليه أمجادهم فيما بعد.. هذه المعاهدة كتب عنها المؤرخون الأتراك المحدثون وقالوا إنها كانت أكبر نكسة في تاريخ الأمة..» (١)، وبذلك استطاع مصطفى كمال وبمساعدة يهود الدونمة والماسونية العالمية أن يصل إلى سدة الحكم من خلال انتخاب الجمعية الوطنية الكبرى له كرئيس شرعي للحكومة، فأرسل بعد انتخابه عام ١٩٢١م مبعوثه عصمت باشا إلى بريطانيا لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا، و في منتصف أكتوبر من نفس العام أصبحت «أنقرة» عاصمة الدولة التركية الحديثة بدلاً من استانبول وفي ٢٩ أكتوبر أُعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى كمال باشا أتاتورك بالإجماع رئيسا للجمهورية التركية الحديثة وذلك بعد تعهده لتنفيذ معاهدة لوزان، فماذا فعل أتاتورك بتركيا الحديثة؟

١- في ٣ مارس ١٩٢٤م اعتمد مصطفى كمال وجمعيته الوطنية الصورية القانون المدني السويسري وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألماني، وألغى الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد - كما نصت معاهدة لوزان.

٢- فصل الدين عن الدولة، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية وحوّل

---

(١) بتصرف من الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص١٠٦ «مصدر سابق».

المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية، وأغلق كثيرا من المساجد، وحوّل مسجد أيا صوفيا الشهير إلى مُتحف.

٣- ألغى الحروف العربية، وبدأ بكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية واستبدل معظم الكلمات العربية بكلمات لاتينية في اللغة التركية، وجعل الأذان باللغة التركية.

٤- عمل على تغريب المجتمع التركي ولىّ وجهه قِبَل الغرب وحاول تحويل تركيا إلى دولة أوروبية. فقد جاء في بيان لمصطفى كمال ما يؤكد ذلك فقال: «إنه تحقيقًا لتحويل تركيا إلى دولة أوروبية، واقتداءً بالأمم الغربية. ولا سيما الجمهورية الفرنسية، فقد تقرر: فصل الدين عن الدولة فصلاً تاما وإلغاء الخلافة الإسلامية، وإلغاء وزارتى الأوقاف ومشيخة الإسلام، والمحاكم الشرعية، وإقرار قانون استعمال التقويم الجريجورى «أى الغربى»، وعدم تغيير مواعيد العمل مدة شهر رمضان، واعتبار يوم الأحد العطلة الرسمية في البلاد.. وأضاف البيان: إنه لكي يكون الترك أمة أوروبية بمعني الكلمة فقد تقرر أن يكون لأفراد الشعب التركى كلهم ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية، وتوحيد الثقافة مبني قبل كل شيء على توحيد التعليم، فقررت سياسة إلغاء التعليم الدينى وجعل التعليم كله علمانيًا، وإلغاء المدارس الإسلامية دون استثناء..»(١).

٥- إلغاء اللباس الإسلامي وأجبر مصطفى كمال الشعب التركي على خلع «الطربوش» وارتداء «القبعة الأوروبية» ، وأجبر المرأة على السفور، وسن القوانين ضد المخالفين، واكتفي بأن يكون اللباس ساترًا للعورة فقط، وللمرأة أن تلبس ما تشاء.

٦- عمل على نشر الثقافة العلمانية، ورفع شعار تحرير المرأة «من الإسلام»، ورفعه من بعده جميع الساقطين الأتراك الذي أسماهم الغرب بـ «المصلحين» وهم «المفسدون في الأرض».

---

(١) المصدر السابق نقلاً عن الموسوعة الإسلامية العربية -الجزء الرابع - لأنور الجندى.

٧- هو الذي زرع بذرة الخلاف بين الشعب التركي الواحد، حيث كانت الخلافة العثمانية تضم بين جنباتها جميع الطوائف والأجناس والأعراق دون تمييز بين جنس وآخر، فبذر أتاتورك بذرة الشقاق بين الشعب التركي المسلم، وخلق مشكلة الأكراد ولم يعترف بهم كأمة مستقلة ولم يعطهم حقوقهم كاملة بل تبنى دعوة «التتريك» التي وضعها وأسسها يهود الدونمة - كما أسلفنا - ودعوة إلى القومية التركية، وألغى وأشاح بوجهه عن بقية القوميات التي كانت ولا زالت تعيش على الأرض التركية مما خلق العصبية والعنصرية بين أفراد الشعب التركى الواحد..

«هذه هي أهم الأسس التي قامت عليها العلمانية التي فرضها مصطفى كمال أتاتورك على الشعب التركى بقوة السلاح.. والإرهاب» (١).

وهكذا استطاع «أتاتورك» أن يفرض قوانينه ونظامه السياسي العلماني على الشعب التركي طيلة خمسة عشر عامًا التي مضاها في الرئاسة، بحيث كان من السهل على من جاء بعده أن يُقر بتلك القوانين والدساتير التي تغلغلت في المجتمع التركي وتركت بصماتها عليه حتى عصرنا الحالي الذي نعيش فيه..

وتعتبر جماعة «القابندرجي» من يهود الدونمة هي الأوفر حظًا في انتشار أفرادها داخل خلايا جمعية الاتحاد والترقى والتي انبثق عنها حركة انقلاب «تركيا الفتاة» حيث أداروا الجزء الأكبر من انقلابهم الذي أطاح بالخلافة العثمانية، ومن خلال هؤلاء تم زرع هذه البذرة الفاسدة المتمثلة في مصطفى أتاتورك الذي استطاع تنفيذ مخططات اليهود بكل دقة، تمامًا كما فعلوا في تنفيذ مخططاتهم التي ذكروها في بروتوكولاتهم، وكما فعلوا أيضا في مخططاتهم تجاه تهويد مدينة القدس، ومحاولات هدمهم للمسجد الأقصى لإقامة هيكلهم المزعوم مكانه - لا سمح الله - فاليهود بارعون في حبك المؤامرات والمخططات وهم أكثر براعة في صبرهم ومثابرتهم على تنفيذ تلك المؤامرات والمخططات، فهم تمامًا يتبعون خطوات الشيطان ويمتثلون لأوامره وينفذون كل ما يوحى لهم به بكل خضوع واستسلام، فهم جُنده الأوفياء وحزبه الخُلصاء..

---

(١) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص١١٧ «مصدر سابق».

وهكذا استطاع يهود الدونمة أن يسيطروا على مقاليد الحكم في تركيا عن طريق المؤسسة العسكرية التي أصبحت تدين بالعلمانية ولا ترضى بغيرها سبيلا، وأصبحت هذه المؤسسة هي عصب الحياة في تركيا، فهي التي تتبنى تنفيذ السياسات هناك وهي التي تمسك بدفة الحكم وأزمّة الأمور في طول البلاد وعرضها، وأصبحت تلك المؤسسة العسكرية تهتم بالشأن العام غير العسكرى كالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو حتى اجتماعية ولم يقتصر دورها على الاهتمام بالجيش فقط و تدبير الانقلابات وإنما أصبح دور تلك المؤسسة هو تنظيم الحياة العامة للبلاد والتدخل في جميع شؤون البلاد التركية، هذه المؤسسة العسكرية تدعي اليوم أنها تقوم على حماية الثوابت التي وضعها مؤسس تركيا الحديثة «العلمانية» مصطفى أتاتورك وتخوض بذلك الحرب على كافة الجبهات الداخلية من جل حمايتها والدفاع عن تلك الثوابت التي تخالف وتناقض أصول وثوابت الشريعة الإسلامية، هذا عن أثر يهود الدونمة وفرقهم في المؤسسة العسكرية والحياة السياسية، أما عن أثرهم في الحياة الثقافية، فهذا ما سنتحدث عنه في الفقرة القادمة..

تأثير يهود الدونمة الثقافي على الحياة التركية:

ومن تأثير يهود الدونمة على المجتمع التركي محاولة التغلغل الثقافي فقد قام المدعو «عمر رضا دوغرول» وهو من يهود الدونمة، بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية، لكي لا يُقرأ باللغة العربية، وحذف منه آيات الجهاد وما يمس اليهود، ودعا إلى أن تكون الصلاة والأذان باللغة التركية، ونبذ اللغة العربية في العبادات.

كما ألّف «ألفتكين ألب» وهو يهودي الأصل، وكان يدعى قبل إسلامه «وايز كوهين» كتابًا اسمه «التتريك» ونشره بين طبقات الشعب، يدعوهم فيه إلى نبذ دينهم الإسلامى وتراثهم المشترك مع العرب، وإثارة النزعة القومية الطورانية،ومحاربة القوميات المنضوية تحت قيادة السلطة العثمانية، وخاصة القومية العربية، وقد عزز هذا الاتجاه ما صرح به المستشرق اليهودي «برنارد لويس» من أن ثلاثة من يهود أوروبا كانوا يثيرون النزعة القومية عند الترك، وهم:

١- اليهودي: «أرثر لوملى ديفيد» وكتابه «دراسات تمهيدية» الذي حاول من خلاله إثبات استقلالية العِرق التركى، وأفضليته على العرب، وقد ذاع صيت هذا الكتاب، بعد ترجمته إلى اللغة التركية، وشكل بدايات الكتابات التركية التي تمحورت حول تمجيد العِرق التركي.

٢- الكاتب اليهودي «ديفيد ليون كوهين» وكتابه «تعريف عام بتاريخ آسيا» وقد ركز فيه حديثه على تفوق العِرق التركى وسموه، وقد عُدَّ كتابه هذا - «حسب تعبير المستشرق برنارد لويس» - مرجعًا أساسيًا لإعلام الفكر القومي التركى وخاصة مؤسسى حركة «تركيا الفتاة».

٣- المستشرق اليهودي «أرمينوس فالمبري»: وهو ابن حاخام يهودي مجري، ترك عدة مؤلفات منها: «رحلة درويش شاحا في آسيا الوسطي» تضمنت أفكارًا مثيرة للعصبية القومية عند الأتراك.

هؤلاء الكُتّاب اليهود لعبوا دورهم البارز في بعث العقيدة الطورانية العنصرية وبلورتها، وقد لخّص المستشرق اليهودي «برنادر لويس» هذه الظاهرة بقوله:

«وهكذا أدرك الأتراك قوميتهم عبر الغربيين، مستنسخين بذلك الكتابات الغربية (أى: اليهودية)[1].

ومن أبرز دعاة الطورانية «القومية التركية»، وهي تعد كذلك من أشهر وجوه الأدب التركى المعاصر والداعية النشطة للطورانية والقومية المتعصبة الأديبة خالدة أديب وهي أيضًا من يهود الدونمة، ووالدها أديب أفندى «دونمة يهوذى» كان موظفًا صغيرا في القصر السلطاني ومكث فيه مدة طويلة، وكانت ابنته معادية للقصر، وكانت قومية متعصبة، كما كانت خالدة أديب تشبه فتيات بني إسرائيل الجميلات، تخرجت في «الأمريكان كولج» في استانبول عام ١٩٠١م، وتزوجت مرتين، الأولى من مُدرسها في الرياضيات صالح زكى والثانية من عبدالحق عدنان بك، وزارت من البلاد الإسلامية كلا من: مصر وسوريا والهند، وشغلت منصب أستاذة للآداب الغربية في جامعة استانبول عام ١٩١٨/١٩١٩م وتعاونت مع جمعية الاتحاد والترقي واحتلت مكانًا بارزًا في عهدهم، وكتبت روايتها المشهورة «طوران الجديدة» لتعبر عن الأيديولوجية الطورانية، ثم انضمت للكماليين وصارت من أبرز شخصياتهم، ويصف الكُتاب خالدة أديب أنها «جان دارك الأتراك»، وقد تتلمذت على يد فيلسوف القومية التركية «ضيا كوك ألب» الذي تتلمذ بدوره على يد المفكر اليهودى الشهير «دور كايم»، كما تتلمذ على يد هذا المفكر أيضا دكتور الأدب العربي طه حسين - كما ذكرنا ذلك آنفًا - وقد أطلقوا عليها «رسول الطورانية» ، وقد ظهر من كتابات هذه الكاتبة عداءها الشديد للإسلام وعلماء الإسلام وكانت داعية إلى نشر فكر الإلحاد، وكتاباتها تنضح بذلك.»[2] هذا عن دورهم الثقافي في الحياة التركية.

---

(١) مقال علي النت بعنوان «الدونمة والخديعة الكبرى» لأديب كريم.

(٢) بتصرف من يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٤٤، وجان دارك (١٤١٢م-١٤٣١م) امرأة فرنسية، وهي تعتبر مصدر إلهام للعديد من المبدعين الفرنسيين التي رفعوها لمرتبة قدّيسة، ولذلك لأنها استطاعت أن ترفع الحصار عن مدينة (أورليانز) الفرنسية عام/ ١٤٢٩م ولكن السلطات الإنجليزية ألقت القبض عليها وحكموا عليها بالإعدام حرقًا وهي في سن التاسعة عشرة ومن ذلك الحين وهي تُعرف بـ(عذراء أورليانز) [بتصرف من مقال بعنوان: وفاء وجان دارك.. نساء على طريق المقاومة، لعالية سي أحمد نُشر على موقع إسلام أون لاين في ٢/ ٢/ ٢٠٠٢م].

دور وتأثير يهود الدونمة في أجهزة الإعلام التركية:

سيطر يهود الدونمة على أجهزة الإعلام التركية وأبرز عائلات الدونمة في هذا المجال: «قبانجى»، «كِبار»، و«إيبكجى»، وهذه الأخيرة لها مكانتها الضخمة في الحياة الإعلامية في تركيا، إن تأثير الدونمة على هيئة الإذاعة والتليفزيون التركية ضخم بدرجة ملحوظة ولا يمكن إنكاره، ومن الثابت أن أكبر دور النشر وأضخم دور الصحف التركية يمتلكها ويديرها يهود الدونمة، وتعتبر جريدة «حريت» أكبر دار نشر في تركيا، ومعدل توزيعها يفوق معدل توزيع مثيلاتها من الصحف اليومية، ويقرب توزيعها من المليون نسخة، وتتبع جريدة «حريت» دارًا راقية للطباعة والنشر تحمل نفس الاسم، ومن هذه الدار تصدر مجلات بين أسبوعية وشهرية تمثل المكانة الأولى في التوزيع بين المجلات، منها مجلات «حيات» ومجلة «التاريخ»، ولا شك أن لدار «حريت بجريدتها ومجلاتها وكتبها أثر كبير بل أكبر الأثر في توجيه قطاعات ضخمة من الشعب التركي ،وتحتضن هذه المؤسسة الصحفية الضخمة كبار كُتَّاب اليسار التركى المعادى للإسلام» (١).

لقد كان أول اسم صحفي من يهود الدونمة يخرج من نطاق المحلية إلى العالمية هو أحمد أمين يالمان، والذي أسس عدة صحف ومجلات هامة، واشترك في بعض المؤتمرات الصهيونية بالولايات المتحدة الأمريكية، وتبني أثناء الحرب العالمية الأولى - الدفاع عن قيام دولة أرمينية، ودولة كردية، تقتطعان من الأراضى التركية، ونادى بقبول تركيا الحماية الأمريكية، وناصر أيضا قضايا الماسون الأتراك، ودافع عن قضايا الشيوعيين الأتراك وعن إسرائيل. ونشط في الدعاية الصهيونية، والهجرة إلى إسرائيل، كما كان معاديًا للإسلام والمسلمين حتى أن الشاعر التركى المسلم «يزن توفيق» هجاه بقصيدة مطلعها: «أحمد أمين دونمة خبيث يقذف بالطين أهل الشرف».

«ويملك يهود الدونمة جريدة «ميلليت» رابع الصحف التركية توزيعًا ورئيس تحريرها هو «عبدى إيبكجى» الدونمى وكان رئيس نقابة الصحفيين الأتراك والأمين العام لديوان الشرف الصحفي، وكانت له شُهرة عالمية إذ أنه عضو

---

(١) يهود الدونمة للدكتور محمد عمر ص٥١ «مصدر سابق».

بمجلس إدارة معهد الصحافة بزيورخ المعروف بسيطرة اليهود عليه وهو« آي. بي، آى ».

وفي عام ١٩٦٨م عُيِّن «عبدى إيبكجى» هذا عضوًا في هيئة التدريس بمعهد الصحافة بجامعة استانبول، ومن أهم ما نادت به صحيفتا «حريت، وميلليت» ضرورة التعاون مع إسرائيل للقيام بالعمل المشترك ضد الحركات الأصولية الإسلامية، كما عملتا على تجريد العرب من الصفات الإنسانية..» (١).

ومن ناحية أخرى كان ليهود الدونمة دورهم وتأثيرهم على وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتليفزيون، وقد تولى إداراتها إسماعيل جم إيبكجى وهو من يهود الدونمة، وكان من أبرز الكُتّاب اليساريين، وقد قام بتأسيس جريدة «بوليتيكا» اليومية الصباحية التي كانت تصدر من استانبول، وكانت تلك الجريدة بوقًا للدعاية إلى الفكر الماركسي الشيوعي.

«وقد لخّص الأستاذ الجامعي فاروق تيمور طاش الكاتب ذو الاسم اللامع في تركيا دور إسماعيل جم بقوله: المفروض رسميًا أن تكون هيئة الإذاعة والتليفزيون التركية جهازًا محايدًا لكن إسماعيل جم وجه الجهاز فكريا إلى الدعوة لفكر اليسار المتطرف، وحزبيًا إلى تأييد حزب الشعب الجمهورى والدعاية له، وهو أكبر الأحزاب اليسارية في تركيا» (٢).

وهكذا استطاع يهود الدونمة أن يسيطروا على العقلية التركية من خلال سيطرتهم على وسائل الإعلام سواء كانت المرئية أو المسموعة أو المقروءة، وذلك من خلال الكُتّاب الذين انتخبوهم واختاروهم بعناية فائقة وربوهم على أعينهم لينفذوا مخططاتهم من خلال تلك الوسائل الإعلامية والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

- تشويه صورة العرب لدى الأتراك.

- تشويه صورة الأتراك المسلمين ورجالات الدولة العثمانية وتصويرهم في صورة الحكام المستبدين.

---

(١) حقيقة يهود الدونمة في تركيا ص٥٠، ٥١ «مصدر سابق».

(٢) مقال على النت بعنوان «معتقدات يهود الدونمة».

- الانقضاض على الدولة العثمانية وتشويه صورتها وإذكاء الأحقاد الصليبية ضد الإسلام.

- نشر الفكر العلمانى وإذكاء روح القومية التركية المتطرفة.

- إشاعة الفاحشة ونشر الانحلال الخلقى من خلال الأفلام الفاضحة والمسلسلات الداعرة.

- تحسين صورة اليهود أمام الرأي العام التركى والتنديد بمعاداة اليهود.

- إضفاء هالات البطولة على بعض الشخصيات التركية التي تؤيد الصهيونية وتنتمى إلى الماسونية.

- تشويه صورة الفدائيين الفلسطينيين ووصفهم بالإرهابيين.

- العمل على ترويج فكرة تكوين الدولة التركية العلمانية والدعوة الصريحة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبى.

- تشجع هجرة اليهود الأتراك إلى فلسطين (١).

- هذه هي أهم النقاط التي حاول يهود الدونمة التركيز عليها ونشرها وسط المجتمع التركى من خلال وسائل الإعلام التي يتحكمون في السيطرة عليها..

وهكذا أضحت هذه الشرذمة الشاذة والطائفة الضالة التي تسمى «الدونمة» على اختلاف مشاربها وجماعاتها كالشوكة في حَلق المجتمع التركى وذلك من خلال بطاناتهم وأفرادهم الذين اندسوا وسط الشارع التركي المسلم، بأسماء إسلامية ومظاهر إسلامية، كذلك وهم يبطنون يهوديتهم وكفرهم وحقدهم لكل ما هو إسلامي وذلك؛ لتحقيق مآربهم ومخططاتهم التي رسموها بعناية ونفذوها وطبقوها بكل دقة وصبر ومثابرة، وكان من أوائل تلك الأهداف والمخططات إسقاط الخلافة العثمانيةوزوالها تمامًا وهي التي فتحت لهم أبواب البلاد على مصراعيها بعد أن طردتهم أسبانيا والبرتغال وبعد ما عانوه هناك من اضطهاد

---

(١) حقيقة يهود الدونمة، بتصرف ص٥٢ نقلاً عن فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية. العلاقات العربية التركية لإبراهيم الداقوقى ص٥٥٠.

وتعذيب فاستقبلتهم الدولة العثمانية ووجدوا فيها الأمن والأمان وعاشوا في كنفها وعلى أراضيها، فما كان من اليهود إلا أن قلبوا لتلك الدولة ظهر المجن وقابلوا الإحسان بالإساءة، والخير بالشر، وأظهروا طبائعهم التي جُبلوا عليها كالغدر والخيانة والمكر والكيد والخديعة، فأبدلوا جلودهم كالحية الرقطاء فأظهروا الإسلام تقية وأبطنوا يهوديتهم وكفرهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين فانقضوا على الخلافة العثمانية بعد طول مؤامرات فأسقطوها، وقاموا بإشاعة الفُرقة والخلاف بين أبناء الشعب الواحد، وأحيوا العصبية والعنصرية وطالبوا بفصل الأقليات غير التركية عن الدولة الأم، وقلّبوا الأجناس والأعراق بعضها على بعض فهذا كردى وذاك أرمنى وآخر تركمانى وأشعلوا نار الفتنة والخلاف فأحيوا المذاهب الهدامة ونشروها بين العوام من خلال المؤسسات الإعلامية الضخمة التي كانوا يسيطرون عليها - ولازالوا - كما ذكرنا ذلك آنفًا - وأحكموا سيطرتهم التامة على مقدرات الأمور في طول البلاد التركية وعرضها بدءًا من سيطرتهم على سدّة الحكم والتي تمثلت في رأس السلطة ومرورًا بهيمنتهم على المؤسسة العسكرية التي كانت ولاتزال تقف بجانب اليهود والدولة المغتصبة، وما أدلّ على ذلك من التعاون المشترك بين المؤسسة العسكرية التركية وجيش الاحتلال الإسرائيلي وإقامة المناورات العسكرية المشتركة بينهما، ولأول مرة منذ خمسة عشر عامًا تمنع الحكومة التركية عام ٢٠٠٩م الطائرات الإسرائيلية من التحليق فوق أجواء الأناضول والأراضي التركية وقررت الحكومة إلغاء تلك المناورات الجوية التي كان من المقرر أن تستضيفها في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩م.

وأرجعت «أنقرة» السبب إلى أن الطائرات التي سترسلها دولة العدو الإسرائيلى هي على الأرجح نفس الطائرات التي تم استخدامها خلال العدوان الغاشم على قطاع غزة والتي كانت تُدعى «الرصاص المصبوب أو المنصهر» في مطلع عام ٢٠٠٩م وتحديدًا في شهر يناير، والذي راح ضحيته ١٤١٧ مدنيًا الذين نحتسبهم شهداء عند الله - عز وجل - وكان عدد الجرحى ٥٤٥٠ مصابًا، وكان أكثر هؤلاء من الأطفال والنساء، ولذلك منعت الحكومة التركية تلك المناورة التي

كانت ستستضيف فيها المؤسسة العسكرية التركية قتلة الأطفال والنساء من الضباط والطيارين اليهود حياءً مما فعلوه بأهل فلسطين ونزولاً على رغبة الشارع التركى.

وهذاالمنع إنما جاء من قِبَل الحكومة المدنية التي يمثلها رئيس الحكومة الحالي «رجب طيب أردوغان» ولم يأت من قِبَل المؤسسة العسكرية التركية التي توالى على الدوام حكومات العدو الصهيونى منذ احتلاله لأرض فلسطين وحتى الآن، ناهيك عن تغلغل تلكم الشرذمة المتمثلة في يهود الدونمة داخل أروقة المجتمع التركى - على ما شرحناه آنفًا -..

هذه هي المهمة التي نفذتها تلك الفئة الضالة من اليهود المتخفين وتلكم هي النتائج التي توصلوا إليها من خلال تخفيهم في زى الإسلام وتسميتهم بأسماء إسلامية وهم في حقيقة الأمر يهود قلبًا وقالبًا كما قال وصرّح بذلك رئيس دولة العدو الإسرائيلى السابق - كما أشرنا آنفًا -.

الخاتمة

اسمع لي عزيزي القارئ قبل أن أضع القلم من يدي أن أسطر هذه الكلمات عسى أن تجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية صادقة..

إن الهدف الأسمى من تبييض صفحات هذا الكتاب ليس سرد القصص التاريخية والحكايات عن اليهود ومؤامراتهم وتفنيد كيدهم وخياناتهم فقط.. وإنما الهدف الذي نسعى إليه ونريد أن نوصله للقارئ الكريم هو مدى الاستفادة من الدروس والعبر التي ذكرناها عن أحفاد القردة والخنازير وأولاد الأفاعي لتجنب الوقوع فيما وقعوا فيه، تمامًا كما حذرنا الله - عز وجل - من خلال التركيز على ذكر قصة موسى - عليه السلام - مع قومه من بني إسرائيل وتكرارها في أكثر من موضع من القرآن الكريم [1]، وكذلك تحذير الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم -أمته من خلال الأحاديث الصحيحة الكثيرة لكي لا تقع فيما وقع فيه اليهود، وقد سبق وأشرنا إلى ذلك في أبحاث أخرى.

ويمكن القول أيضًا أن هذا البحث مع غيره من أبحاثنا عن اليهود إنما هو من باب التعبئة لما يسمى بثقافة السلام مع العدو الصهيونى والتي تعمل العديد من الأقلام المتواطئة والمنبطحة لتبث هذه الثقافة المعوجة لتحسين صورة اليهود في عيون العرب والمسلمين من خلال تحريف الكلم عن مواضعه وتغيير الحقائق، وتبديل المواقف وليّ أعناق النصوص لتتماشى مع ما يرمى إليه أصحاب ثقافة السلام.. مع أننا من خلال كتاباتنا عن هؤلاء القوم إنما نكشف عن حقائق وخبايا ومخططات اليهود من خلال أقلامهم وكتاباتهم أنفسهم فنحن نرفع دائما شعار «من فمهم ندينهم)..

ولذلك فإن دور يهود الخفي لم يقف عند هذا الحد ولم ينته بعد.. لأن العداء الذي بيننا وبينهم متأصل ولا يزال على أشده رغم فقعات ما يسمى بالسلام -

(١) راجع: الحكمة من تكرار قصة بنى إسرائيل في القرآن الكريم في كتابنا: السبى الأخير ص١٩٧ الناشر :دار الكتاب العربي «مصدر سابق».

الذي لا يعرفونه - ورغم مناداة البعض بتطبيع العلاقات معهم إلا أن المعارك لا تزال رحاها دائرة وإن خمدت في بعض الأحيان إلا أن سعارها ولهيبها لا يزال متوهجًا تحت الرماد ولن تنطفئ نار تلك الحروب إلا بالقضاء التام والمبرم على هذه الشرذمة الشريرة في المعركة التي يعلمون كما نعلم أن سعيرها سيشتعل بين لحظة وأخرى والتي لن تقوم لهم بعدها قائمة، وهي المعركة التي سينطق فيها الحجر والشجر وينادي على المسلم ليقتل اليهودي الذي سيختبئ وراءه إلا شجرهم الذي يزرعونه الآن بغزارة في فلسطين والمسمى بالغرقد على ما فصلناه آنفًا، وما ذكرناه في أكثر من بحث من أبحاثنا..

لذلك فاليهود يقومون بين الحين والآخر بتغيير استراتجيتهم ومخططاتهم التي يضعونها لسنوات قادمة، فما خططوا له بالأمس وما استعملوه من وسائل وأساليب لا يصلح استخدامه في المستقبل.

فدور اليهود الذين كانوا يتخفون ويندسون فيه بين الأمم والشعوب لم ينته تمامًا ولذلك تغيرت أساليبهم من الخفاء إلى الظهور، ومن الجاسوسية إلى العمل والإعلان عن أنفسهم في الظاهر عن طريق العملاء والخونة.

فالوسائل والأساليب - كما ذكرنا - تتغير حسب الظروف والطقوس ولكن الذي لا يتغير منهم أبدًا هو صبرهم ومثابرتهم وطول بالهم للوصول إلى الأهداف التي يُخططون لها ويرسمونها، فنجاحاتهم إنما يستمدونها من التخطيط السليم والدقيق واتباعهم بصرامة وتفان لخطوات سيدهم وأستاذهم الشيطان الأكبر «إبليس» لأنهم جُنده وحزبه، لذلك فهم يتبعون خطواته بكل دقة وإحكام ويقومون بتنفيذها بكل حب وإخلاص مع أخذهم بالأسباب الدنيوية وكيفية استغلالهم لهذه الأسباب التي يتفانون فيها لخدمة مصالحهم وتحقيق أغراضهم..

هذا بالطبع مع الغفلة والتيه الذي يعيشه أهل الحق والوقوع في شراكهم وخداعهم وعدم الأخذ بالأسباب الربانية التي سخرها الخالق - جل وعلا - لعباده..

ولكن الذي يحول بين تنفيذ اليهود لمخططاتهم والذين يقفون كالشوكة في

حلوقهم ويمنعون تنفيذ كل ما يريدون الوصول إليه وتحقيقه وينغّصون عليهم حياتهم هم تلك الفئة المؤمنة والطائفة المنصورة التي ذكرها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله..» [1] هذه الطائفة هي التي تحول بين نجاحات اليهود وهيمنتهم الكاملة على أمة الإسلام - كما يريدون - وهي التي تقف أمامهم ضد تنفيذ حلمهم المكتوب على الكنيست الإسرائيلي: «أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات» لذلك فهم يريدون القضاء التام على تلك الطائفة المؤمنة - ولن يستطيعوا - هم وأذنابهم، لأن هذه الطائفة محفوظة بحفظ الله - عز وجل - وهي التي ستقود جموع المسلمين للنصر المؤزر - بإذن الله تعالى - ولأنها لا تخاف ولا تهاب من قوة وبطش اليهود التي يخافها ويهابها ضعاف الإيمان والنفوس.. وهذه الطائفة تؤمن بقول الله - عز وجل -: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة : ٢٤٩).

فهم يحاربون بكل ما أوتوا من قوة تلك الفئة المؤمنة لأنهم يعلمون تمامًا أن نهايتهم وسببهم الأخير سيكون على تلك الأيادي المتوضئة..

لذلك فهم يخصصون في جامعاتهم من يقوم على دراسة الحروب الصليبية دراسة مستفيضة لكي يعلموا مواطن القوة التي جعلت من القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - وجنده يهزمون أعتى الجيوش الصليبية ويطردونهم من مدينة القدس، فيعملون على إضعاف تلك الأسباب في الأجيال المسلمة لكي لا تتمكن من طردهم من فلسطين كما فعلت الفئة المؤمنة من جُند صلاح الدين التي هزمت جحافل أهل الصليب، ومن ثمَّ يدرسون أيضًا مواطن الضعف فيعملون على إذكائها وإحيائها ونشرها بين صفوف الفئة المؤمنة..

---

(١) سبق تخريجه.

لذلك فالقيام بدراسة تلكم الشرذمة من البشر دراسة دقيقة وعميقة وموضوعية هي الآن من أوجب الواجبات وذلك لتعريتهم وفضحهم والكشف عن مصادر قوتهم التي يعتمدون عليها والعمل على إضعافها وإجهاضها، وكذلك معرفة مواطن ضعفهم - وهي كثيرة - والعمل على نشرها وإظهارها وتعريفها للناس والتي منها أنهم جبناء وذلك بنص القرآن الكريم الذي قال عنهم:

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر : ١٤).

ومواطن الضعف عند يهود كثيرة وقد كفانا المولى - عز وجل - ذلك كله، فهو العليم ببواطن أمور خلقه وعباده والخبير بحقيقة هؤلاء القوم من البشر، وحكى لنا بالتفصيل عن مكر وكيد وخديعة اليهود، وكذلك فنحن كمسلمين لنا في رسولنا - صلى الله عليه وآله وسلم - القدوة الحسنة في سيرته معهم - كما ذكرنا ذلك آنفًا - وفي أحاديثه الصحيحة مصابيح تنير لنا الطريق وسط هذا الظلام الدامس والتيه التي تعيش فيه الأمة الإسلامية اليوم في ظل هيمنة اليهود وعلوهم الثاني والأخير الذي أخبر عنه المولى - عز وجل - في سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾(الإسراء : ٤) ولكن بعد هذا العلو سيأتي الهبوط والسقوط الذريع بإذن الله تعالى . وسيكون على أيادى أبناء الأمة الإسلامية المتوضئة الذين يعلمون خبايا ومكنون هؤلاء الأشرار من قرآنهم الكريم وكلام ربهم العليم الخبير الذي أخبرهم - سبحانه - وحذرهم من تلكم الفئة المنحرفة أحفاد القردة والخنازير وأتباع المسيح الدجال وحزب الشيطان وجُنده الخُلَّص ومن التعامل معهم لأسباب عديدة سوف يجدها من يريد معرفة المزيد عنهم بين دفتى القرآن الكريم مسطورًا بأحرف من نور وسوف يجد أيضا صفات هؤلاء القوم كذلك بين كتابهم الذي يعتقدون أنه مُقَدَّس، فقد وصفهم بأقذع الصفات وأقساها، فالتوراة التي بين أيدينا الآن تعتبر من أكثر الكتب وأشدها عداءً لما يُسمى بالسامية [١].

(١) راجع كتابنا: التوراة العدو اللدود للسامية، فصل: صفاتهم من التوراة ص٩٩ «مرجع سابق [الناشر: دار الكتاب العربي - دمشق/ القاهرة]..

فهذا بيان لكل من يريد أن يعرف مكنون أسرار وخبايا يهود فما عليه إلا أن يرجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فسوف يجد الجواب الشافي والدواء الناجع لكيفية وأسلوب التعامل مع هؤلاء القوم، وهذا هو الهدف الحقيقي الذي ننشده من هذا السِّفْر.. الا هو كشف حقيقة اليهود ومعرفة أساليبهم الخبيثة التي كانوا يتعاملون بها مع الله - عز وجل - ومع أنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم - الذين أرسلهم وبعثهم الله - جل وعلا - لهدايتهم بدءًا من نبيهم ورسولهم موسى - عليه السلام- ونحن كمسلمين أولى به منهم، حتى آخر أنبيائهم عيسى ابن مريم - عليه السلام - الذين حاربوه وعادوه وحاولوا قتله، وملاحقة أتباعه من الحواريين - رضي الله عنهم -، وكذلك ما فعلوه مع نبينا ورسولنا الحبيب محمد بن عبدالله رسول الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وآله وسلم- ومع صحابته الكرام - رضي الله عنهم -.

فمن خلال هذه الدراسة التي بين يديك عزيزى القارئ نجد أن اليهود قد نجحوا تمامًا ونفذوا خططهم بكل دقة وإحكام في القضاء التام والمبرم على الديانة المسيحية من خلال الخطوات المحكمة التي رسمها لهم الشيطان ونفذوها بكل دقة بدءًا من زرع يهودي تخفى في زي المسيحية فخرّب العقيدة التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم بيضاء نقية وهي عقيدة التوحيد وأبدلها بعقائد أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، ونهاية بإشاعة اليهود للمذاهب والفلسفات الهدَّامة التي وضعوها وأوحاها لهم إبليس اللعين لهدم ما تبقى من تلك الديانة السماوية، فسوّدتها أيادي يهود النجسة وشتتوا أتباع تلكم الديانة وأصبحت الفلسفة والعلمانية وغيرها من المذاهب الأرضية هي الدين الجديد الذي يؤمن به جُلُّ المجتمع الغربي المسيحي..

ثم تحولوا إلى الدين الإسلامي فحاولوا زرع يهودي آخر يتخفى في زي الإسلام لهدمه وتقويضه من الداخل كما فعلوا مع الديانة المسيحية فخابوا وخسروا ولم يفلحوا وانكشف هذا اليهودي الخبيث المدعو عبدالله بن سبأ وانفضح أمره وكشفه الله - عز وجل - هو وزمرته ولكن بعد أن ثلم ثلمة في الإسلام وأشاع الفُرقة والخلاف ولكن الله - عز وجل - وأد فتنته بالعبد الصالح

ابن بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي جمع أمة الإسلام على كلمة سواء وتنازل عن الخلافة طواعية لأسباب - ذكرناها آنفًا - فسُمّي ذلك العام بـ «عام الجماعة» فرضي الله عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - الذي انطفأت به نار الفتنة التي أشعلها ذلك اليهودي الخبيث وطائفته المنحرفة، وخرجت الأمة الإسلامية من تلك الفتنة قوية شامخة.

حتى كان عصر الخلافة العثمانية فزرعوا يهوديًا آخر، أظهر الإسلام وأبطن يهوديته وهو «شبتاي بن زفي» واتبعته طائفة من يهود تركيا وذلك لأهداف وغايات واضحة كان من أهمها القضاء على الخلافة العثمانية قضاءً مبرمًا والعمل على تفكيك الدولة التركية وإشاعة الفُرقة والخِلاف إلى غير ما ذكرناه مما فعله يهود الدونمة بالدولة العثمانية ومن ثمَّ بتركيا الحديثة..

ومع كل تلك المخططات والمكائد على مدار التاريخ من اليهود ومن حزب الشيطان وجنده إلا أنه لا تزال طائفة من أمة الإسلام قائمة ظاهرة على الحق لا يضرها ولن يؤثر فيها حقد الحاقدين وكيد الكائدين سواء من اليهود أو من أذنابهم، فهذه الطائفة هي الفئة المنصورة التي أخبرنا عنها الصادق المصدوق - صلوات ربي وسلامه عليه - وسوف تظل كالشوكة في حلوق أعدائها حتى يأذن الله - عز وجل - بخروجها وظهورها فستهزم جحافل الصليبيين وستقضي على اليهود وسوف ينصرها الله -عز وجل - نصرًا عزيزًا مؤزرًا ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء : ٥١).

فهذا اليوم آت لا ريب فيه ويومئذ سيفرح المؤمنون بنصر الله..

وصلوات ربي وسلامه على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المراجـــع

ثبت المراجع

● أولاً: ١- القرآن الكريم

٢- العهدان «القديم والجديد» التوراة والإنجيل (الناشر: دار حلمي للطباعة، القاهرة، ١٩٧٠م).

● ثانيًا: - كتب التفاسير وعلوم القرآن:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان).

٢- تفسير القرطبي، المسمى: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي.

(الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٣- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، قدّم له د. يوسف عبدالرحمن المرعشلى.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ)

٤- في ظلال القرآن، سيد قطب.

(الناشر: دار الشروق، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠)

٥- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير

الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبوشهبة

(الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ)

٦- الإسرائيليات في التفسير والحديث.

الدكتور محمد حسين الذهبي.

(الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦).

٧- الإتقان في علوم القرآن.

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي.

(الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

• ثالثاً: كتب السنة وشروحها:

١- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي،

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٢- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٣- مسند أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٤- سنن الترمذي، لأبيعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٥- سنن النّسائي بشرح السيوطي، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن بحر النسائي.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٦- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

٧- مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل.

(الناشر: دار صادر، بيروت).

٨- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت).

٩- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين علي البيهقي.

(الناشر: دار الفكر، بيروت).

١٠- شرح مسلم، للإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي.

(الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت).

١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت)

١٢- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري.

(الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت)

١٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي.

(الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت)

١٤- المعجم الكبير، القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، بتحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي.

(الناشر: دار ابن تيمية - القاهرة)

١٥- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، بتحقيق: قسم التراث دار الحرمين.

(الناشر: دار الحرمين - السعودية)

١٦- صحيح الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت)

١٧- ضعيف الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت)

● **رابعاً: كتب اللغة:**

١- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (كتاب إلكتروني)

٢- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد (كتاب إلكتروني)

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي.

(الناشر: مكتبة الحياة، بيروت)

٤- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري.

(الناشر: دار الفكر، بيروت)

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري.

(الناشر: دار الفكر، بيروت)

٦- القاموس المحيط، الفيروز أبادي.

(الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت)

● **خامساً: كتب التاريخ والسير:**

١- السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإبيارى، وعبدالحفظ شلبي.

(الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م)

٢- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

(الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت)

٣- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.

(الناشر: دار المعارف، بيروت)

٤- الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري

(كتاب إلكتروني)

٥- المغازي، للواقدي (كتاب إلكتروني)

٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي.

(الناشر: مؤسسة الأعلى، بيروت)

٧- محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - د. محمد الصادق عرجون.

(الناشر: دار القلم، دمشق)

٨-السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبوشهبة.

(الناشر: دار القلم، دمشق)

٩- المجتمع المدني في عهد النبوة، د. أكرم ضياء العمري.

(الناشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - السعودية)

١٠- تاريخ ابن خلدون (كتاب إلكتروني).

١١- تاريخ اليهود ليوسيفوس (كتاب إليكتروني).

● **سادساً: الموسوعات ودوائر المعارف:**

١- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د. عبدالوهاب المسيري (كتاب إليكتروني).

٢- دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت)

٣- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت)

٤- موسوعة قصة الحضارة، ول ديورانت.

(الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة)

٥- دائرة المعارف الكتابية - المسيحية، مع تفسير العهدين القديم والجديد (كتاب إلكتروني).

٦- دائرة المعارف اليهودية (كتاب إلكتروني).

٧- موسوعة الشيعة وفرقهم، يوسف رشاد (مخطوط)

٨- موسوعة المعرفة، ويكيبيديا (موسوعة إلكترونية)

٩- موسوعة تاريخ أقباط مصر، عزت أندراوس (موسوعة إلكترونية)

١٠- الموسوعة الشاملة، الإصدار الثالث (موسوعة إلكترونية)

١١- موسوعة العجم (الإصدار الثانى)

• سابعًا: كتب عامة:

١- بروتوكولات صهيون، ترجمة وتقديم عباس محمود العقاد.

(الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت)

٢- تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس

(الناشر: مطبعة المقتطف، مصر)

٣- الخديعة الكبرى، روبرت كيل تسلر (كتاب إلكتروني)

٤- هل هذا إصلاح أم تقهقر، ليونارد رجاس (كتاب إلكتروني)

٥- عيد الختان المجيد، للقس: إبراهيم إبراهيم (كتاب إلكتروني)

٦- الإنجيل واللاهوت، القس: باول هيبرلين (كتاب إلكتروني)

٧- الخالدون مائة، مايكل هارت (كتاب إلكتروني)

٨- باباوات من الحي اليهودي، يواكيم برنز، نقله إلى العربية الأستاذ: خالد أسعد عيسى، راجعه وقدّم له الدكتور سهيل زكار.

(الناشر: دار حسان للطباعة والنشر - دمشق ط. أولى ١٩٨٣م-١٤٠٣هـ).

٩- حياة الحقائق، جوستاف لوبون (كتاب إلكتروني).

١٠- المسيحية ونشأتها وتطورها، شارل جنيبر (كتاب إلكتروني).

١١- حقيقة التبشير، أحمد عبدالوهاب (كتاب إلكتروني).

١٢- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي عبداله الترجمان الميورقي دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق.

(الناشر: دار البشائر، بيروت)

١٣- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم الجوزية

(الناشر: مكتبة السوادي، جدة، السعودية)

١٤- فضح التلمود، تعاليم الحاخاميين السرية، الأب آي. بى. براناايتس. إعداد زهدى الفاتح.

(الناشر: دار النفائس، بيروت).

١٥- التوراة العدو اللدود للسامية، يوسف رشاد.

(الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق/القاهرة).

١٦- قراءة جديدة لكتاب هنرى فورد: اليهودى العالمى وتاريخ سيطرة اليهود على السلطة في أمريكا، يوسف رشاد.

(الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق).

١٧- بداية النهاية، حاخام يهودي يقول: السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادي أبناء إسماعيل، يوسف رشاد

(الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق).

١٨- حضارة العرب، جوستاف لوبون

(الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط. ثالثة ١٣٦٤هـ -١٩٤٥م)

١٩- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور (كتاب إلكتروني).

٢٠- النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك.

(الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الثانية، ١٢٩٩هـ).

٢١- خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، الحاخام جوزف هـ. هرتس، ترجمة د. ألفريد يلوز.

(الناشر: مكتبة بيبليون، جبيل، بيروت).

٢٢- حكومة العالم الخفية، شيريب سبيريدو فيتش، ترجمة مأمون سعيد

(الناشر: دار النفائس، بيروت)

٢٣- أساطير اليهود، لويس جنزربرج، ترجمة حسن حمدى السماحى.

(الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق).

٢٤- الرهبانية اليسوعية.

(الناشر: دار المشرق، بيروت).

٢٥- قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل.

(الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط. أولى ١٤١٢هـ).

٢٦- دولة الإسلام في الأندلس محمد عبدالله عنان.

(الناشر: مكتبة الأسرة، القاهرة).

٢٧- تاريخ الشعب اليهودى للحاخامين: ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس.

(الناشر: مكتبة ودار بيبليون، بيبلوس، بيروت).

٢٨- دلالة الحائرين، موسى بن ميمون (كتاب إلكتروني).

٢٩- أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، د. هدى درويش.

(الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط. أولى ٢٠٠٨م)

٣٠- إبطال الحيل، لابن بطة (كتاب إلكتروني).

٣١- المصلح.. مارتن لوثر.. حياته وتعاليمه، د. القس: حنا جرجس الخضري.
(الناشر: دار الثقافة، مصر).

٣٢- اليهودية.. نشيد التيه، سليم فرنجيه.
(الناشر: دار التكوين، دمشق).
٣٣- التراث اليهودى الصهيونى، والفكر الفرويدى، د. صبرى جرجس
(الناشر: دار عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٠م)
٣٤- العلمانية، د. سفر الحوالى (كتاب إلكتروني).
٣٥- المذاهب الغربية المعاصرة وأثرها على العالم الإسلامى يوسف رشاد.
(الناشر: جامعة طيبة).
٣٦- المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية للأستاذ أنور الجندي.
(الناشر: مكتبة ودار الاعتصام)
٣٧- كواشف زيوف، عبدالرحمن حبنكة الميداني (كتاب إلكتروني).
٣٨- التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، محمود مزروعة.
(الناشر: دار الرضا، مصر، ط. أولى ١٤٢٥هـ).
٣٩- عدو المسيح لفريدريك نيتشه، ترجمة: جورج ميخائيل ديب (كتاب إلكتروني).
٤٠- بين الكتب والناس، عباس محمود العقاد.
(الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط. أولى ١٩٦٦م)
٤١- سير أعلام النبلاد للحافظ الذهبى
(الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت)
٤٢- الفَرق بين الفِرَق، عبدالقاهر البغدادي.
(الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت)
٤٣- البرهان في معرفة العقائد لأبي الفضل عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي.
(الناشر: مكتبة المنار، الأردن، ط، أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٤٤- الملل والنحل للشهرستاني.

(الناشر: دار المعرفة، بيروت).

٤٥- تاريخ دمشق لابن عساكر (كتاب إلكتروني).

٤٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بين تيمية (كتاب إلكتروني).

٤٧- لسان الميزان للحافظ ابن حجر (كتاب إلكتروني).

٤٨- تاريخ ا لمذاهب الإسلامية لأبي زهرة (كتاب إلكتروني).

٤٩- منهاج السنة لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم (كتاب إلكتروني).

٥٠- كتاب الحيوان للجاحظ (كتاب إلكتروني).

٥١- العقد الفريد لابن عبد رَبِّه (كتاب إلكتروني).

٥٢- نشأة الفكر الفلسفي للدكتور على سامي النشار.

(دار المعارف، مصر).

٥٣- ابن سبأ وأساطير أخرى، السيد مرتضى العسكرى (كتاب إلكتروني).

٥٤- اليد الخفية للدكتور عبدالوهاب المسيرى (كتاب إلكتروني).

٥٥- الفكر الدينى اليهودى د. حسن ظاظا (كتاب إلكتروني).

٥٦- يهود الدونمة د. محمد عمر.

(الناشر: دار الوثائق، الكويت).

٥٧- حقيقة يهود الدونمة في تركيا، د. هدى دريش.

(الناشر: عين للدراسات والبحوث ط أولى/٢٠٠٣).

٥٨- الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، مصطفى محمد.

(الناشر: المؤلف، الطبعة الأولى، ألمانيا الغربية. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٥٩- أسرار الماسونية، الجنرال/ جواد رفعت آتلخان، ترجمه عن التركية وعلق عليه: نور الدين رضا الواعظ، سليمان محمد أمين القابلي.

(طبع على نفقة أحد المحسنين، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، قطر).

٦٠- فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ـد جعفر هادي حسن (كتاب إلكتروني).

٦١- يهود الدونمة، د. محمد حرب (كتاب إلكتروني).

٦٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

(الناشر: الندوة العالمية للشباب المسلم، الرياض).

٦٣- السلطان عبدالحميد الثانى وفلسطين، رفيق شاكر النتشة.

(الناشر: مكتبة مدبولى، الطبعة الخامسة/١٩٩٠م).

٦٤- تركيا في الزمن المتحول، محمد نورالدين.

(الناشر: دار رياض الريس، بيروت/١٩٩٧م).

٦٥- العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب.

(الناشر: الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع).

٦٦- العديد من المقالات التي أثبتناها في حينها.

٦٧- العديد من المواقع الإليكترونية.

٦٨- الصحف الإسرائيلية والصحافة العالمية..

٦٩- موقع المجلس اليهودي الأمريكي..

***

[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فهرس الكتاب

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
المقدمة	6
الباب الأول: اليهود المتخفون وأثرهم في تحريف المسيحية	13
-المقصود باليهود المتخفين	15
الفصل الأول: دور بولس أوشاؤل في تحريف الديانة النصرانية	17
- مدخل إلى الفصل الأول	19
المبحث الأول: التعريف ببولس أو شاؤل اليهودي	22
المبحث الثاني: الأدلة على تحريف بولس اليهودي اليهودي للدين المسيحي	29
-أولاً: في الاعتقاد	29
-ثانيًا: تحريف بولس لشريعة عيسى -عليه السلام-	40
المبحث الثالث: آراء وأقوال رجال اللاهوت والفكر المسيحي في بولس	44
المبحث الرابع: بولس.. في الروايات الإسلامية	51
الفصل الثاني: دور اليهود المتخفين في تحريف الكنيسة الكاثوليكية	59
- مدخل إلى الفصل الثاني	61
المبحث الأول: اليهود يعتلون كرسي البابوية في روما	65
المبحث الثاني: دور باباوات اليهودالمتخفين في إشعال الحروب الصليبية	70

الصفحة	الموضوع
71	-البابا: أوربان الثاني ودوره في تأجيج نار الحرب الصليبية الأولى
79	**المبحث الثالث:** التسلسل التاريخي لدور اليهود الخفي للسيطرة على الكنيسة الكاثوليكية........
91	**الفصل الثالث: اليهود المتخفون في الأندلس (المارانوس).....**
93	– مدخل إلى الفصل الثالث: ما هي الأندلس..........
97	**المبحث الأول:** نبذة عن تاريخ اليهود في بلاد الأندلس..........
100	– اليهود في ظل الحكم الإسلامي الأندلسي..........
109	**المبحث الثاني:** التعريف بمعنى المارانوس..........
113	– تعريف المارانوس في المسيحية الأرثوذكية..........
118	**المبحث الثالث:** المارانوس بين ممارسة شعائر المسيحية واليهودية..
120	– أسلوب ممارسة المارانوس لشعائرهم المسيحية..........
129	– أسلوب ممارسة المارانوس لشعائرهم الدينية..........
135	**الفصل الرابع: اليهود المتخفون وأثرهم في الكنيسة البروتستانتية..........**
137	– مدخل..........
139	**المبحث الأول:** التعريف بمعنى البروتستانت..........
144	– مارتن لوثر... مؤسس المذهب البروتستانتي..........
147	– اعتقادات وتعاليم مارتن لوثر والكنيسة البروتستانتية.......
151	**المبحث الثاني:** مارتن لوثر واليهودية..........
163	**المبحث الثالث:** الصهيونية المسيحية..........
166	– تعريف الصهيونية المسيحية..........

الموضوع	الصفحة
- بذور نشأة المسيحية الصهيونية....................	172
- السفارة المسيحية الصهيونية العالمية وحقيقة تواجدها في إسرائيل....................................	177
المبحث الرابع: دور اليهود الخفي في نشر المذاهب والنظريات الإلحادية....................................	189
- باروخ سبينوزا ونظريته الفلسفية..............	191
- دارون ونظريته....................................	196
- فرويد ونظريته الجنسية.........................	201
- دور كايم اليهودي ونظريته (العقل الجمعي)............	208
- فريدريك فيلهلم نيتشه.............................	213
- ميكيافيلي......................................	220
- جان بول سارتر.................................	222
الباب الثاني: اليهود المتخفون وأثرهم في الإسلام	227
الفصل الأول: عداوة اليهود وخياناتهم للإسلام.. مدخل......	233
المبحث الأول: نبذة عن تاريخ اليهود في المدينة النبوية............	236
المبحث الثاني: اليهود المتخفون ممن أسلموا خُفية.............	250
- اليهود المتخفون ممن أسلموا نفاقا في عهد رسول الله ﷺ..	254
- نصُّ المعاهدة بين المسلمين واليهود.....................	258
المبحث الثالث: صور من خيانات وإيذاء اليهود ونقضهم للعهود....	265
- غدر وخيانة بني قينقاع ونقضهم العهد..................	267
- كعب بن الأشرف وخيانته المسلمين....................	271

الموضوع	الصفحة
- قصة قتل كعب بن الأشرف........................	273
- خيانة وغدر ونقض يهود بني النضير للمعاهدة النبوية.....	281
- سبب غزوة يهود بني النضير..........................	283
- سورة الحشر ويهود بني النضير........................	285
المبحث الرابع: الخيانة العُظمى..............................	292
أولاً: غدر وخيانة يهود بني قريظة ونقضهم العهد............	294
- موقف الإسلام من الملتزمين بعهودهم من غير المسلمين....	299
- بنو قريظة في نظر القانون الدولي........................	305
ثانيًا: غدر وخيانة يهود خيبر..................................	310
- اليهود في خيبر..	312
- قصة اغتيال اليهودي: سلاّم بن أبي الحقيق................	316
الفصل الثاني: اليهود المتخفون في عصر الخلافة الراشدة (السبئية)..................................	327
- مدخل..	329
المبحث الأول: السبئية ومؤسسها عند السنة والشيعة...........	333
- مؤسس الفرقة السبئية..	335
- المنكرون لحقيقة وشخصية عبد الله بن سبأ من أهل السنة	346
- السبئية عند الشيعة..	348
- المنكرون لحقيقة ابن سبأ من الشيعة........................	354
المبحث الثاني: أهم أفكار ومعتقدات السبئية.......................	358
- القول بالرجعة..	358

الموضوع	الصفحة
- القول بالوصية	359
- الطعن في الصحابة -رضي الله عنهم-	361
- أقوال أئمة الشيعة وعلماء آل البيت في الصحابة -رضي الله عنهم-	364
- الغلوُّ في الإمام علي -رضي الله عنه-	365
المبحث الثالث: دور السبئية في مقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-	371
المبحث الرابع: دور السبئية في إشعال الحروب بين المسلمين	385
الفصل الثالث: اليهود المتخفون وأثرهم في التراث الإسلامي	395
- مدخل إلى... الإسرائيليات في كتب التراث	397
المبحث الأول: معنى الإسرائيليات وأنواعها في كتب التراث الإسلامي	400
أولاً: معنى الإسرائيليات	400
ثانيًا: أنواع الإسرائيليات في التراث الإسلامي	406
المبحث الثاني: أيادي يهود الخفية في كتب التفسير الإسلامية	415
- قصة الذبيح	418
المبحث الثالث: حكم رواية الإسرائيليات	428
الفصل الثالث: اليهود المتخفون في الخلافة العثمانية (يهود الدونمة)	447
- مدخل	449
المبحث الأول: تعريف معنى كلمة (الدونمة)	452
- المؤسس والنشأة	455

الموضوع	الصفحة
- المسيح الكذاب: شبتاي بن زفي........................	457
المبحث الثاني: شبتاي بن زفي من اليهودية إلى التظاهر بالإسلام.	466
- أهم أفكار ومعتقدات طائفة الدونمة........	470
- تعاليم ومعتقدات الدونمة بعد (شبتاي)........	476
المبحث الثالث: فرق الدونمة وجماعاتهم وأثرهم في المجتمع التركي..	479
أولاً: اليعقوبيون..	480
ثانيًا: القرَّة قاشيون أو (كاركاشلر)........................	481
ثالثًا: مجموعة إبراهيم أغا أو (القابندجي)........	483
- عيد الخروف..	485
- علاقة يهود الدونمة بالحركة الماسونية........	488
- أثر يهود الدونمة في المجتمع التركي........	490
- الزعيم التركي مصطفى أتاتورك ويهود الدونمة........	495
- تأثير يهود الدونمة الثقافي على الحياة التركية........	500
- دور وتأثير يهود الدونمة في أجهزة الإعلام التركية........	502
الخاتمة..	507
ثبت المراجع..	515
الفهارس..	529